

# لباب التفسير

تأليف الإمام المفسر  
ساجد القراء الكرماني  
برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني  
المتوفى بعد سنة ٥٠٠ هـ

يُطبع أول مرة محققاً على مارك نسخ فطية

تحقيق وتعليق  
محمد عبد الحكيم بجاج

آداب اللباب

# لَبَّاءُ التَّفَاسِيحِ

(٣)

# حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعة هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويره ورقياً أو إلكترونياً  
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة  
تحت المساءلة الدنيوية والأخروية



## دار اللباب

للدراسات والتحقيق التراث

**DAR-ALLOBAB**

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlimi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان

009615813966

0096170112990

دمشق - سوريا

00963993151546

info@allobab.com

www.allobab.com

اسطنبول - تركيا

00902125255551

00905454729850



İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

# لِبَابِ التَّفَاسِيرِ

تَأْيِيفُ الْإِمَامِ الْمُفَسِّرِ  
تَاجِ الْقُرَّاءِ الْكِرْمَانِيِّ  
بُرْهَانَ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْرَةَ بْنِ نَصْرِ الْكِرْمَانِيِّ  
الْمُتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ ٥٠٠ هـ

يُطْبَعُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مَحْفَظًا عَلَى مَلِكِ نَشْرِ خَطْبَةِ

تَحْقِيقًا وَتَعْلِيقًا  
مُحَمَّدَ عَبْدِ أَحْلِيمِ بَعَّاجٍ

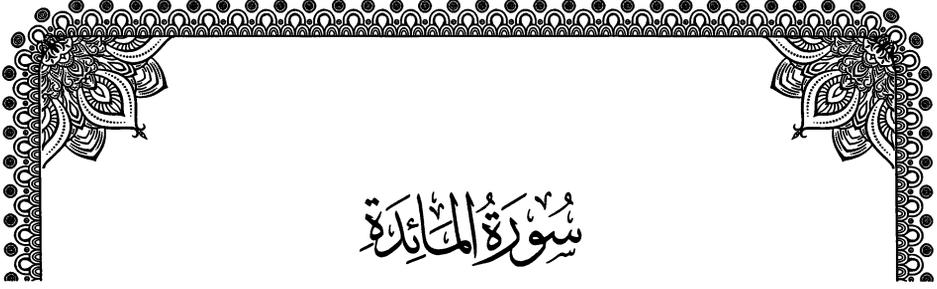
الْجُلْدُ الثَّلَاثُ

كَلَامُ اللَّبَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# سُورَةُ الْمَائِدَةِ





## سُورَةُ الْمَائِدَةِ

مئة وعشرون وثلاث آيات<sup>(١)</sup>

مدنيّة

وقيل: مدنيّة<sup>(٢)</sup> إِلَّا آيَةً، وهي قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [٣]؛ فَإِنَّهَا نَزَلَتْ بِمَكَّةَ يَوْمَ عَرَفَةَ.

وقيل: السُّورَةُ مُدَنِيَّةٌ كُلُّهَا.

وقرأها<sup>(٣)</sup> رسولُ الله عليه السَّلَامُ في خطبته يومَ حَجَّةِ الوداع، وقال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ سُوْرَةَ الْمَائِدَةِ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ نَزُولًا، فَأَحْلُوا حَلَالَهَا، وَحَرِّمُوا حَرَامَهَا»<sup>(٤)</sup>.

(١) «مئة وعشرون وثلاث آيات» من (ن).

(٢) في (ن): «مكية».

(٣) ما بين معكوفتين مستدرك من «تفسير الثعلبي» (١٠٩/١١).

(٤) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ١٦١) عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس مرسلًا، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠٩/١١).

وروى الإمام أحمد (٢٥٥٤٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٧٣)، والحاكم في «المستدرک»

(٣٢١٠) عن جبير بن نفير، قال دخلت على عائشة فقالت: هل تقرأ سورة المائدة؟ قال قلت: نعم.

قالت: «فإنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام

فحرموه». والحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وأياها مئةٌ وعشرون كوفي، وثلاثٌ وعشرون بصري<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

= وروى الترمذي (٣٠٦٣) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: آخر سورة أنزلت المائدة والفتح. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(١) في (ن): «مئة وعشرون كوفية». والمروي في عدد آيات القرآن ستة مذاهب: المدني الأول، والمدني الثاني، والمكي، والكوفي، والبصري، والشامي: فالمدني الأول: مروى عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح.

والمدني الثاني: عن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري.

والمكي: عن عبد الله بن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب.

والمكي: عن حمزة بن حبيب الزيات وأبي الحسن الكسائي وخلف بن هشام.

والبصري: عن عاصم الجحدري.

والشامي: عن يحيى بن الحارث الذماري.

وذكر الجرجاني في «درج الدرر» (٢ / ٦٤٧) أن عدد آيات هذه السورة مئة واثنتان وعشرون آية حجازي شامي.

قال الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (١ / ١٣٣): «أعلى الروايات وأصحها العد الكوفي؛ فإن إسناده متصل بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه». وانظر: «جمال القراء» للسخاوي (ص: ٢٧٤)، و«الإتقان» للسيوطي (١ / ٢٣٣).



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْلَتْ لَكُمْ بِسِمَةِ الْأَنْعَمِ إِلَّا مَا تَنَالَى عَلَيْكُمْ عَيْرِ مَحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ابنُ عَبَّاسٍ فِي جَمَاعَةٍ: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾؛  
أي: بعقودِ اللهِ فيما أحلَّ وحرَّم<sup>(١)</sup>.

الحسن: بعقودِ الدِّينِ<sup>(٢)</sup>.

ابنُ جَرِيحٍ: الخِطَابُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْمَرَادُ بِ(العقود): العَهْدُ الَّتِي أَمَرَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا مِنْ تَصَدِيقِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَبْيِينِ نَعْتِهِ<sup>(٣)</sup>.

ابنُ زَيْدٍ: العُقُودُ خَمْسَةٌ: عَقْدُ النِّكَاحِ، وَعَقْدُ الشَّرْكَاءِ، وَعَقْدُ الِيمِينِ، وَعَقْدُ الْعَهْدِ، وَعَقْدُ الْحَلْفِ<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٤٧) بلفظ: «يعني: ما أحل

وما حرم، وما فرض، وما حد في القرآن كله...». وعلقه البخاري قبل حديث (٥٤٧٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦ / ٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١٣ / ١١).

(٤) في هامش (ن): «الحلف: ما كانوا يعاهدون فيما بينهم أن يقول الرجل لصاحبه: إن مت قبلك

فمالي لك، ويقول الآخر مثل ذلك». والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٨).

وزيد: عقد البيع<sup>(١)</sup>.

وقيل: العقود المذكورة، وهي الفرائض المبيّنة في هذه السورة، وهي إحدى عشرة. وقيل: ثماني عشرة.

والعقد: الجمع بين الشئين بما يعسر الانفصال، وأصله الشد.

والوفاء: إتمام العقد بفعل ما عقد عليه، تقول: أوفى ووفى.

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ الجمهور: استئناف حكم<sup>(٢)</sup>، ويحتمل التفصيل.

والبهيمة: كل حي لا يميز.

والأنعام أصلها: الإبل، أخذ من (نعمة الوطاء)<sup>(٣)</sup> - وإضافة البهيمية إلى الأنعام من باب: (ثوب خز)<sup>(٤)</sup> - ثم استعمل<sup>(٥)</sup> للبقرة والشاة، ولا يدخل فيها الحافر<sup>(٦)</sup>؛ لقوله سبحانه: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل: ٥]، ثم عطف عليها: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ [النحل: ٨]<sup>(٧)</sup>.

(١) رواه ابن وهب في «جامعه - التفسير» (٢٩٦)، ولفظه: «إنهن ست: عهد الله، وعقد الحلف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد اليمين».

(٢) «حكم» ليست في (ن).

(٣) قال الماوردي في «النكت والعيون» (١٧٣ / ٢): «والأنعام: الإبل والبقرة والغنم، مأخوذ من نعمة الوطاء»، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٤٣ / ٣): «سميت بذلك لنعومة مسها، وهو لينها». يقال: تنعم الرجل: مشى حافياً، والوطيء من كل شيء: ما سهل ولان، والوطيء والوطيئة: العصيدة الناعمة. انظر: «لسان العرب» مادة (وطأ) ومادة (نع ع م) (١٢ / ٥٨٧).

(٤) أي: من باب إضافة الشيء إلى جنسه.

(٥) في (و): «يستعمل».

(٦) في (و): «الحافي».

(٧) ففصل جنس النعم من غيرها من أجناس الحيوانات. انظر: «تفسير الطبري» (٨ / ١٥).

الحسن: ﴿بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم<sup>(١)</sup>.  
 ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ﴾: الوحش<sup>(٢)</sup>.  
 ابن عمر رضي الله عنهما: ﴿بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ﴾: الجنين إن خرج ميتًا جازًا أكله<sup>(٣)</sup>.  
 ورؤي عن ابن عباس أيضًا<sup>(٤)</sup>.

﴿إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ بذكر تحريمه لكم.

ابن عباس والحسن في جماعة: هو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ...﴾ الآية<sup>(٥)</sup>.  
 أبو العالية: هو قوله: ﴿عَيْرٌ مِّجْلَىٰ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾<sup>(٦)</sup>؛ أي: إلا ما كان من الأنعام صيدًا؛ فهو حرامًا وأنتم حُرْمٌ.  
 وقوله: (غير) منصوبٌ على الحال من قوله: (أوفوا بالعهود غير محلي الصَّيد)، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ.

- (١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢ / ٨)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢ / ٢٤٨).  
 (٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٥٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧ / ٢٢١) عن الكلبي، بلفظ: «قال الكلبي: بهيمة الأنعام وحشيها كالطباء وبقر الوحش وحمير الوحش». واختاره الفراء انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٢٩٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٩) عن مطرف بن الشخير والربيع بن أنس.  
 (٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٣). وعد المصنف هذا القول من العجيب في «غرائب التفسير» (١ / ٣١٥).  
 (٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٤).  
 (٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٦)، وذكره الواحدي في «البيضا» (٧ / ٢٢١) عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي.  
 (٦) لم أقف عليه عن أبي العالية، وروى الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٩) عن الربيع بن أنس، قال: جلسنا إلى مطرف بن الشخير وعنده رجل، فحدثهم فقال: «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾: صيدًا، ﴿عَيْرٌ مِّجْلَىٰ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾: فهو عليكم حرام؛ يعني: بقر الوحش والطباء وأشباهه».

- وقيل: بالاستثناء؛ أي: إِلَّا محلي الصَّيْدِ وأنتم حرم. حكاه ابن عيسى<sup>(١)</sup>.
- وقيل: على الحال من قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ﴾ غير محلي الصيد<sup>(٢)</sup>، وهو الأظهر<sup>(٣)</sup>.
- قوله: ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ ابن عباس: وأنتم في الحرم<sup>(٤)</sup>.
- غيره: في الإحرام.
- وقيل: في الحرم والإحرام، تقول: جاء رجلٌ حرامٌ وقومٌ حُرْمٌ<sup>(٥)</sup>.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ابن عباس في جماعة<sup>(٦)</sup>: يحلُّ ويحرِّم ما يريد<sup>(٧)</sup>.
- وقيل: يحكم فيما خلق ما يريد على الإطلاق.

\* \* \*

(٢) - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوْا شَعْبِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيْدَ وَلَا ءَامِيْنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُوْنَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْعُدُوْنَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ﴾.

- (١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣١٥) دون نسبة، واستغربه.
- (٢) «وأنتم حرم حكاه ابن عيسى، وقيل: على الحال من قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ... غَيْرِ محلي الصَّيْدِ﴾» من (ن).
- (٣) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣١٥).
- (٤) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم، فنهى المحرم عن قتله في هذه الآية».
- (٥) ذكر الأوجه الثلاثة الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٦٧).
- (٦) «في جماعة» من (ن).
- (٧) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ١٦٣). وذكره بلا نسبة: الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١٤٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٠٦) وغيرهما.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوْا شَعْبَرَ اللَّهِ﴾ في سبب النزول: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت في الحُطَمِ، واسمُه شَرِيحُ بنِ ضُبَيْعَةَ، أتى النَّبِيَّ عليه السَّلَام من اليمامة إلى المدينة، فخلَّف خيله خارج المدينة، ودخل وحده على النَّبِيِّ عليه السَّلَام فقال له: إلامَ تدعو النَّاسَ؟ فقال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة» فقال: حسنٌ، إلا أن لي أمراء لا أقطعُ أمرًا دونهم، ولعلي أسلمُ وأتي بهم، وقد كان النَّبِيُّ عليه السَّلَام قال لأصحابه<sup>(١)</sup>: «يدخلُ عليَّ<sup>(٢)</sup> رجلٌ يتكلَّم بلسان شيطانٍ»، ثم خرج من عنده، فلما خرج قال رسول الله عليه السَّلَام: «قد<sup>(٣)</sup> دخل بوجه كافرٍ وخرج بعقبِي غادرٍ، وما الرَّجُلُ بمسلمٍ»، فمرَّ بسرح المدينة فاستاقه، فطلبوه فعجزوا عنه، فلما خرج رسولُ الله عليه السَّلَام عامَ القضية سمعَ تلبيةَ حُجَّاجِ اليمامةِ فقال لأصحابه: «هذا الحُطَمُ وأصحابُه»، وكان قد قلدَّ ما نهبَ من سرح المدينة وأهداه إلى الكعبة، فلما توجهوا في طلبه أنزلَ اللهُ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوْا شَعْبَرَ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي غيرِ هذه الرواية: فمرَّ بسرح المدينة واستاقه، وانطلق وهو يرتجزُ ويقول<sup>(٥)</sup>:

باتوا نيامًا وابنُ هِنْدٍ لم يَنَمْ  
بات يقاسيها غلامٌ كالزَّلَمِ

(١) «قال لأصحابه» من (م).

(٢) في (و): «عليه».

(٣) في (ن): «لقد».

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره بلا نسبة:

السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٦٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١١٧)، ورواه الطبري في

«تفسيره» (٨/ ٣٣) عن عكرمة مرسلًا.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢) عن السدي.

خَدَّلَجُ السَّاقَيْنِ خَفَّاقُ الْقَدَمِ  
 قَد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمِ  
 لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمِ  
 وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ<sup>(١)</sup> وَصَمِ  
 هَذَا أَوْ أُنُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّي زِيمِ<sup>(٢)</sup>

وقوله: ﴿شَعَبِيرَ اللَّهِ﴾ على هذا: ما يحرم في الإحرام، وهو قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

وقيل: مناسك الحج، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا<sup>(٤)</sup>.

وقيل: الأعلام المنصوبة للفرق بين الحل والحرم، نهاهم أن يتجاوزوها إلى

مكة بغير إحرام.

الحسن: دين الله كله<sup>(٥)</sup>.

ومعنى: ﴿لَا تُحِلُّوْا﴾: لا تستحلُّوا.

﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾؛ أي: القتال فيه.

(١) في (و): «لحم».

(٢) اختلف في نسبة الرجز؛ فنسب لرشيد بن رميض العنبري، كما في «البرصان والعرجان» للجاحظ

(ص: ٢٧٥)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٣٦٢)، و«الحماسة البصرية» (١/ ١٠٣). ونسب

للحطم القيسي، كما في «الكامل» (١/ ٣٠١)، و«سمط اللآلئ» (١/ ٧٢٩). ونسب لأبي زغبة

الخزرجي، كما في «لسان العرب» مادة: (خ ف ق) (١٠/ ٨٢)، ومادة: (و ض م) (١٢/ ٦٤٠).

وقد اسشهد الحجاج ببعض هذا الرجز في خطبته المشهورة في الكوفة عندما ولي العراق.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١١٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١١٩).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٦).

وقيل: تأخيره، من قوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧].

والمرادُ به هاهنا: ذو القعدة، وقيل: رجب، وقيل: أشهر الحرم كلها.

﴿وَلَا أَلْهَدِي﴾: هو ما يهْدِي إلى مكة للذَّبْحِ.

﴿وَلَا أَلْقَلِّتِد﴾ ابنُ عَبَّاسٍ: هي مُقَلِّدَاتُ الْهَدْيِ<sup>(١)</sup>.

وكانوا في الجاهلية إذا خرجوا من الحرم قلدوا إبلهم من لحاء سَمْرَةِ الْحَرَمِ، فلا يتعرَّضُ لهم أحدٌ، وإذا خرجوا إلى الحرم قلدوها بقلائد ليُعلمَ أَنَّهَا هَدْيٌ.

وقال عطاءٌ: هي القلائدُ نفسُها، كانوا يأخذون من لحاء سمرَةِ الْحَرَمِ، فنهى الله

أَنْ يُنَزَّعَ مِنْ شَجَرِهَا<sup>(٢)</sup>.

وقيل: القلائدُ: ما تُقَلَّدُ به من حذاءٍ ونعلٍ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَا آمِنَ أَلَيْتَ الْحَرَامِ﴾: أي: قاصديه.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ﴾: رزقًا بالتجارة ﴿وَرِضْوَانًا﴾ بزعمهم.

قتادة: هو أن يُصلِحَ معاشهم في الدنيا، فلا يُعَجَّلَ لهم العقوبة<sup>(٤)</sup>.

وقيل: الْفَضْلُ لِلْمُشْرِكِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ عَامًّا، ﴿وَرِضْوَانًا﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً؛ لِأَنَّ

الْأَمِينِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ.

والجمهورُ: على أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾

[التوبة: ٥]<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٩)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢ / ٢٥١). واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣١٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣١٥)، وعده من العجائب.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٧٤)، والطبري في «تفسيره» (٨ / ٤١).

(٥) قال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٥٩ - ٣٦١): «ذهب جماعة من العلماء إلى أن هذه =

﴿وَإِذْ أَحَلَلْتُمْ﴾: خرجتم من الإحرام، ﴿فَأَصْطَادُوا﴾ أمرٌ بإباحة، وكذلك كلُّ أمرٍ وقع بعدَ حظرٍ.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يحملنكم ويكسبنكم<sup>(١)</sup>، قال:

ولقد طعنت أبا عيينة طعنةً جَرَمَتْ فزارَةَ بعدها أن يَغْضَبُوا<sup>(٢)</sup>

﴿شَتَّانُ قَوْمٍ﴾ مَن فَتَحَ<sup>(٣)</sup> جعله مصدرًا؛ أي: إِبْغَاضَ قَوْمٍ، وَمَن سَكَّنَ فالمعنى: بَغِيضُ قَوْمٍ؛ فَإِنَّ الْمَصْدَرَ عَلَى (فَعْلَان) قَلِيلٌ، وَقَدْ جَاءَ (الْيَائِنُ)<sup>(٤)</sup>.

﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾؛ أي: لَأَنْ صَدُّوكُمْ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾.

= الأحكام الخمسة منسوخة، وذهب بعضهم إلى أن فيها منسوخًا، وذهب بعضهم إلى أنها محكمة؛ فمن ذهب إلى أنها منسوخة فتادة، وروي ذلك عن ابن عباس... وأما مجاهد فقال: لم ينسخ منها إلا القلائد... وعلى مذهب أبي ميسرة أنها محكمة، وأما عطاء فقال: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعْبِيرَ اللَّهِ﴾؛ أي: لا تتعرضوا ما يسخطه واتبعوا طاعته واجتنبوا معاصيه، فهذا لا نسخ فيه، وهو قول حسن؛ لأن واحد الشعائر شعيرة، من شعرت به؛ أي: علمت به، فيكون المعنى: لا تحلوا معالم الله، وهي أمره ونهيه وما أعلمه الناس، فلا تخالفوه.

(١) في (ن): «لا يحملنكم ولا يكسبنكم».

(٢) البيت لأبي أسماء بن الصَّريية أو عطية بن عفيف في «مجاز القرآن» (١ / ٣٥٨)، و«شرح أبيات سيويه» (٢ / ١٣٤)، ونسبه في «الكتاب» (٣ / ١٣٨) للفراري مبهمًا، ونُسِبَ لأبي أسماء بن الصريية في «تفسير الثعلبي» (٤ / ١٠)، و«الإبانة في اللغة» (٣ / ٣٢٥).

(٣) قرأ أبو عمرو وابن عامر بإسكان النون، وباقي السبعة بفتحها. انظر: «التيسير» (ص: ٩٨)، وذكر ابن مجاهد الخلاف على بعضهم. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٢).

(٤) جاءت المصادر على فَعْلَان وِفْعْلَان، أما فَعْلَان فقليل، ونقل ابن السراج في «الأصول» (٣ / ٨٧) عن المبرد أنه قال: فَعْلَانٌ لا يَكُونُ مَصْدَرًا وَلَكِنْ اسْتَقْلَمُوا الْكِسْرَةَ مَعَ الْيَاءِ، وَذَكَرَهُ الْمَصْنَفُ فِي «غرائب التفسير» (١ / ٣١٦)، واستغربه.

المعنى: لا يحملنكم إغاض قومٍ أو بغيض قومٍ على الاعتداء لأجل صدّهم  
إياكم عن المسجد الحرام.

ومن قرأ: ﴿إِنْ صَدُّوكُمْ﴾<sup>(١)</sup> فالتقدير<sup>(٢)</sup>: إن يقع مثل هذا لا يحملنكم على  
الاعتداء؛ فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه.

ولا يجري على الظاهر؛ لأن الشرط في الماضي محال، ومنه بيت «الكتاب»:  
أَتَغَضِبُ إِنْ أَدْنَا فُتَيْبَةَ حُزَّتَا      جِهَاراً وَلَمْ تَغَضِبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمٍ<sup>(٣)</sup>  
أي: إن يقع مثل هذا تغضب.  
وكذلك قول الآخر:

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَيْمَةً      وَلَمْ تَجِدِي مِنْ أَنْ تُقَرِّي بِهَا بُدًّا<sup>(٤)</sup>  
المعنى: إن تنسبني لم تجدني مولود<sup>(٥)</sup> لئيمة.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾؛ أي: ليعن بعضكم بعضاً على متابعة الأمر.  
﴿وَالْتَقَوَى﴾: مجانبة الهوى.

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ﴾: المعصية ﴿وَالْعُدُونِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وبكسر الهمزة، وباقي السبعة بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٢)، و«التيسير»  
(ص: ٩٨).

(٢) في (ن): «بكسر الألف فتقديره».

(٣) البيت للفرزدق في «ديوانه» ضبطه: إيليا الحاوي (٢/ ٥٦٤)، و«الكتاب» (٣/ ١٦١)، و«معاني  
القرآن» للفراء (٣/ ٢٧).

(٤) البيت لزائدة بن صعصعة الفقعسي، كما في «شرح أبيات المغني» للبغدادي (١/ ١٢٤)، وهو بلا  
نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٦١)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٥٧).

(٥) في (و): «مولوداً».

(٣) - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّيْتَةٌ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّبْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ بَيَّسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّيْتَةٌ﴾ بيان لقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتَى عَلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ سبق في (البقرة).

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾: هي التي تنخق في حباله الصائد، أو يدخل رأسها بين شعبتين من شجرة، أو تُخقُ عمداً وتموت.

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾: المضروبة بالخشبة أو غيرها إلى أن تموت، من قولهم: وقذته؛ أي: ضربته.

ابن عمر رضي الله عنهما: المضروبة بالبندق موقوذة<sup>(٢)</sup>.  
والمجوس تقذ ليقى الدَّم فيها فتكون أطيب بزعمهم.

(١) في (و): «عليكم والميئة».

(٢) علقه البخاري بعد حديث (٥٤٧٥)، وذكر ابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٥٠٠) ثلاثة أخبار يصل بها هذا الأثر:

الأول: قال مالك في «الموطأ» (٢/ ٤٩١) عن نافع قال: رميت طائرين بحجر فأصبتهما، فأما أحدهما فمات، فطرحة ابن عمر.

الثاني: ما رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٩٤٦): عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول في المقتولة بالبندق: «تلك الموقوذة».

الثالث: ما رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ٢٤٦) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان لا يأكل ما أصابت البندق والحجر.

﴿وَالْمَرْدِيَّةُ﴾: التي تردت من علو أو وقعت في بئر فماتت.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾: ما نُطِحَتْ حتى تموت، فَعَيْلَةٌ بمعنى مَفْعُولٍ، وَالْحِقَ الهَاءُ به لانه اسمٌ، وقيل: إذا انفرد عن الموصوف ألحق به الهاء، نحو: الكحيله والذهينة<sup>(١)</sup>.

وقيل: هي بمعنى الفاعل؛ أي<sup>(٢)</sup>: تَنْطَحُ حتى تموت<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ أراد: ما أكل منه السَّبْعُ فمات.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ عليّ وابنُ عباسٍ رضي الله عنهم: الاستثناءُ عائِدٌ إلى الكلِّ؛ أي: ما أدركتُم ذكاته بأن يوجد له عينٌ تطرفُ أو ذنبٌ يتحرك<sup>(٤)</sup>.

وقيل: يعودُ إلى ما أكل السَّبْعُ فحسب.

والذَّكَاةُ: اسمٌ شرعيٌّ لقطع الأوداج- وهي الحلقومُ والمريءُ والعِرْقَانُ- بسكّين أو ما قام مقامه على اسمِ الله مُسْلِمًا.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصْبِ﴾ كان عند البيت ثلاثُ مئةٍ وستون حجرًا يعبدونها ويقربون الذبائح لها.

(١) الأصل في (فعليل) إذا كان بمعنى (مفعول) ووصفت به أنثى ألا تلحقه علامة التأنيث، فيقال: ملحفة جديد، فإن جُرِّدَ عن الوصفية لحقته، فيقال: ذبيحة، وكذا نطيحة. انظر: «الكتاب» (٣/٦٤٧)، و«إسفار الفصحح» للهروري (١/٢٠٠)، و«شرح الشافية الكافية» لابن مالك (٤/١٧٤٠).

(٢) في (و): «أن».

(٣) وتلحقها الهاء إذا وُصفت بها الأنثى على هذا على الأصل. انظر: «تفسير الطبري» (٨/٦٠)، و«المخصص» (١/٣٨٩)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٣/٣٧٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «ما أدركت ذكاته من هذا كله، يتحرك له ذنب أو تطرف له عين، فاذبح، واذكر اسم الله عليه، فهو حلال». وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/١١)، والواحدي في «البيسط» (٧/٢٤٤) عن علي رضي الله عنه.

الحسنُ: كانوا يذبحون لأصنامهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أنها قد أخرج ثلاثة مكتوبٍ على أحدها: (أمرني ربِّي)، وعلى الآخر: (نهاني ربِّي)، والثالثُ عُفْلٌ، فإذا أرادوا أمرًا ذا خطرٍ من سفرٍ أو نكاحٍ أو تجارةٍ أو عقلٍ أجالوها، فإذا خرج (أمرني ربِّي) مضى على ذلك، وكذلك إذا خرج (نهاني ربِّي) امتنع، فإن خرج العُفْلُ أجالوها<sup>(٢)</sup> ثانيًا.

ومعنى: ﴿تَسْتَقْسِمُوا﴾: تطلبوا ما قُسم لكم.

المبرّد: الاستقسامُ: إلزامُ كقسمِ اليمين، كأنهم ألزموا<sup>(٣)</sup> أنفسهم ما تأمرهم به القُداح<sup>(٤)</sup>.

والثاني: الأزلامُ: سهامُ زَلَمٍ - كَجَمَلٍ - وَزَلَمٍ - كَصُرْدٍ - وهي عشرةٌ يقسمونَ عليها لحمَ الجزور، وقد سبق.

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥٣/٢)، ونقل الواحدي في «البيضا» (٢٣٨/٢٢) عن الحسن تفسير النصب بالأوثان في سورة المعارج، ونقله عنه أبو حيان في «البحر المحيط» (١١٥/٢) في تفسير البقرة، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/٥١٢): «في النصب قولان: أحدهما: أنها أصنام تنصب، فتعبد من دون الله، قاله ابن عباس والفراء والزجاج، فعلى هذا القول يكون المعنى: وما ذبح على اسم النصب، وقيل: لأجلها. والثاني: أنها حجارة كانوا يذبحون عليها، ويشرحون اللحم عليها ويعظمونها، وهو قول ابن جريج».

(٢) في (و): «أجالها».

(٣) في (و): «ألزمهم».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١٢/٢)، والواحدي في «البيضا» (٧/٢٥٠)، ونجم الدين النيسابوري في «إيجاز البيان» (١/٢٦٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣١٧) دون نسبة، واستغربه.

الثالث: الأزلأم: كِعَابُ فارس والرُّومِ التي يتقامرون بها، قاله مجاهد<sup>(١)</sup>.

الرابع: قال سفيان بن وكيع: الأزلأم: الشُّطرنج<sup>(٢)</sup>.

سعيد بن جبير: الأزلأم: حُصِيَّاتٌ كانوا يَسْتَقْسِمُونَ بها<sup>(٣)</sup>.

والأوَّلُ هو الذي عليه الجمهور.

﴿ذَلِكُمْ فَسَقٌ﴾ الإشارةُ إلى الاستقسام، ويحتملُ أن يعودَ إلى الكلِّ.

﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو يومُ فتحِ مَكَّةَ<sup>(٤)</sup>.

مقاتلُ بنُ حِيَّانَ: هو يومُ عرفة<sup>(٥)</sup>.

وقيل: ﴿الْيَوْمَ﴾ عبارةٌ عن الوقتِ.

ومعنى ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾: من إبطالِ دينِكُمْ.

وقيل: من رجوعِكُمْ عن دينِكُمْ.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يظهروا عليكم.

﴿وَإَخْشَوْنَ﴾ في مخالفةِ أمري.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلتْ يومَ الجمعة، وكان يومَ

عرفةَ بعدَ العصرِ في حَجَّةِ الوداعِ، سنَّةَ عشرٍ، والنَّبِيُّ عليه السَّلَامُ واقفٌ بعرفاتٍ على

ناقته العُضباء<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٤ / ٨).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (٧٣ / ٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٣ / ٨).

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٥١٢ / ١).

(٥) لم أفت عليه عن مقاتل بن حيان، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤٥٢ / ١)، ورواه الطبري

في «تفسيره» (٧٩ / ٨) عن ابن زيد، وانظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٥١٢ / ١).

(٦) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (١٩٠).

وروى البخاري: أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه وقال: يا أمير المؤمنين، إنكم لتقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية هي؟ قال: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فقال عمر رضي الله عنه: والله إنني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلت، عشية عرفة في يوم الجمعة<sup>(١)</sup>.

وروي مثل هذا عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛ أي: بالبيان والشرائع والفرائض حتى لا يزداد فيه بعد اليوم.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال<sup>(٣)</sup>: لم ينزل بعد هذه الآية حلالٌ ولا حرام<sup>(٤)</sup>.

وعاش النبي ﷺ بعدها أحدًا وثمانين يومًا<sup>(٥)</sup>.

وقيل: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: حجكم فحججتم، وليس معكم مشرك<sup>(٦)</sup>؛ لأنهم<sup>(٨)</sup> مئعوا عنه في (سورة براءة)<sup>(٩)</sup>.

(١) رواه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٤٤)، وقال: «حسن غريب».

(٣) «قال» من (ن).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٨٠) عن ابن عباس والسدي، وذكره الواحدي في «تفسيره»

(٧ / ٢٥٥)، وقال: «هذا معنى قول ابن عباس والسدي، وهو الاختيار».

(٥) «النبي ﷺ» من (و).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٨١) عن ابن جريج.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٨١، ٨٢) عن الحكم وقتادة وسعيد بن جبيرة.

(٨) في (و): «لأنه».

(٩) يوضحه ما روى الطبري في «تفسيره» (٨ / ٨٣) عن ابن عباس، قال: «كان المشركون والمسلمون =

﴿وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بالإسلام.

وقيل: يخافون ولا تخافون.

الحسن: ﴿نِعْمَتِي﴾: الجنة<sup>(١)</sup>.

﴿وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ﴾: ما استقرَّ عليه الشَّرْعُ ﴿دِينًا﴾.

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَةٍ﴾: أَحْوَجَ وَأَلْجَى فِي مَجَاعَةٍ - مشتقة من (خماص

البطن) - فأكل ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾: مائل لها بأن يأكلها تلذذًا مجاوزًا حدَّ الشُّبْعِ،

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن أكل ﴿رَحِيمٌ﴾ حيث رخص.

ويحتمل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فليأكل منها.

\*\*\*

(٤) - ﴿سَأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ

تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ﴾.

﴿سَأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ في سبب النزول: أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ بِقَتْلِ

الكلابِ، فجاء ناسٌ إلى رسول الله عليه السَّلَامُ فقالوا: ما هذه الأُمَّة التي تقتلها؟

= يحجون جميعًا، فلما نزلت براءة، فنفى المشركين عن البيت، وحج المسلمون لا يشاركونهم في

البيت الحرام أحد من المشركين، فكان ذلك من تمام النعمة: ﴿وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

(١) لم أقف عليه عن الحسن في تفسير هذه الآية، ولكن روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» عنه أنه فسر النعمة

بالجنة في قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠٤)

عن سعيد بن جبير أنه قال: «من تمام النعمة، دخول الجنة»، وذكر الواحدي في «البيسط» (٧/ ٢٥٧)

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يريد أنه حكم لهم بدخول الجنة».

فسكت، فأنزل الله هذه الآية، فأذن في اقتناء الكلاب التي يُتَفَعُّ بها، ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها<sup>(١)</sup>.

وعن سعيد بن جبير: أنها نزلت في سؤال عدي بن حاتم وزيد الخيل حين جاء إلى رسول الله عليه السلام فقالا: إنا قومٌ نصيّدُ بالكلاب، فمنه ما نُدرِكُ ذكاته ومنه ما لا ندرِكُ ذكاته<sup>(٢)</sup>، وقد حرّم الله الميتة، فماذا يحلُّ لنا منه؟ فأنزل الله هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

﴿قُلْ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾: الحلال.

وقيل: المأذون في أكله.

وقيل: المستلذ؛ لأن التي حرّمت غير مستلذة.

وقيل: ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾: ما لم يجر ذكره في المحرّمات.

﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ﴾؛ أي: وصيد ما علمتم؛ أي: علمتموه الصيد<sup>(٤)</sup>.

﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾: الكواسب للصيد على أهلها، وهي الكلاب والفهود والبزاة والصقور وغيرها، واحدها: جارحة، والجرح: الكسب، من قوله: ﴿مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وزوي عن محمّد بن الحسن: ﴿الْجَوَارِحِ﴾: من الجراحة، وقال: إذا صاد ولم يجرحه ومات لم يؤكل؛ لأنه لم يجرح بناه ولا مخلب<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٠٠، ١٠١)، والحاكم في «المستدرک» (٣٢١٢) عن أبي رافع، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) «ذكاته» من (ن).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١١ / ١٦٨)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٩٢).

(٤) «أي: وصيد ما علمتم؛ أي: علمتموه الصيد» من (ن).

(٥) انظر: «أحكام القرآن» للخصاص (٣ / ٣٠٩)، و«بدائع الصنائع» (٥ / ٤٤)، وفيه: «في الرواية =

﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مُعَلِّمِينَ إِيَّاهُ الصَّيْدَ<sup>(١)</sup>، وَالْمُكَلِّبُ: الَّذِي يُعَلِّمُ الصَّيْدَ وَيُؤَدِّبُ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: مُضَرِّينَ، مِنْ (التَّضْرِيَةِ)<sup>(٣)</sup>، فَيَكُونُ أَعْمَ مِنَ الْأَوَّلِ.

وذهب ابنُ عمرَ والضَّحَّاكُ إلى أَنَّهُ لَا يَحِلُّ إِلَّا أَكْلُ صَيْدِ الْكَلَابِ وَحَدَّهَا<sup>(٤)</sup>.

والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

﴿تُعَلِّمُوهُمْ بِمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ الْعَلِيمُ الَّذِي بَيْنَ حُكْمِهَا لَكُمْ.

وللتَّعْلِيمِ<sup>(٥)</sup> حَدٌّ عِنْدَ بَعْضِهِمْ، وَهُوَ: أَنَّهُ إِذَا أُرْسِلَ تَبَعَ الصَّيْدَ، وَإِذَا أَخَذَ أَمْسَكَ

على صاحبه، وَإِذَا دُعِيَ اسْتَجَابَ.

وعند بعضهم: لَيْسَ فِي تَعْلِيمِهِ شَيْءٌ يُحَدُّ.

الحسنُ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُؤْكَلَ مَا صَادَهُ كَلَابُ الْمَجُوسِ<sup>(٦)</sup>.

= المشهورة أنه إذا لم يجرح لا يحل حتى لو خنق أو صدم ولم يجرح ولم يكسر عضوًا منه لا يحل في ظاهر الرواية، وروي عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه يحل، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣١٨ / ١)، واستغربه.

(١) في (ن): «الصيد».

(٢) في (و): «للصيد ويؤدبه».

(٣) شرحه المصنف في «غرائب التفسير» (٣١٨ / ١) فقال: «وهي الحثُّ والحمل على الصيد»، وفي «لسان العرب» مادة (ض ر ي) (٤٨٢ / ١٤): «ضري الكلب بالصيد ضراوة؛ أي: تعود، وأضراره صاحبه؛ أي: عوده، وأضراره به؛ أي: أغراه، وكذلك التضرية».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠٥ / ٨) عن ابن عمر والضحاك والسدي، وردّه، لكنه غير صريح عن ابن عمر، فلفظه: «أما ما صاد من الطير والبزاة من الطير، فما أدركت فهو لك، وإلا فلا تطعمه»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣١٨ / ١)، واستغربه.

(٥) في (و): «والتعليم».

(٦) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٢٠٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٦١٧)، ولفظه: «كان =

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ لا لأنفسهنَّ، وإنما يُعرَفُ ذلك بالأكل.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: لا يُؤكَلُ إذا أكل منه الكلبُ، ويؤكَلُ إذا أكل منه البازيُّ حيث لا يمكنُ تعليمُه وضربُه عند الأكل<sup>(١)</sup>.

وعند الشافعيِّ رحمه الله: لا يُؤكَلُ إن أكل<sup>(٢)</sup>.

مالكٌ والأوزاعيُّ رحمهما الله: يُؤكَلُ منه وإن أكل<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ على الإرسالِ، وفيه تقديمٌ.

وقيل: يريدُ التَّسميةَ عند الأكل. وقولُ الحسنِ في المجوسِ من هذا<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ﴾ في أكلِ الميتة.

= يكره أن يستعين المسلم بكلب المجوسي فيصيد به، ولا يرى بأساً أن يستعين بكلب اليهودي، والنصراني فيصيد به»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣١٩)، واستغربه. وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢ / ١٥٧): «أما كلب المجوسي وبازه وصقره فكره الصيد بها جابر بن عبد الله والحسن وعطاء ومجاهد وإبراهيم النخعي والثوري وإسحاق بن راهويه، ومالك رحمه الله والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم على إباحة الصيد بكلابهم إذا كان الصائد مسلماً، قالوا: وذلك مثل شفرته».

(١) انظر: «التجريد» للقدوري (١٢ / ٦٢٧٣ - ٦٢٧٧)، و«المبسوط» للسرخسي (١١ / ٢٢٣).

(٢) هذا على مذهبه الجديد؛ فقد ذكر الماوردي أن للشافعي في إباحة أكل ما أكل الجارح من الصيد سواء كان من كواصب البهائم أو كواسر الطير قولين؛ القديم: يحل أكله، والجديد: لا يحل أكله.

انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (١٥ / ٨)، و«المجموع شرح المهذب» (٩ / ١٠٥ - ١٠٦).

(٣) انظر قول مالك في: «الجامع لمسائل المدونة» (٥ / ٧٤٨)، و«بداية المجتهد» (٣ / ٩)، وانظر قول

الأوزاعي في «الاستذكار» (٥ / ٢٧٥).

(٤) «وقول الحسن في المجوس من هذا» من (ن).

سعيد بن جبير: وَاتَّقُوا وَلَا تَأْكُلُوا مَا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: يُعْطِي مَا لَكَ وَيَأْخُذُ مَا عَلَيْكَ.

ويحتمل أن (ما)<sup>(٢)</sup> في ﴿مَا عَلَّمْتُمْ﴾ للشرط، ﴿فَكُلُوا﴾ جزاؤه، والكلام تم على ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾.

ويحتمل أيضاً أنه الموصول، ﴿فَكُلُوا﴾ خبره<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(٥) - ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَتَّحِدِينَ أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾: الحلالات واللذيات، كما سبق.

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ابن عباس والحسن في جماعة: ذبائح اليهود والنصارى<sup>(٤)</sup>.

وقيل: أراد به كل طعام، فتفيد الآية تناول طعامهم.

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٥١٧).

(٢) «ما» من (ن).

(٣) وهذا الوجه أيضاً مبني على أن الكلام تم عند ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾. انظر: «القطع والائتناف» للنحاس

(ص: ١٩٦)، و«المكتفى» للداني (ص: ١٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن، ورواه البيهقي في

«السنن الكبرى» (١٩١٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعلقه البخاري قبل حديث (٥٥٠٨).

والأوّل أظهر؛ لأنّ سائر الطّعام كالخبز والدّهن لا يختلف حكمه بأن يتولّاه  
مجوسيٌّ أو كتابيٌّ أو مسلمٌ بإجماع.

﴿حِلُّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ وسعيدٌ: ذبائحُ المسلمين حلٌّ لهم<sup>(١)</sup>.

وقيل: فطعامكم حلٌّ لهم؛ أن<sup>(٢)</sup> تطعموهم وتتصدّقوا<sup>(٣)</sup> عليهم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ سبق ذكرها.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الحسنُ والشّعبيُّ والسّديُّ: العفائفُ

الكتائب<sup>(٤)</sup>.

مجاهدٌ: الحرائرُ الكتائب<sup>(٥)</sup>.

﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾؛ أي: إذا التزمتن مهورهنَّ.

﴿مُحْصِنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مَتَّحِدِي أَخْدَانٍ﴾؛ أي: بالنكاح لا بالزنى؛ سرّاً وجهرًا.

(١) ذكره الفيروزآبادي في «تنوير المقباس» (ص: ٨٩) عن ابن عباس، وذكره الطبري في «تفسيره»  
(٨ / ١٣٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ١٧)، والواحدي في «السيط» (٧ / ٢٧٠)،  
وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢ / ١٥٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٥١٨)، ولم  
ينسبه لأحد.

(٢) في (و): «أي».

(٣) في (و): «ويتصدقون».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٤٣) عن الشعبي والسدي، وذكره ابن الجوزي في «زاد  
المسير» (١ / ٥١٩) عن الحسن، وروى عبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٦٩٥)، وابن أبي شيبة  
في «مصنفه» (١٧٤٠٦) عن عامر الشعبي: «إحصان اليهودية والنصرانية أن تغتسل من الجنابة،  
وأن تحصن فرجها».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٣٩)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢ / ٢٦٧).

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ﴾ مجاهدٌ: بالله<sup>(١)</sup>.

غيره: أبا الإيمان وامتنع منه<sup>(٢)</sup>.

ويحتمل أنه مصدرٌ واقعٌ موقع المفعول، ويحتمل: يُنكِرُ وجوبه وفرصه<sup>(٣)</sup>.

﴿فَقَدْ حَبِطَ﴾: بطل<sup>(٤)</sup> ﴿عَمَلُهُ﴾.

ابن بحر: هو مستعارٌ من قولهم: حَبِطَ بطنُهُ<sup>(٥)</sup>.

﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ الحسن: كلُّ خسرانٍ في القرآن فهو خسران النفس

والجنة<sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٥٠)، وذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١ / ٣١٩) بلا نسبة، واستغربه.

(٢) هو قول الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٥١).

(٣) أي: مَنْ يكفر بالمؤمن الذي آمن به المؤمنون، وجاء به محمد ﷺ، أو ينكره ويجحد لزوم اتباعه.

(٤) «بطل» من (ن).

(٥) حبط بطنه حَبَطًا: انتفخ. وقد سبق الأزهرِيُّ ابن بحر فيما ذهب إليه؛ فإنه قال في «تهذيب اللغة»

(٤ / ٢٣٠): «ولا أرى حبط العمل وبطلانه مأخوذًا إلا من حبط البطن؛ لأن صاحب الحبط يهلك،

وكذلك عمل المنافق والمشارك يحبط، غير أنهم سَكَنُوا الباء من قولهم: حبط عمله يحبط حَبَطًا،

وحركوها من حبط بطنه يحبط حَبَطًا». وذكر نحو ذلك الزمخشري في «أساس البلاغة» مادة

(ح ب ط) (١ / ١٦٥).

(٦) هذا من تفسير القرآن بالقرآن، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

[الزمر: ١٥]، وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٣ / ١٤٣) عن الحسن أنه قال: «خسروا

أنفسهم؛ بما حرموها من الجنة، وأهلبهم؛ من الحور العين الذين أُعِدُّوا في الجنة».

(٦) - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: أردتم القيام؛ كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨].

وقيل: أردتم الطهور، فذكر بلفظ الصلاة؛ لأن القصد به إليها.

في الآية إضمارٌ تقديره: إلى الصلاة مُحَدِّثِينَ، وهذا إجماعٌ إلا ما روي عن علي رضي الله عنه وعمر: أَنَّهُمَا كَانَا يَتَوَضَّآنَ لِكُلِّ صَلَاةٍ<sup>(١)</sup>، وذلك محمولٌ على النَّدْبِ وَالِاسْتِحْبَابِ.

وروي عن ابن عباسٍ في جماعةٍ: أي: قمتم من النوم<sup>(٢)</sup>؛ يريد: من نومٍ يُوجِبُ الوضوءَ.

وقيل: قمتم من الطَّعَامِ، وهذا على زعمٍ من يُوجِبُ الوضوءَ مِمَّا مَسَّتْهُ النَّارُ، وذلك قولٌ لا يُعْتَدُّ بِهِ<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٦٨)، والطبري في «تفسيره» (٨ / ١٥٧) عن علي رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٧٠) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١ / ٢١) عن زيد بن أسلم، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٥٦ - ١٥٧) عن زيد بن أسلم والسدي.

(٣) ذهب طائفة من أهل الحديث إلى وجوب الوضوء مما مسسته النار، وتُقل ذلك عن ابن عمر وأبي طلحة وأنس وأبي موسى وعائشة وزيد بن ثابت وأبي هريرة والحسن البصري والزهري =

﴿فَاعْسِلُوا﴾ الفاء جوابُ الشَّرْطِ، وقد اتَّصلَ بالغسلِ والمسحِ معاً؛ لأنَّ الواو لا تدلُّ على التَّرتيبِ بإجماعٍ من أهل اللُّغة.

والغسلُ: إمرارُ الماءِ على العضو، والدَّلْكُ ليس بفرضٍ، خلافاً لمالك<sup>(١)</sup>، ولا يقتصر على مسحِ الماءِ كالدهنِ، خلافاً لأبي يوسف رحمه الله<sup>(٢)</sup>.

﴿وَجُوهَكُمْ﴾: جمع وجهٍ، وهو ما واجهتَ به غيرك، من قُصاصِ<sup>(٣)</sup> الشَّعرِ إلى الذَّقنِ طويلاً، ومن شحمةِ الأذنِ إلى الشَّحمةِ عرضاً.

ويُمسح على ظاهر اللِّحية.

والمضمضةُ والاستنشاقُ والتَّخْلِيلُ سنَّةٌ؛ لأنَّها لا يقع عليها اسم المواجهة. وكذا التَّكرارُ سنَّةٌ.

ولا يجبُ إيصالُ الماءِ إلى داخلِ العينينِ، خلافاً لابنِ عمر رضي الله عنهما<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ اليدُ: عبارةٌ عن الأنملةِ إلى المنكبِ، فدخلَ المرفقُ

= وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، وذهب الإمام أحمد وإسحاق وأبو ثور إلى تخصيص ذلك بلحم الجزور، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣١٩)، وعده من العجائب، وانظر: «اختلاف الفقهاء» للمروزي (ص ١٠٠ - ١٠١)، و«المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة» للحيثي (١ / ٤٧).

(١) انظر: «المدونة» (١ / ١٣٣)، و«بداية المجتهد» (١ / ٥١).

(٢) انظر: «بدائع الصنائع» (١ / ٣)، و«المحيط البرهاني» لابن مازة (١ / ٣٥).

(٣) قصاص الشعر: منتهاه، وفي القاف ثلاث لغات، أعلاها الضمُّ. انظر: «العناية شرح الهداية» لجمال الدين الرومي (١ / ١٤)، و«لسان العرب» مادة (ق ص ص) (٧ / ٧٣).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» (٢ / ١٦١). ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (١ / ٤٥)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٩٩١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٦٩)، لكنهم رَوَوْا ذلك في غسلِ الجنابة، ولفظ عبد الرزاق: «كان إذا اغتسل من الجنابة نضح الماء في عينيه، وخلل لحيته».

في الغسل لهذا، فصار (إلى) لإخراج ما وراء المرفق عن الغسل، خلافاً لزُفَرٍ رحمه الله<sup>(١)</sup>.

وما ذهب إليه بعضهم من أن (إلى) هاهنا بمعنى (مع) ضعيف؛ لأنه إذا جعل بمعنى (مع) لم يبق فيه معنى التحديد<sup>(٢)</sup>، فيجب غسل المرفق مع العضد؛ لأن مطلق اليد يشتمل عليها كلها<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ المسح: مباشرة الرأس بالماء من غير إمرارٍ. والمفروض قدر الربع<sup>(٤)</sup>، ولا يستوعب الرأس خلافاً لمالك<sup>(٥)</sup>، ولا يقتصر على ما دونه، خلافاً للشافعي رحمه الله<sup>(٦)</sup>.

ولا تكرار في المسح.

والأذنان من الرأس.

ولا يمسح على العمامة، خلافاً للأوزاعي والثوري<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٦ / ١)، و«بدائع الصنائع» (٤ / ١).

(٢) في (و): «التجريد».

(٣) ذهب إلى ذلك السمرقندي والثعالبي وبعض أهل اللغة، ونُسب إلى الشافعي والمبرد، وفي هذه النسبة شيء؛ فالشافعي يقول بوجوب غسل المرفق، لكنه لا يقول به، فقد صرح بأن المعنى: إلى أن تُغسل المرفق. انظر: «الأم» للشافعي (٤٠ / ١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٥٣)، وللنحاس (٢ / ٢٧١)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (١ / ٣٧٢)، و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٢٤٩)، و«البيسط» للواحدي (٧ / ٢٧٩)، وقد عدّه المصنّف من العجائب في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٠).

(٤) وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله. انظر: «تفسير الثعلبي» (١١ / ١٩١)، و«فتح القدير» لابن الهمام (١ / ١٣).

(٥) انظر: «الجامع لمسائل المدونة» (١ / ١٩)، و«التمهيد» (٢٠ / ١٢٥).

(٦) انظر: «الأم» (١ / ٤١)، و«المهذب» (١ / ٤٠).

(٧) انظر: «مختصر اختلاف العلماء» للطحاوي (١ / ١٤٥)، وذكره الترمذي بعد حديث (١٠٠) عن

الأوزاعي.

﴿وَأَرْجَلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ النَّصْبُ<sup>(١)</sup> عَطْفٌ عَلَى ﴿أَيْدِيكُمْ﴾، ويحتمل العطف على محلّ ﴿رُءُوسِكُمْ﴾، والخفضُ عطفٌ على ﴿رُءُوسِكُمْ﴾، ويحتمل الجواز، فصار من المجمل الذي بيّنه إلى النبيّ عليه السّلام، وقد بيّنَ بقوله: «ويلٌ للعراقيبِ من النار»<sup>(٢)</sup>؛ إذ لو كان ممسوحاً لم ينلّه الوعيد، وتحديدُه بالكعبيين يرجّح جانبَ الغسل. والكعبان داخلان في الغسل كالمرفقين، وهما العظمان التّان على جانبي السّاق، خلافاً لمحمّدٍ رحمه الله؛ فإنّه ذهب إلى أنّه التّائى فوق القدم حيث يقع عليه الشُّراك<sup>(٣)</sup>.

فهذه الأربعة هي المفروضة في الوضوء.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْهَرُوا﴾؛ أي: فاغتسلوا.

والاغتسال: غسلُ ما يمكنُ من البدن، فتدخلُ فيه المضمضة والاستنشاق.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ سبق تفسيره وذكّر سبب نزول آية التيمّم في (سورة النساء).

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص ﴿وَأَرْجَلَكُمْ﴾ نصباً، وقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو ﴿وَأرجلكم﴾ بلا رسم مصحف خفضاً. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨).

(٢) رواه مسلم (٢٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري (١٦٥) بلفظ: «ويل للأعقاب من النار».

(٣) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٩ / ١)، وذكره فيه عن هشام عن محمد رحمه الله، ثم قال: «وهذا سهو من هشام لم يرد محمد - رحمه الله تعالى - تفسير الكعب بهذا في الطهارة، وإنما أراد في المحرم إذا لم يجد نعلين أنه يقطع خفيه أسفل من الكعبيين، وفسر الكعب بهذا، فأما في الطهارة، فلا شك أنه العظم التّائى، كما فسره في الزيادات». ونحوه في «بدائع الصنائع» (١ / ٧).

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾: ضيق، فرخص في التيمم.

﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ عن الأحداث والجنابة.

وقيل: معناه<sup>(١)</sup>: لم يفرض عليكم الطهارة ليضيّق عليكم، ولكن يريد ليطهركم عن الذنوب؛ فإنّ الوضوء تكفير لما قبله.

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ في الدين والإسلام.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكروا نعمتي.

والآية مشتملة<sup>(٢)</sup> على سبعة فصولٍ كلّها مثنى؛ طهارتين: الوضوء والغسل، ومُطهّرين: الماء والتراب، وحُكّمين: الغسل والمسح، ومُوجِبين: الحدث والجنابة، ومُبيحين: المرض والسّفَر، وكنائتين: الغائط والملامسة، وكرامتين: تطهير الذنوب وإتمام النعمة، والحمد لله على نعمه.

\*\*\*

(٧) - ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام وسائر نعمه.

وقيل: أكثروا تعدادها.

وقيل: اشكروا.

﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾؛ أي: العهد الذي عاهدتموه.

(١) «معناه» من (ن).

(٢) «مشتملة» من (ن).

مجاهدٌ: هو من قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] (١).

ابن عباس رضي الله عنهما: هو متابعة النبي عليه السلام فيما يأمر وينهى (٢).

وقيل: هو الإيمان يوم بيعة الرضوان (٣).

ابن بحر: وذلك مفسر في الآية، وهو قوله: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ أي:

سمعنا أو امرنا ونواهيك، وأطعنا بالانقياد والإذعان.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ميثاقه ونقضه.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بخفيات القلوب.

وقيل: بحقيقة ما في الصدور، وذات الشيء: نفسه وحقيقته.

\*\*\*

(٨) - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

شَتَانُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ﴾؛ أي: قائمين بما يلزمكم القيام به.

﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ الحسن: الشهادة بحقوق الناس (٤).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٢٠) بلفظ: «الذي واثق به بني آدم في ظهر آدم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣ / ١٣٠) بلفظ: «يعني:

حيث بعث الله النبي ﷺ، وأنزل عليه الكتاب، فقالوا: آمنا بالنبي وبالكتاب، وأقررنا بما في التوراة.

فذكرهم الله بميثاقه الذي أقروا به على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء به».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١ / ٢٦٠).

(٤) ذكره الماوردي في «التكت والعيون» (٢ / ١٩).

الزَّجَّاجُ: الشَّهَادَةُ لِأَمْرِ اللَّهِ أَنَّهُ حَقٌّ (١).  
والقسطُ: العدلُ.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يحملنكم ﴿شَتَانُ قَوْمٍ﴾: إِبْغَاضُ قَوْمٍ وَبِغِيضُ قَوْمٍ (٢).  
﴿عَلَىٰ أَلْتَعَدِلُوا﴾: أي: على الجور.  
﴿أَعَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ﴾: أي: العدلُ أَقْرَبُ ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾: أي: هو التَّقْوَى، وقيل:  
أَقْرَبُ لِاتِّقَاءِ النَّارِ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.  
الحسنُ: هو تَكَرُّرُ اللَّيَّةِ الْأُولَى (٣)، وقد سبق.

غيره: نزلت في غيرهم، ورُوي عن عبد الله بن كثير أنه قال: نزلت في اليهود،  
ذهب رسول الله ﷺ يستعينهم في دية فهموا بقتله (٤).  
وقيل: هو عامٌّ؛ أي: لا يحملنكم بغيض قوم على ترك العدل.

\*\*\*

(٩) - ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.  
﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ في مفعول  
﴿وَعَدَّ﴾ قولان:

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥٥)، وفيه: «﴿شَهَادَةٌ بِالْقِسْطِ﴾؛ أي: بالعدل ﴿شَهَادَةٌ﴾؛  
أي: مبينين عن دين الله؛ لأن الشاهد يبين ما شهد عليه».

(٢) فالمصدر (بغض) معنى قراءة (شَتَان)، والاسم (بغيض) معنى قراءة (شَتَان)، وقد قرأ بهما  
الأعمش. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٠٠).

(٣) فالمخاطب أهل الإسلام، كما في تفسير الآية الأولى من هذه السورة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢٣).

أحدهما: أنه محذوفٌ، ودلَّ عليه لفظ (وعد) خلافَ ما يدلُّ عليه لفظ (أوعد)<sup>(١)</sup>؛  
أي: خيراً.

وقيل: محذوفٌ يُفسِّره<sup>(٢)</sup>: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

والثاني: الجملة مفعوله واقعةٌ موقعَ المفرد؛ كقول<sup>(٣)</sup> الشاعر:

وَجَدْنَا الصَّالِحِينَ لَهُمْ جِزَاءً      وَجَنَاتٍ وَعَيْنًا سَلْسِيلاً<sup>(٤)</sup>

فَعَطَفَ (جَنَاتٍ) وَ(عَيْنًا) عَلَى مَحَلِّ<sup>(٥)</sup>: (لَهُمْ جِزَاءً).

وقيل: تقديره: وعد الله أن لهم مغفرةً، فلما حذف (أن) ارتفع (مغفرة)

بالاتداء<sup>(٦)</sup>.

وقيل: ما بعده رُفِعَ على الحكاية؛ لأنَّ الوعدَ قولٌ؛ أي: قال الله: الذين آمنوا...<sup>(٧)</sup>.

ثمَّ أوعدَ الكافرين فقال:

\*\*\*

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٢)، وعبارته هناك: «محذوف وهو الخير؛ لأن الوعد

عند الإطلاق لا يكون إلا في الخير».

(٢) في (و): «تفسيره».

(٣) في (و): «لقول».

(٤) البيت لعبد العزيز بن زرارة الكلابي في «الكتاب» (١ / ٢٨٨)، وهو بلا نسبة في «المقتضب»

(٣ / ٢٨٤)، و«الأصول في النحو» (٣ / ٤٧٤). وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٣):

«واستدلال من استدل في الآية بقول الشاعر - وذكر هذا البيت - بعيد؛ لأنَّ (وجد) تأتي على وجوه».

(٥) في (و) زيادة: «قوله».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٢)، وعدّه من العجائب.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٢)، واستغربه.

(١٠) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ؛ أي: لا يفارقونها  
كما لا يفارقُ الصَّاحِبُ مَالَهُ .

\*\*\*

(١١) - ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَبْسُطُونَ  
إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ اختلف المفسِّرون في  
سببِ نزول الآية:

فذهب الحسنُ إلى أنَّها نزلت في الذين صدَّوه عن الحجِّ، وهمُّوا بالتعرُّض له  
وللمؤمنين، فألقى الله في قلوبهم الرُّعب، فكفُّوا عما همُّوا<sup>(١)</sup>.

وقال الواقديُّ: بلغ رسولُ الله ﷺ أنَّ دُعُوثَرَ بنَ الحارثِ جمعَ جمعاً من بني  
ثعلبةٍ ومحاربٍ؛ لينالوا من الأطراف شيئاً، فخرج النَّبِيُّ عليه السَّلَامُ<sup>(٢)</sup> إليهم، فلمَّا  
علموا به هربوا إلى الجبال، والنَّبِيُّ عليه السَّلَامُ يراهم فلا يقفوا أثرهم، وأصاب النَّبِيُّ  
عليه السَّلَامُ والمؤمنين مطراً، فخلا في موضعٍ وألقى ثيابه على الشَّجر، فباغته دعثور  
ومعه سيفه، وقال للنَّبِيِّ عليه السَّلَامُ: مَنْ يَمْنَعُ مِنِّي؟ فقال: «الله»، وألقى جبريلُ  
السَّيْفَ من يده، وأخذَه رسولُ الله عليه السَّلَامُ فقال لدعثور: «من يَمْنَعُ مِنِّي؟»

(١) لم أقف على هذا عن الحسن، وقد ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩) عن الحسن في  
سبب نزول الآية قال: أن قريشاً بعثت رجلاً ليقتل رسول الله ﷺ، فأطلع الله نبيه على ذلك، وذكر  
النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٨) عن الحسن نحو حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) «النبي عليه السلام» من (ن).

فقال: لا أحد، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسوله، ثم أتى قومه وجعل يدعوهم إلى الإسلام<sup>(١)</sup>.

وعن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً جاء إلى<sup>(٢)</sup> رسول الله عليه السلام وسيفه في حجره، فقال: يا محمد، انظر إلى سيفك هذا، قال: «نعم»، فأخذه فاستلّه ثم جعل يهزه، ويهمُّ به، فكبته الله، ثم قال: يا محمد، أتخافني؟ قال: «لا»، قال<sup>(٣)</sup>: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: «يمنعني الله منك»، ثم غمد السيف، فردّه إلى رسول الله عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

وقال مجاهد والكلبي وعكرمة: قتل رجلان من أصحاب رسول الله عليه السلام رجلين من بني سليم، وبين النبي عليه السلام وبينهم<sup>(٥)</sup> مودعة، فجاء قومهما يطلبون الدية، فأتى النبي عليه السلام، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي<sup>(٦)</sup> وطلحة وعبد الرحمن بن عوف، فدخلوا على كعب بن الأشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما، فقال: نعم يا أبا القاسم، قد آن لك أن تأتينا وتسالنا حاجة، اجلس حتى نطعمك ونعطيك التي سألتنا، فجلس هو وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لن تجدوا محمداً أقرب منه إليكم الآن، فمن يظهر على هذا البيت فيطرح

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (١ / ١٩٤ - ١٩٦).

(٢) «رجلاً جاء إلى» من (ن).

(٣) «قال» من (ن).

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٨٤)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٣٢)، وأصل

الحديث رواه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

(٥) «وبينهم» من (ن).

(٦) «وعلي» من (ن).

عليه صخرةً ويريحنا منه، فقال عمرو بن جحاش بن كعب<sup>(١)</sup>: أنا، فجاء إلى رحي عزيمة ليطرحها عليه، فأمسك الله يده، وجاء جبريل وأخبره بذلك، فخرج النبي عليه السلام، وأنزل الله هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

وإلى هذا ذهب الزجاج<sup>(٣)</sup>، وسياق الآية يدل عليه، وهو قوله: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والإهلاك، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾: مضرتهم<sup>(٤)</sup> ﴿عَنْكُمْ﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ فَإِنَّهُ الْكَافِي وَالِدَّافِعُ وَالْمَانِعُ.

\*\*\*

(١٢) - ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ قيل: المراد بالبعث الرِّسالة، وكانوا أنبياء.

وقيل: المراد به الإمارة والولاية والخلافة.

والتَّقِيبُ: الضَّامِنُ.

(١) «ابن كعب» من (ن).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٢٨) عن مجاهد وعكرمة وغيرهما.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٥٦).

(٤) في (و) زيادة: «حتى لا يجنبوا عن قتالهم»، وستأتي هذه العبارة في موضعها المناسب قريباً.

الحسنُ وقتادةٌ: الشَّهيدُ على قومه<sup>(١)</sup>.

وقيل: الأمين والكفيل.

الزَّجَّاجُ: هذا الأصلُ معناه: التأثيرُ الذي له عمقٌ ودخولٌ، ويُستدلُّ بالزَّجَّاجِ النَّقَابِ، وهو العالمُ، والنُّقْبَةُ: من الجَرْبِ، والكلْبُ النَّقِيبُ: هو الذي نُقِبَ حنجرته لينقصَ صوته في نباحه، وسُمِّيَ الرَّجُلُ نَقِيبًا؛ لأنَّه يعلم دخيلةَ أمرِ القومِ ويعلمُ مناقبَهُم<sup>(٢)</sup>.  
وأصحابُ الجيوشِ خمسةٌ: الأمراءُ ثم الإسفهلارون<sup>(٣)</sup> ثم النُّقباءُ ثم العرفاءُ ثم المناكب.

وجاء في القصص: أن الله تعالى وعدَ موسى عليه السَّلام أن يورثه وقومه الأَرْضَ المقدَّسة، وهي الشَّام، وكان يسكنها الكنعانيون والجبَّارون، ووعدَه أن يهلكَهُم، ويجعلَ أَرْضَ الشَّامَ مساكنَ بني إسرائيل، فلما استقرَّت بني إسرائيل الدَّارَ بمصرَ، أمرَهُم اللهُ بالمسيرِ إلى أريحاء، وقال: يا موسى، إنِّي كتبتُها لكم دارًا وقرارًا، فاخرجْ إليها وجاهدْ مَنْ فيها من العدوِّ، فإنِّي ناصرُكم عليهم<sup>(٤)</sup>، وخذ من قومك اثني عشر نقيبًا، من كلِّ سبطٍ نقيبًا<sup>(٥)</sup> واحدًا يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمرُوا

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٣٦) عن قتادة، وذكر الماوردي في «تفسيره» (٢ / ٢٠)، والواحد في «البيضا» (٧ / ٢٩٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٥٢٦) عن الحسن أنه قال: «الضمين».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٥٧ - ١٥٩)، و«المخصص» لابن سيده (١ / ٢٦١).

(٣) ذكر في «صبح الأعشى» (٦ / ٦) أن الإسفهلار بسنين مهملتين بينهما فاء ثم هاء، وأنه من ألقاب أرباب السيوف، وأن معناه: مقدّم العسكر، وهو مركّب من لفظين؛ فارسيّ، وتركّي؛ فدأسفه) بالفارسية بمعنى المقدّم، و(سلار) بالتركية بمعنى العسكر.

(٤) «عليهم» من (ن).

(٥) «نقيبًا» من (ن).

به، فاختار موسى عليه السلام النُّقباء، وبعثهم إليها يتجسسون الأخبار ويعلمون علمها، فلقيهم رجلٌ من الجبارين يُقال له: عاج، فأخذهم جميعاً في كمه، وانطلق إلى امرأته فقال: انظري إلى هؤلاء الذين يريدون أن يقاتلونا، ألا أطحنهم برجلي، قالت: لا حتى يُخبروا قومهم، وكان الشَّطْرُ من قشر الرُّمانة فيهم يدخل فيه خمسون من النُّقباء، وعنقودٌ من العنب لا يُطيق حملها جميعهم، فتوافقوا أن يكتموا أمرهم من قومهم<sup>(١)</sup>، ثم توافقوا على أن لا يخبروا بني إسرائيل بما شاهدوه من شدة بأس القوم - وقيل: من عظم أجسامهم - لئلا يجنبوا عن قتالهم، وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك، فوفى اثنان بالعهد، ونكث العشرة<sup>(٢)</sup> العهد، وجعل ينهى كل واحد سبطه عن قتالهم، ويخبرهم بما رأى<sup>(٣)</sup>.

(١) من قوله: «فلقيهم رجل» إلى قوله: «أمرهم من قومهم» ليس في (ن).

(٢) في (و) هنا زيادة: «وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا».

(٣) انظر القصة في «تفسير مقاتل» (١ / ٤٦٦ - ٤٦٧)، و«تفسير الثعلبي» (١١ / ٢٣٠ - ٢٣٤)، و«زاد المسير» (١ / ٥٣٣)، وروى نحوها الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٣٧) عن السدي، وستأتي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٣ / ٦٨): «وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخباراً من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأن منهم عوج بن عنق، ابن بنت آدم عليه السلام، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلث مئة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلث ذراع... وهذا شيء يُستحى من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن»، ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته، وهذا كذب وافتراء، فإن الله تعالى ذكر أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: ﴿رَبِّ لَأَنْذَرَنَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] وقال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعَهُ﴾ [هود: ٤٣] وإذا كان ابن نوح الكافر =

والجمهورُ على هذا إلا الحسنَ فإنه قال: جعل النبيُّ عليه السَّلام على الأنصار اثني عشر نقيباً ليلةَ العقبة؛ ليراعوا أمورَ النَّاسِ، ويرفعوا أخبارَهم وما يعرضُ لهم من الحوائجِ على النبيِّ عليه السَّلام<sup>(١)</sup>.  
والأوَّلُ أظهر.

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: قال لهم.

الرَّبِيعُ: خطابٌ للتَّقباء<sup>(٢)</sup>. والجمهورُ على أنه خطابٌ لبني إسرائيل.

﴿لَيْنَ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ وكانتا فريضتين عليهما.

﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ يريد: مَنْ مضى منهم، وَمَنْ يبعثهم الله من غير تفريقٍ بين

أحدٍ منهم.

﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ أبو عبيدة: عظمتموهم<sup>(٣)</sup>.

الزَّجَّاجُ: نصرتموهم، قال: وأصله من الذَّبِّ والرَّدِّ؛ أي: ذببتم الأعداء عنهم.

ومنه التَّعْزِيزُ، وهو كالتَّنْكِيلِ<sup>(٤)</sup>.

= غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له: عوج بن عنق نظر، والله أعلم. وقال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٤٠٩): «أخبار متقدمة كان الناس في الجاهلية يروونها، تشبه أحاديث الخرافة». وانظر: «الإسرائيليات والموضوعات» لمحمد أبو شهبه (ص: ١٨٤).

(١) لم أفق عليه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٤٢)، وذكره الواحدي في «السيط» (٧ / ٢٩٦).

(٣) هذا ما نقله الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٤٤) والزجاج في «معاني القرآن» (٢ / ١٥٩) وغيرهما عن أبي عبيدة، وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ١٥٦): ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾: نصرتموهم وأعتموهم ووقرتموهم وأيدتموهم، وذكر نحوه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤ / ٢٣)، وهو قول ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١٤١).

(٤) في «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٥٩): «قال أبو عبيدة: عززتموهم) عظمتموهم. قال غيره: =

﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قيل: الصَّدَقَةُ؛ لتقدُّم ذكر الزَّكَاةِ.

وقيل: الخَيْرُ كُلُّهُ.

و﴿قَرْضًا﴾ جائزٌ أن يكون مفعولاً به، وجائزٌ أن يكون مصدرًا بحذف الزيادة<sup>(١)</sup>.

وذهب بعضهم إلى أن هذه شرائط لقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، وذهب بعضهم إلى أن الكلام تمَّ عند قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، ثم استأنف فقال: ﴿لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾، فأدخل عليه لام توطئة القسم، والمقسمُ محذوفٌ، وجوابُ القسم قوله<sup>(٢)</sup>:

﴿لَأَكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾؛ أي: بترك المؤاخذة بها.

﴿وَلَا دُخْلَنَكُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾: بعد الميثاق المذكور، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: عدلٌ عن الطريق المستقيم.

\*\*\*

(١٣) - ﴿فِيمَا نَقَضْتُم مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَسِيَةً يُحَرِّفُونَ

الْكَامِرَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فِيمَا نَقَضْتُم مِيثَاقَهُمْ﴾؛ أي: نقضوا العهد، وبسبب نقضهم لعناهم.

= عزرتموهم: نصرتموهم. وهذا هو الحق، والله أعلم، وذلك أن العزير في اللغة: الرد، وتأويل عزرت فلاتاً - أي: أدبته - فعلت به ما يردعه عن القبيح، كما أن (نكلت به) فعلت به ما يجب أن ينكل معه عن المعاودة، فتأويل (عزرتموهم): نصرتموهم بأن تردوا عنهم أعداءهم.

(١) أي: أقرضتم الله إقراضاً، ولكن حُذفت الهمزة، وهو ما يقال فيه: اسم مصدر. انظر: «إعراب مشكل القرآن» لمكي (١/ ١٣٣) و(٢/ ٧١٧).

(٢) «محذوف وجواب القسم قوله» من (ن).

و(ما) زائدة أفادت تفخيم الأمر؛ أي: بنقضهم العهد أيَّ عهدٍ.  
وقيل: بنقضهم الفطيع الشَّان، كما قال:

لأمرٍ ما يُسودُّ مَنْ يَسودُّ<sup>(١)</sup> .....

﴿لَعَنَهُمْ﴾ ابن عباس<sup>(٢)</sup> رضي الله عنهما: المرادُ بهم الذين كانوا في زمنِ النَّبِيِّ عليه السَّلام، وفسَّرَ ﴿لَعَنَهُمْ﴾ بالجزية<sup>(٣)</sup>.  
الحسن: لعناهم بالمسخ<sup>(٤)</sup>؛ أي: أوائلهم، فصاروا قردهً وخنازير، من قوله:  
﴿أَوْلَعْنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَحْصَبَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧].

وقيل: ﴿لَعَنَهُمْ﴾: أبعدناهم من الرَّحمة، فيكون لهم جميعاً.  
﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾: يابسة، لا رحمة فيها ولا لين، فاعلةٌ من (قسا يقسو)، و﴿قَاسِيَةً﴾<sup>(٥)</sup>: فعيلةٌ بمعنى فاعلةٍ<sup>(٦)</sup>، وقيل: ﴿قَاسِيَةً﴾: رديئةٌ، من قولهم: درهمٌ قَسيٌّ؛ أي: زائفٌ رديءٌ يشوبه غشٌّ، قال:

(١) عجز بيت صدره:

عزمت على إقامة ذي صباح

والبيت لرجل من خثعم في «الكتاب» (١/ ٢٢٦)، وهو أنس بن مدركة الخثعمي كما في «الحيوان» (٢/ ٣٩)، و«الدلائل في غريب الحديث» (٢/ ٤٤٣)، وقد ذهب مثلاً، ومعناه: لا يسود من يسود إلا بالاستحقاق. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ١٩٦).

(٢) في (و): «عامر».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٣٥)، والواحدي في «البيضا» (٧/ ٣٠١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٢٧).

(٤) المراجع السابقة نفسها.

(٥) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٣)، و«التيسير» (ص: ٩٩).

(٦) وبناء فعيل أبليغ من فاعل، فتكون (قسية) للمبالغة، كما قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٣).

وما زودوني غير سحِقِ عِمَامَةٍ وخمسٍ معي منها قسيٌّ وزائفٌ<sup>(١)</sup>

﴿يُحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ﴾ قيل: بالتأويل، فأولوه على مرادهم.

وقيل: بتغييرهم لفظ التنزيل.

﴿وَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾؛ أي: تركوا بعض ما أمروا به.

ابن عباس رضي الله عنهما: من أتباع محمد عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

وقيل: لم ينالوا منه نصيباً حين حرفوه.

﴿وَلَا نَزَالَ تَطْلُعُ﴾؛ أي: أبداً تشاهدُ وتشرفُ ﴿عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾: خيانة،

كالخاطئة والعافية<sup>(٣)</sup>.

وقيل: على فرقة خائنة.

وقيل: على خائن، والهَاءُ للمبالغة، كقول الشاعر:

حَدَّثَتْ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ لِلْغَدْرِ خَائِنَةً مَّغْلًا<sup>(٤)</sup> الإِصْبَعِ<sup>(٥)</sup>

(١) البيت لمزرد بن ضرار في «ديوانه» (ص: ٥٣)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢١٤)، و«الدلائل في غريب

الحدِيث» (٢/ ٤٩٩)، و«تهذيب اللغة» مادة (م أي) (١٥/ ٤٤٣)، و«إسفار الفصيح» (٢/ ٨٥٦).

(٢) ذكره الواحدي في «البيسط» (٧/ ٣٠٤)، وانظر: «تنوير المقباس» (ص: ٩٠).

(٣) فاسم الفاعل هنا جاء على معنى المصدر. انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٢٥٢).

(٤) في (و): «مفك».

(٥) البيت بلان نسبة في «إصلاح المنطق» (ص: ١٩٢)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٢٤٧).

ولرجل من بني أبي بكر بن كلاب وهذا البيت من شعره خبر في «الكامل» (١/ ٢٨٢)،

و«الاقْتضاب» (٣/ ٢٨٣).

وفي «الكامل»: «وقوله: «ولم تكن للغدر خائنة»، ولم يقل خائناً. وإنما وضع هذا في موضع

المصدر والتقدير: ولم تكن ذا خيانة».

الدِّمَاطِيُّ: خانوه حين همُّوا بقتله<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ لم يخونوا.

ابن عباس رضي الله عنهما: عبد الله بن سلام وأصحابه<sup>(٢)</sup>.

وقيل: الاستثناء من قوله: (جعلنا قلوبهم قاسية) إلا قليلاً منهم<sup>(٣)</sup>.

قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ قيل: منسوخة، والناسخُ آيةُ السِّيفِ، وقيل: بقوله:

﴿وَأِمَّا تَخَافُكُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وقيل: محكمٌ، والمعنى: فاعفُ عنهم واصفح بعد أن أعطوا الجزية

وحقنوا الدَّم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

\*\*\*

(١٤) - ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيءُ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَسَوْأَ حَظًّا مِمَّا

ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ

بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيءُ﴾ قيل: تقديره: ومن الذين قالوا: إننا نصاريء

قومٌ أخذنا، أو من أخذنا.

وقيل: (من) متصلٌ بـ(أخذنا). وهذا أظهرٌ.

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٥٣) عن مجاهد وعكرمة، وصوبه.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤ / ٢٠٦)، وانظر: «تنوير المقباس» (ص: ٩٠).

وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١ / ٤٦٢)، وابن الجوزي في «تفسيره» (١ / ٥٢٨) دون نسبة.

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤ / ٢٠٦)، وقال: «هذا فيه بعد».

الحسن: إنما قال: ﴿قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّةٌ﴾ ليدل على أنهم ابتدعوا النصرانية وتسموا بها<sup>(١)</sup>.

ويحتمل: أي: لهم الدعوى لا المعنى؛ لأنهم لم يقوموا بما أمروا به في شرعهم.

﴿أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾: أمرناهم بتوحيد الله والإيمان برسله وشرائعه.

﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا﴾: ألصقنا، والغراء: ما يُلصقُ به الشيء.

وقيل: حرشنا.

﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ مجاهد: بين اليهود والنصارى<sup>(٢)</sup>.

الرَّبِيعُ: بين النصارى خاصة<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يوم البعث بالأهواء المختلفة والمقاتلة؛ فإن النصارى

اختلفوا فصاروا فرقا؛ يعقوبية<sup>(٤)</sup>، .....

(١) ذكره الواحدي في «البيسط» (٧ / ٣٠٧)، وذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٥٢٨)، ولفظه: «إنما قال: ﴿قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّةٌ﴾، ولم يقل: من النصارى؛ ليدل على أنهم ليسوا على منهاج النصارى حقيقة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٥٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٦٠)، وقدمه على الذي سبقه.

(٤) اليعقوبية: أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو. وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]. وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح أقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين؛ فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركيباً تركيباً كما تركيب النفس والبدن فصارا جوهرًا واحدًا، والقبط في مصر ينحلون مذهب اليعقوبية. انظر: «الملل والنحل» (٢ / ٣٠)، و«الخطط والاعتبار» للمقرئ (٢ / ٢٧).

ونسطورية<sup>(١)</sup>، وملكانية<sup>(٢)</sup>.

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾؛ أي: في القيامة بالجزاء والعقاب.

\*\*\*

(١٥) - ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾.

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود والنصارى، ووحد ﴿الْكِتَابِ﴾ لأنه للجنس.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني: محمدًا عليه السلام.

﴿كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: صفة محمد عليه

(١) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، فقال: إن الله تعالى واحد، ذو أقانيم ثلاثة؛ الوجود، والعلم، والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة. وقالوا: إن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته؛ لأن الإله لا تصيبه الآلام. انظر: «الملل والنحل» (٢/ ٢٩).

(٢) الملكانية: أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية، قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته. ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة، وصرّحوا بأن الجوهر غير الأقانيم، كما صرحوا بإثبات التثليث، وأخبر عنهم القرآن بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. انظر: «الملل والنحل» (٢/ ٢٧).

السَّلام ونعته وآية الرَّجَمِ في التَّوراة، وبشارة عيسى بمحمَّد عليه السَّلام في الإنجيل حيث قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ فلا يُخبرُ به.

وقيل: فلا يُبكتكم بكتمانه.

وقيل: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(١)</sup> من عداوتكم إيَّاه، فلا يُؤاخذكم به.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾: محمَّدٌ عليه السَّلام.

وقيل: القرآن.

﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾: هو القرآن.

\*\*\*

(١٦) - ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾: يرشدُ بالقرآن.

وقيل: بمحمَّدٍ عليه السَّلام.

وحَد<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ حُكْمَهُمَا حَكْمٌ وَاحِدٌ.

﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾: رضاه.

﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ من سلكها سَلِمَ.

وقيل: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: دينُ الله، والسَّلامُ هو الله عزَّ وجلَّ.

وقيل: طريقُ الجنَّة.

(١) «فلا يُخبرُ به، وقيل: فلا يبكتكم بكتمانه، وقيل: يعفو عن كثير» من (ن).

(٢) أي: وحَد الضمير، فقال: به، ولم يقل: بهما، مع أن المراد النور والكتاب؛ لأنَّ حُكْمَهُمَا وَاحِدٌ.

﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: من الكُفْرِ.

﴿إِلَى النُّورِ﴾: إلى الإسلام.

﴿بِإِذْنِهِ﴾ بعلمه، وقيل: بوَعْدِهِ.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

\*\*\*

(١٧) - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي

الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أجمعت<sup>(١)</sup> الفرق

الثلاث؛ اليعقوبية والسُّطورية والملكية، وقيل: الملكانية - وإن اختلفت مقالاتهم لعنهم الله - على أن معبودهم جوهرٌ واحدٌ أفانيمٌ ثلاثة، والأفانيم الأب والابن والروح؛ أي: الحياة، ويسمونها روح القدس؛ وأن<sup>(٢)</sup> الابن لم يزل مولودًا من الأب، ولم يزل الأب والدًا للابن، ولم تزل الروح منبثقةً بين الابن والأب.

وأجمعوا<sup>(٣)</sup> على أن المسيح لاهوتٌ وناسوتٌ؛ أي: إلهٌ وإنسانٌ، فلمَّا قالوا:

المسيح إلهٌ، والإله واحدٌ، فقد قالوا: الله هو المسيح.

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾؛ أي: لا أحدٌ يقدرُ على مغالبةِ الله ودفعه.

(١) في (و): «اجتمعت».

(٢) في (و): «لأن».

(٣) في (و): «اجتمعوا».

﴿إِن أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾  
وإذا ثبت أنه ممكن إهلاكه، فقد ثبت أن المتمكن من الإهلاك هو الله لا هو.

ومعنى: ﴿يُهْلِكُ﴾: يميئ، وقيل: يعذب.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: بين النوعين، قال:

طَرَقًا، فَتِلْكَ هَمَاهِمِي، أَقْرِبِيهِمَا قُلُوبًا لَوَاقِحَ كَالْقَيْسِيِّ وَحَوْلًا<sup>(١)</sup>  
﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

\*\*\*

(١٨)- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبْتُوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ<sup>ط</sup>  
بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا  
بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبْتُوهُ﴾ ذهب بعض المفسرين إلى  
أنهم عَنَوْا بهذا: القرب؛ أي: قُربًا كقُربِ الولد والعطف، وذهب بعضهم إلى أنهم  
اعتقدوا ذلك.

قال السُّدِّيُّ: قالت اليهود: أوحى الله إلى إسرائيل: أن ولدك بكري  
من الولد، فأدخلهم النار، فيكونون فيها أربعين يومًا حتى تطهرهم، وتأكل

(١) البيت للراعي النميري في «ديوانه» تحقيق: راينهرت فايبرت (ص: ٢١٦)، و«جمهرة أشعار  
العرب» (ص: ٧٣٠)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٦٠)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٢٦٨)،  
ووجه الاستشهاد أن الشاعر جعل الهامم - وهي جمع - نوعًا واحدًا، وكذلك السماوات في الآية  
نوع واحد وهي جمع، والأرض نوع وهي مفرد، فصارت السماوات والأرض نوعين، فجازت  
التثنية على هذا الاعتبار.

خطاياهم، ثم يُنادي منادٍ: أن أخرجوا كلَّ مختونٍ من ولدِ إسرائيلَ، فأخرجُهم<sup>(١)</sup>.  
 وذكر بعضهم: أن في الإنجيل: (أذهب إلى أبي وأبيكم)، فتأولوا على ذلك.  
 وذكر بعضهم: أن عيسى عليه السَّلام كان يقول: (إذا توضَّأت فقل: يا أبانا  
 الذي في السَّماء ليتقدَّس اسمك).

وزاد بعضهم: (وإذا صُمتَ فادهنْ وجهك؛ كي لا يعلمَ به غيرُ أبيك الذي في  
 السَّماء).

وذهب بعضهم إلى أن المراد: نحنُ أبناءُ أنبياءِ الله.

فاحتجَّ الله عليهم فقال: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ والابُّ لا يعذب ولده؟  
 وكانوا مقرِّين بالتعذيب على ما سبق.

وقيل: يريد: تعذيبَ مَنْ سبقَ منهم بالقتلِ والأسْرِ والمسْخِ قردهً وخنازير.

﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾؛ أي: أنتم خلقٌ من خَلْقِهِ لا مزيَّةَ لكم على غيركم.

﴿يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ منكم ومنهم بعد الإيمان به وبرسله، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾

من الفريقين على الكفر والذنوب.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازي المحسنَ

بإحسانه والمسيءَ بإساءته، وكلُّكم في ذلك سواءً.

\*\*\*

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٦٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١ / ٢٤٠)، والواحدي في

«البيسط» (٧ / ٣١٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٥٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب

التفسير» (١ / ٣٢٤) دون نسبة، واستغربه.

(١٩) - ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ : مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ : شَرَّاهَكُمْ؛ فَإِنَّ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ضَلَالٌ لَا يَرْضَاهُ دِينًا.

﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ : عَلَى انْقِطَاعِ.

وَفَتْرَ الشَّيْءِ : انْقَطَعَ حَدُّهُ مِنْ (الْمَاءِ الْفَاتِرِ) وَ(الْعَيْنِ الْفَاتِرَةِ) (١).

وَقِيلَ : فَتْرَ : سَكَنَ.

وَقِيلَ : ﴿عَلَى فَتْرَةٍ﴾ : عَلَى دُرُوسٍ (٢) مِمَّا جَاءُوا بِهِ.

ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : مَدَّةُ الْفَتْرِ خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ وَتِسْعُ وَسِتُّونَ (٣).

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سِتُّ مِائَةِ سَنَةٍ (٤).

وَعَنْ قَتَادَةَ : خَمْسُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ سَنَةً (٥).

الضَّحَّاكُ : أَرْبَعُ مِائَةٍ وَبِضْعُ وَثَلَاثُونَ سَنَةً (٦).

﴿أَن تَقُولُوا﴾ : كِرَاهَةٌ أَنْ تَقُولُوا، وَلِأَنَّ لَا (٧) تَقُولُوا : ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ ، يُعَلِّمُ مَوَاضِعَ الْمَخَافَةِ.

(١) أي: اندثار، يقال: درس الأثر يدرس دروساً، ودرسته الرِّيح تدرسه درساً؛ أي: محته. انظر: «لسان العرب» مادة (درس) (٧٩/٦).

(٢) أي: ليست حديدة النظر. انظر: «جمهرة اللغة» مادة (فت ر) (٣٩٣/١).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/٤٤) من طريق محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١١/٢٤٢).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩١)، والطبري في «تفسيره» (٨/٢٧٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/٢٧٥).

(٧) «لا» من (ن).

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرٌ﴾ للكافرين؛ يعني: محمداً عليه السلام،  
﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

\*\*\*

(٢٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.  
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾  
يرشدونكم، وفيه شرف الدنيا وسعادة العقبى.

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ قيل: منكم وفيكم؛ كداود وسليمان وغيرهما.  
المؤرِّج: أحراراً بلغة هذيل<sup>(١)</sup>.

الحسن: ملكوا أنفسهم من استعباد القبط<sup>(٢)</sup>.  
قتادة<sup>(٣)</sup>: كانوا أوّل من ملك الخدم<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي عليه السلام قال: «كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدٍ خادمٌ وامرأةٌ ودابةٌ يكتبُ ملكاً»<sup>(٥)</sup>.

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٨١) عن السدي نحوه فقال: «﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٥) بلا نسبة، وعده من العجائب.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ٢٤)، وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢ / ١٣) عن الحسن أنه قال: «ملكهم الخدم»، وروى الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٧٩) عنه نحو ما روي عن مجاهد وابن عباس.

(٣) «قتادة» من (ن).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩٣)، والطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٧٨).

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١١ / ٢٤٦)، والواحدي في «الوسيط» (٣ / ٨٤٥)، وعزاه ابن كثير في =

ابن عباسٍ ومجاهدٌ: مَنْ كَانَ لَهُ بَيْتٌ وَخَادِمٌ وَامْرَأَةٌ فَهُوَ مُلْكٌ<sup>(١)</sup>.

وقيل: ﴿جَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ أي: أغنياء لا يحتاجون إلى غيركم.

الضَّحَّاكُ: مَنْ كَانَ مَسْكَنُهُ وَاسِعًا وَفِيهِ مَاءٌ جَارٍ، فَهُوَ مُلْكٌ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: مَنْ لَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ دَارَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَهُوَ مُلْكٌ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَا لَكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يريد: عالمي زمانهم؛ من المنِّ والسَّلوى

وتظليل الغمام، وما ذُكِرَ آنفًا.

سعيدُ بنُ جبيرٍ: ﴿وَمَا لَكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ خطابٌ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ

عليه السَّلَام<sup>(٤)</sup>؛ فيكونُ تَمَامُ الكلامِ: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(٢١) - ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ

فَنَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ مجاهدٌ: المباركة<sup>(٦)</sup>.

= «تفسيره» (٦٦ / ٣) إلى ابن أبي حاتم وقال: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٥)، واستغربه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٨٠).

(٢) ذكره الواحدي في «البيسط» (٧ / ٣٢١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٥٣١).

(٣) هذا اختيار الزجاج في «معاني القرآن» (٢ / ١٦٢)، وذكره الواحدي في «البيسط» (٧ / ٣٢١) عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٨١) من طريق واحد عن أبي مالك وسعيد بن جبير، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٥)، واستغربه.

(٥) على قول سعيد بن جبير، أما على غيره فنهاية الآية تمام الكلام. انظر: «المكتفى» للداني (ص: ٥٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٨٦).

غَيْرُهُ: الْمَطَهَّرَةُ مِنَ التَّدْنُسِ<sup>(١)</sup>، وَقَدْ سَبَقَ.

وَقِيلَ: تَطَهَّرَ الْإِنْسَانُ مِنَ الذُّنُوبِ<sup>(٢)</sup>.

ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هِيَ دِمَشْقُ وَفِلَسْطِينُ وَبَعْضُ مِنَ الْأُرْدُنِّ<sup>(٣)</sup>.

مَجَاهِدٌ: هِيَ الطُّورُ وَمَا حَوْلَهُ<sup>(٤)</sup>.

قَتَادَةُ: أَرْضُ الشَّامِ<sup>(٥)</sup>.

ابْنُ زَيْدٍ: أَرِيحَا، وَهِيَ أَرْضُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ<sup>(٦)</sup>.

﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ السُّدِّيُّ: أَمْرَكُمْ بِدُخُولِهَا<sup>(٧)</sup>.

ابْنُ إِسْحَاقَ: وَهِيَ لَكُمْ<sup>(٨)</sup>.

وَقِيلَ: فَرَضَ عَلَيْكُمْ دُخُولَهَا<sup>(٩)</sup>.

(١) فِي (و): «التَّقْدِيسُ».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٣)، و«معانيه» له (٢/ ٢٨٨)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (١/ ٣٨١).

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥) دون نسبة، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق أبي صالح.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٤).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩٥)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٧)، واختاره يحيى بن سلام في «التصارييف» (ص: ١٧٣)، ومكي في «الهداية» (١/ ٥٦٥).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٧).

(٩) ذكره الواحدي في «البيسط» (٧/ ٣٢٣) عن ابن عباس وعطاء.

وقيل: كتب الله لكم في اللوح المحفوظ أنها لكم مسكن<sup>(١)</sup>.  
ولا منافاة بين ﴿كُتِبَ﴾ و﴿مَحْرَمَةٌ﴾؛ لأنَّ التَّقْدِيرَ: كُتِبَ اللهُ لَكُمْ إِنْ آمَنْتُمْ  
وَأَطَعْتُمْ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: اللَّفْظُ عَامٌّ، والمرادُ: لِبَعْضِكُمْ، وقد دَخَلَهَا بَعْضُهُمْ<sup>(٣)</sup> عَلَى مَا نَذَرُ.  
وقيل: وَهَبَهَا لَهُمْ، فَلَمَّا عَصَوْا حَرَمَهُمْ<sup>(٤)</sup>.  
﴿وَلَا تَزِدُوا عَلَيَّ آدْبَارِكُمْ﴾: لَا تَرْجِعُوا عَنْ دُخُولِهَا خَوْفًا مِمَّنْ فِيهَا.  
قيل: لَا تَرْجِعُوا عَنْ وَلَايَتِي، وَلَا تَتْرَكُوا طَاعَتِي.  
﴿فَنَقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، وَفَوْتِ رِضَاهِ، وَتَفْوِيتِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ  
مَسْكَنُ الصَّالِحِينَ.

\*\*\*

(٢٢) - ﴿قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن  
يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.  
﴿قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ المَفْضَلُ: مَمْتَعِينَ مِنْ أَنْ يُقَهَّرُوا أَوْ يُدَلُّوا<sup>(٥)</sup>،  
وَكُلُّ مَمْتَعٍ جَبَّارٌ، وَالْجَبَّارُ مِنَ النَّخْلِ: مَا عَلَا جَدًّا<sup>(٦)</sup>.

- (١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٨٦)، والبغوي في «تفسيره» (٢ / ٣٤).  
(٢) انظر: «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٦).  
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨ / ٢٨٦).  
(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢ / ٢٥)، و«غرائب التفسير» (١ / ٣٢٦)، وقد ذكر المصنف  
الوجوه التي ذكرها هنا، وأضاف: أن التحريم مقيّد بأربعين سنة، كما ذكر أن جعل (كتب) بمعنى:  
أمر؛ من الوجوه التي تزيل المنافاة.  
(٥) ذكره المصنّف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٧).  
(٦) فامتنع بطوله عن يد المتناول. انظر: «العين» مادة (ج ب ر) (٦ / ١١٧)، و«المنجد» (ص: ١٦٢).

ابن عيسى: الجبّار: مَنْ <sup>(١)</sup> يُجْبِرُ عَلَى مَا يَرِيدُ وَيَعْظُمُ عَنْ أَنْ يُنَالَ، وَالْإِجْبَارُ: الْإِكْرَاهُ.

وقيل: جبّار من (جبرت العظم)؛ أي: يُصَلِّحُ أَمْرَ نَفْسِهِ.

وقيل: ﴿جَبَّارِينَ﴾: طَوَالًا، وَصَفُوا بِذَلِكَ لكَثْرَتِهِمْ وَقَوَّاتِهِمْ وَعِظَمِ خَلْقَتِهِمْ وَطَوَّلِ جَبَّتِهِمْ <sup>(٢)</sup>.

ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ جبريلَ أخبر موسى عليه السَّلامَ خبرَ القومِ، فخافوهم وجبنوا، فبعث موسى الاثني عشر نقيبًا، من كلِّ سبطٍ نقيبًا، فمكثوا أربعين يومًا يتفحصون أحوالهم، ويتجسسون أخبارهم، حتَّى علموا منها ما شاء الله، ثم رجعوا ومعهم عنقودُ عنبٍ يحمله اثنا عشر رجلًا، فقال عشرةٌ منهم: هذا عنبُ القومِ، والرَّجلُ الواحدُ منهم يُدخِلُ مئةَ رجلٍ مَنَّا في كَمِّه، فلا يدان لنا بهم <sup>(٣)</sup>.

عكرمة: أَمَرَ موسى أن يدخلَ مدينةَ الجبَّارين، فسار بمن تبعه حتَّى قربوا <sup>(٤)</sup> من المدينة، وهي أريحا، وبعثَ إليهم اثني عشر رجلًا، فدخلوا المدينة، ورأوا أمرًا عظيمًا من هيبتهم وعِظَمِهِمْ، فدخلوا حائطًا لبعضهم، فجاء صاحبُ الحائطِ؛ ليجتني الثَّمارَ من حائطه، فنظر إلى آثارهم فتبعهم، وكلَّما أصابَ واحدًا منهم أخذَه فجعله في كَمِّه مع الفاكهة حتَّى التقطَ الاثني عشرَ، فذهبَ إلى ملكهم فنثرهم بين يديه، فقال الملك: قد رأيتم بستاننا وأمرنا، فاذهبوا فأخبروا صاحبكم، فرجعوا إلى موسى، وأخبروه بما عاينوا من أمرهم <sup>(٥)</sup>.

(١) في (و): «ما».

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ج ب ر) (١١ / ٤١)، و«المنجد» (ص: ١٦٢).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٩٨).

(٤) في (ن): «حتي نزل قريبًا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٩٠) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

السُّدِّيُّ: إِنَّ النَّبِيَّ سَارُوا فَلَقِيَهُمْ رَجُلٌ مِنَ الْجَبَّارِينَ يُقَالُ لَهُ: عَاجٌ، فَأَخَذَهُمْ جَمِيعًا، فَجَعَلَهُمْ فِي حُجْرَتِهِ، وَعَلَى رَأْسِهِ حَمْلَةٌ<sup>(١)</sup> مِنَ الْحَطْبِ، فَانْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَطَرَحَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهَا فَقَالَ: انْظُرِي إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَقَاتِلُونَا، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَطْحَنُهُمْ<sup>(٢)</sup> بِرَجْلِي؟ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: لَا، بَلْ خَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْبِرُوا قَوْمَهُمْ<sup>(٣)</sup> بِمَا رَأَوْا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ<sup>(٤)</sup>.

وَذُكِرَ أَنَّ أُمَّهُ عَنُقٌ - وَقِيلَ: عَنَاقٌ - إِحْدَى بَنَاتِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ كُلُّ أَصْبَعٍ مِنْ أَصَابِعِهَا ثَلَاثَ أَذْرَعٍ، وَكَانَ مَوْضِعُ مَجْلِسِهَا مِنَ الْأَرْضِ<sup>(٥)</sup> جَرِييًّا<sup>(٦)</sup>.  
فَحَيْثُذِ قَالُوا: إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ، ﴿وَإِنَّا لَنَنذُرُكُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

\*\*\*

(٢٣) - ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَدْحَلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.  
﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ ابن عباس رضي الله عنهما: يوشع بن نون وكالوب بن يوقنا<sup>(٧)</sup>.

(١) في (ن): «حمل».

(٢) في (و): «أرجلهم».

(٣) في (و): «حتى تحيروا عنهم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣٧ / ٨ و ٢٩٠).

(٥) «من الأرض» من (ن).

(٦) الجريب من الأرض: مقدار كان معلوم الذرع والمساحة، يُقدَّر بعشرة أقدرة. انظر: «تهذيب اللغة» (ج رب) (١١ / ٣٧). وقد ذكر هذا الخبر الثعلبي في «تفسيره» (١١ / ٢٣٢)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٦)، وعدّه من العجائب، وتقدم الكلام على مثل هذه الروايات الإسرائيلية.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٢٩٦)، وفيه: «يوفنة» بدل «يوقنا».

﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أي: الجبابرة.

وقيل: يخافون الله.

وقيل: هما رجلان من الجبابرة أسلما وصارا إلى موسى وقالوا هذا القول<sup>(١)</sup>،  
ويقويّه قراءة: (يُخَافُونَ) بِالضَّمِّ<sup>(٢)</sup>.

والمَخُوفُونَ: الجبابرة لا غير.

﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ الجمهورُ: بالإسلام.

وقيل: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ فلم يخافا منهم.

﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾: باب القرية؛ أي: امنعوهم من الإصحار<sup>(٣)</sup>،

وضاغطوهم في المضيق.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٧)، واستغربه.

(٢) قراءة شاذة نسبت لسعيد بن جبير ومجاهد. انظر: «المحتسب» (١ / ٢٠٨)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٣٨)، و«غرائب التفسير» (١ / ٣٢٧).

وقد ذكر ابن جني في بيان هذه القراءة غير ما ذهب إليه المصنف فقال: «تحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون من المؤمنين الذين يُرهبون ويُتَّقون لما لهم في نفوس الناس من العفة والورع والستر؛ وذلك أنه من كان في النفوس كذلك رُهب واحتشم وأطيع وأعظم؛ لأن من أطاع الله سبحانه أكرم وأطيع، ومن عصاه امتهن وأضيع.

الآخر: أن يكون معناه: من الذين إذا وُعطوا رهبا وخافوا، فإذا أتاهم الرسول بالحق أطاعوا وخضعوا؛ أي: ليسوا ممن يركب جهله ولا يصغي إلى ما يُحدِّث له، فيكون كقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْمُوهَا قَوْلًا﴾ [الحجرات: ٣]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ﴾ [يس: ١١]، ونحو ذلك من الآي الدالة على رهبة المؤمنين وطاعتهم؛ فهذا إذن من (أُخِيفَ)، والأوّل من (خِيفَ)).

(٣) أي: البروز إلى الصحراء. انظر: «التقنية» للبندنجي (ص: ٣٧٩).

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾؛ أي: إذا أخذتم عليهم الباب، فقد غلبتم.  
 وروى عن<sup>(١)</sup> بعض المفسرين أن معنى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَاب﴾: ادخلوا من  
 الوجه الذي تؤتون منه، كما تقول: ائت هذا الأمر من بابه؛ أي: وجهه وصوابه.  
 ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾؛ أي: ثقوا بوعد الله؛ فإنه أخيركم<sup>(٢)</sup> بالنصرة.  
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ فإن<sup>(٣)</sup> الإيمان بالله يوجب ذلك.

\*\*\*

(٢٤) - ﴿قَالُوا يَمْسُخَ إِتَان لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا  
 إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَمْسُخَ إِتَان لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا﴾: دهرًا طويلًا، ثم عِينُوا فقالوا: ﴿مَا دَامُوا  
 فِيهَا﴾: مدة كونهم فيها، ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ هذا  
 كفر منهم، وسوء أدب.

وقيل: تقديره: اذهب أنت وربك يعينك، وفيه ضعف<sup>(٤)</sup>.

وسمعت شيخ الإسلام القاضي أبا المعالي رحمه الله يقول: المراد بقولهم:  
 ﴿وَرَبُّكَ﴾ هارون؛ لأنه كان أكبر منه سنًا<sup>(٥)</sup>.

(١) «روي» من (ن).

(٢) في (و): «فإنه وعد».

(٣) في (و): «بأن».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٧)، واستغربه، وسبب ضعفه أن الله ذكر بعده قولهم:

فقاتلا. انظر: «تفسير ابن عطية» (٢ / ١٧٥)، و«البحر المحيط» (٤ / ٢٢١)، و«تفسير أبي السعود»

(٣ / ٢٥).

(٥) ذكر هذا القول السمرقندي في «بحر العلوم» (١ / ٣٨٢)، والسمعاني في «تفسيره» (٢ / ٢٧)، وعده =

(٢٥) - ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾؛ أي: لن يطيعني إلا نفسي وأخي هارون.

قيل: هو عطفٌ على اسم (إن)؛ أي: وإن أخي لا يملك إلا نفسه.

وقيل: عطفٌ على النفس؛ أي: اصرفهما في طاعتك.

﴿ فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قيل: معناه: افض بيننا وافصل.

وقيل: باعذ.

وقيل: دعا الله أن يفرق بينهم في الآخرة.

وقيل: دعا عليهم بالهلاك.

وسمّاهم فاسقين؛ لخروجهم عن طاعة الله وطاعة رسوله.

\*\*\*

(٢٦) - ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى

الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا ﴾؛ أي: الأرض المقدسة ودخولها.

﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾؛ أي: ممنوعون من دخولها بسبب عصيانهم، قال:

جاءت<sup>(١)</sup> لتصرعني فقلتُ لها: اقصري إنسي امرؤُ صرعي عليك حرام<sup>(٢)</sup>

= المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٢٧) من العجائب، وقال ابن عطية في «تفسيره» (٢/ ١٧٥):

«وهذا تأويل بعيد، وهارون إنما كان وزيراً لموسى وتابعا له في معنى الرسالة، ولكنه تأويل يخلص

بني إسرائيل من الكفر».

(١) في (و): (جاءت).

(٢) البيت لامرئ القيس في «ديوانه» تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ص: ١١٦)، و«النكت والعيون» =

أي: ممتنعٌ.

وقيل: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ تحريمَ التَّعَبُدِ، وكانوا يقدرُونَ على دخولها.

﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُوتُ فِي الْأَرْضِ﴾ الزَّجَاجُ: مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، و﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ نَصَبٌ بـ﴿يَتِيَهُوتُ﴾<sup>(١)</sup>.

الفراء: يحتمل الوجهين<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ﴿يَتِيَهُوتُ﴾: يترددون مُتَحِيرِينَ، والتَّيُّهُ - المفاضة - من هذا، والتَّيُّهُ: الكِبْرُ أيضًا.

الخليل: التَّيِّهَاءُ والتَّوْهَاءُ: الفلاة<sup>(٣)</sup>.

الحسنُ وقادة: ما دخلها أحدٌ منهم حتى ماتَ البالغون، ونشأ أولادهم<sup>(٤)</sup>.

(٤ / ٢٣٩)، و«أمالي ابن الشجري» (١ / ٣٨)، وهو من قصيدة قوافيها مجرورة، ويُستشهد به على جرِّ حرامٍ تشبيهاً بـ(حذام)، أو على أَلْحَاقِ ياءِ النسبِ، قال ابن هشام في «المغني» (ص: ٨٩٢): «ولو أقوى لكان أولى»، والمصنّف إنما استشهد به على أن معنى حرامٍ: ممتنع.

(١) ذكر الزجاج عن بعض النحويين جواز نصب (أربعين) بـ(محرمة) وبـ(يتيهون) ثم قال: «أما نصبه بـ(محرمة) فخطأ؛ لأن التفسير جاء بأنها محرمة أبدًا». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٦٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٣٠٥)، ورجَّح الطبري أنها منصوبة بـ(محرمة)؛ لأن قوم موسى دخلوا الأرض المقدسة بعد الأربعين سنة. انظر: «تفسير الطبري» (٨ / ٣١٤).

(٣) ذُكر في «العين» (٤ / ٨٠) المنسوب للخليل: أَنَّ (التَّيُّهُ) و(التَّوْهُ) لغتان، يقال: تاه يتيه تيهًا، وتاه يتوه توهًا، والتَّيُّهُ أعمُّ من التَّوْهُ.

(٤) في (و): «أمرهم». روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣١٠) عن قتادة، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢ / ١٦٥) دون نسبة، وذكر الواحدي في «البيسط» (٧ / ٣٣٢) عن الحسن: أَنَّ موسى لم يمت في التيه.

الدِّمِيَاطِيُّ: نجا منهم الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا، فَدَخَلَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْأَرْبَعِينَ بِأَوْلَادِ الْفَاسِقِينَ<sup>(١)</sup>.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما بخلافٍ: أنَّ موسى وهارون<sup>(٢)</sup> ماتا في التَّيِّهِ<sup>(٣)</sup>.  
محمَّد بن جرير<sup>(٤)</sup>: حُرِّمَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ دَخَلَهَا موسى وهارون مع القوم، وقتل موسى عوجًا<sup>(٥)</sup>.

وقيل: لم يكن موسى وهارون في التَّيِّهِ، والصَّحِيحُ الْأَوَّلُ.  
وذكر المفسِّرون: أنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَاهَوْا فِيهَا سِتُّهُ فِرَاسِخٌ، وَكَانُوا سِتَّ مِائَةِ أَلْفٍ يَمْسُونَ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَيَصْبَحُونَ حَيْثُ أَمْسُوا، وَطَعَامُهُمُ الْمَنُّ وَالسَّلْوَى، وَمَاؤُهُمْ مِنَ الْحِجْرِ الَّذِي يَحْمِلُونَهُ.

وذلك التَّحْيِيرُ مِنْ بَابِ قَلْبِ الْعَادَاتِ لِلْمَعْجَزَاتِ.  
وقيل: كانوا إذا قاربوا الخروجَ من التَّيِّهِ حَوَّلَ اللهُ تِلْكَ الْأَرْضَ، فَجَعَلَهَا بِالْبُعْدِ مِمَّا كَانُوا قَرَبُوا مِنْهُ.

وقيل: يجوزُ أَنْ يَكُونُوا أَمْرُوا بِالْتَّرَدُّدِ فِي تِلْكَ الْفَلَاةِ عِقُوبَةً لَهُمْ عَلَى<sup>(٦)</sup> فَسِقِهِمْ، لَا أَنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا لِلخُرُوجِ مِنْهَا.

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ.

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣١٠) نحوه عن قتادة.

(٢) في (و): «وعيسى».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٠٩)، وروى (٨ / ٣١٥) عن ابن عباس أنَّ موسى قتل عوجًا.

(٤) في (و): «جوير».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٨ / ٣١٤).

(٦) «على» من (و).

الجمهور: خطابٌ لموسى عليه السَّلام.

الزَّجَّاجُ: خطابٌ لمحمَّدٍ عليه السَّلام<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٢٧) - ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ

مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَا قُلْتُمْكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أخبرهم.

ويحتمل: اتل عليهم القرآن؛ ففيه خبرهما.

﴿نَبَأَ آدَمَ﴾ يعني: خبرهما، والنَّبَأُ: الخبرُ له خطرٌ.

وجلُّ المفسِّرين على أنَّ ابني آدم كانا لصلْبِهِ، وهما قابيلُ وهابيلُ، وفي قابيلُ

لغاتٌ<sup>(٢)</sup>: قابيلُ وقابلُ وقابينُ وقابنُ وقينُ، وهابيلُ وهابِلُ وهابِنُ<sup>(٣)</sup>.

قال الحسن<sup>(٤)</sup>: «كانا رجلين في بني إسرائيل<sup>(٥)</sup>. واستدلَّ بالقربانِ فقال: لم يكن

ذلك إلا لبني إسرائيل، ويقوله: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ٣٢].

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٦٦): «جائز أن يكون هذا خطاباً لموسى، وجائز أن يكون خطاباً

لمحمد ﷺ».

(٢) في (و): «ثلاث لغات».

(٣) في (و) زيادة: «وهبل»، وقد قال الثعلبي في «تفسيره» (١١ / ٢٧٠): «هابيل في اسمه ثلاث لغات:

هابيل وهابل وهابن، وقابيل في اسمه خمس لغات: قابيل وقابين وقابل وقين وقابن».

(٤) في (و) زيادة: «البصري».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٨)،

واستغربه، واستغربه أيضاً ابن كثير في «تفسيره» (٣ / ٨٢) فقال: «هذا غريب جداً، وفي

إسناده نظر».

واستدلَّ الآخرون<sup>(١)</sup> بقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾ [المائدة: ٣١]؛ لأنه لم يمتدَّ<sup>(٢)</sup> جهل النَّاسِ<sup>(٣)</sup> بما يفعلون بموتاهم إلى زمانِ بني إسرائيل.

﴿بِالْحَقِّ﴾<sup>(٤)</sup>؛ أي: إخبارًا على وجهِ المفصَّلِ في الحقِّ، والحقُّ: القرآنُ.

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وذلك أنَّ حواءَ كانت تلدُّ في كلِّ بطنِ اثنتين؛ غلاماً وجارية، فولدت في أوَّلِ بطنِ قابيلَ وأخته أقليما، وقيل: كان ذلك في الجنةِ قبلَ أنْ أُهبطا، وقيل: في الأرضِ بعدَ أنْ أُهبطا، ثم مكثت سنينَ فولدت هابيلَ وأخته ليوذا، فلمَّا أدركوا، أمرَ اللهُ آدمَ عليه السَّلامُ<sup>(٥)</sup> أنْ ينكحَ قابيلَ أختَ هابيلَ، وهابيلُ أختَ قابيلَ، فرضيَ هابيلُ بذلك، ولم يرضَ قابيلُ؛ لأنَّ أخته كانت أحسنَهما، وقيل: لأنَّها وُلدت معه في الجنةِ، فقال آدمُ عليه السَّلامُ: قَرِّبَا قُرْبَانًا، فأيكما تُقبَلُ قربانُهُ، زوجتُها منه<sup>(٦)</sup>.

وعن محمدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ رضي اللهُ عنهم: أنْ آدمَ عليه السَّلامُ قال لهابيلَ وقابيلَ: إنَّ ربِّي<sup>(٧)</sup> عهدَ إليَّ أنه يكونُ من ذرِّيَّتِي مَنْ يقرَّبُ القربانَ، فقربا<sup>(٨)</sup> قربانًا حتَّى تقرَّ عيني إذا تُقبَلُ قربانُكما<sup>(٩)</sup>.

- (١) نقل الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٢٥) إجماع أهل الأخبار والسير والعلم بالتأويل على أنهما ولدا آدم لصلبه وفي زمانه.
- (٢) «لم يمتد» من (ن).
- (٣) «الناس» من (ن).
- (٤) في (ن): «نبأ ابني آدم بالحق».
- (٥) «آدم عليه السَّلام» من (ن).
- (٦) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١ / ٤٦٩)، و«تفسير الطبري» (٨ / ٣٢١، ٣٢٢)، و«تفسير الثعلبي» (١١ / ٢٧٢).
- (٧) «إن ربي» من (ن).
- (٨) في (ن): «فتقربا».
- (٩) عزاه ابن كثير في «تفسيره» (٣ / ٧٥) إلى ابن أبي حاتم.

وذكر الثعلبي: أن معاوية بن عمّار<sup>(١)</sup> قال: سألت الصادق رضي الله عنه: أكان آدم<sup>(٢)</sup> يزوّج بناته من بنيه، قال: معاذ الله، لو فعل ذلك آدم ما رغب عنه رسول الله عليه السلام، ولا كان دين آدم إلا دين محمد عليهما السلام، ولكن لما أدرك قابيل أظهر الله له جنية من ولد الجان يقال لها: جمانة في صورة إنسية، فأوحى الله عز وجل إلى آدم أن زوّجها من قابيل، فلما أدرك هابيل أهبط الله حوراء في صورة إنسية لها رحم، فأوحى الله إلى آدم أن زوّجها من هابيل<sup>(٣)</sup>، ففعل ذلك، فقال قابيل: فضّلته وآثرته عليّ بهواك. فقال آدم: إن كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قربانا، فأيكما تُقبّل قربانه فهو أولى بالفضل من صاحبه<sup>(٤)</sup>.

قلت<sup>(٥)</sup>: هذه رواية فيها ضعف؛ لأن الإجماع على أن آدم عليه السلام كان يزوّج بناته من بنيه إلا التّوأم، ولو لم يفعل ذلك لانقطع النسل أو بقيت بناته أيامي<sup>(٦)</sup>.

(١) في (و): «عمران»، والصواب ما في (ن) و«تفسير الثعلبي» (١١ / ٢٧٢)، وهو معاوية بن عمار بن معاوية الدهني البجلي الكوفي، سمع أباه وجعفر بن محمد، روى له البخاري في كتاب «أفعال العباد» ومسلم، وأبو داود والنسائي، قال ابن معين: ليس به بأس. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، ولا يحتج به. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٧ / ٣٣٥)، و«تهذيب الكمال» (٢٨ / ٢٠٢ - ٢٠٤)، و«ميزان الاعتدال» (٤ / ١٣٧)، و«تهذيب التهذيب» (١٠ / ٢١٤).

(٢) في (ن): «سألت الصادق عن آدم عليه السلام أكان».

(٣) «قابيل، فلما أدرك هابيل أهبط الله حوراء في صورة إنسية لها رحم، فأوحى الله إلى آدم أن زوّجها من» من (ن).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١١ / ٢٧٣).

(٥) في (و): «وقال الشيخ تاج القراء رحمه الله» بدل: «قلت».

(٦) قال القرطبي في «تفسيره» (٦ / ١٣٥): «هذه القصة عن جعفر ما أظنها تصح، وإن القول ما ذكرناه من أنه كان يزوج غلام هذا البطن لجارية تلك البطن، والدليل على هذا من الكتاب قوله تعالى: =

وقال ابنُ جُريجٍ: لم يزل بنو آدمَ في نكاحِ الأخواتِ حتَّى مضى أربعةُ آباءٍ، ثم نكحَ ابنةَ العمِّ، وذهبَ نكاحُ الأخواتِ<sup>(١)</sup>.

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: كان قاييلُ صاحبَ زرعٍ، وهاييلُ صاحبَ ضرعٍ، فقصد قاييلُ إلى أردأٍ قمحٍ عنده، وقيل: قَرَّبَ سنبلاً من سيئِ زرعِهِ، وقصد هاييلُ إلى حَمَلٍ سمينٍ، وقيل: بقرة<sup>(٢)</sup>.

﴿فَنُقِيتَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ وذلك أنَّهما وَضَعَا قربانَهُما على الجبلِ، فدعا آدمُ، فنزلت نازٌ من السماء بيضاء، فرفعت قربانَ هاييلِ.

وقيل: هو الدَّبْحُ الذي فدى الله سبحانه به ابنُ إبراهيمَ عليهما السَّلام، وكان يرتعُ في الجنةِ أربعين خريفاً، وقيل: ثمانين خريفاً<sup>(٣)</sup>.

قال مجاهدٌ: كانت النارُ تأكلُ المردودَ لا المقبول<sup>(٤)</sup>.

وإنما تُقبَلُ من هاييلٍ ولم يُقبَلْ من قاييلٍ لأنَّه لم يخلصِ النِّيَّةَ في قربانه. وقيل: لأنَّه تقَرَّبَ بأخسِّ ما عنده.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَارِكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، وهذا كالنصِّ، ثم نسخ ذلك.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٣٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٢٢).

(٣) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (٨ / ٣٢٢) عن إسماعيل بن رافع من غير تحديد مدة، وروى الطبري (١٩ / ٦٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ذبح إسماعيل رعى في الجنة أربعين خريفاً، وروى ذلك ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣٢٢٤) عن علي رضي الله عنه.

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤ / ٢٢٨)، وروى الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٢٠) عن

مجاهد ما يوافق ما عليه الجمهور.

وقيل: لأنه كان مُصِرًّا على كبيرة لا يتقبلُ الله معها طاعةً.

﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾: المخلصين الذين يتقون الشرك

والمعاصي.

وتقديره: قال: لم تقتلني؟ قال: لأن الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني، فأجاب

فقال<sup>(١)</sup>: إنما يتقبلُ الله من المتقين.

\*\*\*

(٢٨) - ﴿لِنِ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِغَنَلِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ

اللَّهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿لِنِ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِغَنَلِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ

الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: لئن بدأتني بقتل لم أبدأك به، وليس فيه تعرض للدفع<sup>(٢)</sup>.

وقيل: لئن أردت قتلي، لم أدفعك عن نفسي.

الحسن ومجاهد: لأن الانتصار كان يومئذ ممنوعاً<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(٢٩) - ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ

الظَّالِمِينَ﴾.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي:

(١) «فقال»: ليست في (ن).

(٢) في (و): «للمنع».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٢٩) عن مجاهد، وذكره الماوردي في «النكت والعيون»

(٢ / ٢٩) عن الحسن ومجاهد.

ترجع إلى الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(١)</sup>: بعقابِ قتلي، وإثمك الذي خرجت به من المتقين.  
وقيل: أختارُ لك ما<sup>(٢)</sup> اخترته لنفسك.

والإثمُ في الحقيقة: استحقاقُ العقاب، وإثمَ الرَّجُلُ: فعلٌ ما يستحقُّ به<sup>(٣)</sup> العقابَ، وأثمُه اللهُ: عاقبه، وأثمُه؛ بالمدِّ أيضاً، والأثمُ: العقابُ<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(٣٠) - ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾؛ أي: سهَّلتُ.

وقيل: شجَّعتُ.

وقيل: تابعتُه نفسه.

وهو (فَعَّلْتُ) من قول العرب: طاعت للظَّبيَّةِ أصولُ الشَّجرةِ؛ أي: سهَّلَ عليها تناولها.

﴿فَقَتَلَهُ﴾: ابنُ عَبَّاسٍ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهم: فشدخَ رأسَه غيلةً<sup>(٥)</sup>.

مجاهدٌ: علَّمَه إبليسُ<sup>(٦)</sup> كيف يقتله<sup>(٧)</sup>.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: خسِرَ رضا والديه وأخاه ودينه ودُنياه.

(١) «وإثمك» من (و).

(٢) في (و): «مما».

(٣) «به» من (ن).

(٤) انظر: «الصحاح» مادة (أ ث م) (٥ / ١٨٥٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٣٧) عنهما من طريق واحد، وفي هامش (ن): «أي: فجأة».

(٦) في (ن) زيادة: «عليه اللعنة».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٣٨).

(٣١) - ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلِي مَا أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾ ثم إن ابن آدم سُقِطَ في يده، ولم يدر كيف يُورِي أخاه؛ لأنَّه أوَّلُ قَتِيلٍ من بني آدمَ وأوَّلُ مَيِّتٍ.

مجاهدٌ: كان يحمله على عاتقه مئة سنة لا يدري ما يصنعُ به<sup>(١)</sup>.

الضَّحَّاكُ: كان يحملُ أخاه في جرابٍ على رقبته سنة<sup>(٢)</sup>.

فبعث الله الغراب ﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ﴾ ابنُ بحرٍ: كان الغرابُ يُورِي شيئاً من مطعمه، قال: ومن طبعه دفنُ الطَّعامِ والادِّخارُ<sup>(٣)</sup>.

الحسنُ: يُورِي نفسَ المقتولِ؛ يعني: هابيلَ<sup>(٤)</sup>، وإليه ذهبَ الزَّجاجُ<sup>(٥)</sup>.

وقيل: يُورِي غراباً ميتاً<sup>(٦)</sup>.

وقيل: بعث الله غرابين، فقتل أحدهما الآخرَ، فحفَرَ له، ثم حثا عليه<sup>(٧)</sup>.

وقيل: كان ملكاً.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٤٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٤٠) عن الضحَّاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٩) دون نسبة، وعدّه من العجيب.

(٤) لم أفد عليه عن الحسن، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٩) دون نسبة، واستغربه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٦٧).

(٦) هذا قول مجاهد فيما ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٩).

(٧) وهذا مروى عن ابن عباس وابن مسعود ومقاتل ومجاهد وغيرهم. انظر: «تفسير مقاتل»

(١ / ٤٧٠)، و«تفسير الطبري» (١٩ / ٢٠٣)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢ / ٢٩٨).

والقولان الأولان هما الأوليان<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿لِيُرِيَهُ﴾ الفعل للغراب، ويحتملُ أن الضمير يعودُ إلى الله.

ومعنى ﴿يُؤَرِّى سَوَاءَ أَخِيهِ﴾: نفسه.

وقيل: فرجه.

وقيل: مقابحه ومعابيه، وقد كان أرواح، وظهرت منه أشياء تظهرُ من الموتى إذا

آتت عليها الأيام.

فلما رأى قاييلُ ذلك ﴿قَالَ يَتَوَلَّى﴾: هذه كلمة تُستعملُ عند الهلاك، أراد: يا

ويلتي تعالي؛ فهذا أوأناك.

قال: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَرِّى سَوَاءَ أَخِي﴾؛ أي: لم لا أهتدي

إلى دفن أخى كما اهتدى إليه الغرابُ.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حمليه.

وقيل: حين لم يظفر بمراده من أخيه، وتبرأ منه أبواه.

وقيل: مكث آدمُ عليه السلام مئة سنة لا يضحك حتى أتاه الملكُ فقال:

حياك الله وبياك<sup>(٢)</sup>؛ أي: أضحكك، قاله الأصمعي<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) ظاهر صنيع المصنف هنا أن القولين الأولين هما قول ابن بحر والحسن، ولكنه عدَّ في «غرائب

التفسير» (١ / ٣٢٩) قول ابن بحر من العجيب، وقول الحسن من الغريب، فيحتمل أنه أراد القولين

الأولين من الأقوال التي ذكرها آخرًا دون نسبة، وهما قول مجاهد وقول ابن عباس وابن مسعود،

فهما أشهر الأقوال، وقد قدَّم المصنف قول مجاهد في «غرائب التفسير»، والله أعلم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٢٥) عن سالم بن أبي الجعد.

(٣) انظر: «الزاهر» (١ / ٦٤)، و«تهذيب اللغة» مادة (ب ي ا) (١٥ / ٤٢٥).

(٣٢) - ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ﴾.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ قيل: هو متصل بالآية الأولى؛ أي: فأصبح من النادمين<sup>(١)</sup> لأجل حمله.

وقيل: من أجل قتله وعظم فعله، كتبنا على بني إسرائيل.

ومعنى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾: من جنابة ذلك<sup>(٢)</sup>، وقيل: بسبب ذلك.

ابن عيسى: أصل (أجل) الجر، ومنه: أجل العقد؛ لأنه يجز ما وقع العقد عليه<sup>(٣)</sup>.

﴿ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي﴾: فرضنا وأوجبنا.

وقيل: حكمتنا وقضينا.

وخصّ بني إسرائيل بالذكر وإن كان الناس في ذلك سواء؛ لكثرتهم في زمان النبي عليه السلام.

وقيل: لأن التوراة أول كتاب فيه الأحكام، وما تقدّمها من الكتب كانت مواعظاً

(١) في (و): «الخاسرين».

(٢) يُقال: أجل شيئاً يأجله أجلاً: إذا جنّاه. انظر: «العين» مادة (أ ج ل) (٦/١٧٩).

(٣) في (و): «عليه العقد». ولم أقف على قول ابن عيسى، لكن الزمخشري ذكر قريباً منه. انظر:

«الكشاف» للزمخشري (١/٦٢٦).

وَحِكْمًا، أَوْ لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ؛ يَزْعَمُ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ<sup>(١)</sup> فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ<sup>(٢)</sup>.

﴿إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ قَوْدٍ﴾؛ أَي: بِغَيْرِ قَوْدٍ.

﴿نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي﴾ قِيلَ: الشَّرْكَ.

وَقِيلَ: كُلُّ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ يُوجِبُ الْقَتْلَ.

﴿الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ﴾ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَن قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ إِمَامًا عَادِلًا،

فكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا<sup>(٣)</sup>.

ابْنُ زَيْدٍ: فِي الْقَوْدِ؛ أَي: يُقْتَلُ بِهِ، كَمَا لَوْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا<sup>(٤)</sup>.

ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي حَقِّ الْمَقْتُولِ<sup>(٥)</sup>.

الْحَسَنُ: فِي الذَّنْبِ<sup>(٦)</sup>؛ أَي: بَلَغَ النَّهْيَةَ فِيهِ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ طَلْبُ ثَأْرِهِ، فَهَمَّ كُلُّهُمْ خُصُومًا لَهُ<sup>(٧)</sup>.

(١) يعني: قصة ابني آدم، وقد تقدم أن الحسن ذهب أنهما من بني إسرائيل، وقد تقدم استغراب المصنف وابن كثير له، ونقل الطبري الإجماع على خلافه.

(٢) «يزعم أن هذه القصة في بني إسرائيل» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٤٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٥٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٤٩) عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب

رسول الله ﷺ، بلفظ: «﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾»

عند المقتول، يقول في الإثم، «﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾» فاستنقذها من هلكة، «﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ

جَمِيعًا﴾» عند المستنقذ.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٥٧).

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٢٩)، واستغربه.

وقيل: لأنه مخلدٌ في النار، كما لو قتلهم جميعاً.

وقيل: هو من قوله عليه السلام: «مَنْ سَنَّ سُنَّةَ سَيِّئَةٍ»<sup>(١)</sup>.

﴿جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ﴾؛ أي: خلصها من غرقٍ أو حرقٍ أو عفا عن قوَدٍ.

وفيه الوجهُ كُلُّهَا<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ بالشُّركِ والقتلِ والظلمِ.

وقيل: هي<sup>(٤)</sup> عامٌّ في الكفار.

وقيل: في بني إسرائيل.

\*\*\*

(٣٣) - ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ

يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ في سببِ

النزول عن قتادة عن أنسٍ رضي الله عنه: أن رهطاً من عُكْلٍ وعُرَيْنَةَ أتوا رسول الله

(١) في (و): «حسنة».

(٢) رواه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه. وقد جاء في البخاري (٧٣٢١)، ومسلم

(١٦٧٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ليس من نفسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا، إلا

كان على ابنِ آدمِ الأوَّلِ كِفْلٌ منها؛ لأنه أوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ»، وهذا يرجِّح القول الأخير.

(٣) أي: التي سبق بيانها في ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

(٤) أي: الآية السابقة.

عليه السَّلام، فقالوا<sup>(١)</sup>: قد استوخمنا المدينة، فأمر لهم رسول الله عليه السَّلام بِذَوْدٍ أَنْ يَخْرُجُوا فِيهَا، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا<sup>(٢)</sup>، فقتلوا راعي رسول الله عليه السَّلام، واستاقوا الذَّود، فبعث رسول الله عليه السَّلام في آثارهم، فَأُتِيَ بِهِمْ، فَفَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ<sup>(٣)</sup>.

وعن الكلبي: أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَادَعَ هَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ<sup>(٤)</sup> - وَهُوَ أَبُو بَرْدَةَ الْأَسْلَمِيُّ - عَلَى أَنْ لَا يُعِينَهُ وَلَا يُعِينَ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَتَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَتَى الْمُسْلِمِينَ<sup>(٥)</sup> مِنْهُمْ فَهُوَ آمِنٌ، فَمَرَّ أَنَسٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ يَرِيدُونَ الْإِسْلَامَ بِأَنَاسٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَفَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ<sup>(٦)</sup> الْآيَةُ<sup>(٧)</sup>.

(١) «فقالوا» من (ن).

(٢) في (ن) زيادة: «وهو حلال عند محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله، ويستدل بهذا، وذلك فيما يؤكل لحمه، وذلك غير جائز عند الشافعي رحمه الله إلا عند الضرورة».

(٣) رواه أبو داود (٤٣٦٦)، والنسائي (٤٠٢٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٩٥)، ورواه البخاري (٤١٩٢)، ومسلم (١٦٧١) دون ذكر أنه سبب النزول. ومعنى استوخموا المدينة: لم توافق مزاجهم، والذود من الإبل: من الثلاثة إلى العشرة، وسمل العين: فقؤها بحديدة محمأة، والحرّة هاهنا: أرض بظاهر المدينة. انظر: «جامع الأصول» (٣/ ٤٨٦).

(٤) كذا في النسختين الخطيتين، وهو خطأ، والصواب: هلال بن عويمر، كما في مصادر التخریح، وكما ذكر المصنّف سابقاً عن عكرمة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَى قَوْمٍ يَنْتَهُمْ وَيَنْتَهُمْ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ﴾.

(٥) «المسلمين» من (و).

(٦) «فيهم هذه» من (ن).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١ / ٢٩٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٥٤١)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١ / ٣٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق أبي صالح، فهو عن الكلبي أيضاً.

ومعنى: ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ أي: أوليائه، وهم المؤمنون، وأصل الحرب: السلب،  
والمحارب يسلب الرُّوحَ والمال<sup>(١)</sup>.

وقيل: معناه: يُعادون الله ورسوله.

وقيل: يُخالفون.

مجاهدٌ: المحاربة هاهنا: الزنى والقتل والسَّرقة<sup>(٢)</sup>.

والجمهورُ على أنه المجاهرُ بقطع الطريق، وكذلك المكابرُ باللُّصوِصِيَّةِ في  
المِصْرِ وغيرها<sup>(٣)</sup>.

﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُكَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا  
مِنَ الْأَرْضِ﴾؛ فالقتلُ لمن قُتِلَ، وأفادَ التَّشْدِيدُ الواحدَ بعدَ الواحدِ<sup>(٤)</sup>.

والصَّلْبُ لمن قُتِلَ وأخذَ المالَ، وهو: أن يُشَدَّ مُستويًا على خشبةٍ مرفوعةٍ.

والقطعُ لمن أخذَ المالَ ولم يقتل، وهو: أن تُقَطَّعَ يدهُ اليمنى ورجله اليسرى.

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس مادة (ح ر ب) (٢ / ٤٨).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ٣٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٣٧٢ و ٣٩٢).

بلفظ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بالزنى والسَّرقة وقتل النفس وإهلاك الحرث والنسل، وقد ذكره الطبري عند بيان المحاربة، لكن الظاهر أن مجاهدًا يفسر به الإفساد في الأرض، لا المحاربة، لذلك أتبعه الطبري برواية توضَّح ذلك.

(٣) وهذا قول الشافعي، ومالك، والأوزاعي، وأصحاب الرأي، وذهب أبو حنيفة وعطاء الخراساني إلى أن المكابر في المِصْرِ باللُّصوِصِيَّةِ لا يسمى محاربًا، كما في «الإشراف» لابن المنذر (٧ / ٢٣٦)، و«النكت والعيون» (٢ / ٣٣).

(٤) أي: أفاد التكرار والتلاحق، وهو ما يُعرف بالترج، وذكر أبو حيان أنه أفاد التكثير بالنسبة للذين يُوقع بهم الفعل، وما ذكره المصنف أولى، والله أعلم. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤ / ٢٤١).

وَالنَّفْسِي لِمَنْ أَحَافَ الطَّرِيقَ فَحَسَبَ، وَهُوَ إِخْرَاجُهُ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ.

وقيل: إلى بلدٍ غير بلده.

وقيل: يُحْبَسُ فِي السَّجْنِ<sup>(١)</sup>.

وقيل: يُهْدَرُ دَمُهُ، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: لَا قَوْدَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: الإِمَامُ بِالْخِيَارِ أَيُّهَا شَاءَ فَعَلَّ<sup>(٣)</sup>.

﴿ذَلِكَ لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا﴾: فُضِيحَةٌ وَهُوَ أَنْ، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

\*\*\*

(٣٤) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾  
فَالْتَائِبُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّرِكِ فَتَوْبَتُهُ الْإِسْلَامُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَدٌّ فِي الدُّنْيَا وَلَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يَسْقُطُ مِنَ الْحَدِّ مَا كَانَ لِلَّهِ، وَمَا كَانَ حَقَّ الْآدَمِيِّ كَالْقَوْدِ، فَهُوَ إِلَى الْوَلِيِّ؛ إِنْ شَاءَ اقْتَصَّ وَإِنْ شَاءَ عَفَا، وَإِنْ تَابَ بَعْدَ الظَّفَرِ لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، وَلَا يَسْقُطُ حَدُّهُ، وَلَا يَصِحُّ عَفْوُهُ.

\*\*\*

(١) وهو اختيار ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» له (ص: ٢٢٩).

(٢) وهو قول الفراء. انظر: «معاني القرآن» له (١/ ٣٠٦).

(٣) روى ذلك القاسم بن سلام في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٤٢) عن مجاهد وعطاء وإبراهيم

والحسن والضحاك، وانظر: «التصاريح» ليحيى بن سلام (ص: ٢٥٩).

(٣٥) - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: القُرْبَةَ.

أبو عبيدة: ﴿الْوَسِيلَةَ﴾: الحاجة<sup>(١)</sup>.

الدمياطي: ﴿الْوَسِيلَةَ﴾: أفضل درجات الجنة<sup>(٢)</sup>.

والمعنى: توسلوا بتقواه وطاعته إلى ثوابه<sup>(٣)</sup>.

﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾: بمحاربة الكفار.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكي تفلحوا، وتبقوا في الجنة.

\*\*\*

(٣٦) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَتْ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا

بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نَقِيلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَتْ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يعني: صنوف الأموال.

﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾: أي: مثلها معها.

﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ فيه إضمار؛ أي: وأنفقوها ليفتدوا به ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(١) ذكر أبو عبيدة هذا المعنى بعد ذكره القربة. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٦٤ - ١٦٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٥٩) عن عطاء، ويشهد له ما رواه مسلم (٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ؛ فإنه من صلّى عليّ صلاةً صلّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة، حلّت له الشفاعة».

(٣) في (و): «سواه».

مَا نَقِيبَلْ مِنْهُمْ ﴿١﴾: لَا يُثَابُونَ بِهِ بِالتَّخْلِيسِ مِنَ النَّارِ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.  
 وَخَبِيرٌ ﴿إِنَّ﴾: ﴿لَوْ﴾، وَجَوَابُهُ وَجَوَابُ ﴿لَوْ﴾: ﴿مَا﴾<sup>(١)</sup>، وَجَازَ مَعَ (لَوْ)  
 (أَنَّ)<sup>(٢)</sup> بِخِلَافِ (إِنَّ)؛ لِأَنَّ (لَوْ) لَا تُخْرِجُهَا عَنِ الْمَصْدَرِ كَمَا يُخْرِجُهَا<sup>(٣)</sup> الْقَسْمُ<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(٣٧) - ﴿رِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.  
 ﴿رِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ قِيلَ: مَعْنَى ﴿رِيدُونَ﴾:  
 يَرِجُونَ، وَقِيلَ: يَتَمَنُّونَ، وَقِيلَ: يَكَادُونَ، وَقِيلَ: يَسْأَلُونَ.  
 ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾: دَائِمٌ<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) إِنْ دَلَّتْ (لَوْ أَنَّ) عَلَى الْيَمِينِ، لَمْ يَكُنْ لـ (لَوْ) جَوَابٌ، وَذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾، فَإِنْ لَمْ تَدَلَّ عَلَى الْيَمِينِ، كَانَ لـ (لَوْ) جَوَابٌ، وَلَمْ تَدَلَّ هُنَا عَلَى يَمِينٍ، فَلَهَا جَوَابٌ، وَهُوَ: مَا تَقْبَلُ مِنْهُمْ، وَجَوَابُ (أَنَّ): مَا فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ هَذَا تَعَلَّمَ مَا فِي عِبَارَةِ الْمَصْنُفِ مِنْ اخْتِزَالِ. انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ١٦٧)، و«الجنى الداني» (ص: ٢٧٩ - ٢٨٠).

(٢) سَقَطَتْ «لَوْ» مِنْ (نَ)، وَ«أَنَّ» مِنْ (وَ).

(٣) فِي (وَ): «لَا يُخْرِجُهَا».

(٤) فَلِذَلِكَ يَجِبُ فَتْحُ هَمْزَةِ (إِنَّ) بَعْدَ (لَوْ)، وَكَسْرُهَا بَعْدَ الْقَسْمِ، وَالْمَصْدَرُ الْمُؤَوَّلُ مِنْ (أَنَّ) وَمَا بَعْدَهَا مَرْفُوعٌ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ عِنْدَ سَبِيئِيهِ، وَعَلَى الْفَاعِلِيَّةِ عِنْدَ الْمَبْرَدِ وَالزَّجَاجِ وَالْكَوْفِيِّينَ. انظر: «الكتاب» لسَبِيئِيهِ (٣/ ١١)، وَ«مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلزَّجَاجِ (٤/ ٢٠٠)، وَ«شَرْحُ الْكِتَابِ» لِلسَّيرَافِيِّ (٣/ ٣٤٠)، وَ«الْبِرْهَانُ» لِلْمَصْنُفِ (ص: ١٥٢)، وَ«شَرْحُ الرُّضِيِّ عَلَى الْكَافِيَةِ» (٤/ ٤٥٢)، وَ«الْبَحْرُ الْمُحِيطُ» لِأَبِي حَيَّانٍ (٤/ ٢٤٢ - ٢٤٣)، وَ«الْجَنَى الدَّانِي» (ص: ٢٧٩ - ٢٨٠).

(٥) «دَائِمٌ» مِنْ (نَ).

(٣٨) - ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ السَّارِقُ: الذي يأخذُ مَالَ غَيْرِهِ بِغَيْرِ

إِذْنِهِ غَيْرٌ مُسْتَحَقٌّ لَهُ مِنْ حِرْزِهِ.

واختلفوا في مقدارِهِ<sup>(١)</sup>؛ فعليُّ رضي الله عنه بخلافِ وابنُ عباسٍ وابنُ مسعودٍ

رضي الله عنهم ذهبوا إلى أن لا قطعَ في أقلِّ من عشرةِ دراهمٍ<sup>(٢)</sup>.

مالكٌ رحمه الله: ثلاثةُ دراهمٍ؛ قيمةُ المِجَنِّ<sup>(٣)</sup>.

الأوزاعيُّ: ربعُ دينارٍ<sup>(٤)</sup>.

عليٌّ وعمرٌ رضي الله عنهما: لا تُقَطَّعَ الحَمْسُ إلَّا في خمسةٍ<sup>(٥)</sup>؛ أي: خمسة

دراهمٍ<sup>(٦)</sup>.

(١) على نحو من عشرين مذهباً فيما ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٢ / ١٠٦).

(٢) ذكره الشافعي في «الأم» (٧ / ١٥٩) عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما، وقال: «ولا أعلمه

ثابتاً عن واحد منهما»، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٩٥٢) عن علي رضي الله عنه، ورواه

عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٩٥٠) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨١٠٦) عن ابن مسعود

رضي الله عنه، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨١٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «الموطأ» (٥ / ٨٣١)، و«المدونة» (٤ / ٥٣٦)، و«الأم» (٦ / ١٤٠)، و«تفسير الطبري»

(٨ / ٤٠٨)، والمعروف عن مالك: إن كان المسروق ذهباً فنصابه ربع دينار، وإلا فإن بلغت قيمته

ثلاثة دراهم قطع به وإن لم تبلغ لم يقطع. انظر: «فتح الباري» (١٢ / ١٠٦)، و«التبصرة» للرخمي

(١٣ / ٦٠٥٩)، و«الثمر الداني» (ص: ٦٠٠).

(٤) انظر: «اختلاف العلماء» للمروزي (ص: ٤٩٣)، و«تفسير الطبري» (٨ / ٤٠٨)، و«فتح الباري»

(١٢ / ١٠٧). وبه قال الشافعي أيضاً. انظر: «الأم» (٧ / ١٥٩).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٠٩٩)، وذكره ابن المنذر في «الإشراف» (٧ / ١٨٨) عن عمر

رضي الله عنه.

(٦) «أي خمسة دراهم» من (ن).

الحسن: يُقَطَّعُ فِي دَرَهْمٍ<sup>(١)</sup>.

والقطع من الرُّسْعِ، وهو مفصلُ الكفِّ والسَّاعدِ.

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَطَعَ أَطْرَافَ الْأَصَابِعِ<sup>(٢)</sup>، وَالخَوَارِجُ تَقَطَّعَ مِنَ الْمَنْكَبِ أَخْذًا بِلَفْظِ الْيَدِ<sup>(٣)</sup>.

وَالْمَرَادُ بِالْيَدِ هَاهُنَا: الْيَمِينُ، بِدَلِيلِ قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ تَقَطَّعَ إِيْمَانَهُمْ)<sup>(٤)</sup>.

وَبِدَلِيلِ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّ أَعْضَاءَ الْوَتْرِ<sup>(٥)</sup> إِذَا نُسِبَتْ إِلَى اثْنَيْنِ جُمِعَتْ فِي مَوْضِعِ التَّنْبِيَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿صَعَتَ قُلُوبُكُمْ﴾ [التَّحْرِيمُ: ٤]؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي التَّنْبِيَةِ

(١) ذَكَرَهُ الْجِصَّاصُ فِي «أَحْكَامِ الْقُرْآنِ» (٥٢٠ / ٢)، وَالزَّمْخَشَرِيُّ فِي «الْكَشَافِ» (٦٣٢ / ١)، وَذَكَرَهُ السَّمْرَقَنْدِيُّ فِي «بَحْرِ الْعُلُومِ» (٤٣٣ / ١) وَالوَاحِدِيُّ فِي «الْبَسِيطِ» (٣٧٢ / ٧) عَنْ ابْنِ الزَّيْبِرِ، وَذَكَرَهُ ابْنُ حَجْرٍ فِي «فَتْحِ الْبَارِيِّ» (١٠٦ / ١٢) عَنْ عَثْمَانَ الْبَتِيِّ وَرَبِيعَةَ، وَذَكَرَ ابْنَ الْمُنْذَرِيَّ فِي «الإِشْرَافِ» (١٨٩ / ٧) عَنِ الْحَسَنِ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ: دَرَهْمِينَ، وَكُلِّ مَا لَه قِيمَةٌ، وَخَمْسَةَ دَرَاهِمٍ.

(٢) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مِصْنَفِهِ» (١٨٧٦٠)، وَرَوَى عَنْهُ غَيْرُهُ، وَقَالَ الْمَاورِدِيُّ فِي «الْحَاوِي الْكَبِيرِ» (٣١٩ / ١٣): «هِيَ رِوَايَةٌ شَاذَةٌ»، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْمِصْنَفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٣٣٠ / ١)، وَاسْتَعْرَبَهُ.

(٣) انظُرْ: «الْحَاوِي الْكَبِيرِ» (٣١٩ / ١٣)، وَ«الْمَحَلِّيَّ» (٣٥٤ / ١٢)، وَذَكَرَهُ الْمِصْنَفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٣٣٠ / ١)، وَعَدَّهُ مِنَ الْعَجَائِبِ.

(٤) وَهِيَ قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ. انظُرْ: «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلْفَرَّاءِ (٣٠٦ / ١)، وَ«تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ» (٤٠٧ / ٨)، وَ«تَفْسِيرِ الثَّعْلَبِيِّ» (٣٠٩ / ١١). وَقَالَ الْمَاورِدِيُّ فِي «الْحَاوِي الْكَبِيرِ» (٣١٩ / ١٣): «وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ وَإِنْ شَدَّتْ فِيهَا جَارِيَةٌ مَجْرَى خَيْرِ الْوَاحِدِ فِي وَجُوبِ الْعَمَلِ بِهَا».

(٥) أَيُّ: الْأَعْضَاءُ الَّتِي فِي الْإِنْسَانِ مِنْهَا عَضْوٌ وَاحِدٌ؛ كَالْقَلْبِ وَالرَّأْسِ وَالْأَنْفِ، وَهَذِهِ تُجْمَعُ عِنْدَ التَّنْبِيَةِ.

(٦) فَلَمَّا جُمِعَتْ (الْيَدُ) عِنْدَ التَّنْبِيَةِ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرُدَّ بِهَا الْيَدُ؛ لِأَنَّهَا لَوْ أُرِيدَتْ لَقِيلَ: يَدَيْهِمَا، وَإِنَّمَا الْمَرَادُ بِهَا عَضْوٌ لَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْهُ إِلَّا وَاحِدًا، وَهُوَ الْيَدُ الْيَمِينُ.

الجمعُ حيث لا تلتبسُ، وأُفردَ لها صيغةٌ<sup>(١)</sup> حيث التبتت<sup>(٢)</sup>.  
وارتفعَ (السَّارِقُ والسَّارِقَةُ) بالابتداء، والخبرُ محذوفٌ<sup>(٣)</sup>؛ أي: في القرآنِ  
السَّارِقُ والسَّارِقَةُ؛ أي: حُكُمَهُمَا، ثم عطفَ جملةً على جملةٍ فقال: ﴿فَأَقْطَعُوا﴾،  
وكذلك ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ [النور: ٢]، وكذلك ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ  
فَاقْدُواهُمَا﴾ [النساء: ١٦].

وقدَّمَ السَّارِقَ وأَخَّرَ الزَّانِي؛ لأنَّ الشَّرْقَ من الرِّجَالِ أكثرُ، ولأنَّ ظُهْرَ أُنْثَى  
الزَّانِي فِيهِنَّ من زَوَالِ الْبِكَارَةِ وَالْحَبْلِ<sup>(٥)</sup>.  
وقُطِعَت<sup>(٦)</sup> اليَدُ؛ لِأَنَّهَا آلَةُ السَّرْقَةِ، وَلَمْ تُقَطَّعْ آلَةُ الزَّانِي؛ لِاسْتِوَاءِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ  
فِي الْيَدِ دُونَ آلَةِ الزَّانِي<sup>(٧)</sup>.

﴿جَزَاءُ يَمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ هما منصوبانِ على المصدرِ، ودلَّ على فعلِهِمَا  
الْقَطْعُ<sup>(٨)</sup>، أو على الغرضِ<sup>(٩)</sup>.

- (١) في (و): «صغت».
- (٢) انظر: «معاني القرآن» للفرّاء (١/ ٣٠٦)، وللأخفش (١/ ٢٤٨)، و«الأصول» لابن السراج (٣/ ٣٤).
- (٣) انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ١٤٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٧).
- (٤) في (و): «ظهر».
- (٥) ذكر نحوه السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٤٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣١).
- (٦) في (و): «وقطع».
- (٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣١).
- (٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٧).
- (٩) كذا في النسختين الخطيتين، ولعلَّ المراد به: المفعول لأجله. انظر: «الإيضاح العضدي» لأبي علي =

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

\*\*\*

(٣٩) - ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿فَمَنْ تَابَ﴾؛ أي: إلى الله<sup>(١)</sup> ﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾؛ أي: سرقة، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ برده المسروق، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾: يقبل توبته، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

\*\*\*

(٤٠) - ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ

يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خطابٌ للنبي عليه السلام،

والمراد به غيره.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ قدّم العذاب على المغفرة بخلاف سائر الآيات؛ لأنّ

العذاب هاهنا: القطع، وهو في الدنيا<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ في القيامة، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

\*\*\*

= (ص: ١٩٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٧)، و«اللباب في علل البناء والإعراب» للعكبري (٢٧٧/١).

(١) «أي: إلى الله» من (ن).

(٢) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٨٧)، و«بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي (١/ ١٥٥).

(٤١) - ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ لَّا آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ في سبب النزول: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مرَّ على النَّبِيِّ عليه السَّلَامُ بيهوديٍّ مُحَمَّمٍ مجلودٍ<sup>(١)</sup>، فدعاهم فقال: «هكذا تجدون حدَّ الزَّنى في كتابكم؟» قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم - هو عبد الله بن صوريا - فقال: «أنشدك الله الذي أنزل التَّوراةَ على موسى، هكذا تجدون حدَّ الزَّنى في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنَّك نشدتني لم أخبرك<sup>(٢)</sup>، نجد حدَّ الزَّنى في كتابنا الرَّجم، ولكنه كثير في أشرفنا، فكنا إذا أخذنا الشَّريفَ تركناه، وإذا أخذنا الوضيعَ أقمنا عليه الحدَّ، فقلنا: تعالوا نجتمع على شيءٍ نُقيمُه على الشَّريفِ والوضيعِ، فاجتمعنا على التَّحميمِ والجلدِ مكانَ الرَّجمِ، فقال النَّبِيُّ عليه السَّلَامُ: «اللَّهِمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»، فأمر به فرُجمَ، فأنزل اللهُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي: يكثرون أعمالَ الكُفْرِ؛ أي: لا يحزنك صنيعُهم، والمعنى: لا تحزن عليهم.

﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: المنافقين.

(١) في (و): «بيهودي مجلوداً».

(٢) في (ن): «أخبرك به».

(٣) رواه مسلم (١٧٠٠)، والإمام أحمد (١٨٥٢٥)، وأبو داود (٤٤٤٨).

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: انتسبوا إلى اليهودية؛ يعني: اليهود<sup>(١)</sup>.

و﴿مِنَ﴾ للتبيين، و﴿سَمَّعُونَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم سماعون. وقيل: (من)<sup>(٢)</sup> الأوّل للتبيين، والثاني للتبعض، وهو خبرُ المبتدأ، والمبتدأُ ﴿سَمَّعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومعنى ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: يُجَالِسُونَكَ لِيَسْمَعُوا كَلَامَكَ وَيَرُدُّوهُ مَكْذُوبًا فِيهِ عَلَى الْأَخْبَارِ. ومعنى اللام: من أجل<sup>(٤)</sup>.

﴿سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾؛ أي: هم عيونٌ للغيبِ.

وقيل: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾؛ أي: يسمعون الكذب من أخبارهم في أمور دينهم، وهم علماء خبير، لم يأتوا رسول الله، وحرفوا معاني التوراة، وقالوا لليهود يثرب: اقبلوا ما وافق هذا مما يدعوكم إليه محمد، وما خالفه فاتركوه. واللامُ زيادة<sup>(٥)</sup>.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: يغيرون ألفاظه.

(١) «يعني اليهود» من (و).

(٢) «من» من (ن).

(٣) ذكر الوجهين النحاس في «إعراب القرآن» (١/٢٦٨)، والعكبري في «التبيان في إعراب القرآن» (١/٤٣٦)، وذكر مكي في «إعراب مشكل القرآن» (١/٢٢٥) الأول، ولكنه اختار أن تكون (سماعون) صفة لمبتدأ محذوف تقديره: فريق.

(٤) والمفعول محذوف على هذا، والتقدير: سماعون الأخبار للكذب. انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/٤٣٧).

(٥) أي: سماعون الكذب، وزيادة اللام هنا مطردة لكون العامل فرعاً فقوي باللام، ومثله: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٤/٢٦٧).

وقيل: يفسرون على غير المراد بها.

ومعنى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: بعد أن وضعها الله مواضعها التي أوجبتها إرادته وحكمته.

وهو ما حرّفوه من نعت محمد عليه السلام.

وهذه <sup>(١)</sup> صفة لـ(قوم)<sup>(٢)</sup>.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾: هو قول اليهود؛

أي: ائثوا محمداً<sup>(٣)</sup>، فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوا به، وإن أفتاكم بالرجم<sup>(٤)</sup> فاحذروا؛ أي: قبول قوله.

﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: ضلاله، وقيل: عذابه، وقيل: فضيحته.

﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾؛ أي: دفع عذابه، وقيل: هداية ضلاله.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر والشرك.

وقيل: لم يرد أن يوسعها فيزيل ضيقها عقوبة لهم.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: هوان بالجزية وزبي اليهودية.

﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: دائم، وهو النار.

(١) أي: جملة (يحرّفون) في محل جر صفة لـ(قوم)، والوجه الذي ذكره المصنّف هو أعلى وجوه إعرابها في رأينا، وفي إعرابها وجوه أخرى، منها: أنها استثنائية لا محلّ لها، أو خبرية في محل رفع، والتقدير: هم يحرفون، أو صفة لـ(سماعون) في محل رفع، أو حال من الضمير المستتر في (سماعون) في محل نصب. انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/٤٣٧).

(٢) في (ن) زيادة: «آخرين».

(٣) في (و): «آمنوا بمحمد».

(٤) «بالرجم» من (ن).

(٤٢) - ﴿سَتَعْرُوبَ الْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضَ عَنْهُمْ فَكَانَ يُضْرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

﴿سَتَعْرُوبَ الْكَذِبِ﴾ كَرَّرَ تَأْكِيدًا.

﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ عن النبي عليه السلام: أَنَّهُ الرَّشْوَةُ فِي الْحُكْمِ<sup>(١)</sup>، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ<sup>(٢)</sup>.

(١) ورد هذا مرفوعاً فيما رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٤٣٤) عن عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ لَحْمٍ أَنْبَتَهُ السُّحْتُ فَالْتَأَرْ أَوْلَى بِهِ» قيل: يا رسول الله، وما السحت؟ قال: «الرَّشْوَةُ فِي الْحُكْمِ». وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣ / ٨١) إلى عبد بن حميد وابن مردويه، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٤ / ٤٥٤): «رجالہ ثقات، ولكنه مرسل»، وانظر: «النكت والعيون» (٢ / ٤٠).

(٢) وقد ورد موقوفاً في روايات كثيرة منها:

ما رواه مالك في «الموطأ» (٣ / ٧٠٣) عن سليمان بن يسار أن رسول الله ﷺ كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر فيخرس بينه وبين يهود خيبر، قال: فجمعوا له حلياً من حلي نساءهم، فقالوا له: هذا لك، وحفّف عتاً، وتجاوز في القسم، فقال عبد الله بن رواحة: «يا معشر اليهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة، فإنها سحت، وإننا لا نأكلها»، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.

وما رواه النسائي (٥٦٦٥) عن مسروق قال: «القاضي إذا أكل الهدية فقد أكل السحت، وإذا قبل الرشوة بلغت به الكفر».

وما رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١٩٥٦) عن عمر رضي الله عنه قال: «بابان من السحت يأكلهما الناس: الرشاء، ومهر الزانية».

ومنها ما رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٤٢٨ - ٤٣٤) عن ابن مسعود، وابن عباس، وأنس، والحسن، وقتادة، ومجاهد، وإبراهيم، والضحاك، والسدي، وابن زيد.

وعن علي رضي الله عنه: هو الرِّشوةُ في الحُكْمِ وِثْمُنُ الكَلْبِ وِثْمُنُ الخَمْرِ<sup>(١)</sup>  
وِثْمُنُ المِيتَةِ وِثْمُنُ الكَاهِنِ ومَهْرُ البَغِيِّ وَعَسْبُ الفِجْلِ وَكَسْبُ الحِجَامِ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: السُّحْتُ: الرِّبَا.

أبو عبيدة: كَسْبٌ ما لا يَحِلُّ<sup>(٣)</sup>.

وقيل: السُّحْتُ: الحِرامُ.

ومعنى (أَكَلِهِمُ السُّحْتَ) كَمَعْنَى<sup>(٤)</sup>: ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]<sup>(٥)</sup>،  
وأصله من (سَحَتَهُ وَأَسْحَتَهُ)؛ إِذَا أَهْلَكَهُ وَاسْتَأْصَلَهُ، قال: ﴿فَيَسْحَتُكُمْ بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١].  
﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فذهب بعضهم إلى أَنَّهُ منسوخٌ بقوله:  
﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨]، وليس لحاكم<sup>(٦)</sup> من حكام المسلمين  
أَنْ<sup>(٧)</sup> يُعْرِضَ عَنِ الحُكْمِ بَيْنَهُمْ<sup>(٨)</sup>.

(١) في (و): «وِثْمُنُ الخنزير».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٣٣ / ٨)، وروى نحوه (٤٣١ / ٨) عن أبي هريرة، وذكر الثعلبي  
في «تفسيره» (٣٤٤ / ١١) نحوه عن عمر، وعلي، وابن عباس، وقد ورد بعض ذلك عن النبي ﷺ  
فيما رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٤٦٦٧) عن السائب بن يزيد قال: قال رسول الله ﷺ: «من  
السُّحْتِ ثَمْنُ الكَلْبِ، ومَهْرُ البَغِيِّ، وكَسْبُ الحِجَامِ».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١ / ١٦٦).

(٤) في (ن) زيادة: «قوله».

(٥) يريد: الأكل وغيره من أنواع الإنفاق، ولكنه سَمَّاهُ بأعظم مقاصده، والنصُّ يُشعرُ بأنَّ الجائع لا  
ينبغي له أن يأكل السحت، فكيف ينبغي لغيره أن يتملكه أو ينفقه؟!.

(٦) في (و): «الحاكم».

(٧) في (و): «أي».

(٨) وهذا مروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز، وهو قول أبي حنيفة =

وقيل: الآيةُ مثبتةٌ، والتَّخْيِيرُ باقٍ<sup>(١)</sup>.

وقيل: التَّخْيِيرُ<sup>(٢)</sup> في حقوقِ اللهِ دونَ حقوقِ المؤمنين.

ومعنى: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾؛ أي: إن حكمت.

﴿وَإِنْ تَعَرَّضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ لأنَّ اللهَ يعصمُك من النَّاسِ.

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾: بالعدلِ وما أمرك اللهُ به، وهو رجمُ

المحصنين دونَ الجلدِ والتَّحْمِيمِ<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

\*\*\*

(٤٣) - ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ

ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْتَكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾؛ أي: هم يعلمون ما عليهم

ولا يجهلونَه؛ لأنَّه في التَّوراة، ولكنَّهم يحكِّمونك رجاءً أن تحكِّمَ بينهم بما يهَوونَ

من الجلدِ، فلمَّا حكمت بالرجمِ<sup>(٤)</sup> أعرَضُوا عن قبوله إعراضهم عن التَّوراة.

= وأصحابه، ونسب للشافعي. انظر: «الناسخ والمنسوخ» للقاسم بن سلام (ص: ١٣٤ - ١٣٦)، وللنحاس (ص: ٣٩٧ - ٣٩٨).

(١) ذهب إلى هذا الإمام مالك والشافعي والحسن والشعبي وأبو ميسرة والنخعي وعطاء. انظر: «الأم» للشافعي (٤/ ٢٢٢) و(٦/ ١٥٠)، و«الناسخ والمنسوخ» للقاسم بن سلام (ص: ١٣٧)، وللنحاس (ص: ٣٩٦).

(٢) «باق وقيل التخيير» من (ن).

(٣) في (و): «دون الرجم والجلد».

(٤) في (و): «بالجلد».

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ عن ابن كثير: أن (ذلك) إشارة إلى حُكْمِ اللَّهِ تعالى<sup>(١)</sup>.

وقيل: إشارة إلى التحكيم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بك ولا بما في أيديهم من التَّوْرَةِ.

\*\*\*

(٤٤) - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ بيان وبصيرة.

الزَّجَّاجُ: أي: بيان أن أمرَ مُحَمَّدٍ عليه السَّلَامُ حقٌّ، وبيان للحُكْمِ الذي يَسْتَفْتُونَ فيه النَّبِيَّ عليه السَّلَامُ<sup>(٣)</sup>.

﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ عامٌّ، وقيل: المرادُ بهم مُحَمَّدٌ عليه السَّلَامُ<sup>(٤)</sup>.

﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ وصفٌ للأنبياءِ بالإسلام؛ لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلِيسُوا﴾ [آل عمران: ١٩].

(١) لعل المراد ما روى الطبري في «تفسيره» (٨ / ٤٤٨) عن عبد الله بن كثير قال: «﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ قال: توليهم ما تركوا من كتاب الله».

(٢) ذكر القولين بلا نسبة الماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ٤١)، والواحد في «البيسط» (٧ / ٣٨٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٧٨).

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢ / ٤١).

وقيل: ﴿أَسْلَمُوا﴾: استسلموا.

وقيل: وصفٌ للنبيِّ عليه السَّلام<sup>(١)</sup>.

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ في اللّامِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه متعلِّقٌ بالحُكم.

والثاني: بالإِنْزالِ.

والثالث: فيه تقدِيمٌ وتأخيرٌ؛ أي: هدى ونورٌ للذين هادوا<sup>(٢)</sup>.

وقيل: بين الذين هادوا؛ أي: يحكمُ بين اليهودِ إذا احتكموا إليه.

وقيل: ﴿هَادُوا﴾: تابوا من الكُفْرِ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَالرَّبَّانِيُونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿التَّيْتُونَ﴾.

وسبقَ بيانُ (الرَّبَّانِيِّينَ).

و﴿الْأَحْبَارُ﴾: جمعُ حَبْرٍ وحَبْرٍ وحَابِرٍ، وهو من (حَبَّرْتَهُ)؛ أي: زَيَّنْتَهُ.

وقيل: الرَّبَّانِيُّ: العالمُ بما في الإنجيل، والأحبارُ: بما في التَّوراة.

﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾؛ أي: بسببِ ما أمرهم اللهُ بحفظِ كتابه ووفَّقهم

لعلمه واستنباطِ معانيه.

الزَّجَّاجُ: استودِعُوا<sup>(٤)</sup>؛ فالباءُ للسَّببِ، والسَّيْنُ للطلبِ.

(١) وهذا مبنيٌّ على أن المراد بالتَّيْتِينَ نبيِّنا محمَّدٌ ﷺ.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٧٨)، وفيه: استوعوا، وانظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة

(١٦٧ / ١).

(٣) ذكره الواحدي في «البيسط» (٧ / ٣٨٦) عن ابن عباس.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٧٨).

والباءُ تتعلَّقُ بالحُكْمِ؛ أي: يحكُمُ بما استحفَظوا.  
وقيل: تتعلَّقُ بالمعنى؛ أي: علماء بما استحفَظوا<sup>(١)</sup>.  
﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾؛ أي: على التَّوراةِ أَنَّهَا كِتَابُ اللَّهِ.  
ابنُ عَبَّاسٍ: يشهدونَ على حُكْمِ النَّبِيِّ بما في التَّوراةِ<sup>(٢)</sup>.  
﴿فَلَا تَخْشَوْا الْتَكَاثُرَ﴾: فتحكّموا بغيرِ حُكْمِ اللَّهِ.  
﴿وَأَخْشَوْنَ﴾ في مخالفةِ أمري.  
﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ أي: لا تأخذوا المَالَ وتحكّموا بخلافِ  
الحقِّ.  
والثَّمَنُ القليلُ: جميعُ الدُّنيا.

\*\*\*

(٤٥) - ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ  
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ  
لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.  
﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.  
﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: قضينا على اليهودِ وفرضنا.  
﴿فِيهَا﴾: في التَّوراةِ.

(١) وعده الطبري من صلة الأخبار. انظر: «تفسير الطبري» (٨ / ٤٥٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١١٤١)، ولفظ الطبري:  
«﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ يعني الربانيين والأخبار هم الشهداء لمحمد ﷺ بما قال أنه حق جاء من  
عند الله، فهو نبي الله محمد، أتته اليهود فقاضى بينهم بالحق».

﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾؛ أي: أن النفس تُقتل إذا قتلت نفساً بغير حق،  
و﴿بِالنَّفْسِ﴾ خبر ﴿أَنَّ﴾.

﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ﴾ كلُّها  
معطوفٌ على اسم ﴿أَنَّ﴾، والجارُّ والمجرورُ خبره.

ومن رفع<sup>(١)</sup> فعلى الاستثناف، أو العطف<sup>(٢)</sup> على المضمَرِ في الخبر، أو الحملِ  
على الحكاية؛ لأنَّ ﴿كُتِبْنَا﴾ بمعنى: قلنا<sup>(٣)</sup>.

﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ يريدُ: فيما<sup>(٤)</sup> أمكن ممَّا لم يُذكر كالشِّفَةِ والقدمِ وغيرهما.  
﴿فَمَنْ نَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: بحقه؛ يريدُ: وليَّ المقتولِ أو المجرورِ، ولم  
يطالب بالقصاصِ ﴿فَهُوَ﴾؛ أي: تصدُّقه ﴿كَفَّارَةٌ لَهُ﴾: للمتصدِّقِ.

ابن عباسٍ في جماعةٍ: يعودُ إلى الجاني<sup>(٥)</sup>.

ابن الأنباريِّ: يعودُ إلى المقتولِ؛ أي: إذا عفا وليُّه زاد الله في ثوابِ المقتولِ<sup>(٦)</sup>.

(١) قرأ المعطوفات كلها بالنصب عاصم ونافع وحمزة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿أَنَّ  
النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ﴾ ينصبون ذلك  
ويرفعون (والجروحُ)، وقرأ الكسائي: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ نصباً ورفع ما بعد ذلك كله. انظر:  
«السبعة» (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» (ص: ٩٩).

(٢) في (و): «والعطف».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي (٢٢٣/٣).

(٤) في (و): «فما».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٩٩٢)، والطبري في «تفسيره» (٨ / ٤٧٥ - ٤٧٧)، وابن أبي  
حاتم في «تفسيره» (٤ / ١١٤٥).

(٦) لم أقف على كلام ابن الأنباري، وقد روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٤٧٢ و ٤٧٥) عن =

مجاهدٌ: ﴿بِهِ﴾ يعودُ إلى القتل، و﴿لَهُ﴾ يعودُ إلى القاتل<sup>(١)</sup>، والمعنى عنده: مَنْ تَصَدَّقَ بِتَبْيِينِ الْقَتْلِ مِنْهُ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ؛ لِأَنَّهُ انْقَادَ لِحُكْمِ اللَّهِ. ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

\*\*\*

(٤٦) - ﴿وَقَفَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾. ﴿وَقَفَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ﴾: على آثارِ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا. وقيل: على آثارِ الَّذِينَ فُرِضَ عَلَيْهِمُ الْحُكْمُ. ﴿بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾؛ أي: موافقًا، وقد سبق. ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى﴾ كَرَّرَ ﴿هُدًى﴾ لِأَنَّ الْأَوَّلَ عَامٌّ وَالثَّانِي خَاصٌّ. ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ لِأَنَّهُمْ يَنْتَفِعُونَ بِهِ.

= عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وإبراهيم وجابر بن زيد والحسن وغيرهم، ورواه الطبري مرفوعًا عن الشعبي عن ابن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ جُرِحَ فِي جَسَدِهِ جِرَاحَةٌ فَتَصَدَّقَ بِهَا كَفَّرَ عَنْهُ ذَنْبُهُ بِمِثْلِ مَا تَصَدَّقَ بِهِ».

(١) المراد بهذا ما روى الطبري في «تفسيره» (٨ / ٤٨١) عن عبد الله بن كثير عن مجاهد: «إذا أصاب رجل رجلاً ولا يعلم المصاب من أصابه فاعترف له المصيب»، قال: «وكان مجاهد يقول عند هذا: أصاب عروة بن الزبير عين إنسان عند الركن فيما يستلمون، فقال له: يا هذا أنا عروة بن الزبير فإن كان عينك بأس فأنا بها»، ولكن قول مجاهد المعروف عنه هو كقول ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٩٨٧) بلفظ: «فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾: للجراح، وروى الطبري في «تفسيره» (٨ / ٤٧٦) نحوه، وانظر كلام الطبري في «تفسيره» (٨ / ٤٧٨)، و«النكت والعيون» للماوردي (٢ / ٤٤)، و«البيضا» للواحدى (٧ / ٤٠٠).

(٤٧) - ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾؛ أي: وقلنا لهم: احكموا بموجبه.

وقيل: إنه استئناف أمر لهم؛ لأنه لم يكن نسخ بعد.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (من) في الآيات الثلاثة

للشروط والعموم عند بعضهم، وعند بعضهم بمعنى: الذين، وهو خاص<sup>(١)</sup>.

وأكثر المفسرون القول في تكرار هذه الآية واختلاف ألفاظها:

فذهب بعضهم إلى أن الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى الكفر<sup>(٢)</sup>، عبّر عنه

بالفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار.

وقيل: الكافرون نزلت في حكام المسلمين، والظالمون في اليهود، والفاسقون

في النصارى<sup>(٣)</sup>.

وقيل: ومن لم يحكم إنكاراً له فهو كافر، ومن لم يحكم بالحق واعتقد

الحق وحكم بضده فهو ظالم، ومن لم يحكم جهلاً<sup>(٤)</sup> وحكم بضده فأولئك هم

الفاسقون<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: «درة التنزيل» للإسكافي (ص: ٤٦٢).

(٢) والآيات على هذا في أهل الكتاب. انظر: «تفسير الطبري» (٨ / ٤٥٧ - ٤٦٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨ / ٤٦٣ - ٤٦٤).

(٤) في هامش (ن): «من لم يحكم جهلاً، فسواء أصاب أو أخطأ، فهو فيه فاسق غير مثاب عليه».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٨ / ٤٦٧ - ٤٦٤)، و«تفسير الماتريدي» (٣ / ٥٣٢)، وقد ذكره المصنف

في «غرائب التفسير» (١ / ٣٣١)، واستغربه.

وقيل: مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُوَ كَافِرٌ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، ظَالِمٌ فِي حُكْمِهِ، فَاسِقٌ فِي فِعْلِهِ<sup>(١)</sup>.

وقيل: المراد بالكفر هاهنا: ساعة حُكْمِهِ بخلاف ما أنزل الله، وليس المراد به الشرك<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٤٨) - ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتَانَكُمْ فَاسْتَمِعُوا أَلْحِيزَاتٍ إِلَى اللَّهِ مَرَجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلَّفُونَ ﴾.

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾؛ أي: محققاً، وقيل: بسبب الحق وإثباته.

﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ ابن عباس رضي الله عنهما: أميناً<sup>(٣)</sup>.

الكسائي<sup>٤</sup>: شاهداً<sup>(٤)</sup>.

ابن جرير: حافظاً<sup>(٥)</sup>.

(١) لم أقف على هذه العبارة عند أحد ممن تقدّم المصنّف، وقد ذكرها المصنّف في «غرائب التفسير» (٣٣١ / ١)، وعدّها من العجائب، وذكرها في «البرهان في متشابه القرآن» (ص: ١٠٣)، وانظر:

«تفسير النسفي» (١ / ٤٥١)، و«بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي (١ / ١٨٤).

(٢) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٣١)، وعدّه من العجائب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٤٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١١٥٠).

(٤) ذكره ابن الأنباري في «الزاهر» (١ / ٨٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١١ / ٣٦٨). ورواه الطبري في

«تفسيره» (٨ / ٤٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وقادة ومجاهد.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٨ / ٤٨٦).

وهو من أسماء الله سبحانه.

وفي الآية حالٌ عن (الكتاب)، وقيل: عن النبي عليه السلام.

وأصله (مأيمِنٌ)، قُلِبَتْ هَمْزُهُ هَاءً<sup>(١)</sup>؛ أي: عالٍ على سائر الكتب وحاكِمٌ عليها.

﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾؛ أي: في القرآن.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فتحكم بما حرّفوه وزعموا أنه من كتابهم.

قيل: هي النّاسخة للإعراض في قوله<sup>(٢)</sup>: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾؛ أي: مائلاً عنه.

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾؛ أي: لكل أمة.

﴿وَمِنْكُمْ﴾ خطابٌ لأمة محمدٍ عليه السلام، وسائر الأمم مندرجٌ معهم، كما

يُغَلَّبُ الخطاب.

وقيل: لكلكم<sup>(٤)</sup>، والمرادُ به: أمة محمدٍ عليه السلام فحسب.

والشريعة: الشريعة، وهي الطريقة إلى الماء، وشبّه الدينُ بها لما<sup>(٥)</sup> فيه من

الطريق إلى الحياة في الدين.

(١) فهو من (أمن) أو (يمن)، أما (همن) فليس بأصل مستعمل. انظر: «جمهرة اللغة» (٣/ ١٢٧٢)،

و«الحجة» لأبي علي (١/ ٢٣٠)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٦/ ٦٣)، و«رسالة الملائكة»

للمعري (ص: ٢٥٧).

(٢) في (و): «وقوله».

(٣) تقدّم أنّ هذا مروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم، وأنّه قول أبي حنيفة وأصحابه. انظر:

«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٣٩٧-٣٩٨).

(٤) في (و): «كلكم».

(٥) في (و): «الدين بما فيه».

ابن عيسى: أصله: الظهور.

أبو عبيدة: هي من قولهم: شرعتُ له شريعةً؛ أي: فتحتُ له بابًا، وجعلتُ له مسلكًا<sup>(١)</sup>.

﴿وَمِنْهَا جَاءَ﴾ المنهاج: الطريق الواضح، تقول: نهج الأمر؛ أي: وضح.

وقيل: الشريعة: المنهاج، وكرّر لاختلاف اللفظين.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾؛ أي: على دينٍ واحدٍ في جميع الأزمان في

الأصول<sup>(٢)</sup> والفروع من غير نسخٍ وتبديلٍ.

قيل: وجواب (لو) محذوف؛ أي: لفعل.

وقيل: لو شاء لأجبركم على الإسلام.

﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾: ليعاملكم معاملةً المُختبرِ تعبّد كل أمة بما اقتضته

الحكمة في وقته.

﴿فَأَسْتَقِيمُوا الْخَيْرَاتِ﴾: بادروا إلى الطاعات وما أمرتكم به قبل الموت

والفوات<sup>(٣)</sup>.

وقيل: كيلا يفوتكم حظُّ السبقِ والتّقدّم.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾؛ أي: مرجعكم إليه

بالموتِ والبعث، فيظهرُ المحقُّ من المبطل.

\*\*\*

(١) في «مجاز القرآن» (١ / ١٦٨): «شريعة؛ أي: سنة».

(٢) في (ن): «الأصل».

(٣) «والفوات» من (ن).

(٤٩) - ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ في سبب النزول عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسيد<sup>(١)</sup> وابن صوريا وشاس بن قيس، قال بعضهم لبعض<sup>(٢)</sup>: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد، إنا أحرار اليهود وأشرافهم، فإن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة نحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله عليه السلام، فأنزل الله: ﴿وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾<sup>(٣)</sup>: يردوك فيصرفوك.

﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وهو ما دعوه إليه واختلفوا فيه.  
﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن حُكْمِك ولم يرضوا به، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ﴾: إصابتهم  
﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ في الدنيا بالسبي والقتل والجلاء.  
وقيل: بجميع ذنوبهم في القيامة<sup>(٤)</sup>.

(١) كذا في (ن)، وفي (و): «كعب بن الأشرف»، ولعل الصواب: كعب بن أسد، كما في مصادر التخریج.

(٢) «لبعض» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١١٥٤)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٩٨).

(٤) فـ(بعض) على هذا القول بمعنى: كل، وهو ما كان يذهب إليه أبو عبيدة. انظر: «مجاز القرآن» (١ /

٩٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤ / ٧٨).

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾: لخارجون عن أمر الله، يحتمل الاتصال فيكون اليهود، ويحتمل الاستئناف<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٥٠) - ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ عبدة الأصنام والمشركين.

وقيل: حُكْمُ الجاهليّة: هو العفو<sup>(٢)</sup> عن الأشراف وأخذ الضعفاء به.

وقيل: حُكْمُ الجاهليّة: تغيير حُكْمِ الله.

﴿يَبْغُونَ﴾: يطلبون.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾: شرعاً ودينًا حكم بما هو خير لكم وإن لم تعرفوا

وجهه.

وقيل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾؛ أي: لا يُحابي ولا يَحيفُ.

﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ أي: مَنْ أيقنَ بالله عِلْمَ ذلك.

وقيل: ﴿يُوقِنُونَ﴾: يؤمنون.

\*\*\*

(٥١) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ

مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ في سبب النزول: قال عطية

العوفي: جاء عبادة بن الصّامت رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إن لي موالياً من

(١) انظر: «القطع والائتلاف» للنحاس (ص: ٢٠٦).

(٢) في (و): «الحكم».

اليهود كثيرٌ عددهم، حاضرٌ نصرهم، وأنا أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولاية يهود، وأوالي الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية اليهود، فقال رسول الله عليه السلام: «يا أبا الحُبَابِ، ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصّامتِ فهو لك دونه»، قال: قد قبلت، فأنزل الله فيها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ عكرمة: نزلت في أبي لُبَابَةَ<sup>(٢)</sup>.

ومعنى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: لا تعتمدوا عليهم ولا تطلعوهم على بواطن أموركم الدنيوية والدنيوية. وقيل: هو في باب الدين خاصة. ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، وكلهم أعداء لكم. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ﴾؛ أي: والاهم في الدين، وكان معهم على المسلمين، ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ في الدين، ومعهم في النار. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: لا يرشدوهم.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٠١)، والطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٠٤)، وقد اقتصر ابن أبي شيبة على كلام عبادة بن الصامت رضي الله عنه دون كلام عبد الله بن أبي. (٢) أبو لُبَابَةَ هو: ابن عبد المنذر الأنصاري رضي الله عنه، صحابي مختلف في اسمه، شهد العقبة، وسار مع النبي ﷺ إلى بدر، فردّه إلى المدينة، واستخلفه عليها، شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في غزوة الفتح، مات بعد مقتل عثمان في خلافة علي. ويقال: إنه عاش إلى ما بعد الخمسين. وذكر بعض المفسرين كما روى الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٠٦): أن الآية نزلت في إعلامه بني قريظة أن سعد بن معاذ سيحكم عليهم بالذبح، ولكن شعر بذنبه إذ فعل ذلك، فربط نفسه بسلسلة إلى سارية من المسجد، فكانت تحله ابنته لحاجة الإنسان وللصلاة، فبقي كذلك أياماً حتى تاب الله عليه. انظر: «أسد الغابة» (٦ / ٢٦٠)، و«الإصابة» (٧ / ٢٨٩).

(٥٢) - ﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى

اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَلْدِمِينَ ﴿١﴾

﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: عبد الله بن أبي وأصحابه<sup>(١)</sup>.

﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾: في موالاتهم ومعاونتهم على المسلمين.

﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾: يخاف أن تكون الدولة لليهود.

الزجاج: يخاف أن لا يتم أمر النبي عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

والدوائر: جمع دائرة، وهي حالة تقع على خلاف الأولى.

﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ أجمع المفسرون على أن ﴿عسى﴾ من الله واجب<sup>(٣)</sup>،

المعنى: عسى الله أن يفتح مكة ويظهر الإسلام على سائر الأديان.

وقيل: بفتح بلاد المشركين وبظفر المسلمين.

وقيل: ﴿بِالْفَتْحِ﴾: بالفصل، من قوله: ﴿أَفْتَحَ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾: هو السبي والجلاء.

وقيل: يأمر النبي عليه السلام بإظهار أمر المنافقين.

وقيل: إلزام الجزية.

(١) «وأصحابه» من (ن).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٨١).

(٣) هذا مروى عن ابن عباس، وقد تتابع على ذكره المفسرون كما تقدم، وذكر المصنف في «غرائب

التفسير» (٢ / ١٢٢٦) فيه قولاً آخر، وهو: أن (عسى) من الله واجب إلا في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلِقْنَا أَنْ يَنْدِلَهُ وَأَرْجَبَاخِرًا مَنُكِّنْ﴾. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٤٥١)، و«تفسير الطبري»

(١١ / ٦٥١)، «تفسير ابن أبي حاتم» (٢ / ٩٠٥).

﴿فَصَبِّحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَأْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من النِّفَاقِ وَالشُّرْكِ ﴿نَدِيمِينَ﴾ في الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ.

\*\*\*

(٥٣) - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّمَا لَكُمْ حِطَّةٌ  
أَعْمَلْتُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الرَّفْعُ<sup>(١)</sup> على الاستثناف، ويقويه حذف الواو، والنَّصْبُ  
على العطفِ على المعنى، أو أن يُجْعَلَ ﴿أَنْ يَأْتِيَ﴾ بدلاً من اسم الله<sup>(٢)</sup>.

والمعنى: يقول المؤمنون بعضهم لبعض عند ذلك: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ  
جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أغلظ الإيمان، و﴿جَهْدَ﴾ مصدر<sup>(٣)</sup> وقع موقع الحال<sup>(٤)</sup>.

﴿إِنَّمَا لَكُمْ﴾: من المسلمين، وأعوانُ على المخالفين.

﴿حِطَّةٌ أَعْمَلْتُمْ﴾ التي كانوا يعملونها رياءً وسمعةً، لا إيماناً وعتيدةً.

﴿فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾ إذا جاء الفتحُ والأمرُ، خسروا بفواتِ الدُّنْيَا والدِّينِ.

\*\*\*

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بغير واو قبل الباء، والباقون بالواو، وقرأ أبو عمرو بنصب اللام،  
والباقون برفهها، ورُوي الرفع عن أبي عمرو أيضاً. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٥)، و«الحجة» لأبي  
علي (٣/ ٢٢٩)، و«التيسير» (ص: ٩٩).

(٢) ويكون التقدير عند ذلك: عسى أن يأتي الله بالفتح، ويقول الذين آمنوا. انظر: «إعراب القرآن»  
للنحاس (١/ ٢٧٢)، و«الحجة» لأبي علي (٣/ ٢٣١).

(٣) «مصدر» من (ن).

(٤) انظر: «التبيان» للعكبري (١/ ٤٤٥).

(٥٤) - ﴿يَتَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ رَتَدَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ؕ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَتَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ رَتَدَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾؛ أي: مَنْ يَرْجِعُ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ.

و(ارتدَّ) لازمُ (ردّه)، ك(اغترَّ) لازمُ (غرّه).

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾: فسيأتي قومٌ<sup>(١)</sup> ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾؛ أي: يحبُّهم اللهُ بِإِكْرَامِهِ إِيَّاهُمْ وَإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ، وَيُحِبُّونَ اللهُ بِإِيثَارِهِمْ طَاعَتَهُ وَاجْتِنَابِهِمْ مَعْصِيَتَهُ.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: هم للمؤمنين كالوالدِ لولده<sup>(٢)</sup>، والعبدِ لسيِّده، من (الدُّلِّ) بالكسر، وهو سهولةُ الأخلاقِ ولبينُ الجانبِ<sup>(٣)</sup>.

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: غِلَاطٌ شِدَادٍ كَالسَّبْعِ عَلَى فَرِيستِهِ، مِنْ (عَزَّه)؛ أي: غلبه، والعزازُ: الأرضُ الصُّلْبَةُ<sup>(٤)</sup>.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يقاتلون الكفَّارَ فِي طَلْبِ رِضَاهِ.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ ملامةٌ مَنْ يَلُومُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ صَدِيقٍ، فَيَتْرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

(١) في (ن): «بقوم».

(٢) في (و): «كالوالد على ولده».

(٣) فهو ضدُّ الصعوبة، أما الدُّلُّ بِالضَّمِّ فهو الاستكانة، وهو ضدُّ العزِّ، وقال الراغب: «الدُّلُّ: ما كان عن قهر... والدُّلُّ: ما كان بعد تَصَعُّبٍ». انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٤٥)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٣٣٠).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري مادة (ع ز ز) (١/ ٦٥)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٤٥).

واختلفوا فيمن نزلت الآية:

عليّ والحسنُ البصريُّ في جماعةٍ: نزلت في أبي بكرٍ وأصحابه رضي الله عنهم<sup>(١)</sup>.

والسُّديُّ: في الأنصار<sup>(٢)</sup>.

وروي مرفوعاً: أنهم قومُ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

وذكرَ المفسِّرون أنَّ وفودهم أتت في أيام عمرَ رضي الله عنه، وكان لهم في الإسلام أثرٌ حسنٌ<sup>(٤)</sup>.

مجاهدٌ: في أهل اليمن<sup>(٥)</sup>.

والأظهرُ القولُ الأوَّلُ<sup>(٦)</sup>؛ .....

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥١٨ - ٥٢١) عن علي رضي الله عنه والحسن والضحاك وقتادة وابن جريج.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٢٤)،

(٣) رواه ابن أبي شيبه في «مصنفه» (٦٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٢١ - ٥٢٢) بعدة روايات، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١١٦٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧ / ٣٧١)، والحاكم في «المستدرک» (٣٢٢٠) عن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ﴾ قال: أو ما رسول الله ﷺ إلى أبي موسى بشيء كان معه، فقال: «هم قومُ هذا». وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٢٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٢٣)، وقوم أبي موسى من أهل اليمن في ذلك الزمان.

(٦) رجَّح الطبريُّ أنهم قومُ أبي موسى الأشعري، وذكر كلاماً رائقاً يعدُّ تأصيلاً في مسألة الترجيح، فقال في «تفسيره» (٨ / ٥٢٤): «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ما روي به الخبر عن رسول الله ﷺ أنهم أهل اليمن قوم أبي موسى الأشعري. ولولا الخبر الذي روي في ذلك عن رسول الله ﷺ ... =

لأنَّ الارتدادَ وقعَ في زمانه حين<sup>(١)</sup> ارتدَّت العربُ، والقصةُ معروفةٌ.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدّمَ من الأوصاف، وقيل:

إلى الجهادِ.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

\*\*\*

(٥٥) - ﴿إِنهَا وَلِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

﴿إِنهَا وَلِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ في سببِ النزولِ: عن محمد بن مروان، عن محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبل عبد الله بن سلامٍ ومعه نفرٌ من قومه ممَّن قد آمنوا فقالوا: يا رسول الله، إنَّ منازلنا بعيدةٌ، وليس لنا مجلسٌ ولا مُحدَّثٌ، وإنَّ<sup>(٢)</sup> قومنا لما رأونا آمنَّا بالله ورسوله رفضونا وآلوا على أنفسهم ألا يجالسوننا ولا يُناكحونا ولا يُؤاكلونا، فشقَّ ذلك علينا، فقال لهم النبيُّ عليه السلام: ﴿إِنهَا وَلِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾... الآية. ثمَّ إنَّ النبيَّ عليه السلامُ خرج إلى المسجد والناسُ بين قائمٍ وراكعٍ، فنظرَ إلى سائلٍ فقال: «هل أعطاك أحدٌ شيئاً؟» قال: نعم، خاتماً من ذهبٍ، وقيل: من فضةٍ، قال: «مَن أعطاك؟» قال: ذلك

= ما كان القول عندي في ذلك إلا قول من قال: هم أبو بكر وأصحابه؛ وذلك أنه لم يقاتل قوماً كانوا أظهروا الإسلام على عهد رسول الله ﷺ ثم ارتدوا على أعقابهم كفاراً غير أبي بكر ومن كان معه ممَّن قاتل أهل الردة معه بعد رسول الله ﷺ ولكننا تركنا القول في ذلك للخبر الذي رُوي فيه عن رسول الله ﷺ؛ أن كان ﷺ معدنَ البيان عن تأويل ما أنزل الله من وحيه وآي كتابه...».

(١) في (و): «حتى».

(٢) في (و): «فإن».

الغلام، وأوماً بيده إلى عليّ رضي الله عنه فقال: «على أيّ (١) حالٍ أعطاك؟» قال: كان راعياً، فكبرّ النبيّ عليه السّلام ثمّ قرأ الآيتين (٢).

وقيل: نزلت في عبادة بن الصّامت.

والمعنى: ناصركم والذي يلي أمركم.

وقيل: مُحبكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ﴾؛ أي: في الصّلاة، وهو عليّ كرم الله وجهه.

وقيل: هو لجميع المؤمنين، واللفظ يُنبئ عن هذا لكونه جمعاً.

وقيل: ﴿ذَاكِرُونَ﴾: خاضعون.

وقيل: مُتَنَفِّلُونَ، من قولهم: هو يركع؛ أي: يتنفل.

\*\*\*

(٥٦) - ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: اتّخذَه وليّاً وتوكّل عليه (٣).

وقيل: يتولّى القيام بطاعته.

وقيل: يكون وليّاً لله ورسوله.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾: جند الله وجموعه.

وقيل: الحزب: الولي.

(١) في (و): «أي شيء».

(٢) رواه الشجري في «الأمالي الخميسية» (٦٨٠)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٩٩)،

وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٦١).

(٣) في (ن): «وتوكّل على الله».

وقيل: الناصر.

واشتقاقه من قولهم: تحزب القوم: اجتمعوا. والحزبية: الحمار المجتمع الخلق، والحيزيون: العجوز<sup>(١)</sup>؛ لاجتماع الأخبار والأمر عندها.  
﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾: يقهرون أعداءهم في الدنيا.

وتقديره: ومن يتول الله فهو غالب، ويحتمل أنه لما كان الحزب والمتولي واحداً جاز حذف العائد.

\*\*\*

(٥٧) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾  
ابن عباس رضي الله عنهما: كان رفاعه بن زيد وسويد<sup>(٢)</sup> بن الحارث قد أظهرها الإسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

وقوله<sup>(٤)</sup>: ﴿وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ من نصب عطف على ﴿الَّذِينَ﴾ الأول<sup>(٥)</sup>، ومن جر فعلى الثاني<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: «الصحاح» مادة: (ح ز ب) (١/١٠٩).

(٢) في (و): «وزيد».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/٥٣٣).

(٤) «وقوله»: ليست في (ن).

(٥) أي: الذين اتخذوا، وهو في موضع نصب مفعول به.

(٦) أي: الذين أتوا، وهو في موضع جر بحرف الجر، وقد قرأ أبو عمرو والكسائي (الكفار) بخفض الراء، والباقون بنصبها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٥)، و«التيشير» (ص: ١٠٠).

والمعنى: لا تتخذوا هؤلاء الذين يستهزئون بكم ويسخرون منكم أولياء.  
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك موالاتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بوعدِه ووعدِه.

\*\*\*

(٥٨) - ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾ قال الكلبي: كان منادي رسول الله عليه السلام إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، قد صلوا لا صلوا، قد ركعوا لا ركعوا؛ استهزاءً وضحكة<sup>(١)</sup>، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٢)</sup>.  
السُّدِّيُّ: نزلت في رجلٍ من النَّصَارَى<sup>(٣)</sup> بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن<sup>(٤)</sup> محمداً رسول الله، قال: أحرقت الكاذب، فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم وأهله نيام<sup>(٥)</sup>، فتطير منها شرر<sup>(٦)</sup> في البيت، فأحرق البيت<sup>(٧)</sup>، واحترق<sup>(٨)</sup> هو وأهله<sup>(٩)</sup>.

(١) في «تفسير الثعلبي» (١١ / ٣٩٩): «على طريق الاستهزاء، وضحكوا»، وفي «أسباب النزول»

للواحدي (ص: ٢٠٠): «على طريق الاستهزاء والضحك».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١ / ٣٩٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٠).

(٣) في (ن): «الأنصاري».

(٤) في (و) زيادة: «لا إله».

(٥) «وأهله نيام»: ليست في (ن).

(٦) في (و): «شره».

(٧) «البيت»: ليست في (و).

(٨) في (و): «وأحرق».

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١١٦٣).

وقيل: حسدوا رسول الله ﷺ على الأذان.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ الهزءَ واللعبَ لا يكونان من العقلاء، إنما ذلك من الجهال.

وقيل: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ فضل الأذان والصلاة عند الله.

\*\*\*

(٥٩) - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِثًّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِيقُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِثًّا﴾؛ أي: تُنكرون. وقيل: تكرهون. وقيل: تَسْخَطُونَ.

تقول: نَقِمَ: أَنْكَرَ ولم يَرْضه، وَاَنْتَقَمَ: كَافَاهُ.

﴿إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِيقُونَ﴾؛ أي: ولأن أكثركم فاسقون نَقِمْتُمْ إيماننا.

وقيل: نَقِمْتُمْ إيماننا وفسقكم؛ لأنكم عرفتم أنكم مُبْطِلُونَ.

وقيل: تقديره: وبأن أكثركم فاسقون، فهو عطفٌ على ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾، والمعنى: تنكرون اعتقادنا فسقكم.

ومعنى: ﴿أَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِيقُونَ﴾: خارجون عن أمر الله بإنكاركم نبوة محمدٍ عليه السلام.

\*\*\*

(٦٠) - ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَبِّعًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَبِّعًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ابن عباس: إن نفراً من اليهود سألوا رسول الله ﷺ عَمَّن يُؤْمِنُ بِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَعَدَّ فِيهِمُ الْمَسِيحَ، فَقَالُوا: لَا نُؤْمِنُ بِهِ، وَجَحَدُوا نَبُوَّتَهُ وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَعْلَمُ دِينًا شَرًّا مِنْ دِينِكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ<sup>(١)</sup>.  
ومعنى: ﴿أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ﴾: أَخْبَرَكُمْ بِأَنْسَانٍ شَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ فُسِّرَ بِ(مَنْ).  
وقيل: بفعلٍ شَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَضْمَرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾؛ أَي: فِعْلٌ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ.

و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الإيماني عند الزجاج؛ أي: بشرٌ من إيماننا ثواباً<sup>(٢)</sup>.  
ابن بحر: إن كان ما نحن فيه شرًّا عندكم، فشرٌّ منه ثواباً - أي: عاقبةً - مَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>.

وقيل: بشرٌ من المؤمنين.

وقيل: بشرٌ من النَّاقِمِ مع أَنَّهُ فَاسِقٌ، هُوَ ﴿مَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾.  
والمثوبة<sup>(٤)</sup>: الثَّوَابُ، وَزَنْهَا مَفْعَلَةٌ بِالضَّمِّ، وَقِيلَ: أَصْلُهَا<sup>(٥)</sup> مَفْعُولَةٌ.  
ومعنى: ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾: أَبْعَدَهُ اللَّهُ<sup>(٦)</sup> مِنْ رَحْمَتِهِ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٣٧)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٨٧).

(٣) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٢ / ٣٩٠) بلا نسبة.

(٤) «والمثوبة» ليس في (و).

(٥) «أصلها» ليس في (و).

(٦) اسم الجلالة «الله» ليس في (و).

﴿وَعَضِبَ عَلَيْهِ﴾: عاقبه.

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ﴾: خَلَقَ مِنْهُمْ، وقيل: صَيَّرَ مِنْهُمْ ﴿الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾؛ أي: مسخَّ بعضهم فردةً وبعضهم خنازير.

﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الطَّاغُوتُ الذي عبده اليهودُ: العِجْلُ.

وَمَنْ قَرَأَ ﴿عَبَدَ﴾ عَطَفَهُ عَلَى ﴿لَعْنَهُ﴾، وفيه ضميرُ (مَنْ)، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾<sup>(١)</sup> فهو اسمٌ وُضِعَ للمبالغةِ يُرَادُ به الكثرة - كَيَقُظُ<sup>(٢)</sup> وَنُدُسُ<sup>(٣)</sup> - أُضِيفَ إِلَى ﴿الطَّاغُوتَ﴾.

وَقُرِيَ فِي الشُّوَاذِ عَلَى وَجْهِ كَثِيرَةٍ، وليس هذا موضعُ ذِكْرِهَا<sup>(٤)</sup>.

﴿أَوْلَيْكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ مِنْهُمْ؛ أي: أسوأُ حالًا.

وقيل: مكانُهم من النَّارِ.

﴿وَأَضَلُّ عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن قصدِ الطَّرِيقِ، واستُعْمِلَ لَفْظُ التَّفْضِيلِ وليس في

المؤمنين شَرٌّ؛ لازدواجِ الكلامِ والمظاهرةِ في الحِجَاكِ<sup>(٥)</sup>.

وقيل: أولئك هم وأباؤهم شَرٌّ مكانًا من هؤلاء الذين نَقَمُوا.

\*\*\*

(١) قرأ حمزة وحده بضم الباء من (عبد)، وكسر التاء من (الطاغوت). انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٦)،

و«التيسير» (ص: ١٠٠)، و«النشر» (٢/ ٢٥٥).

(٢) يقال: رجلٌ يَقُظٌ وَيَقُظُّ؛ أي: كثير التيقُّظ. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٧٩)،

و«تهذيب اللغة» مادة (ي ق ظ) (٩/ ٢٠٢).

(٣) يقال: رجلٌ نُدُسٌ وَنُدُسٌ، إذا كان عالمًا بالأخبار. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٧٩).

(٤) ذكر ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٣٩) فيه تسعة عشرة قراءة.

(٥) انظر: «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ١٠٥)، و«السيط» للواحي (٧/ ٤٤٩).

(٦١) - ﴿وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ؕ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ نزلت في المنافقين.  
وقيل: في اليهود.

وقيل: في منافقي اليهود. وهذا أظهر.

والباء للحال؛ أي: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين<sup>(١)</sup>.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾؛ أي: بما<sup>(٢)</sup> يُضْمرونه، فيجازيهم عليه.

وقيل: بما كانوا يكتُمون من صفة محمدٍ عليه السلام ونعته.

\*\*\*

(٦٢) - ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْرِ وَالْعُدُونِ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من اليهود والمنافقين<sup>(٣)</sup> ﴿يُسْرِعُونَ﴾: يُبادرون كأنهم مُحققون.

﴿فِي الْأَثْرِ﴾: الجرم والذنب.

﴿وَالْعُدُونِ﴾: الظلم ومجاوزة الحد.

﴿وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ﴾: الرِّشوة في الحكم، وقيل: الربا، وهو<sup>(٤)</sup> مصدرٌ سُمِّيَ به.

(١) وقد دخلت (قد) على (خرجوا) لتقريب الماضي من الحال. انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي

(١/٢٣١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/٦٥٣).

(٢) في (و): «ما».

(٣) في (و): «أو المنافقين».

(٤) أي: الشُّحْت، وفي كلام المصنف إشكال؛ فقد ذكر النحاس في «إعراب القرآن» (١/٢٦٨) عن =

﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: بسئ شيناً عملوه.

\*\*\*

(٦٣) - ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا

يَصْنَعُونَ﴾.

﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾؛ أي: علماؤهم ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾؛

أي: عن قولهم ما يأتون فيه.

﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾؛ أي: بسئ شيناً صنعهم.

وقيل: إن (ما) فيهما للكف<sup>(١)</sup> كما في (إنما)<sup>(٢)</sup>.

والصنع والعمل واحد، إلا أن الصنع يتضمن الجودة<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(٦٤) - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ

يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُنَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَاتُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ابن عباس رضي الله عنهما: كانت اليهود في سعة

ونعمة، فلما كذبوا محمداً عليه السلام كف الله عنهم ما بسط عليهم، فقال فنحاس:

= نافع أنه قرأ (السحت)، وهذا هو المصدر، لكن السحت ليس مصدراً في الظاهر، وهو ما نص عليه

أبو علي في «الحجة» (٣/ ٢٢٢)، والله أعلم.

(١) في (و): «ما فيهما ما الكف».

(٢) ذكره الواحدي، وأكثر المعربين على ما ذهب إليه المصنف. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس

(١/ ٢٧٩)، ولمكي (١/ ٢٣٥)، و«البيسط» للواحدي (٧/ ٤٩١).

(٣) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٣٢٢)، و«تاج العروس» مادة (ص ن ع) (٢١/ ٣٦٣).

﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: مقبوضة ممسكة عن الرزق؛ أي: عطاؤه، نسبه إلى البخل؛ كقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقيل: نسبه إلى الفقر، كما سبق في (آل عمران).

وقيل: القائل فنحاص فحسب، لكنهم لما لم ينهوه ورضوا<sup>(٢)</sup> بقوله صاروا كالقائلين لهذا القول.

الحسن: معناه<sup>(٣)</sup> ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ عن عذابنا، فليس يعدبنا إلا بما يبر به قسمه قدر ما عبد أبأؤنا العجل<sup>(٤)</sup>.

وقيل: معناه: أيد الله مغلولة<sup>(٥)</sup>؟ على الاستفهام؛ أي: حين قتر علينا.

﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاء عليهم.

وقيل: خير، والمعنى: ضربت عليهم المسكنة.

وقيل: أجبوا به ازدواجاً للكلام.

وقيل: ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ في النار.

وقيل: ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بالبخل؛ فلا يرى يهودي إلا وهو بخيل.

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١١ / ٤٢٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١١٦٧) بلفظ: «ليس يعنون بذلك أن يد الله موثقة، ولكنهم يقولون: إنه بخيل أمسك ما عنده. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً». وروى الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٥٥) عن عكرمة قال: «نزلت في فنحاص اليهودي».

(٢) في (و): «القائل فنحاص ونسب إليهم رضوا».

(٣) «معناه»: ليس في (و).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ٥١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢ / ٢١٥).

(٥) من قوله: «عن عذابنا» إلى قوله: «أيد الله مغلولة» من (ن).

﴿وَلِعُونُكُمْ قَالُوا﴾؛ أي: طردهم من رحمته بسبب مقاتلتهم.

وقيل: يجوز أن يكون قالوه على سبيل الهُزء؛ أي: إن<sup>(١)</sup> إله محمد الذي أرسله مغلولاً يده؛ أي: ليس يوسّع عليه وعلى أصحابه.

وزعم اليهود أن ربهم أبيض الرأس واللحية جالس على كرسي<sup>(٢)</sup>.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ابن جرير: نعمتاه<sup>(٣)</sup>.

وقيل: نعمة الدين والدنيا.

وقيل: نعمة الدنيا والعقبى.

وقيل: الملك والسلطان.

وقيل<sup>(٤)</sup>: أراد المبالغة فثنى، كما تقول: لبيك وسعديك وحنانك.

(١) «إن» من (ن).

(٢) اليهود مجسمة في جملتهم، ولهم عقائد شنيعة في الله سبحانه وتعالى علواً كبيراً عن قبح ظنهم وسوء معتقدهم، ولولا ما حكاه القرآن الكريم عنهم ما كنا نظن أن فيمن يزعم أنه يؤمن بالله من يسيء به الظن مثلهم، وانظر شيئاً من ذلك في «الفصل» لابن حزم (١/ ١١٠ و١٦٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٣١٣)، و«جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر» لرمضان مصطفى الدسوقي حسنين (ص: ١٢٦ - ١٢٩).

(٣) نقله الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥٥ - ٥٥٧) عن بعض أهل الجدل، ونقل عن غيرهم أن المراد باليد صفة خاصة لله سبحانه، ونقل عنهم إنكار كون اليد هنا تدل على النعمة بدليل أن اليد ثنيت، والمثنى محصى، ونعم الله لا تُحصى، والطبري يرى صحة قول من قال: إن يد الله هي له صفة، فقد تظاهرت على ذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ وقال به العلماء وأهل التأويل.

(٤) «وقيل» من (ن).

واليد: الجارحةُ والنَّعمةُ والقوَّةُ والملكُ والسُّلطانُ<sup>(١)</sup>، وتحقيقُ الإضافةِ ومجيئها في القرآنِ موحِّداً نحو: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، و﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]، ومثنيٌ نحو: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، و﴿خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ومجموعاً نحو: ﴿عَمِلْتَ أَيَّدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١] = دليلٌ قاطعٌ على أنها ليست بالجارحة، تعالى الله عن ذلك<sup>(٢)</sup>.

﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: يوسِّعُ على مَنْ يَشَاءُ وَيُضَيِّقُ على مَنْ يَشَاءُ.

﴿وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: علماءهم ورؤساءهم.

﴿مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ﴾ يعني: القرآن<sup>(٣)</sup>.

﴿طَغَيْنَا وَكُفَرْنَا﴾ يحملهم الحسدُ على الكفر بالقرآن، فيزدادوا كُفْرًا وغلواً.

﴿وَالَّذِينَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يريد: بين اليهود؛ كقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ

جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤].

(١) «والسلطان» من (ن).

(٢) انظر: «الفقه الأكبر» المنسوب لأبي حنيفة (ص: ١٥٩)، و«الإبانة» للأشعري (ص: ٢٢)، و«مقالات الإسلاميين» له (١/٢٢٦)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/٥٥١) و(٩/٢٩٨)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (٣/١٧٤)، و«تفسير الثعلبي» (١١/٤٢٥) و(٢٢/٥٧٢ - ٥٧٤)، و«تفسير السمعاني» (٢/٥١)، و«الفصل» لابن حزم (٢/١٢٧)، و«شرح عقائد أهل السنة والجماعة» لللكائي (٣/٤٨٠)، و«الأسماء والصفات» لليهقي (٢/١٥٨)، و«غرائب التفسير» للمصنف (٢/١١١٣)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/١٣٨ - ١٤٠)، و«عمدة القاري» للعيني (٢٥/١١٩).

(٣) وهو فاعل الفعل (يزيدن)، و(كثيراً) مفعول أول، و(طغياناً) ثانٍ؛ فالقرآن يزيد علماءهم كُفْرًا بسبب حسدهم النبي ﷺ. انظر: «إعراب مشكل القرآن» لمكي (١/٢٣٥)، و«الكتاب الفريدي في إعراب القرآن المجيد» للمتجيب الهمداني (٢/٤٦٧).

الحسنُ: بين اليهود والنصارى<sup>(١)</sup>.

﴿كَلِمًا أَوْ قَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾؛ أي: كلما أرادوا حربَ محمدٍ عليه السلام ردَّهم الله<sup>(٢)</sup>.

الزَّجَّاجُ: هذا مثلُ؛ أي: كلما جمعوا للنبيِّ عليه السلام للحربِ فرَّقَ الله جمعهم وأفسد ذاتَ بينهم<sup>(٣)</sup>.

قتادة<sup>(٤)</sup> وابنُ جريرٍ: حكمَ الله بإذلالِهِم عقوبةً لهم، فلا يُنصرون على كلِّ من يحاربونه إلى يومِ القيامة<sup>(٥)</sup>.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ في دفعِ الإسلامِ وإنكارِ نبوةِ محمدٍ عليه السلام. وقيل: بالظلمِ وركوبِ المعاصي.

وقيل: بسفكِ الدماءِ واستحلالِ المحارم<sup>(٦)</sup>.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾: لا يُجازيهم خيرًا.

\*\*\*

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ٥٢)، والواحد في «البيضا» (٧ / ٤٦٣).

(٢) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٩٠).

(٤) «قتادة و» من (ن).

(٥) قال الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٥٩): «كلما جمع أمرهم على شيء فاستقام واستوى فأرادوا

مناهضة من ناوهم شتته الله عليهم وأفسده؛ لسوء فعالهم وخبث نياتهم»، وروى نحوه (٨ / ٥٦٠) عن قتادة.

(٦) في (ن): «الحرام».

(٦٥) - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾؛ أي: بمحمّد عليه السّلام، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ المعاصي، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: لم نعاقبهم عليها.  
﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾؛ أي: حكّمنا لهم بالدخول فيها.

\*\*\*

(٦٦) - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْنَصَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْمِلُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾؛ أي: عملوا بما فيهما من الأحكام من غير تبديل وتحريف، ولم يُنكروا صفة محمّد عليه السّلام ونعته.  
وقيل: أقاموها نصب أعينهم بالعمل بما فيهما.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَّبِّهِمْ﴾؛ أي: آمنوا بالقرآن المنزل إليهم وإلى غيرهم.  
﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ يريد: المطر، ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ يريد: النّبات؛ أي: لو سَعنا عليهم الرّزق، وكانوا قد أصابهم جدبٌ.

وقيل: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾: ثمرة الأشجار، ومن تحتهم: الزّرع.  
وقيل: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾: ما يأتيهم من كُبرائهم، ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: ما يأتيهم من العامة.

وقيل: هو كقولهم: فلانٌ في خيرٍ<sup>(١)</sup> من قرنه إلى قدمه.

(١) في (و): «الخير». انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١٥).

﴿مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ وهم الذين آمنوا بمحمدٍ عليه السَّلام.

والاقتصاد: الاستواء في العمل من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ.

وقيل: هم الذين آمنوا بعبسى<sup>(١)</sup> عليه السَّلام من اليهود، وقالوا: إنه عبدُ الله ورسوله، ولم يتخذوه ربًّا، ولم ينسبوه إلى غيرِ رَشدة<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّهم تفرَّقوا ثلاثَ فِرَقٍ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هم كفَّارٌ.

\*\*\*

(٦٧) - ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ

يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في سببِ النزولِ: عن الحسنِ قال: إنَّ رسولَ الله عليه السَّلام قال: «لَمَّا بعثني اللهُ برسالته، ضِقتُ به<sup>(٣)</sup> ذرعًا، وعرفتُ أنَّ من النَّاسِ مَنْ يُكذِّبُنِي»، وكان النَّبِيُّ عليه السَّلام يهابُ قريشًا واليهودَ والنَّصارى، فأنزَلَ اللهُ هذه الآية<sup>(٤)</sup>.

(١) في (و): «بمحمد».

(٢) أي: لم يتَّهَموا أمه مريم العذراء بالزنى، ويُقال: رَشدة، ورِشدة. انظر: «تاج العروس» مادة (ر ش د) (٩٦ / ٨).

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، وهو على معنى: ضِقت بالبعث والتكليف ذرعًا، وفي مصادر التخرِيج: «بها».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤٣٤ / ١١)، والواحدي في «أسباب النزول» (٢٠٢ / ١).

وروى نحوه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٤٤٣)، ومن طريقه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٣٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «إنَّ الله أرسلني برسالة، فضِقت بها ذرعًا، وعلمت أنَّ الناس مكذبي، فأوعدني أن أبلغها أو يعذبني».

وروى نحوه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص: ٧٦)، والحميدي في «مسنده» (٩٠٧) عن أبي =

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله عليه السلام سهر ذات ليلة، فقلت: ما شأئك؟ قال: «ألا رجل صالح يحرسني الليلة» قالت: فبينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح، فقال: «من هذا؟» قال: سعدٌ وحذيفة، جئنا نحرسك، فنام رسول الله عليه السلام حتى سمعت غطيته، فنزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله عليه السلام رأسه من قبة آدم وقال: «انصرفوا أيها الناس؛ فقد عصمني الله»<sup>(١)</sup>.

عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أبو طالب يرسل مع النبي عليه السلام رجلاً من بني هاشم يحرسه حتى نزلت هذه الآية، فقال: «يا عمّاه، إن الله قد عصمني من الجن والإنس»<sup>(٢)</sup>.

محمد بن كعب القرظي: إن أعرابياً همّ بقتل النبي عليه السلام، فسقط السيف من يده، فجعل يضرب برأسه شجرة حتى انتثرت<sup>(٣)</sup> دماغه، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>.

= الأحوص عوف بن مالك الجشمي عن أبيه قال في حديث: «أتتني رسالة من ربي، فضقت بها ذرعاً، ورأيت أن الناس سيكذبونني، فقيل لي: لتفعلن أو ليفعلن بك».

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١ / ٤٣٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٢).

وروى البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٧٢٣١) أوّل الحديث، وليس فيه سبب النزول، وروى الترمذي (٣٠٤٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: «يا أيها الناس انصرفوا؛ فقد عصمني الله». وقال الترمذي: «حديث غريب».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦٦٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ١٧): «رواه الطبراني، وفيه النضر بن عبد الرحمن، وهو ضعيف»، وهذا الحديث يقتضي أن الآية مكية، ولذلك قال ابن كثير في «تفسيره» (٣ / ١٣٩): «غريب، والصحيح أن الآية مدنية».

(٣) في (ن): «انتثرت».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٧٠).

ومعنى: ﴿يَبْلُغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: دُم عليه وواظب، وبلغ عشيرتك الأقربين، وبلغ المشركين وأهل الكتاب وكافة الناس ولا تهبهم، وبلغ ما أنزل إليك كله.

﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾؛ أي: هذا التبليغ، وقصرت في تبليغ بعضه أو بعضهم<sup>(١)</sup>؛ شفقا وحرًا من الرد.

﴿فَمَا بَلَغَتْ رَسُولَهُ﴾؛ لأن ترك إبلاغ بعضه محبط لإبلاغ ما بلغت.

وقيل: الدعوة بمنزلة الصلاة إذا نقص ركن من أركانها، بطل الجميع.

﴿وَاللَّهُ يَعَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾: يحرسك ويحفظك من أن ينالوك بقتل أو قهر.

وقيل: يعصمك من بين الناس عن الذنوب، وكل نبي معصوم عن الكبائر.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: لا يمكنهم مما يريدون.

\*\*\*

(٦٨) - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾؛ أي: على حجةٍ وحق.

وقيل: على شيء من الدين.

وقيل: على شيء ينفعكم وينجيكم.

﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾؛ أي: تؤمنوا بمحمد عليه السلام؛ فإنكم قد أمرتم به فيهما.

(١) أي: بعض ما أنزل إليك، أو بعض من أمرت بتبليغهم.

﴿وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: القرآن.  
 ﴿وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ سبق.  
 ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: إذا فعلت ما أمرت به من التبليغ، فلا تحزن عليهم.

تقول: أَسِيَ يَأْسَى أَسَى، فهو آسٍ وَأَسٍ وَأَسِيَانٌ وَأَسْوَانٌ.

\*\*\*

(٦٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّادِقُونَ وَالنَّصِرَتَىٰ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّادِقُونَ وَالنَّصِرَتَىٰ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
 وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سبق تفسير الآية.

وقوله: ﴿الصَّابِتُونَ﴾ رفعٌ عند الكسائيِّ بالعطفِ على ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾<sup>(١)</sup>، وقال:  
 إِنَّ عَمَلٌ (إِنَّ) ضَعِيفٌ، فجازَ العطفُ عليه بالرفع<sup>(٢)</sup>.

الفراءُ قال: إذا لم يَسْتَبْنِ في اسم (إِنَّ) الإعرابُ، جازَ العطفُ عليه بالرفع<sup>(٣)</sup>.

وعن الكسائيِّ أيضًا: أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى الْمِضْمَرِ فِي ﴿هَادُوا﴾؛ أي: هادوا هم  
 والصَّابِتُونَ<sup>(٤)</sup>.

(١) (آمنوا) ليس في (و).

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١ / ٣١١).

(٣) من قوله: «الفراء قال» إلى قوله: «عليه بالرفع» من (ن). وانظر قول الفراء في: «معاني القرآن» له

(١ / ٣١١).

(٤) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١ / ٣١٢)، والزجاج في «معاني القرآن» (٢ / ١٩٤)، وضعفه من

وهذه الوجوه غير مرضية عند البصريين، ووجهه عند سيبويه أنه رفعٌ بالابتداء،  
وخبره: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، وخبر (إِنَّ) مقدَّرٌ دلٌّ<sup>(٢)</sup> عليه ما بعده<sup>(٣)</sup>، كقول الشاعر:  
نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا، وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلَفٌ<sup>(٤)</sup>  
أي: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راضٍ<sup>(٥)</sup>.

وقيل: خبر (إِنَّ): ﴿مَنْ آمَنَ﴾، وخبر ﴿وَالصَّيْغُونَ﴾ مقدَّرٌ، كقول الشاعر:  
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغْرِيْبٌ<sup>(٦)</sup>  
أي: فإنني لغريبٌ، وقيارٌ كذلك، ودلُّ اللام على أنه خبر (إِنَّ).  
ويحتمل أن معناه<sup>(٧)</sup>: نعم، و﴿الَّذِينَ﴾ رفعٌ بالابتداء.

(١) «بالله» من (ن).

(٢) «دل» من (ن).

(٣) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢ / ١٥٦)، وفيه: «وأما قوله عز وجل: ﴿وَالصَّيْغُونَ﴾ فعلى التقديم والتأخير، كأنه ابتداء على قوله: ﴿وَالصَّيْغُونَ﴾ بعدما مضى الخبر، وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢ / ٢١٩): «مذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة: أنه من المقدم الذي معناه التأخير، وهو المراد به، كأنه قال: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى».

(٤) البيت مختلف في نسبه؛ فهو لعمر بن عمرو بن امرئ القيس في «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٥٣٠)، و«البيان والتبيين» (٣ / ٦٩)، ولقيس بن الخطيم في «الكتاب» (١ / ٧٥)، ولمرار الأسدي في «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٣٦٣)، و«زاد المسير» (٣ / ٥٠١).

(٥) «وأنت بما عندك راضٍ» ليس في (ن).

(٦) البيت لضابي بن الحارث البرجمي في «الكتاب» (١ / ٧٥)، و«الأصمعيات» (ص: ١٨٤)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» (٢ / ٣٩٤)، و«الكامل» (١ / ٢٥٣)، و«تفسير الطبري» (١٦ / ١٠٠).

(٧) أي: معنى (إِنَّ)، وقد قال بذلك سيبويه والأخفش والمبرد، وأكره أبو عبيدة. انظر: «الكتاب» =

ويحتمل أيضًا أنه<sup>(١)</sup> ﴿الَّذِينَ﴾؛ أي: أن الأمر والشأن<sup>(٢)</sup>، وسيأتي هذا في قوله: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرِينَ﴾ [طه: ٦٣].

\*\*\*

(٧٠) - ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ﴾؛ أي: كل حين جاءهم فيه ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ﴾: تحبُّ وترضى ﴿أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾ محمدًا وعيسى عليهما السلام ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ يحيى وذكريًا عليهما السلام. وقيل: ﴿فَرِيقًا<sup>(٣)</sup> كَذَّبُوا﴾: اليهود والنصارى ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: اليهود وحدها؛ لأن النصارى لم تقتل نبيًا.

وقوله: ﴿يَقْتُلُونَ﴾؛ أي: قتلوا، وجاء بلفظ المستقبل لروى الآية.

\*\*\*

(٧١) - ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾؛ أي: لا يكون شرك في قتلهم الأنبياء وتكذيبهم إيّاهم.

= لسبويه (٣/ ١٥١)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٢٢)، و«الجنى الداني» للمراي (ص: ٣٩٨).

(١) أي: خبر (إن).

(٢) «أي: أن الأمر والشأن» من (ن).

(٣) «فريقًا» من (ن).

وقيل: معناه: أن تكذيبهم إياهم وقتلهم لا يجلب إليهم العذاب.

﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾؛ أي: عموا عن الدلائل والهدى، وصموا عن استماع الحق.

الزجاج: أي: لم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا، فصاروا كالعمي والصم<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: تابوا وأقلعوا.

وقيل: ثم<sup>(٢)</sup> تاب الله عليهم بإرسال محمد عليه السلام.

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾؛ أي: آمن بعضهم وكفر كثير منهم.

﴿وَكَثِيرٌ﴾ بدل عن الواو، بدل البعض من الكل.

وقيل: هم كثير منهم<sup>(٣)</sup>.

وقيل: هو على لغة: (أكلوني البراغيث)<sup>(٤)</sup>.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم على وفق أعمالهم.

ويستعمل بعد باب ظننت (أن) المخففة والمحققة؛ فمن نصب فهي المخففة،

ومن رفع فهي المحققة خففت، وتقديره: أنه لا يكون<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٩٥).

(٢) «ثم» من (ن).

(٣) أي: يكون خبر مبتدأ محذوف. انظر: «إعراب القرآن» للأصبهاني (ص: ١٠٣).

(٤) في هامش (ن): «تقديره: عموا كثير، وهو فاعل (عموا)، ولا يجوز ذلك؛ لأنك لا تقول: جاؤوا

القوم، وهو مثل: أكلوني البراغيث». وانظر: «الكتاب» لسبيويه (١/ ٧٨)، و«معاني القرآن» للزجاج

(١/ ٤٥٨)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ١٧٢).

(٥) المخففة هنا هي التي تنصب المضارع، والمحققة هي الداخلة على الجملة الإسمية. انظر: «شرح

الكتاب» للسيرافي (٣/ ٤٠٦).

(٧٢) - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَنْبِيُّ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق تفسيره.  
 ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَنْبِيُّ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾؛ أي:  
 غير الله.

﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾؛ أي: منعها منه.

﴿وَمَا وَهُ النَّارُ﴾: مرجعه.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين ﴿مِن أَنْصَارٍ﴾.

\*\*\*

(٧٣) - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.  
 ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾؛ أي: ثالث ثلاثة آلهة.  
 ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو الله سبحانه.

وإنما كرر الآية لاختلاف أقوالهم، ولأنَّ اليعقوبية من النَّصارى - لعنهم الله تعالى - زعموا أنَّ الله تعالى ربَّما تجلَّى في بعض الأزمان<sup>(١)</sup> في شخص، فتجلَّى يومئذٍ في شخص عيسى، فظهرت منه الآيات والمعجزات، والملكانية قالوا: إنَّ الله

(١) في (ن): «المواطن».

اسمٌ يجمعُ أبا وابناً وروحَ القدس؛ اختلفَ بالأقانيم، والذاتُ واحدةٌ، فأخبرَ اللهُ أنَّ كِلَا<sup>(١)</sup> الفريقينِ كافران<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٧٤) - ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ بالإيمانِ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ عن كُفْرِهِمْ.

﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لِمَن آمَنَ وَاسْتَغْفَرَ.

\*\*\*

(٧٥) - ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ

صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّي يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾: بَشَرٌ أَكْرَمَهُ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَأَيَّدَهُ بِمُعْجَزَاتِهِ.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾؛ أَي: مَنْ مَضَى مِنَ الرُّسُلِ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾؛ أَي: كَانَا مُحْتَاجِينَ إِلَى الطَّعَامِ كَسَائِرِ الْحَيَوَانَ.

(١) في (ن): «المواطن».

(٢) تقدّم الكلام على الفرقتين وقولهما، وانظر: «الملل والنحل» (٢/ ٢٧ و ٣٠)، و«الخطط والاعتبار» للمقرئزي (٢/ ٢٧).

(٣) زاد هنا في (و): «فلم اتخذتموه إلهًا»، وستأتي بعد قليل في مكانها الصحيح في (ن).

وقيل: هو كنايةٌ عن الحدث<sup>(١)</sup>.

أي: مَنْ كان بهذه الصِّفة لا يصلحُ للربوبية، فلمَ اتخذتموه إلهًا؟!

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ بُنِيَ لَهُمُ الْأَيَاتِ﴾ على كونِ عيسى عليه السَّلام عبدًا مخلوقًا.

﴿ثُمَّ أَنْظِرْ أُنَى يُؤْفَكُونَ﴾: يُصْرَفُونَ عن التَّأمُلِ فيها والتَّدبُّرِ.

وأصلُ الكلمة: الصَّرْفُ، أَفْكَهُ: صَرَفَهُ وقلبه، والإفكُ: الكذبُ، والمؤتفكات من هذا<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٧٦) - ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ قيل: هو

متَّصلٌ بما قبله، والمرادُ به: عيسى عليه السَّلام، و(ما) بمعنى: (مَنْ).

وقيل: استئنافٌ واعتراضٌ، والمرادُ به: الأصنامُ.

﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعائِكُم الأصنامَ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمجازِ اتِّكُم.

\*\*\*

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٨)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٦)،

واستغريه.

(٢) انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٤).

(٧٧) - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ الغلُّ: مجاوزة الحدِّ، وغلُّ اليهودِ قولهم فيه: إنَّه ساحرٌ كذابٌ، وإنَّه لغير رَشدةٍ، وغلُّ النَّصاري اتَّخَذَهُمْ إِيَّاهُ إِلَهًا.

وقوله: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ يجوزُ أن يكون معناه: غير مُحقِّين<sup>(١)</sup>.

وقيل: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾: إلا الحقَّ، فيجوز الغلُّ فيه<sup>(٢)</sup>.

وقيل: تقديره: ولا تقولوا غير الحقِّ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: أسلافهم.

﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ يعني: أتباعهم.

﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ قيل: هو تبيانٌ للأوَّل؛ أي: ضلَّالهم عن قصدِ

السَّبيلِ، وهو الإسلامُ وطريقُ الجنَّةِ، لا عن شيءٍ آخر.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿وَضَلُّوا﴾ يعودُ إلى قوله: ﴿كَثِيرًا﴾.

وقيل: يريدُ: ضلُّوا من قبلُ وضلُّوا من بعدُ.

(١) ذكر هذا الوجه الواحد في «البيسط» (٤٨٧/٧)، والعكبري في «التبيان» (٤٥٤ / ١).

(٢) ذكر هذا الوجه الواحد أيضاً في «البيسط» (٤٨٧/٧)، واستبعده أبو حيان في «البحر المحيط» (٣٣٥ / ٤).

(٣) ففي الآية على هذا التقدير حذف، والمعنى: لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله غير الحق. انظر: «تفسير الطبري» (٧٠٠ / ٧)، و«إعراب القرآن» للباقولي (٣٠٢ / ١). وقد اختار الزمخشري في «الكشاف» (١ / ٦٦٦): أنَّه صفة للمصدر، والتقدير: غلواً غير الحق، ووافقه العكبري وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣٣٥ / ٤).

(٧٨) - ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾؛  
أي: لعنهم الله في الزبور والإنجيل، وأبعدهم عن خيرهِ ورحمته.  
والأصحُّ أن المراد باللَّعْنِ<sup>(١)</sup> هاهنا: المسخُّ؛ فإنَّ اليهودَ مُسِخَّتْ قردةً في زمان داود لاعتدائهم في<sup>(٢)</sup> السَّبْتِ، ومُسِخَّتْ خنازير في زمان عيسى لَمَّا كفروا بعد إنزال المائدة.

الكلبيُّ: لَمَّا اعتدوا في السَّبْتِ قال داوُدُ عليه السَّلَام: اللَّهُمَّ ليلبسوا اللَّعنةَ مثل الرِّدَاءِ ومثل منطقة الحقوين، اللَّهُمَّ اجعلهم آيةً ومثلاً لخلقك؛ فأصبحوا قردةً<sup>(٣)</sup>.  
﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: اللعْنُ ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾؛ أي: بعضيَانِهِم اللهُ ورسولهُ، واعتدائهم ما حُرِّمَ عليهم من الصَّيْدِ في السَّبْتِ.

\*\*\*

(٧٩) - ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: لا يَنْهَى هذا ذاك ولا ذاك هذا.  
والمنكرُ: صيدُ الحيتانِ في السَّبْتِ.

(١) في (و): «بالكفر».

(٢) «في» من (ن).

(٣) لم أفق عليه عن الكلبي، وذكر نحوه مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١ / ٤٩٦)، وذكر نحوه بلا

نسبة: الثعلبي في «تفسيره» (١١ / ٤٥١)، والواحدي في «البيسط» (٧ / ٤٩٠).

وقيل: أخذ الرِّشَا وأكل الرِّبَا.

وقيل: هو قولهم: ﴿لَمْ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: هذا ذمٌ لصنيعهم.

\*\*\*

(٨٠) - ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ

أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: من اليهود والنصارى.

الحسن: من اليهود خاصة<sup>(١)</sup>.

﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يُوالون المشركين بُغْضًا لرسول الله عليه السَّلام

والمؤمنين وتوهينًا لأموالهم.

﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾؛

أي: بئس شيئًا قدّموا ليردوا عليه يوم القيامة سخطُ الله والخلودُ في النار.

وقيل: بئس شيئًا ذلك؛ لأنَّ كسبهم السَّخَطُ<sup>(٢)</sup> والخلودُ في النار.

\*\*\*

(١) لم أقف عليه عن الحسن، وذكره بلا نسبة الثعلبي في «تفسيره» (١١ / ٤٥٣)، والواحدي في

«البيضا» (٧ / ٤٩١)، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٥٧٤) إلى مقاتل في آخرين،

ونسب للحسن القول بأن الآية في المنافقين.

(٢) في (و): «السخطة».

(٨١) - ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾؛ أي: نبيهم.

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني: كتابهم<sup>(١)</sup>.

﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾: خارجون عن دينهم؛ فليس لهم دين البتة.

وقيل: نزلت في منافقي اليهود، ﴿وَالنَّبِيِّ﴾: محمد عليه السلام، و﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾: القرآن.

\*\*\*

(٨٢) - ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيْكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيْكَ ﴿ في سبب النزول: عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وغيرهما قالوا: بعث رسول الله عليه السلام عمرو بن أمية الضمري وكتب معه إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، وقرأ كتاب رسول الله عليه السلام، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم، ثم أمر جعفرًا أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ عليهم جعفر (سورة مريم)، فآمنوا بالقرآن، وفاضت أعينهم من الدمع، وهم الذين أنزل فيهم:

(١) في (و): «نبيهم».

﴿وَلْتَجِدْ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْتُكَ...﴾ إلى قوله: ﴿الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وعن سعيد بن جبير: بعث النجاشي إلى رسول الله عليه السلام من خيار أصحابه ثلاثين رجلاً، فقرأ عليهم (سورة يس)، فبكوا فنزلت فيهم هذه الآية<sup>(٢)</sup>. والمعنى: لتعلمن اليهود والمشركين أشد الناس عداوة للمؤمنين، وتعلمن النصارى أقرب الناس مودة للمؤمنين؛ لأن اليهود قاسية القلوب.

وقيل: يريد به: اليهود الذين كانوا بالمدينة حين قدمها النبي عليه السلام، وأما النصارى فالمراد: المسلمون منهم؛ لأنهم الذين آمنوا حين سمعوا القرآن. الزجاج: أوّل الآية في جميع النصارى؛ لأنهم أقل مظهرة للمشركين من اليهود، وآخرها في المؤمنين منهم<sup>(٤)</sup>.

ثم ذكر سبب ذلك فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا﴾ القس والقسيس: اسم الكبير الزاهد العالم منهم، وجمع تكسيره القساسيس<sup>(٥)</sup> من حيث القياس، ومن حيث السماع: القساوسة بالواو، حكاها الأزهرى في «تهذيب اللغة»<sup>(٦)</sup>،

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١١٨٥)، والواحد في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٣).

(٢) «هذه» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٥٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١١٨٤)، والواحد في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٤)، واللفظ له.

(٤) هذا معنى قوله. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ٢٠٠).

(٥) في (و): «القساوسة».

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (٨ / ٢١٣ - ٢١٤) مادة (ق س س)، وفيه: وقال الفراء في كتاب «الجمع

والثنائية»: يجمع القسيس قسيسين، كما قال الله جل وعز، ولو جمعته قسوساً كان صواباً؛ لأنهما في معنى واحد؛ يعني: القس والقسيس. قال: ويجمع القسيس قساوسة؛ جمعه على مثال مهالبة، =

وَأُنشِد فِيهِ بَيْتًا<sup>(١)</sup>.

وَالْقَسُ فِي اللُّغَةِ: نَشْرُ الْحَدِيثِ وَالنَّمِيمَةِ.

وَالرُّهْبَانُ: جَمْعُ رَاهِبٍ، وَهُوَ الَّذِي يَرْهَبُ اللَّهُ؛ أَي: يَخَافُهُ.

﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لَا يَتَعَزَّمُونَ وَلَا يَأْنَفُونَ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ

السَّلَامِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ.

\*\*\*

(٨٣) - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ

الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ

الدَّمْعِ﴾: تَمْتَلِئُ عَيُونُهُمْ دَمُوعًا، فَتَسِيلُ ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾: مِنَ الْقُرْآنِ وَصِفَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامِ وَالبَشَارَةِ بِهِ فِي كِتَابِهِمْ.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامِ، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾؛ أَي: اجْعَلْنَا

مَعَ الَّذِينَ شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

وَقِيلَ: اكْتُبْنَا فِي اللِّحِ الْمَحْفُوظِ مَعَهُمْ.

وَقِيلَ: أَثْبَتْنَا مَعَهُمْ.

= فكَثُرَتِ السِّنَاتُ، فَأَبْدَلُوا إِحْدَاهُنَّ وَأَوَّ، وَرَبَّمَا شُدُّدُ الْجَمْعِ، وَلَمْ يُشَدَّدْ وَاحِدَهُ، وَقَدْ جَمَعَتِ الْعَرَبُ  
الْأَتُونَ أَتَاتِينَ، وَأُنشِد لَأَمِيَّة:

لَوْ كَانَ مُنْفِلَتْ كَانَتْ قَسَاوَسَةً يُجِيهِمُ اللَّهُ فِي أَيْدِيهِمُ الزُّبُرُ

وَظَاهَرَ مَا حَكَاهُ الْأَزْهَرِيُّ أَنَّ قِيَاسَ جَمْعِهِ هُوَ قَسَاوَسَةٌ؛ بَثَلَاثِ سِنِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) مِنْ قَوْلِهِ: «مَنْ حَيْثُ الْقِيَاسُ» إِلَى قَوْلِهِ «وَأُنشِد فِيهِ بَيْتًا» مِنْ (ن).

ثم إن قومهم عَنَّفُوهم على إيمانهم<sup>(١)</sup>، فأجابوا بقولهم:

(٨٤) - ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ

الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾.

وقيل: كأن سائلاً سألهم.

والمعنى: لأي شيء نمتنع عن الإيمان بالله<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني:

محمداً والقرآن ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا﴾ الجنة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: الأنبياء

والمؤمنين؟

\*\*\*

(٨٥) - ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ

الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ

الْمُحْسِنِينَ﴾: المؤمنين؛ أي: بقولهم: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾ واعتقادهم ذلك.

\*\*\*

(٨٦) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني<sup>(٣)</sup>: اليهود والمشركين ومن لم يؤمن من

النصارى ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

(١) في (و): «إيجابهم».

(٢) «بالله» من (ن).

(٣) في (و): «ذلك يعني».

(٨٧) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ في سبب النزول: أن رسول الله عليه السلام جلس يوماً فذكر الناس ووصف القيامة، ولم يزددهم على التخويف، فرق الناس وبكوا، فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي، وانفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل، ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم ولا الودك<sup>(١)</sup>، ولا يقربوا النساء والطيب، ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا، ويسبحوا في الأرض، ويترهبوا، ويجبوا المذاكير، فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فقال<sup>(٢)</sup>: «ألم أتبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟!» قالوا: بلى يا رسول الله، وما أردنا إلا الخير، فقال: «إني لم أؤمر بذلك، إن لأنفسيكم عليكم حقاً، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا؛ فإني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأكل اللحم والدسم، ومن رغب عن سنتي فليس مني»، ثم جمع الناس وخطبهم فقال: «ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا، أما إنني لست أمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً؛ فإنه ليس<sup>(٣)</sup> في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمّتي الصوم، ورهبانيتهم الجهاد، اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، وحجّوا، واعتمروا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، فإنما أهلك من كان قبلكم بالتشدّد، شدّدوا<sup>(٤)</sup> على أنفسهم، فشدّد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في

(١) الودك: دسم اللحم والشحم، وهو ما يتحلب من ذلك. انظر: «المصباح المنير» مادة (ودك) (٢/ ٦٥٣).

(٢) «فقال» من (ن).

(٣) في (و): «فليس».

(٤) في (و): «فشدّدوا».

الدَّيْرَاتِ وَالصَّوَامِعِ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ نَصْنَعُ بِأَيْمَانِنَا الَّتِي حَلَفْنَا عَلَيْهَا، وَكَانُوا حَلْفُوا عَلَى مَا عَلَيْهِ اتَّفَقُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنِّي (٢) إِذَا أَكَلْتُ اللَّحْمَ انْتَشَرْتُ (٣) إِلَى النِّسَاءِ، وَإِنِّي حَرَمْتُ عَلَيَّ اللَّحْمَ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تُحَرِّمُوا﴾ (٤)؛ أَي: لَا تَمْتَنِعُوا مِنْ أَكْلِ اللَّذِيذَاتِ مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ، وَلَا مِنَ التَّمَتُّعِ بِالْمَلَابِسِ وَالنِّسَاءِ وَالْجَوَارِي بِالْيَمِينِ وَالنَّذْرِ.

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: وَلَا تَجَاوِزُوا الْحَدَّ الَّذِي حُدَّ (٥) عَلَيْكُمْ فِي تَحْرِيمٍ وَلَا تَحْلِيلٍ؛  
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

\*\*\*

(٨٨) - ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾: مُسْتَلَذًا، وَتَمَتَّعُوا بِهِ.

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: وَلَا تُجْرُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ مَجْرَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ.

\*\*\*

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١١ / ٤٦٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٥)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨ / ٦٠٩) عن السدي، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣ / ١٥٤): «وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسله، ولها شاهد في الصحيحين».

(٢) «إني» من (ن).

(٣) في (و): «أكلت استشرت».

(٤) رواه الترمذي (٣٠٥٤)، وقال: «حسن غريب».

(٥) في (و): «ولا تجاوزوا ما حرم».

(١٨٩) - ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْاَيْمَانَ ط فَكَفَرْتُمْهُ؛ اِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ اَوْسَطِ مَا تَطْعُمُونَ اَهْلِيكُمْ اَوْ كَسْوَتُهُمْ اَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ط فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ اَيَّامٍ ذٰلِكَ كَفْرَةٌ اَيْمَانِكُمْ اِذَا حَلَفْتُمْ ط وَاَحْفَظُوا اَيْمَانَكُمْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: هو ما يبدو من المرء من غير قصدٍ بالقلب، وقد سبق في (البقرة).

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْاَيْمَانَ﴾ بالقلب واللسان.

و(ما) يجوزُ أن تكونَ للمصدر؛ أي: بعقدكم، ويجوزُ أن تكونَ الموصولة؛ أي: عاقدتم عليه ثم حذف<sup>(١)</sup>.

﴿فَكَفَرْتُمْهُ﴾؛ أي: فالذي يسترُ إثمَهُ ويذهبُ به ﴿اِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ اَوْسَطِ مَا تَطْعُمُونَ اَهْلِيكُمْ﴾ الزَّجَّاجُ: الأوسَطُ: الأعدُلُ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: الخيارُ.

ومعنى الأوسَطِ: في القيمة، وقيل: في الشُّبَعِ.

وهو الخبزُ والإدامُ، وقيل: الخبزُ واللَّحْمُ.

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: الأوسَطُ في المقدارِ على قدرِ العُسْرِ واليُسْرِ<sup>(٣)</sup>.

(١) أي: حذف الضمير العائد إلى اسم الموصول، كما بين أبو علي الفارسي في «الحجة» (٣/ ٢٥٣)، وفي (ن) زيادة: «وحذف».

(٢) «الأعدُل» ليس في (ن). انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٠٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩٣)، وروى ابن ماجه (٢١٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة، فنزلت: ﴿مِنْ اَوْسَطِ مَا تَطْعُمُونَ اَهْلِيكُمْ﴾».

وقيل: يُطعمُ كلَّ واحدٍ نصفَ صاعٍ من بُرٍّ، أو صاعاً من تمرٍ أو شعيرٍ وغيرهما من الحبوبِ التي يَقتاتُ أهلُ البلدِ.

﴿أَوْ كَسَوْنَهُمْ﴾ يريد: ثوباً.

وقيل: ثوبين؛ إزاراً ورداءً.

وقيل: عباءةٌ يلتحفُ بها، أو عمامةٌ يشدُّ بها رأسه.

﴿أَوْ مَحْرَبِ رَقَبَةٍ﴾ يريد: إعتاقَ إنسانٍ، وخصَّ الرِّقبةَ بالذكرِ لأنَّ المملوكَ مشبَّهٌ بالأسيرِ المشدودِ رقبتَه، وإعتاقُه كإطلاقه.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ أيَّ واحدٍ من الثلاثة المذكورة.

وقيل: مَنْ لم يجد قوته وقوتَ مَنْ يقوته.

وقيل: مئتي درهمٍ.

﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: فكفَّارته صيامُ ثلاثةِ أيامٍ.

وفي مصحفِ ابنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنه: (متتابعات)<sup>(١)</sup>.

﴿ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ يريد: إذا حلفتُمْ وحشمتُمْ.

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾؛ أي: لا تحلفوا أصلاً.

وقيل: احفظوها عن الحنثِ وتركِ الكفَّارة.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٠٠)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١٨)، و«تفسير عبد الرزاق» (٧٢٨)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٦٥٢). وذكر ابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ١٦٥): أنها كذلك في مصحف أبي بن كعب، وقد تقدم أن أمثال هذا من باب التفسير والبيان، وأنَّ القراءة بذلك شاذة، فمن قرأ بذلك في القرآن وجبت عليه الإعادة، كما قال ابن أبي داود، وانظر ما قاله الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (٢/ ٤٢٥).

﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: كمثل ذلك<sup>(١)</sup> كَفَّارَةُ الْيَمِينِ ﴿يَسِّرْ اللَّهُ لَكُمْ أَيْتِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقيل: كبيان الأحكام التي مضت في أول السورة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

\*\*\*

(٩٠) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ في سبب النزول: أن عمر رضي الله عنه قال:

اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنًا شَافِيًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾

[البقرة: ٢١٩]، فُقِرَتْ عَلَى عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي

الْخَمْرِ بَيِّنًا شَافِيًا، فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَقْرَبُوا الزُّكُورَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣]، فُقِرَتْ

عَلَى عَمْرٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنًا شَافِيًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فُقِرَتْ عَلَى

عَمْرٍ<sup>(٣)</sup> إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ قَالَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا<sup>(٤)</sup>.

وقيل: نزلت في حمزة بن عبد المطلب لما قعد شاربًا مع جماعة وعندهم

قَيْنَةٌ كَانَتْ تَغْنِيهِمْ فَجَاعَتْ، وَكَانَتْ عِنْدَ حَمْزَةَ شَارِفَانَ<sup>(٥)</sup> لَعَلِّي أَعَدَّهُمَا لَزْفَافِ

فَاطِمَةَ، فَبَعَثَهُ الْقَيْنَةُ عَلَى نَحْرِهِمَا بِأَبْيَاتٍ غَتَّتْهُمَا، فَنَحَرَهُمَا وَكَانَ سَكْرَانًا،

(١) في (و): «كذا» بدل «كمثل ذلك».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨١).

(٣) «فُقِرَتْ عَلَى عَمْرٍ» من (ن).

(٤) رواه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠).

(٥) الشارف: الناقة المسنة الكبيرة. انظر: «جمهرة اللغة» مادة (ش ر ف) (٢/ ٧٢٩)، و«جامع الأصول»

فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ، فَشَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَأُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(١)</sup>.

وقيل: في سعد بن أبي وقاص<sup>(٢)</sup>.

وأكثرُ المفسِّرينَ على أنَّ المحرَّمةَ هذه الآية.

والخمرُ: عصيرُ العنبِ بعدما اشتدَّ فصارَ مسكراً.

والميسرُ: القمارُ كُلُّه، وقد سبقَ في (البقرة) بيانه.

﴿وَالْأَنْصَابُ﴾: أصنامٌ كانت تُنصبُ للعبادة.

وقيل: كانت تُنصبُ فينصبُ عليها دُمُ القرايين.

﴿وَالْأَزْلَمُ﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿رِجْسٌ﴾: قدرٌ ونجسٌ.

وقيل: حرامٌ.

وقيل<sup>(٣)</sup>: ﴿رِجْسٌ﴾: رجزٌ، وفيه بُعدٌ<sup>(٤)</sup>.

(١) هذه الفقرة مختصرة في (ن)، فقد جاء بدلها: «نزلت في حمزة وشارفي علي رضي الله عنهما».

وأصل الحديث رواه البخاري (٣٠٩١)، ومسلم (١٩٧٩) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٧٤٨) من حديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه، وفيه: «أنه نزلت فيه آيات من

القرآن... قال: أتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقك خمرًا، وذلك

قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش - والحش البستان - فإذا رأس جزور مشوي عندهم،

وزق من خمر. قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم. فقلت:

المهاجرون خير من الأنصار. قال: فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضرمني به فجرح بأنفي، فأتيت

رسول الله ﷺ، فأخبرته، فأنزل الله عز وجل في - يعني: نفسه - شأن الخمر: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْمِرُ...﴾.

(٣) «وقيل» ليس في (ن).

(٤) أي: في هذا الموضع، وقد استغرب المصنّف تفسير الرجز بالتنين في «غرائب التفسير» (١٠٨٥ / ٢)، =

﴿مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانَ﴾؛ أي: هو الذي دعا إلى عمله بتزيينه.

﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: اجتنبوا الشيطان.

ابن الأنباري: اجتنبوا ما ذكرنا<sup>(١)</sup>.

ويحتمل ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾؛ أي: الرجس.

\*\*\*

(٩١) - ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ

ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ بما يجري

فيهما من المشاتمة والمغابنة.

﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ حالة السكر والقمر.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾: استفهامٌ بمعنى الأمر؛ أي: انتهوا.

\*\*\*

= وقد رُوِيَ تفسير الرجس بالرجز عن ابن عباس وابن زيد، وذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١ / ٢٠٦)، وذكر ابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن) (ص: ٢٥٩): أن الرجز العذاب، والرجس التن، وذكر السجستاني في «غريب القرآن» (ص: ٢٤٦) أنها يأتيان بمعنى العذاب، وينفرد الرجس بمعنى القدر، وقد قرئ بهما في الأنفال، كما سيأتي.

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٥٨٢) عن ابن الأنباري، ولفظه: «فإن قيل: كيف ذكر في

هذه الآية أشياء، ثم قال: فاجتنبوه؟ فالجواب: أن الهاء عائدة على الرجس، والرجس واقع على الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، ورجوع الهاء عليه بمنزلة رجوعها على الجمع الذي هو واقع عليه، ومنبئ عنه».

(٩٢) - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ

الْمُيِّنُ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾ مخالفته.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن ذلك، ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُيِّنُ﴾؛ أي: ليس عليه

إلا التبليغ، وإلى الله التوفيق والخذلان.

\*\*\*

(٩٣) - ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عن البراء بن عازب رضي الله عنه

قال: مات ناسٌ من أصحاب رسول الله عليه السلام وهم كانوا يشربون الخمر<sup>(١)</sup>،

فلما حرّمت قال أناسٌ: كيف بأصحابنا ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

والمعنى: ليس على المؤمنين الصالحين ﴿جُنَاحٌ﴾: إثمٌ ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾؛ أي:

شربوا من الخمرِ وأكلوا من الميسرِ قبل تحريمها ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ الشُّرْكَ ﴿وَأَمَنُوا﴾

بِاللَّهِ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ الخمرَ والميسرَ بعد التَّحْرِيمِ<sup>(٣)</sup> ﴿وَأَمَنُوا﴾ بتحريمه

﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ سائر المحرّمات ﴿وَأَحْسَنُوا﴾ إلى النَّاسِ وإلى أَنفُسِهِمْ<sup>(٤)</sup>.

(١) «الخمر» من (ن).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٥٠)، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣) من قوله: «وَأَمَنُوا بِاللَّهِ» إلى قوله: «بعد التحريم» من (ن).

(٤) قال الرازي في «التفسير الكبير» (١٢ / ٤٢٧): «إن قيل: لم شرط رفع الجناح عن تناول المطعومات

بشرط الإيمان والتقوى مع أن المعلوم أن من لم يؤمن ومن لم يتق ثم تناول شيئاً من المباحات فإنه

لا جناح عليه في ذلك تناول، بل عليه جناح في ترك الإيمان وفي ترك التقوى، إلا أن ذلك لا تعلق =

وقيل: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ المحرّماتِ قبلَ تحريمِ الخمر، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ الخمرَ بعد التّحريم، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ ما عسى يُحرّم.

ابنُ عيسى: الأوّلُ عملُ الاتّقاء، والثّاني دوامُ الاتّقاء، والثّالثُ ضمُّ الإحسانِ إلى الاتّقاء<sup>(١)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسِنِينَ﴾.

\*\*\*

(٩٤) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن

يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ﴾: يعاملكم الله مُعاملة المُبتلي المُختبر ﴿بِشَيْءٍ

مِّنَ الصَّيْدِ﴾ يريدُ: حمامَ مكّة والحرمِ وفراخها ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾ من السُّقوفِ والكُوى وفروع الأشجار.

﴿وَرِمَاكُمْ﴾ إذا بَعُدَ، وفاتَ اليدَ.

= له بتناول ذلك المباح، فذكر هذا الشرط في هذا المعرض غير جائز.

قلنا: ليس هذا للاشتراط، بل لبيان أن أولئك الأقوام الذين نزلت فيهم هذه الآية على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدًا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان، ومثاله أن يقال لك: هل على زيد فيما فعل جناح، وقد علمت أن ذلك الأمر مباح؟ فتقول: ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمنًا محسنًا، تريد: أن زيدا إن بقي مؤمنًا محسنًا فإنه غير مؤاخذ بما فعل.

(١) لم أقف على قول ابن عيسى، وقد ذكر المصنّف وجوهاً أخرى لتكرار (اتقوا) في الآية في «غرائب

التفسير» (١/ ٣٣٧) فقال: «في تكرارها أقوال:

أحدها: (اتقوا) فيما مضى... (ثم اتقوا) للحال، (ثم اتقوا) في المستقبل.

وقيل: (اتقوا) الكفر، (ثم اتقوا) المعاصي، (ثم اتقوا) داموا على التقوى.

العجيب: (اتقوا) الشرك، (ثم اتقوا) الكبائر، (ثم اتقوا) الصغائر».

مجاهدٌ: كانوا بالحديبية، فجعلت الوحوش تغشى رحالهم<sup>(١)</sup> كثرة<sup>(٢)</sup>.  
وقيل: هو صيد الحريم كائنًا ما كان من بيض النعام وفراخه وسائر الوحش حتى  
الجراد.

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ﴾ علم مشاهدة ﴿بِالْغَيْبِ﴾ غائبًا عنه.

وقيل: غائبًا عن المؤمنين، فلا يصيده سرًّا كما لا يصيده جهرًا.

﴿فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الظاهر أنه يعود إلى الابتلاء؛ لأنَّ التقدير: ليلوئكم الله

بتحريم شيء من الصيد.

﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: فصاد، فله عذاب أليم<sup>(٣)</sup>.

قيل: في الآخرة.

وقيل: في الدنيا بالضرب والتأديب.

\*\*\*

(٩٥) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا

قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا

لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ يريد: صيد الحريم وغيره.

و(حُرْمٌ): جمع حرام<sup>(٤)</sup>.

(١) في (و): «وجوههم».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٤) عن مقاتل بن حيان، وذكر الماوردي نحوه عن الكلبي

في «النكت والعيون» (٦٦/٢).

(٣) «أليم» من (ن).

(٤) في (ن): «إحرام».

﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ ابنُ عَبَّاسٍ فِي جَمَاعَةٍ: ذَاكِرًا إِحْرَامَهُ<sup>(١)</sup>.

وقيل: يتعمد القتل وينسى الإحرام.

﴿فَجَزَاءٌ﴾؛ أي: فعلية جزاء.

﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ﴾: يُمَاتِلُ مَا قَتَلَ<sup>(٢)</sup> ﴿مِنَ النَّعَمِ﴾.

صفةُ الجزاء<sup>(٣)</sup>، وَمَنْ أَضَافَ فـ ﴿مِثْلٍ﴾ زِيَادَةٌ.

وَالنَّعَمُ: الإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالشَّاةُ.

الزَّجَّاجُ: وَالطَّبَّاءُ أَيضًا نَعَمٌ.

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: عدلان مُسْلِمَانِ.

﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾: يُسَاقُ إِلَى مَكَّةَ<sup>(٤)</sup>، فَيُذَبِّحُ وَيُفَرِّقُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

والمثلُ فِي الصُّورَةِ وَالخِلْقَةِ.

وقيل: فِي الْقِيَمَةِ.

وقيل: مَا وَجَدَ لَهُ مِثْلٌ فِي الصُّورَةِ فَمِثْلُهُ صُورَةٌ، وَمَا لَمْ يُوْجَدْ لَهُ مِثْلٌ فِي الصُّورَةِ

فَمِثْلُهُ فِي الْقِيَمَةِ<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٥) بلفظ: «إن قتله متعمداً أو ناسياً أو خطأ حكم عليه فإن كان متعمداً عجلت له العقوبة إلا أن يعفو الله عنه».

(٢) «يمائل ما قتل» من (ن).

(٣) أي: كلمة (مثل) على قراءة من رفعها صفة (جزاء)، وقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر:

(فجزاء) مضمومة مضافة وبخفص (مثل)، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿فَجَزَاءٌ﴾ منونة مرفوعة

ورفع ﴿مِثْلٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

(٤) في (و): «كعبة».

(٥) انظر الأقوال الثلاثة في المراد بالمثل وتفصيلها في «مختصر اختلاف العلماء» للطحاوي

(٢٠٧ - ٢١٠).

والكعبة: اسمٌ لبيت الله الحرام، وسُمِّي كعبةً لكونها مربعًا، وقيل: <sup>(١)</sup> لنتوئه وتكعبه.  
وقيل: كلُّ بيتٍ منفردٍ فهو كعبةٌ.

﴿أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامَ مَسْكِينٍ﴾ يقومُ العدلان الهدي بالمكان الذي أصابه فيه،  
فيشتري بالثمن الطَّعام، ويقسمُ على مساكين مكة.

﴿أَوْ عَدَلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾؛ أي: ما ساواه من الصَّوم، فيصومُ عن كلِّ صاعٍ يومًا.  
وقيل: عن نصفِ صاعٍ.

وقيل: عن مدٍّ يومًا.

والعدُلُ بالفتح: ما ساوى شيئًا من غيرِ جنسه، وبالكسر: من جنسه <sup>(٢)</sup>.  
﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾: لينال الثُّقلَ الشَّدِيدَ على مخالفتِهِ أمرَ الله تعالى، والوبيلُ <sup>(٣)</sup>:  
الثَّقِيلُ، وسُمِّيَت خشبةُ القَصَّارِ: وبيلاً من هذا.

﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾؛ أي: عمَّا مضى من قتلِ الصَّيْدِ في الحرم والإحرام قبل  
التَّحريم.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾؛ أي: إلى القتل بعد التَّحريم.

﴿فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾؛ أي: فعليه الكفَّارةُ والإثمُ.

وقيل: عليه الكفَّارةُ فحسب، وهي الانتقامُ.

وقيل: عليه الإثمُ فحسب.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ لمن جاوز أمره.

(١) «كعبةً لكونها مربعًا، وقيل» من (ن).

(٢) انظر: «الصحاح» مادة (ع د ل) (٥/ ١٧٦١).

(٣) في (و): «والويل».

(٩٦) - ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَلَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾؛ أي: صيد الماء، والصَّيْدُ المصدِرُ، والصَّيْدُ: المصيد. ﴿وَطَعَامُهُ﴾: ما نضب عنه الماء.

وقيل: ﴿طَعَامِهِ﴾: كلُّ ما فيه.

ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾: الطَّرِي<sup>(١)</sup>، و﴿طَعَامِهِ﴾: المملوح<sup>(٢)</sup>.  
وقيل: ﴿طَعَامِهِ﴾: أكله<sup>(٣)</sup>.

وقيل: ﴿طَعَامِهِ﴾: ما سُقِيَ من ماء البحر.

﴿مَتَلَعًا لَكُمْ﴾: منفعة لكم.

﴿وَالسَّيَّارَةِ﴾: المسافرين.

وقيل: المسافرين في البحر.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾؛ أي: في إحرامكم.

والصَّيْدُ: الفعل هاهنا، وجازَ تناول ما صاده غيره حلالاً<sup>(٤)</sup>.

وقيل: هو المصيد أيضًا.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٢٣ / ٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٢١٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٣١ / ٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٢١١)، وذكره المصنف

في «غرائب التفسير» (٣٣٨ / ١)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣٣٨ / ١)، واستغربه.

(٤) «حلالاً» من (ن).

(٩٧) - ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْآبِيَةَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامِ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَيْدَ<sup>١</sup> ذَلِكَ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ﴾؛ أي: خلق ونصب.

﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بدلٌ منها.

﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾؛ أي: مصلحةً وبقاءً لأبدانهم، فيكون (النَّاسُ) أهل مكة والبادية.

وقيل: مصلحةً لأديان الناس، فيكون (النَّاسُ) عامًّا<sup>(١)</sup>.

﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَيْدَ﴾ سبق تفسيرها.

﴿ذَلِكَ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: يعلمُ مصالح ما

في السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: علمُ مصالحهم فيما فعل.

وَالْقِيَامُ: الثَّابِتُ وَالِاسْتِقْرَارُ.

وَمَنْ قَرَأَ: ﴿قِيَمًا﴾<sup>(٢)</sup> فهو مصدرٌ كالشَّبَعِ، ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَيْدَ﴾

عطفٌ على ﴿الْكَعْبَةَ﴾، والمفعولُ الثاني محذوفٌ<sup>(٣)</sup>، وهو ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾.

\*\*\*

(١) «فيكون الناس عامًّا» ليس في (ن).

(٢) هي قراءة ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، وفي العبارة إشكال، ولعل فيها سقطاً؛ فالمفعول الثاني مذكور،

لكنه محذوف الألف على قراءة ابن عامر، والله أعلم. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٨٣)،

و«التيان» للعكبري (١/٤٦٣).

(٩٨) - ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إِنَّمَا قَدَّمَ ذِكْرَ الْعُقُوبَةِ تَخْوِيفًا وَتَحْرِيزًا عَلَى التَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ عَنِ الذُّنُوبِ<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٩٩) - ﴿مَاعَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿مَاعَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾؛ أي: لم نأمره إلا بتبليغ ما حُمِّلَ. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ فلا يخفى عليه نفاق ولا وفاق.

\*\*\*

(١٠٠) - ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ

الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ الحسن: الحلال والحرام<sup>(٢)</sup>.

ابن جرير: الكافر والمؤمن<sup>(٣)</sup>.

(١) في (و): «عنها».

(٢) في (و): «الحلال وما تكتمون». ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ٧٠)، والواحدي في «السيط» (٧ / ٥٤١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٩ / ١٢)، وفيه: «يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد: لا يعتدل الرديء والجيد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي ولو أعجبك كثرة الخبيث يقول: لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله ولو كثرت أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم؛ لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلوا دون أهل معصيته، وإن أهل معاصيه هم الأخرسون الخائبون وإن كثروا». ثم روى عن السدي قال: «الخبيث: هم المشركون، والطيب: هم المؤمنون».

وقيل: أهل الطّاعة وأهل المعصية؛ أي: لا يستويان<sup>(١)</sup> في المنزلة والمكان.  
﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ﴾؛ أي: أعجبتك كثرتهم؛ فإنها إلى نقصٍ وزوالٍ.  
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْوِيلُ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

\*\*\*

(١٠١) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَلْ لَكُمْ سُؤْمُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَشْيَاءَ﴾ في سبب نزولها قولان:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا يسألون النبي عليه السلام عن أشياء لا يعينهم علمها إعتاناً واستهزاءً وامتحاناً، وأن رسول الله عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما كانوا يسألونه، فقال في أثناء كلامه: «لا تسألوني<sup>(٢)</sup> عن شيءٍ إلا أجبتمكم عليه ما دمتم في مقامي هذا»، فقام رجلٌ يُقال له: عبد الله من بني سَهْمٍ<sup>(٣)</sup>، فسأله عن أبيه، وكان يُتنازع فيه، فقال: «حذافةُ بن قيسٍ» وكان يُدعى بغيره، وقام آخرٌ يطعنُ في نسبه فقال: مَنْ أبي؟ فقال: «جثامة» وكان يُعرف بغيره<sup>(٤)</sup>.

(١) في (و): «لا يستوي».

(٢) في (ن): «لا تسألوني».

(٣) في (و): «عبد الله بن سلام».

(٤) رواه البخاري (٤٦٢٢) مختصراً بإبهام السائل، وجاء مصرحاً به في حديث أنس رضي الله عنه في البخاري (٦٣٦٢)، ومسلم (٢٣٥٩). ولم أقف على تسمية أبي السائل الثاني جثامة، وقد ذكر مقاتل في «تفسيره» (٥٠٨/١) أنه سماه سعداً، وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢٤٥/٢) وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣٨٠/٤) أنه سماه سالم مولى أبي شيبة.

ويُروى: فقال: أين أنا؟ فقال: «في النَّار»<sup>(١)</sup>.

ويُروى: فقال: أين أبي؟ فقال: «في النَّار»<sup>(٢)</sup>.

فرجعَ إلى أمِّه وحدثها بما جرى فقالت: صدق<sup>(٣)</sup>.

وكانت في الجاهليَّة مُناكحاتٍ نسخها الإسلام.

وذهب جماعةٌ إلى أنه لما نزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]

سأل سُرَاقَةُ بنُ مالكٍ فقال: أفي كلِّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكت رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>،

فسأله فسكت<sup>(٥)</sup> مرَّاتٍ، حتَّى قال في الرَّابِعة: «لا، ولو قلتُ: نعم، لوجِبَ»،

فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٦)</sup>.

(١) «فقال: في النار» من (ن). ذكره مقاتل في «تفسيره» (١ / ٥٠٨)، والماتريدي في «تأويلات أهل

السنة» (٣ / ٦٣٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١١ / ٥١٤)، والواحدي في «البيسط» (٧ / ٥٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ١٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٤٧٥) من حديث أبي

هريرة رضي الله عنه.

(٣) وفي رواية مسلم (٢٣٥٩) في حديث أنس رضي الله عنه السابق: «قال ابن شهاب: أخبرني

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قالت أم عبد الله بن حذافة، لعبد الله بن حذافة: ما سمعت بابن قط

أعق منك؟ أأمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية، فتفضحها على أعين

الناس؟ قال عبد الله بن حذافة: والله لو ألحقتني بعبد أسود للحقته».

(٤) «فسكت رسول الله ﷺ» من (ن).

(٥) «فسكت» ليس في (ن).

(٦) رواه مسلم (١٣٣٧) دون ذكر سبب نزول الآية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: خطبنا

رسول الله ﷺ، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا

رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم»،

ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، =

وفي بعض الروايات: فاشتدَّ غضبُ رسول الله عليه السَّلام، فجتا عمرُ رضي الله عنه على رُكْبتيه فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا، وبالقرآن إمامًا، إنا يا رسول الله حديثو عهدٍ بجاهليَّةٍ وشركٍ، فاعفُ عَنَّا عفا الله عنك. فسكنَ غضبُه، وقال عليه السَّلام: «لقد صُوِّرَتْ لي الجنَّة والنَّارُ أَنفًا في عرضِ هذا الحائط، فلم أَرَ كالِيومِ في الخيرِ والشرِّ»<sup>(١)</sup>.

والمعنى: لا تسألوا عن أشياء كالسائلِ عن أبيه.

﴿إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ﴾: إِنْ يَخْبِرُكُمْ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿سُؤُوكُمْ﴾: تَعْمُكُم.

﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ﴾: يَخْبِرُكُمْ.

وقيل: معناه: إِنْ لَمْ تَبْتَدِئُوا بِالسُّؤَالِ عَنِ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ وَتَوَقَّعْتُمْ بَيَانَهُ حَتَّى يَنْزَلَ الْقُرْآنُ، كَانَ أَصْلَحَ لَكُمْ.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ قيل: فِيهِ تَقْدِيمٌ، وَالمعنى: لَا تَسْأَلُوا عَنِ أَشْيَاءِ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا؛ أَي: تَجَاوَزَ عَنِ الذَّنْبِ الْوَاقِعِ بِسَبَبِهَا.

= فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». ورواه الترمذي (٣٠٥٥)، وابن ماجه (٢٨٨٤) عن علي رضي الله عنه بذكر سبب نزول الآية، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(١) روى نحوه البخاري (٦٣٦٢)، ومسلم (٢٣٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه المسألة، فغضب فصعد المنبر، فقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بيته لكم» فجعلت أنظر يميناً وشمالاً، فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي، فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «حذافة»، ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن، فقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت في الخير والشر كالِيومِ قط، إنه صورت لي الجنَّة والنَّار، حتى رأيتهما وراء الحائط» وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ سُؤُوكُمْ﴾.

وقيل: خَفَّفَ<sup>(١)</sup> بها عنكم، فَلَمْ يَتَعَبَّدْكُمْ فِيهَا.

وقيل: هو واقعٌ موقَعه، وتقديرُه: عفا الله عما سألتم فلا تسألوا بعدها.

ابن عيسى: يجوزُ أن تعودَ الهاء<sup>(٢)</sup> في ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ إلى ﴿أَشْيَاءَ﴾، فيكون حَقُّه التَّقْدِيمُ<sup>(٣)</sup>، ويجوزُ أن تعودَ إلى المسألة فهو في موقَعه.

﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ حَلِيمٌ﴾.

و(أشياء): جمعُ شيءٍ.

قال الخليل: اسم موضوع لجمع شيءٍ، وليس جارياً عليه، قال: ولم يُصَرَّفْ؛ لأنَّه على وزنِ فَعْلَاءَ، وأصلُه: شَيْئَاءَ، فُقِدَّمَ الهمزة الأولى استثقلاً للجمع بين الهمزتين، فصار (أشياء)، ووزنها (لَفْعَاءُ)<sup>(٤)</sup>.

قال الأخفش: وزنها أفعلاء ك: هَيْنٍ وَأَهْوِنَاءَ، فحُذِفَ إحدى الياءين.

وقال الكسائي: وزنها أفعالٌ، لكنَّها لا تَنصَرَفُ تشبيهاً ب(حمراء).

وهذا ضعيفٌ يُبطلُه أسماءٌ وأبناءٌ.

وقول الأخفش يُضَعِّفه التَّصْغِيرُ حيثُ تقول: أَسْيَاءَ، وعلى قياس قوله يجب أن

يُصَغَّرَ شَيْئَاتٍ كَصُدَيْقَاتٍ في تصغير أصدقاء<sup>(٥)</sup>.

(١) في (و): «يخفف».

(٢) في (ن): «يجوز أن يكون الهاء عائداً».

(٣) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (١٢ / ٤٤٥) دون نسبة، ثم قال: «وهذا ضعيف؛ لأن الكلام إذا

استقام من غير تغيير النظم لم يجز المصير إلى التقديم والتأخير».

(٤) انظر: «العين» (٦ / ٢٩٥-٢٩٦).

(٥) أي: إذا كان المراد بها المؤنث، كما في «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ٢١٢).

وقول الخليل قول سيبويه وجميع البصريين<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١٠٢) - ﴿قَدَسَ أَلْهَآ قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾.

﴿قَدَسَ أَلْهَآ قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ قيل: سأل مثلها، فحذف المضاف.

وقيل: سأل عنها، وحذف الجار.

وقيل: (سألها) و(سأل عنها) بمعنى.

قيل: هو سؤالهم المائدة.

وقيل: يعني: ثمودًا حين سألوا صالحًا الناقة.

﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾؛ أي: بسببها حيث لم يأتروا بما سألوا.

\*\*\*

(١٠٣) - ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى

اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ﴾ هذه أسماء وضعها عمرو بن

لُحَيٍّ على أنواع من النعم يأتي ذكرها إن شاء الله.

(١) وإلى قول الأخفش مال الزبدي والفراء والكوفيون. انظر أقوال الخليل وسيبويه والأخفش

والكسائي والفراء والزبدي والبصريين والكوفيين في «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ٢١٢)،

و«إعراب القرآن» للنحاس (١ / ٢٨٣)، و«تهذيب اللغة» (١١ / ٣٠١)، و«البيضا» للواحيدي

(٧ / ٥٤٦)، و«الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين» للأبناري

(٢ / ٦٧٠)، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٣٩): «ولا يصح من هذه الوجوه إلا قول

سيبويه والخليل».

وذكر المفسرون أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله عليه السَّلام يقولُ لأَنتُم بنِ جَونِ الخِزاعيِّ: «يا أَكثُم، رأيتُ<sup>(١)</sup> عمرو بنَ لحيِّ بنِ قَمعةَ بنِ خندفٍ يجرُّ قصبَه في النَّارِ، يُؤذي بِرائِحِها<sup>(٢)</sup> أهلَ النَّارِ، فما رأيتُ من رجلٍ أشبهَ بكِ منه، ولا أشبهَ به منك» فقال أَكثُم: أضرُّني شَبُهُه؟ قال: «لا؛ لأنَّكَ مؤمنٌ وهو كافرٌ، وإنَّه أوَّلُ منَ غيرِ دينِ إسماعيلَ ونصبَ الأوثانَ وسيبَ السَّائبةَ»<sup>(٣)</sup>.

واختلفَ المفسِّرونَ في البَحيرة:

فقال أبو عبيدة: هي النَّاقَةُ إذا نتجت خمسةَ أبطنٍ، فإن كان آخرُها ذكراً شقُّوا أذنَ النَّاقَةِ وخلَّوا سبيلَها، فلا تُركَّبُ ولا تُحلبُ<sup>(٤)</sup>.

قتادة: هي النَّاقَةُ إذا نتجت خمسةَ أبطنٍ نُظِرَ في الخامسِ، فإذا كان<sup>(٥)</sup> ذكراً ذبحوه وأكلوه، وإن كانت أنثى شقُّوا أذنَ الأنثى وقالوا: هذه بحيرةٌ فلم تُركَّب ولم تُحلبُ<sup>(٦)</sup>.

وقيل: هي النَّاقَةُ إذا ولدت خمسةَ أبطنٍ إنثاءً بَحِرَتْ أذنها<sup>(٧)</sup>.

(١) في (ن): «ورأيت».

(٢) في (ن): «بريحها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٢٧ و ٣١)، وروى بعضه البخاري (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦)،

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٨٠٠) من حديث جابر رضي الله عنه، والحاكم في

«المستدرک» (٨٧٨٨) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١ / ١٨٠)، وقد ذكره عن بعضهم، وذكر غيره.

(٥) من قوله: «آخرها ذكراً شقُّوا» إلى قوله: «الخامس فإذا كان» من (ن).

(٦) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٥٢)، والطبري في «تفسيره» (٩ / ٣٥، ٣٧)، وفيه أنه إن كان

الخامس ذكراً تذبح ويأكل منها الرجال دون النساء.

(٧) «أذنها» ليس في (ن).

وقال محمد بن إسحاق قولاً يجمع بيان البحيرة والسائبة قال: السائبة: الناقة إذا تابعت بين عشر إناثٍ ليس فيهنَّ ذكرٌ، سُبِّتَ فلم يُركَبْ ظهرُها ولم يُجَزَّ وبرُها، ولم يشرب لبنها إلا ضيفٌ، وما نتجت بعد ذلك من أنثى شقَّ أذنُها، وخُلِّي سبيلُها مع أمِّها في الإبل؛ فلم تُركَبْ ولم تُحلب كما فعلَ بأمِّها، فهي البحيرة بنتُ السائبة<sup>(١)</sup>.

واشتقاقها من (بحرت)؛ أي: شققت، ومنه البحر.

أبو عبيدة: السائبة: الناقة يُسبِّها الرَّجُلُ في مرضه أو عند قدومه من سفره<sup>(٢)</sup>.  
وقيل: هو البعيرُ تَنجَحُ عليه الحاجةُ فيُسبِّبُ.

وقيل: هو ما كانوا يُسبِّونَه من المال والعبيد والإماء وغيرها للأصنام وُخِداًمها.

واشتقاقه من (سببت الشيء): أهملته وخلَّيته، والسائبة: المسيية.  
والوصيلة: من الشاءِ خاصَّةً، فإنَّها إذا نتجت<sup>(٣)</sup> أربعةً أبطنٍ ثمَّ ولدت الخامس؛ ذكراً أو أنثى، قيل: قد وصلت أحاها.

ابن عباسٍ رضي الله عنهما: كانوا يحكمون بذلك في البطن السابع<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١ / ٨٩)، ووافق ابن هشام ابن إسحاق في البحيرة وخالفه في غيرها، فقال: «وهذا كله عند العرب على غير هذا إلا الحامي...»، ثم ذكر في السائبة نحو قول أبي عبيدة الآتي.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ١٨٠).

(٣) في (ن): «ولدت».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٢٢٢).

ابن إسحاق: إذا أتأمت<sup>(١)</sup> الشاةُ عشرًا<sup>(٢)</sup> إناءًا متتابعاتٍ في خمسةِ أبطنٍ ليس بينهنَّ ذكرٌ<sup>(٣)</sup>.

والحام: قال أبو عبيدة: إذا ضربَ في إبلِ الرَّجُلِ عشرَ سنين، قيل: حمى ظهره، فلا يُتَمَعُّ بظهره<sup>(٤)</sup>.

وقيل: إذا نتجَ من صُلبِهِ عشرةُ أبطنٍ.

وقيل: إذا ركبَ ولدٌ ولده.

والمعنى: ما أمرَ الله بشيءٍ من ذلك.

﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ﴾ في نسبتهم هذا التَّحْرِيمَ إليه.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحلالَ من الحرام.

وقيل: أكثرهم لا يعقلون؛ لأنهم التَّابِعُونَ، والمُفْتَرُونَ هم المتبوعون.

\*\*\*

(١) أتأمت: وضعت اثنين في بطن واحد. انظر: «الصحاح» مادة (ت أم) (٥ / ١٨٧٦).

(٢) في (ن): «عشرة».

(٣) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢ / ٧٤)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١ / ٨٩)، وخالف ابن

هشام ابن إسحاق في الوصيلة فقال: «والوصيلة: التي تلد أمها اثنين في كل بطن، فيجعل صاحبها لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور منها، فتلدها أمها ومعها ذكر في بطن، فيقولون: وصلت أخاها. فيسيب أخوها معها فلا يتنفع به».

(٤) ذكر أبو عبيدة في (الحام) قولين؛ الأول: أنه جملٌ ضرب من ولد البحيرة، والثاني: أنه ما نتجوا منه

عشرة أبطن، وما ذكره المصنف في تفسير (الحام) منقول عن الإمام الشافعي. انظر: «الأم» للشافعي

(٤ / ٨٣)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ١٧٧ - ١٧٩).

(١٠٤) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾؛ أي: قالوا: إنَّ آباءنا كانوا عقلاء ذوي بصائر، فنحن ندين بما دانوا به، فقال الله:

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؛ أي: في الناس علماء وسفهاء، فما يؤمنكم أن يكون آباؤكم الذين غيروا دين الله سفهاء، فتتبعونهم على جهالة؟! فدلَّت الآية على وجوب النظر والتدبُّر وبطلان التقليد.

\*\*\*

(١٥٠) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فإِنبِئْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: احفظوها.

وهي <sup>(١)</sup> نصبٌ على الإغراء <sup>(٢)</sup>.

الدمياطي: أي: ليعظ بعضكم بعضًا وليعلمه ما يقربه من الله ويبعده من الشيطان <sup>(٣)</sup>.

(١) أي: كلمة (أنفسكم).

(٢) أي: نصب بفعل مضمحل يدلُّ على الإغراء، ومنه نصب بأسماء الأفعال المنقولة. انظر: «العين»

(٨ / ٧٠)، و«الكتاب» لسيبويه (١ / ٢٧٣-٢٧٧)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٢ / ٢٦٨)، و«علل

النحو» لابن الوراق (ص: ٣٥٦)، و«توضيح المقاصد» للمراي (٣ / ١١٥٧).

(٣) ذكر هذا القول الواحد في «السيط» (٧ / ٥٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية

عطاء عنه.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ﴾ من الكفَّارِ وأهلِ الكتابِ ﴿إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾: آمَنْتُمْ وأمرْتُمْ بالمعروفِ ونهيتُمْ عن المنكرِ؛ فَإِنَّهُ من شرطِ الاهتداء.

وَرُوِيَ عن أبي بكرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هَذِهِ الآيَةَ وَتَضَعُونَهَا غَيْرَ مَوْضِعِهَا، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ يَوْشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ [الله] بِالْعِقَابِ»<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هو إذا أمرَ بالمعروفِ<sup>(٣)</sup> فلم يُطع.

ابن جرير: هو في آخرِ الزَّمانِ إذا لم ينفع الأمرُ بالمعروفِ<sup>(٤)</sup>.

وقوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ يجوزُ أن يكونَ رَفْعًا على الاستئناف، ويجوزُ أن يكونَ جزمًا بالجواب، ويجوزُ أن يكونَ نهيًا<sup>(٥)</sup>.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: رجوعُكم ﴿جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: لا يأخذُ أحدًا بذنبٍ غيره.

\*\*\*

(١) في (و): «بالعذاب».

(٢) رواه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٣) «بالمعروف» من (ن).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٤٣ / ٩)، وقد رواه بمعناه عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم.

(٥) في هامش (ن): «إذا جعلت ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ مجزومًا فحركته ضمة؛ لأنه لالتقاء الساكنين، وهو من البناء، وإذا جعلت نهيًا فهو أيضًا حركة ضم؛ لموافقة الضاد»، وهذا كله على قراءة ﴿يَضُرُّكُمْ﴾، وقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (يَضُرُّكُمْ) بكسر الضاد وجزم الراء. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١ / ١٧٨ و ٢٨٤)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(١٠٦) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ آرَبْتُمْ لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَنكُرُكُمْ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّ مِنَ الْآثِمِينَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَانِ﴾  
 أجمع المفسرون على أن هذه الآيات نزلت في ثلاثة نفرٍ من التُّجَّارِ خرجوا من المدينة إلى الشَّام، وهم: تميم بن أوسِ الدَّارِيِّ من لَحْمٍ، وعديُّ بن بدي - منهم مَنْ روى: بُدِيِّ على التَّصْغِيرِ، ومنهم من روى: بُدَى مثل عُرَى، ومنهم من روى: بَدَاء على وزن فَعَلَاء - وكانا نصرانيَّين يختلفان إلى بلاد<sup>(١)</sup> الشَّام قبل الإسلام، ومعهما بُدَيْلُ بن أبي مارية<sup>(٢)</sup> الرُّومِيّ، وهو مولى عمرو بن العاص، وكان مُسْلِمًا مولى لبني سَهْمٍ، فلَمَّا قَدِمُوا الشَّام مَرَضَ بُدَيْلُ<sup>(٣)</sup>، فكَتَبَ صَحِيفَةً فِيهَا جَمِيعُ مَا مَعَهُ، وَطَرَحَ فِي جُوالِقِهِ<sup>(٤)</sup>، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ أَوْصَى إِلَى تَمِيمٍ وَعَدِيٍّ الدَّمِيَّينِ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَدْفَعَا مَتَاعَهُ إِلَى أَهْلِهِ إِذَا رَجَعَا إِلَيْهِمْ، وَمَاتَ بُدَيْلٌ.

وقيل: كان خروجهم إلى النَّجَاشِيِّ فِي السَّفِينَةِ، فَمَاتَ بُدَيْلٌ فِي السَّفِينَةِ، وَطَرَحَ فِي الْبَحْرِ، فَقبضوا تركته ففتشاه، وأخذوا منه إناءً كان من فضة<sup>(٥)</sup> منقوشًا

(١) «بلاد» ليس في (ن).

(٢) في بعض المصادر: «مریم» بدل «مارية»، واختلف أيضًا في اسمه فقيل: (بدیل)، و(بریر)، و(بریل)، و(بُرَّیل) - بالزاي - و(نُزَّیل). انظر: «فتح الباري» (١/ ٢٨٩).

(٣) من قوله: «أبي مارية» إلى قوله: «مرض بدیل» من (ن).

(٤) جوالقه بضم الجيم وفتح اللام: الوعاء من جلود وثياب وغيرها، فارسي معرب، وأصله: كواله، وجمعه: جواليق، وحكي: جوالق. انظر: «فتح الباري» (٧/ ١٥٧).

(٥) «من فضة» من (ن).

بالذَّهَبِ فِيهِ ثَلَاثُ مِئَةِ مِثْقَالٍ مَمُوءًا بِالذَّهَبِ، ثُمَّ قَضِيَا حَاجَتَهُمَا مِنَ الْبَلَدِ وَانصَرَفَا. فَقَدِمَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَفَعَا الْمَتَاعَ إِلَى أَهْلِ الْمَيْتِ<sup>(١)</sup> فَسَأَلُوا عَنْهُمَا، وَقَالُوا لَهُمَا: هَلْ بَاعَ شَيْئًا مِنْ مَتَاعِهِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ؟ قَالَا: لَا، قَالُوا: فَهَلْ طَالَ مَرَضُهُ فَبَاعَ شَيْئًا مِنْ مَتَاعِهِ؟ قَالُوا: لَا، إِنَّمَا مَرَضَ مِنْ حِينَ قَدِمَ الْبَلَدَ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ وَلَمْ يَطُلْ مَرَضُهُ، فَفَتَشُوا مَتَاعَهُ وَأَصَابُوا الصَّحِيفَةَ فِيهَا تَسْمِيَةٌ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ مَتَاعِهِ وَفِيهِ الْإِنَاءُ، فَأَتَاهُمْ بَنُو سَهْمٍ مَوَالِي الْمَيْتِ فَقَالُوا لَهُمَا: أَلَسْتُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّ صَاحِبَنَا لَمْ يَبِعْ شَيْئًا مِنْ مَتَاعِهِ، وَلَا طَالَ مَرَضُهُ فَأَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ بَعْضَ مَالِهِ؟ قَالَا: بَلَى، قَالُوا: إِنَّا وَجَدْنَا فِي مَتَاعِهِ صَحِيفَةً فِيهَا ذِكْرُ إِنْاءٍ قِيمَتُهُ ثَلَاثُ مِئَةِ مِثْقَالٍ، وَلَمْ تَدْفَعُوا إِلَيْنَا، قَالَا: لَا نَدْرِي إِنَّمَا أَوْصَى إِلَيْنَا بِشَيْءٍ وَأَمَرَنَا أَنْ نَدْفَعَهُ إِلَيْكُمْ، فَدَفَعْنَاهُ وَمَا لَنَا بِالْإِنْاءِ مِنْ عِلْمٍ، فَرَفَعُوهُمَا إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ فَنَزَلَتْ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ﴾... الآية، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ الْعَصْرَ<sup>(٢)</sup> وَدَعَا بِهِمَا، فَاسْتَحْلَفَهُمَا بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنََّّهُمَا لَمْ يَخْتَانَا شَيْئًا مِمَّا دَفَعَ إِلَيْهِمَا، فَحَلَفَا عَلَى ذَلِكَ، فَخَلَّى رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبِيلَهُمَا، ثُمَّ إِنَّهُمَا أَظْهَرَا الْإِنْاءَ، فَبَلَغَ بَنِي سَهْمٍ فَأَتَوْهُمَا وَقَالُوا لَهُمَا: أَلَمْ تَزْعَمَا أَنَّ صَاحِبَنَا لَمْ يَبِعْ شَيْئًا مِنْ مَتَاعِهِ؟ قَالَا: بَلَى، قَالُوا لَهُمَا: مَا بَالُ هَذَا الْإِنْاءِ مَعَكُمْ وَهُوَ مِمَّا خَرَجَ صَاحِبُنَا بِهِ وَقَدْ حَلَفْتُمَا عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَا: إِنَّا كُنَّا ابْتِغَاءَهُ مِنْهُ<sup>(٣)</sup> وَلَمْ يَكُنْ لَنَا عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ، فَكْرَهْنَا أَنْ نَقَرَّ بِهِ لَكُمْ فَتَأْخُذُوهُ مِنَّا<sup>(٤)</sup>، وَتَسْأَلُونَا عَلَيْهِ الْبَيِّنَةَ فَلَا نَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَرَفَعُوهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَإِنْ عُرِّعَ عَنْهُمَا أُسْتَحْفَظَا إِنَّمَا فَعَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾.

(١) فِي (و): «الْبَيْت».

(٢) «الْعَصْر» مِنْ (ن).

(٣) «مِنْهُ» مِنْ (ن).

(٤) «مِنَّا» مِنْ (ن).

فقام عمرو بن العاص والمطلّب بن أبي وداعة السهميان، وقيل: عبد الله بن عمرو بن العاص دون عمرو - وقيل<sup>(١)</sup>: وسنّ عبد الله احتمال ذلك؛ لأنّه وُلِدَ لعمرو ولعمرو اثنتا عشرة سنة - فحلّفا أنّ المال كان أكثر ممّا أتيتمونا به، وأنّ شهادتنا أصدق<sup>(٢)</sup> من شهادتكما<sup>(٣)</sup>، فدفع الإناء إلى أولياء الميت.

ثم إنّ تميمًا أسلم وكان يقول: صدق الله وبلّغ رسوله، وأنا والله اختنت بالإناء، وأنا أستغفر الله<sup>(٤)</sup>.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا أنّه يروي عن تميم أنّه قال: فلمّا أسلمت تأثمت من ذلك، فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر، وأدّيت خمس مئة درهم، وأخبرتهم أنّ عند صاحبي مثلها، فوثبوا إليه، فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه، فنزلت هذه الآية، فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلّفا، فنزعت خمس مئة الدرهم من عديّ بن بدي<sup>(٥)</sup>.

(١) «وقيل» من (ن).

(٢) في (و): «أحق»، والمثبت موافق لـ «غرائب التفسير» (١ / ٣٤١).

(٣) في (و): «شهادتهما».

(٤) رواه البخاري (٢٧٨٠) مختصرًا عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري، وعدي بن بداء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته، فقدوا جامًا من فضة مخوصًا من ذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ، ثم وجد الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أوليائه، فحلّفا لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية»، وانظر: «تفسير الطبري» (٩ / ٧٤ - ٨٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٧ / ١٥٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١٣).

(٥) رواه الترمذي (٣٠٥٩)، وقال: «هذا حديث غريب، وليس إسناده بصحيح، وأبو النضر الذي روى عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عدي محمد بن السائب الكلبي، يكنى أبا النضر، وقد تركه =

ومعنى الآية: أن من أحسَّ بالموت فعليه أن يستشهد عدلين من المسلمين، فإن كان في سفرٍ لا يجد مسلمين فله أن يُشهد كتابيين، فإن لم يثِقِ الورثةُ بقولهما حلِّفاً يمينَ دينهما بعد العصر أنَّهما صادقان فيما يشهدان به، فإن ادَّعى الورثة بعد ذلك أنَّهما كذبا بما قد ظهر من أمارات الكذب اختير منهم رجلان معروفان بالصدق والسداد، وحلِّفاً بأوكد الأيمان أن الشاهدين كاذبان، وأن الورثة في دعواهم عليهما صادقون، ثم يمضي الحكم على ذلك.

واعتمدتُ في إعراب الآية على ما ذكره أبو علي في «الحجة» والزجاج في «المعاني»<sup>(١)</sup>:

قوله: ﴿شَهِدَةٌ﴾ رفعٌ بالابتداء.

الزجاج: فيما فرض عليكم شهادة بينكم، والمراد بالشهادة: الإشهاد والاستشهاد<sup>(٢)</sup>؛ إذ الغرض منها الوصية.

﴿بَيْنَكُمْ﴾: ظرفٌ أضيف إليه، كما وقع في قوله: ﴿نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]،

وقال:

فصَادَفَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الْجَبُوبَا<sup>(٣)</sup>

= أهل الحديث، وهو صاحب التفسير.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢١٤-٢١٧)، و«الحجة» (٢/ ٢٦٢-٢٧٠)، وقال المصنف

في «غرائب التفسير» (١/ ٣٣٩): «ذكر المفسرون أن هذه الآية من أشكال آية في القرآن حكماً

ومعنى وإعراباً»، ونقله عنه السيوطي في «الإتقان» (٤/ ١٥٥)، و«معترك الأقران» (١/ ٣٦٥).

(٢) «الزجاج: فيما فرض عليكم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الإشهاد والاستشهاد» من (ن).

(٣) عجز بيت لأبي خراش الهذلي، وصدْرُه:

فَلَاقَتْهُ بِلَقْعَةٍ بَرَّازٍ

=

وقوله: ﴿إِذَا﴾<sup>(١)</sup> ظرفٌ للشَّهادة، وتقديرُه: شهادةٌ بينكم حينَ ﴿حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتَ﴾؛ أي: أسبابه، كما سبق.

الزَّجَّاجُ: الشَّهادة في وقت الوصية هي الموت، ليس أن الموت حاضرُه حين الوصية.

﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ بدلٌ من ﴿إِذَا﴾.

وقيل: نصبٌ بالموت.

وقيل: بـ ﴿حَضَرَ﴾.

﴿أَثْنَانِ﴾ خبر المبتدأ؛ أي: شهادة بينكم شهادةً اثنتين، فحذف المضاف.

وقيل: ذو شهادة بينكم اثنان<sup>(٢)</sup>.

وعلى قول الزَّجَّاجِ ارتفعاً بالمصدر، وهما<sup>(٣)</sup> فاعلان<sup>(٤)</sup>.

﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفةٌ لـ (الاثنتين)، وكذلك ﴿مِنْكُمْ﴾، والمراد: من دينكم.

وقيل: من قبيلتكم.

﴿أَوْءَاخِرَانَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿أَثْنَانِ﴾.

﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ صفةٌ لهما، ومعناه: من غير دينكم.

= انظر: «ديوان الهذليين» (٢ / ١٣٤)، وفيه: «صادم» بدل «صادف».

(١) «وقوله إذا» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٤٢)، واستغربه.

(٣) في (ن) زيادة: «غير».

(٤) قال الزجاج في «معاني القرآن» (٢ / ٢١٥): «وفيما فرض الله عليكم في شهادتكم أن يشهد اثنان،

فيرفع (اثنان) بـ (شهادة)، والمعنى: أن يشهد اثنان».

وقيل: من غير قبلتكم.

و(أو) للتفصيل.

﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: سافرتُم فيها<sup>(١)</sup>، ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾؛

أي: قاربتم الأجل.

وهذا اعتراض بين الصِّفَةِ والموصوف؛ لأنَّ قوله: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ

الصَّلَاةِ﴾ صفةٌ لقوله: ﴿أَوْ آخِرَانَ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، وأفاد الاعتراض أنَّ شهادة مَنْ هو

من غيركم إنما تُسَمَعُ في حال السَّفَرِ والضَّرورة.

وحذف جوابُ ﴿إِنْ﴾؛ لأنَّ قوله: ﴿أَوْ آخِرَانَ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ دلَّ عليه.

والمرادُ بـ﴿الصَّلَاةِ﴾: العصر.

وقيل: الظُّهر.

وقيل: عامٌّ في الصَّلوات.

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾؛ أي: إن ارتابَ الورثةُ حُسبًا على القسم.

﴿لَا نَشْتَرِي﴾: لا نُؤْتِرُ ﴿بِهِ﴾: بتحريفِ شهادتنا.

وقيل: كنايةٌ عن الله سبحانه<sup>(٢)</sup>.

وقيل: كنايةٌ عن الإقسام.

و(أقسم) يُتَلَقَّى به القسم<sup>(٣)</sup>.

(١) «فيها» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٣)، واستغربه.

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، وفي المطبوع من «غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٣٤٣): «(أقسم)

يتعلق بما يتعلق به القسم»، ولعلَّ تصويب العبارة: (أقسم) يُتَلَقَّى بما يُتَلَقَّى به القسم، والله أعلم.

انظر: «البصريات» لأبي علي الفارسي (٢/ ٩١٥).

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾؛ أي: الأوليان ﴿لَشَهَدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا﴾؛ أي: أصدق وأولى بأن تُقبَل.

﴿وَمَا أَعْتَدْنَا﴾: ما تجاوزنا الحقَّ فيها.

﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾: الواضعين الباطلَ موضعَ الحقِّ.

\*\*\*

(١٠٨) - ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۖ وَاتَّقُوا

اللَّهَ وَأَسْمِعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۖ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: تحليفُ الشَّاهدِ في جمعٍ<sup>(١)</sup> من النَّاسِ.

وقيل: ذلك الحُكْمُ، وذلك الفعل.

﴿أَدْنَىٰ﴾: أقربُ ﴿أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ كما حملوها من غيرِ تحريفٍ

ولا خيانةٍ فيها.

﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾؛ أي: إذا علموا بردَّ اليمينِ على المدَّعين بعد

أيمانهم احترزوا من الكذبِ والخيانة؛ إمَّا لله وإمَّا مخافةَ الافتضاح.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ لا الفضيحةَ.

﴿وَأَسْمِعُوا﴾: اقبلوا.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الذين يشهدون الزُّورَ.

للصَّحابةِ والتَّابعينِ والفقهاء<sup>(٢)</sup> في هذه الآية خمسة أقوال<sup>(٣)</sup>:

(١) في (و): «موضع».

(٢) في (و): «للصَّحابةِ وللفقهاء».

(٣) انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٤/ ٢٩١)، و«غرائب التفسير» للمصنف (١/ ٣٤١).

منها: أَنَّ شَهَادَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَائِزَةٌ فِي السَّفَرِ<sup>(١)</sup> إِذَا كَانَتْ وَصِيَّةً .

وقال قومٌ: كان هذا<sup>(٢)</sup> هكذا ثم نُسِخَ، ولا تجوزُ شهادةُ كافرٍ بحالٍ .

وقال قومٌ: الآيةُ كُلُّهَا في المسلمِينَ إِذَا شَهِدُوا<sup>(٣)</sup> .

وقيل: ليس هذه الشَّهادة<sup>(٤)</sup> التي تُؤدَّى، وَإِنَّمَا الشَّهادةُ هَاهُنَا بِمَعْنَى الْحَضُورِ .

والقول الخامس: الشَّهادةُ هَاهُنَا<sup>(٥)</sup> بِمَعْنَى الْيَمِينِ .

\*\*\*

(١٠٩) - ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ

الْغُيُوبِ﴾ .

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾؛ أي: اذكروا، وقيل: احذروا، وقيل: اتَّقُوا .

وقوله: ﴿الرُّسُلَ﴾؛ أي: الرُّسُلَ وَالْأُمَّمَ<sup>(٦)</sup> .

﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾: ما الذي أجابتكم أممكم حين دعوتموهم إلى

الإيمان؟

وهذا السؤالُ توبيخٌ لمن أنكرهم .

(١) في (و) زيادة: «إِذَا شَهِدُوا» .

(٢) «هذا» من (ن) .

(٣) «إِذَا شَهِدُوا» من (و) .

(٤) في (و): «الوصية» .

(٥) «هاهنا» من (ن) .

(٦) من قوله: «أي: اذكروا» إلى قوله: «الرسُل والأُمَّم» من (ن) .

وقيل: سؤال استشهاد<sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ لا يجوزُ إجراؤه على الظاهر؛ لأنَّ القيامةَ<sup>(٢)</sup> لا يُكذَّبُ فيها، ولأنَّ الأنبياءَ لا يكذبون، وتقديره عند ابن عباسٍ رضي الله عنهما: لا علم لنا إلا علم أنت أعلمُ به منّا<sup>(٣)</sup>.

الحسنُ: ذهلوا عن الجواب، ثمَّ لَمَّا ثابَ عقلهم قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقيل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إلا ما علمتنا.

وقيل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بما غيَّبوا عنَّا من أفعالهم، وأضمرُوا من اعتقاداتهم.

وقيل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بما فعلوا بعدنا.

وقيل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ أنت لا تعلمه؛ فأنت تعلم ما أجابونا به<sup>(٥)</sup>.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ذَكَرَ<sup>(٦)</sup> بلفظ المبالغة؛ لكثرة المعلومات.

\*\*\*

(١) من قوله: «ما الذي أجابتكم» إلى قوله: «سؤال استشهاد» من (ن).

(٢) «لأنَّ القيامة» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١١ / ٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٢٣٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١٠ / ٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٤٥)، واستغربه.

(٥) من قوله: «وتقديره عند ابن عباس» إلى قوله: «ما أجابونا به» من (ن). وهذا القول الأخير ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٤٥)، واستغربه.

(٦) أي: علام.

(١١٠) - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّلِينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُكُمْ مِينٌ ۗ﴾

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّلِينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُكُمْ مِينٌ ۗ﴾ هذه الآية سبق تفسيرها.

وقوله: ﴿تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ أي: تُحييهم، أو تُخرجهم أحياءً من القبور.

ومعنى: ﴿كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾؛ أي: اليهود حين هموا بقتلك.

\*\*\*

(١١١) - ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۗ﴾

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾؛ أي: اذكر ذلك أيضًا؛ فإنني أنعمت عليك بهم إذ نصرؤك.

وقيل: أنعمت عليهم بالإيمان.

والحواريون سبق ذكرهم.

ومعنى ﴿أَوْحَيْتُ﴾ هاهنا: ألهمت<sup>(١)</sup>.

(١) في (و): «أنعمت».

وقيل: أمرتُ.

وقيل: أوحيت إليهم بالوحي إليك: ﴿أَن آءَامِنُوا بِوَيْرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِآتِنَا مُسْلِمُونَ﴾.

\*\*\*

(١١٢) - ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْوُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قيل: يُطِيعُ<sup>(١)</sup>، و(استطاع)<sup>(٢)</sup> بمعنى: أطاع.

وقيل: هل يستجيب؟

وقيل: هل يفعل ذلك، فلا يرى دونه مانعاً؟

وقيل: ينزل، و﴿يَسْتَطِيعُ﴾ صلة<sup>(٣)</sup>.

وقيل: هل يقدرُ ربُّك؟ وكان ذلك في ابتداء أمرهم قبل معرفتهم صفاتِ الله، فأنكر عليهم فقال: ﴿أَتَقْوُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢]<sup>(٤)</sup>.  
ومن قرأ بالتاء والنصب<sup>(٥)</sup>، فالتقدير: هل تستطيعُ سؤالَ ربِّك؟

(١) في (ن): «يطيعك».

(٢) في (و): «يستطيع».

(٣) أي: هل ينزل ربك، و(يستطيع) زائدة، وقد استغرب هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٤٥)، واستبعده أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/٤٠٩).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٤٥)، وعده من العجائب.

(٥) هي قراءة الكسائي وحده، قرأ (تستطيع) بالتاء، و(ربك) بنصب الباء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

وُروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانوا أعلم من أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾<sup>(١)</sup>.

و﴿أَنْ يُنَزَّلَ﴾ متَّصِلٌ بالسُّؤال؛ لَأنَّه في تقديرِ المَلْفُوظِ به.

وقوله: ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ المائدة: الخوانُ الذي عليه<sup>(٢)</sup> الطَّعام، واشتقاقها من قولِ العرب: (مادَه يَمِيدُه)؛ إذا أعطاه، وامتادَ فلانٌ فلانًا؛ إذا طلبَ عطاءه؛ فتكونُ فاعلةً بمعنى: مفعولة؛ أي: مميدة، ك﴿عِشَّةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، و﴿مَلَأْ دَافِقِي﴾ [الطارق: ٦].

وقيل: فاعلة؛ لأنَّها<sup>(٣)</sup> إذا أُطِعِمَ النَّاسُ عليها، فكأنَّما أعطتهم الطَّعام<sup>(٤)</sup>.

وقيل: من (مادَ يَمِيدُ)؛ إذا تحرَّك<sup>(٥)</sup>، كأنَّها تميدُ بما عليها.

﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: قال عيسى.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لا يجوزُ اقتراحُ المعجزاتِ بعدَ ظهورِ الآياتِ.

وقيل: معناه: لا تسألوا ذلك على طريقِ الشكِّ والتعنُّتِ.

\*\*\*

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ١١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٢٤٣)، ولفظ الطبري:

«كان الحواريون لا يشكون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسى، هل تستطيع

ربك؟»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٤٦)، واستغربه.

(٢) في (و): «الخوان عليها».

(٣) في (و): «لأنه».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٤٦)، واستغربه.

(٥) في (و): «تحرك تميد».

(١١٣) - ﴿قَالُوا نُزِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿قَالُوا نُزِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ قيل: للحاجة الداعية إلى الأكل.  
وقيل: تبرُّكاً به، وهذا أظهر.

﴿وَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا﴾: نزادُ يقيناً؛ كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقيل: لتطمئن قلوبنا بأن الله قد بعثك إلينا نبياً، ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أنك نبي.

وقيل: لتطمئن قلوبنا أن الله اختارنا لك<sup>(١)</sup> أعواناً، ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أننا أعوان لك.

وقيل: لتطمئن قلوبنا أن الله قد أجاب مسألتنا، ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أن الله يجيب دعوتنا.

﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أنها نزلت من عند الله.

وقيل: نشهدُ الله بالتوحيد ولك بالنبوة.

وقيل: ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ إذا استشهدتنا.

\*\*\*

(١١٤) - ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾؛ أي: تتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيداً نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا.

(١) في (و): «اختارك لنا».

ابن عباس رضي الله عنهما: يأكلُ منه آخرُ النَّاسِ كما أكلَ أوَّلُهُم<sup>(١)</sup>.  
وقيل: عيدًا لنا جميعًا.

وقيل: ﴿عِيدًا﴾؛ أي: عائدةً من الله علينا وحجّةً وبرهانًا.

وقيل: عظةٌ لأوّلنا وآخرنا.

﴿وَأَيَّةٌ مِنْكَ﴾ على قدرتك وتوحيديك.

ويحتمل ﴿وَأَيَّةٌ مِنْكَ﴾ لصحّةِ نبوّتي.

﴿وَأَرْزُقْنَا﴾ المائدة.

وقيل: الشُّكر على ذلك.

ويحتمل: أدمُ رزقك لنا.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾: خيرٌ من يرزقُ.

\*\*\*

(١١٥) - ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ

أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: أجابه إلى ما سأله الحواريون، فأنزّلها عليهم

يومَ الأحد.

أبي بن كعبٍ: نزلت مائدةً منكوسةً تطيرُ بها الملائكةُ بين السَّماءِ والأرضِ<sup>(٢)</sup>.

سلمانٌ: نزلت سفرّةً حمراءُ بين غمامتين؛ غمامةٍ من فوقها وغمامةٍ من تحتها، وهم

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٥٦٢) عن كعب الأخبار، وذكره المصنف في «غرائب التفسير»

(١/ ٣٤٦) عن ابن جرير.

ينظرون إليها وهي تهوي مُنْقِضَةً<sup>(١)</sup>، فسقطت<sup>(٢)</sup> بين أيديهم، فبكى عيسى عليه السلام وقال: اللَّهُمَّ اجعلني من الشَّاكرين، اللَّهُمَّ اجعلها رحمةً، ولا تجعلها مُثْلَةً وعقوبةً<sup>(٣)</sup>.

وكان<sup>(٤)</sup> عليها خبزٌ ولحمٌ.

وقيل: عليها سبعةٌ أرغفةٍ وسبعُ أحواتٍ.

وقيل: عليها سمكةٌ فيها طَعْمُ كُلِّ طعامٍ<sup>(٥)</sup>.

وقيل: رغيفان وحوتان.

وقيل: عليها كُلُّ طعامٍ إِلَّا اللحم.

وقيل: عليها خبزٌ<sup>(٦)</sup> وأرزٌ وسمكٌ مشويٌّ، ليس عليها قشورٌ ولا لها شوكةٌ، تسيل من الدَّسَمِ قد نُضِدَ حولها<sup>(٧)</sup> البقولُ ما خلا الكَرَاثَ، وعند رأسها خُلٌّ، وعند ذنبها ملحٌ وسبعةٌ أرغفةٍ، على كُلِّ واحدٍ زيتونٌ وحبٌّ رَمَانٍ، وكانت تأتيهم أربعين يوماً غبًّا، وكلُّ فقيرٍ أَكَلَ منها صار غنيًّا مَدَّةَ عيشه، وكلُّ مريضٍ أَكَلَ برأفلم يمرض أبداً<sup>(٨)</sup> حتى مات<sup>(٩)</sup>.

(١) في (ن): «مصيبة» وفي الهامش: «منقضة» وعليها (ح).

(٢) في (ن): «حتى سقطت».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٢٤٦)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣ / ٢٠٧): «هذا أثر غريب جداً».

(٤) «وكان» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٤٦)، واستغربه.

(٦) من قوله: «ولحم، وقيل: عليها سبعة» إلى قوله: «وقيل: عليها خبز» من (ن).

(٧) في (و): «عليها».

(٨) «أبداً» من (ن).

(٩) هذا من تلمذة خبر سلمان رضي الله عنه السابق.

ثم أوحى الله<sup>(١)</sup> إلى عيسى عليه السّلام: أن اجعل مائدتني في الفقراء واليتامى والزّمنى دون الأغنياء والأصحاء، فاضطرب النَّاسُ لذلك، فمُسِخَ منهم ثلاثة وثمانون رجلاً خنازير، فأصبحوا يأكلون العذرات.

وروي عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه: أن الله أمرهم أن لا يخونوا ولا يدّخروا، ففعلوا ذلك، فمُسِخُوا قردهً وخنازير<sup>(٢)</sup>.

وعن الحسن: أن الله تعالى لما قال: ﴿إِنِّي مُزِلُّهَا عَلَيْكُمْ﴾ فشرط بقوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾ الآية، فلما سمع القوم<sup>(٣)</sup> الشرط خافوا واستعفوا، فلم تنزل<sup>(٤)</sup>.  
وعن مجاهد أنه قال: لم تنزل مائدة، وإنما هذا مثل ضربته لمُقترحي المعجزات<sup>(٥)</sup>.

والقول الأول الصّواب؛ لقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُزِلُّهَا عَلَيْكُمْ﴾ وهذا إخبار لا يحتمل الخلف، وليس في الآية ما يدل على الاستعفاء.  
وقوله<sup>(٦)</sup>: ﴿فَاتِي أَعَذِّبُهُ، عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ قيل: عالمي زمانهم وأمتهم.

(١) في (و): «ثم أوحى».

(٢) رواه الترمذي (٣٠٦١) مرفوعاً وموقوفاً، ورجح الموقوف، ثم قال: «ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً».

(٣) «سمع القوم» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٠ / ٩)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٤٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٠ / ٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٤٧)، وعده من العجائب.

(٦) «وقوله» من (ن).

وقيل: عامٌّ، وهو أن يُجعلوا قردةً وخنازير، ولم تُجعل بغيرهم تلك<sup>(١)</sup>.  
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: أن أشدَّ النَّاسِ عذابًا يومَ القيامةِ:  
المنافقون، ومن كفر من أصحابِ المائدةِ، وآل فرعون<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١١٦) - ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ۗ﴾

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أكثرُ المفسِّرين وجمهورهم على أن هذا السُّؤال يكونُ في القيامةِ، ولم يقع<sup>(٣)</sup> بعدُ، والآيةُ وسياقها يدلّان عليه، ووُضِعَ لفظُ الماضي موضعَ المستقبلِ، كقولهِ: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١]؛ لأنَّ لفظَ الماضي أدلُّ على الوقوعِ من لفظِ<sup>(٤)</sup> المستقبلِ.

و(إذ) بمعنى: إذا، كما قال:

ثُمَّ جَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا إِذْ جَزَىٰ

جَنَاتٍ عَدْنٍ فِي الْعَلَالِيِّ الْعَلَا<sup>(٥)</sup>

(١) أي: تلك العقوبة والمثلة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٢ / ٩)، والخرائطي في «مساوي الأخلاق» (٢٩٦).

(٣) في (و): «ولم يكن».

(٤) في (و): «الوقوع بمعنى».

(٥) الرجز لأبي نجم العجلي في «تفسير الطبري» (١٣٤ / ٩)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ١١٩)،

و«تفسير الثعلبي» (١١ / ٥٦٧).

ابن عيسى<sup>(١)</sup>: لَأَنَّهُ لَتَحَقِّقَ<sup>(٢)</sup> أَمْرَهُ وَظَهْوَرِ بِرَهَانِهِ بِمَنْزِلَةِ مَا قَدْ وَقَعَ وَشُوهِدًا.  
 ومعنى سؤالِ عيسى عليه السَّلامِ توبيخٌ لمن قالَ عليه<sup>(٣)</sup> ذلك.  
 وقيل: إخبارٌ له بأنَّ قومه غيرَوا بعده القولَ فيه.  
 وذهب السُّديُّ وقطرب وابن جريرٍ إلى أَنَّهُ خاطبه به حين رفعه إلى السَّمَاءِ<sup>(٤)</sup>.  
 قالوا<sup>(٥)</sup>: والدليلُ على ذلك لفظ ﴿إِذْ﴾<sup>(٦)</sup>، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ  
 وَالكَفَّارُ بهذا القولِ أحياءٌ؛ أَي: إِن وَقَّعْتَهُم لِلإِيمَانِ لَمْ يَمْتَنِعْ عَلَيْكَ<sup>(٧)</sup>.  
 ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك عن أن يكونَ لك في الإلهية شريكٌ.  
 ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾؛ أَي: لا يليقُ بي<sup>(٨)</sup> قولٌ لا أستحقُّه.  
 ومعنى: ﴿بِحَقِّي﴾؛ أَي: بمُسْتَحَقِّي.  
 وقيل: تقديرُهُ: بحقِّ إن كنتُ قلتُهُ فقد علمته<sup>(٩)</sup>.  
 ومعنى: ﴿إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾؛ أَي: لا أحتاجُ إلى الاعتذار عن هذا  
 المقال؛ لأنَّك تعلمُ أَنِّي لم أقُلْهُ، ولو قلتُهُ علمته.

(١) في (و): «ابن عباس».

(٢) في (و): «يتحقق».

(٣) «عليه» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٣ / ٩) عن السدي، ورجَّحه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير»

(١ / ٣٤٧) عن السدي وابن جرير وقطرب، واستغربه.

(٥) في (و): «قيل».

(٦) فهي تدلُّ في أصل معناها على المضي.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٣٤ / ٩).

(٨) في (ن): «في».

(٩) فالكلام تمَّ على هذا التقدير عند (لي)، وهو بعيد. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١ / ٢٩٠).

وتقديره: إن أكن قلته؛ لأن الشرط لا يصح مع لفظ الماضي، ومن ذهب إلى أن (كان) مستثنى من هذا الباب فقوله غير مرضي عند النحاة<sup>(١)</sup>.

وقيل: (إن) بمعنى: (ما)، وفيه بُعد<sup>(٢)</sup>.

﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي﴾: ما أخفيه وأغيبه وأضمره؛ إذ لا تخفى عليك خافية.

﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾: ما تخفيه وتغيبه عن الناس.

و﴿نَفْسِي﴾: غيبي، و﴿نَفْسِكَ﴾: غيبك.

وقيل: ذكر النفس ازدواجاً للكلام، كقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]،

و﴿مَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقد سبق.

وقيل: النفس هاهنا: ما يُذكر للتأكيد كالعين.

وقيل: تقديره: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسي<sup>(٣)</sup>، فأضافها إلى الله

ملكاً وخلقاً، وهذا مزيف.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ذكر بلفظ المبالغة؛ لجمع<sup>(٤)</sup> الغيوب<sup>(٥)</sup>.

(١) ذهب الزجاج إلى استثناء (كان) من عموم الماضي في هذا، وقال المصنف في «غرائب التفسير»

(١ / ١٢٦): «قال النحويون: (لم) إذا دخل المستقبل نقله إلى معنى الماضي، و(إن) الشرطية إذا

دخل الماضي أو ما بمعنى الماضي نقله إلى معنى المستقبل. واستثنى الزجاج (كان) من الباب،

واستدل بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ﴾، فردّ عليه أبو علي، وقال: تقديره: إن أكن قلته، وكذلك إذا قال: إن

كنت دخلت الدار فأنت طالق؛ أي: إن تكوني دخلت؛ فالطلاق يقع بقوله: دخلت، وهو ماض كما

كان، لأن (إن) مسلط على تغيير ما يليه فحسب».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٤٧)، وعده من العجائب.

(٣) في (و): «نفسك».

(٤) في (و): «بجميع».

(٥) جاء لفظ (علام) في الآية على بناء المبالغة؛ لأن لفظ (الغيوب) جمع يدل على الكثرة.

(١١٧) - ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾  
 ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾؛ أي: بأن أقوله.

﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: (أن) هي المفسرة بمعنى: أي، وجاز أن تكون بدلاً من الهاء، وجاز أن تكون بدلاً من (ما) (١).

﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾: خالقي وخالقكم.

﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾؛ أي: مُشَاهِدًا أحوالهم من كفرٍ وإيمانٍ.

وقيل: ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: شاهداً عليهم (٢).

﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾: مدة حياتي.

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قيل: من الوفاء (٣).

وقيل: من الوفاة التي هي النوم.

وقيل: الموت.

وقد سبق ما فيه في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: حافظاً لهم وعالمًا بأحوالهم، وأصله: المراقبة،

وهي المراجعة، و(الرقبة) منه؛ لأنها في مثل موضع الرقيب من علو المكان.

(١) والمفسرة لا محل لها، أما البدل فعلى اعتبارها مصدرية، وقد أنكر العكبري أن تكون مفسرة؛ لأن شرط المفسرة ألا يصرح معها بالقول. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٩٠)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ٢٤٤)، و«إعراب القرآن» للأصبهاني (ص: ١١٠)، و«التبيان» للعكبري (٤٧٦/١).

(٢) من قوله: «أي: مشاهداً» إلى قوله: «شاهداً عليهم» ليس في (ن).

(٣) في (و): «من الموتى».

﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ قيل: مُشَاهِدٌ لِمَا حَضَرَ وَغَاب.

وقيل: شهيدٌ على مَنْ عصى وأطاع.

\*\*\*

(١١٨) - ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ﴾ قال المفسرون: معناه<sup>(١)</sup>: إِنْ كُنْتُ<sup>(٢)</sup> تُعَذِّبُهُمْ فَأَنْتَ مَالِكُهُمْ، وليس لأحدٍ عليك اعتراض.

وقيل: ذكر ذلك على وجه الاستعطف.

﴿وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ﴾ على قول السُّدِّيِّ وصاحبيه ظاهرٌ؛ أي: إِنْ<sup>(٣)</sup> توفَّقهم للإيمان، وعلى قول الجمهورٍ مشكَّلٌ.

قال المبرِّدُ: أراد: وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ ما قالوا عليَّ خاصَّةً<sup>(٤)</sup>.

الزَّجَّاجُ: ﴿وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ﴾؛ أي: لمن أقلع منهم وآمن<sup>(٥)</sup>.

وقيل: جائزٌ أن يكون الله لم يُعَلِّم عيسى أَنَّهُ لا يَغْفِرُ الشُّرْكَ، وهذا مزيفٌ<sup>(٦)</sup>.

وتقدير الآية: إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ، وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّهُمْ لِعَبَادِكَ،

لا بدَّ من هذا التَّقْدِيرِ ليصحَّ المعنى الذي ذهبوا إليه.

(١) «معناه» من (ن).

(٢) «كنت» من (ن).

(٣) «إِنْ» من (ن).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٣)، و«البيسط» للواحدي (٧/ ٦٠٥)، و«تفسير الراغب»

(٥/ ٥٠٥).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٤).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٩)، واستبعده، وعدَّه من العجائب.

ويحتمل معنى دقيقاً، وهو: أن قوله: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾ شرطٌ جزأؤه ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، فصار قوله: ﴿عِبَادُكَ﴾ معلقاً بالتعذيب، ثم ذكر المغفرة، والمرادُ بها ضدُّ التعذيب، فصار كأنه قال<sup>(١)</sup>: «إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ لَمْ تُعَذِّبَهُمْ<sup>(٢)</sup>؛ أي: هم عبادُك في جميع الأحوال، فنابَ قوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ عن قوله: (وَإِنْ لَمْ تُعَذِّبَهُمْ)، وليس المرادُ بها طلبُ المغفرة للكفار، ولهذا لم يختم الآية بما يليقُ بالغفران من الغفور الرحيم، بل ختمها بما يليقُ بالتعذيب: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ومثله قوله: «إِنْ دَخَلْتَ الدَّارَ فَأَنْتَ حَرٌّ، وَإِنْ لَمْ تَدْخُلْ» عتق في الحال؛ لأنَّ هذا كلامٌ من شرط ثم أنجز<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١١٩) - ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ جَنَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ﴾ السُّدِّيُّ: هذا فصلٌ من كلام عيسى عليه السلام<sup>(٤)</sup>؛ أي: يقول عيسى يوم القيامة: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ﴾. وقال<sup>(٥)</sup> غيره، وهو الظاهر<sup>(٦)</sup>: «إِنَّهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى.

(١) «قال» من (ن).

(٢) «وإن لم تعذبهم» من (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٥٦). قال الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٠): «يعني السدي بقوله: هذا فصل من كلام عيسى، أن قوله: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِحَاقٍ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ من خبر الله عز وجل عن عيسى أنه قاله في الدنيا بعد أن رفعه إليه، وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة».

(٥) «وقال» من (ن).

(٦) في (و): «والظاهر».

وَمَنْ نَصَبَ ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ﴾<sup>(١)</sup> جَعَلَ (هذا) مفعولاً، و(يَوْمَ) ظرفاً له<sup>(٢)</sup>؛ أي: يقول الله هذا يومَ يَنْفَعُ.

وذهب الكوفيون إلى أن (يَوْمَ) مبنيٌّ على الفتح<sup>(٣)</sup>، وعند البصريين إنما يُبنى على الفتح<sup>(٤)</sup> مع الماضي، ولكلُّ احتجاج<sup>(٥)</sup>.

ابن عيسى: ﴿صِدْقُهُمْ﴾: إيمانهم.

وقيل: ما عاهدوا الله عليه.

والمعنى: أن صدقهم في الدنيا يَنْفَعُهُمْ يومَ القيامة.

وقيل: صدقهم في القيامة؛ يريدُ به: شهادتُهم على أنفسهم بما صنعوا وللأنبياء بما شاهدوا.

﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبول حسناتهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما آتاهم من الكرامة والنعيم.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: نيل الجنة والخلاص من النار ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

\*\*\*

(١٢٠) - ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾: أحدثها بعد أن لم تكن، ويُفنيها إذا أراد.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الإحداثِ والإفناءِ والمنعِ والإعطاءِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ على

الكمالِ، والله محمودٌ في كلِّ حالٍ.

(١) هي قراءة نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

(٢) في (ن): «ظرف لقال».

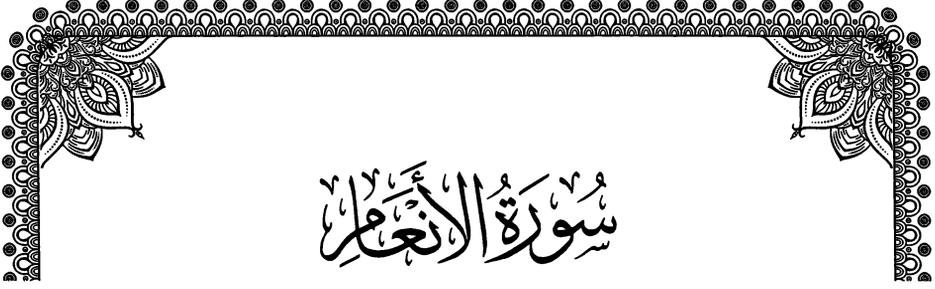
(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٤٩)، واستغربه.

(٤) «وعند البصريين إنما يُبنى على الفتح» من (ن).

(٥) انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٢٥٥)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٦٧٢).

# سُورَةُ الْأَنْعَامِ





# سُورَةُ الْأَنْعَامِ

مئةٌ وخمسةٌ وستون آيةً، مكيةٌ<sup>(١)</sup>

قال عطاءٌ: مكيةٌ إلا ثلاثَ آياتٍ، من قوله: ﴿قُلْ تَكَلَّوْا﴾ [١٥١] (٢).

وقيل: مكيةٌ إلا آيتين: إحداهما: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [٩١]، والثانية: ﴿وَهُوَ

الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وروى زر بن حبيش عن أبي بن كعب، عن رسول الله عليه السلام أنه قال: «نزلت عليّ سورة الأنعام جُملةً واحدةً ليلاً، شيعها سبعون ألفَ ملكٍ، لهم زجلٌ بالتسبيح والتحميد<sup>(٣)</sup>، ومن قرأ سورة الأنعام صلّى الله عليه، واستغفر له أولئك السبعون ألفَ ملكٍ بعددِ كلِّ آيةٍ من سورة<sup>(٤)</sup> الأنعام يوماً وليلةً»، وزاد بعضهم: وخرّ ساجداً ثمّ دعا الكتابَ فكتبوها من ليلتهم<sup>(٥)</sup>،.....

(١) «مئة وخمسة وستون آية مكية»: ليست في (و).

(٢) ذكره الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٣٥) عن ابن عباس ومجاهد وعطاء بن يسار والكلبي، ورواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) في (و): «والتحميد».

(٤) «سورة»: ليست في (ن).

(٥) لم أقف عليه من طريق زر بن حبيش. وروى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ١٥) من طريق ابن =

والله أعلم بالصواب<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

= عباس عن أبي بن كعب. وقال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ٦٣): فيه أبو عصمة وهو متهم بالكذب.

وهذا الحديث هو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور سورة سورة عن أبي بن كعب، وقد فرقه الثعلبي حسب السور وتابعه فيه الواحدي وأبو حفص النسفي والزمخشري والبيضاوي.

قال السيوطي في «نواهد الأبحار» (٣ / ١١٢): هذا من الحديث الموضوع الذي روي عن أبي بن كعب في فضائل القرآن سورة سورة، وقد نبه أئمة الحديث وحفاظه ونقاده قديماً وحديثاً على أنه موضوعٌ مختلقٌ على رسول الله ﷺ، وعابوا على من أورده من المفسرين في تفاسيرهم.

قال ابن حجر: وأوله عند الطبراني في «الصغير» [ برقم (٢٢٠) ] في ترجمة إبراهيم بن نائلة من حديث ابن عمر إلى قوله: «والتحميد»، وفيه يوسف بن عطية، وهو ضعيف.

ولأجل ما روي من أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة فقد ابتدع جماعة من النساك عبادة خاصة يقرؤون بها سورة الأنعام في ركعة واحدة، وسئل ابن الصلاح عن ذلك فقال في «فتاويه» (١ / ٢٤٩): الخبر المذكور في ذلك قد روينا من حديث أبي بن كعب عن النبي ﷺ وفي إسناده ضعف، ولم نر له إسناداً صحيحاً، وقد روي ما يخالفه، فروي أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزلت آيات منها بالمدينة اختلفوا في عددها، ولو ثبت الحديث فلا يثبت بمجرد استحباب قراءتها جملة واحدة كما يفعلونه.

(١) «والله أعلم بالصواب»: ليست في (و).

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناءً وشكرًا، وهو خبرٌ بمعنى الأمر؛ أي: قولوا: الحمد لله؛ ليقع تعليمُ المعنى واللفظِ معًا.

وَرَوَى وَهَبٌ أَنَّ أَوَّلَ التَّوْرَةِ فَاتِحَةُ الْأَنْعَامِ، وَآخِرُهَا آخِرُ سُورَةِ هُودٍ<sup>(١)</sup>.  
وقيل: آخِرُهَا آخِرُ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: كَوْنَهُمَا، وَجَمَعَ ﴿السَّمَوَاتِ﴾ لِأَنَّهَا سَبْعٌ، وَقُدِّمَتْ لِأَنَّهَا أَشْرَفُهُمَا وَأَعْلَاهُمَا. وقيل: لِأَنَّهَا خُلِقَتْ قَبْلَ الْأَرْضِ.  
وَوَحَّدَ ﴿الْأَرْضَ﴾ لِاتِّصَالِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ. وقيل: هي واحدةٌ.

﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾؛ أي: خَلَقَهُمَا، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ (خَلَقَ) مَعْنَاهُ: أَحَدَثَ فَحَسَبُ، وَ(جَعَلَ) يَتَضَمَّنُ التَّكْرِيرَ.

وقيل: ﴿جَعَلَ﴾ هَاهُنَا: صَلَّةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ.

وقيل: حَالٌ، وَالتَّقْدِيرُ: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَقَدْ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ؛ لِأَنَّهُمَا قَبْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٧٤)، والدارمي في «سننه» (٣٤٤٥)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص: ١٩٩)، والطبري في «تفسيره» (١٤٧ / ٩) عن كعب، ولفظ الطبري: «فاتحة التوراة فاتحة الأنعام وخاتمة التوراة خاتمة هود».

(٢) في (و): «لأنهما قبل الظلمات والنور». وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٥٠)، واستغربه.

وجمعها لأنَّ الظُّلْمَةَ تَحْدُثُ عَلَى أَشْيَاءٍ كَظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَظُلْمَةِ السَّحَابِ وَظُلْمَةِ الْبَحْرِ وَإِنْ اتَّحَدَ جَنْسُهَا، وَالنُّورُ جَنْسٌ وَاحِدٌ<sup>(١)</sup>، وَهُوَ مَا يُرَى وَيُرَى بِهِ. وَقَدَّمَهَا لِأَنَّهَا خُلِقَتْ قَبْلَ النُّورِ، وَلَيْسَتْ الظُّلْمَةُ إِلَّا أَعْدَمَ النُّورِ. وَهُمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ. وَقِيلَ: الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ. وَقِيلَ: النَّارُ وَالْجَنَّةُ. وَقِيلَ: الْأَجْسَادُ وَالْأَرْوَاحُ<sup>(٢)</sup>.

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾؛ أَي: ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ يَعْدِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ، تَقُولُ: عَدَلْتُ هَذَا بِهَذَا؛ أَي: سَاوَيْتُهُ بِهِ. وَالْبَاءُ فِي ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ صِلَةٌ لِلْعَدُولِ لَا لِلْكَفْرِ. وَيَحْتَمِلُ: كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ عَنْهُ، فَتَكُونُ الْبَاءُ صِلَةً لِلْكَفْرِ، وَ(عَنْهُ) صِلَةٌ لِلْعَدُولِ، وَهِيَ مَحذُوفَةٌ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(٢) - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ. ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُونَ﴾. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾؛ أَي: ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنْهُ؛ يَعْنِي: آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ الْأَصْلُ.

وقيل: خلق أباكم، فحذف المضاف.

(١) في (ن): «والنور متحد».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١)، واستغربه.

﴿تُمْرَقَضَىٰ أَجَلًا﴾ أصلُ القضاء: إحكامُ الصَّنعةِ والفراعُ منها، وتأتي بمعنى: حَكَمَ وأَمَرَ وفَعَلَ وصَنَعَ وأَعْلَمَ وأَوْحَى، والكلُّ قريبٌ.

والأجلُ: الوقتُ المُعَيَّنُ، واختلفَ المُفسِّرونَ في الأجلين:

قال ابنُ عباسٍ رضي اللهُ عنهما: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا﴾: هو النَّوْمُ، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾: الموتُ<sup>(١)</sup>.

وقيل: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا﴾: مدةُ الدنيا، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: القيامةُ.

وقيل: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا﴾ للحياة، وهو وقتُها، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ للمماتِ<sup>(٢)</sup>، وهو وقتُه.

وقيل: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا﴾ من مولده إلى مماتِه، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ من المماتِ إلى البعثِ.

وقيل: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا﴾ لِمَنْ مضى، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ لِمَنْ بقي أو يأتي.

وقيل: الأجلُ المُسَمًّى: عمرُ الإنسانِ، و﴿قَضَىٰ أَجَلًا﴾ يقطعُ الأجلَ المُسَمًّى، وهو الآفاتُ، فتحولُ بينه وبين الوقتِ المُسَمًّى، واستدلَّ بقوله: ﴿لِيُقَضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠].

ومعنى ﴿مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾: مُثَبَّتٌ معلومٌ لا يعلمُه غيرُه.

﴿تُمْرَأَنْتُمْ تَمْرُونَ﴾: تشكُّون. وقيل: تختلفون.

\*\*\*

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٥٣).

(٢) في (و): «من الممات».

(٣) - ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ الجمهورُ على أن ﴿هو﴾ كنايةٌ عن الله سبحانه وتعالى، و﴿الله﴾ خبره.

وذكر أبو علي أن ﴿هو﴾ كنايةٌ عن الأمرِ والشأنِ، و﴿الله﴾ مبتدأ<sup>(١)</sup>.

والمشكّل في الآية الظرف؛ فقيل: إنّه متصلٌ بالله على تقدير: وهو الإله في السماوات والأرض؛ أي: المعبود، كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ [الزخرف: ٨٤]<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إن هذا في اسم (الله) لا يصح؛ لأنّه حُذِفَ منه الهمزة، وعوّض عنها الألفُ واللّامُ عوضًا لازمًا كما سبق، وأجرِي مُجرى الأعلام، والأعلام لا تعملُ فيما بعدها، لكنّه يدلُّ على أوصافِ كالقدرة والإرادة والتدبير، فكانه قال: هو المُدبِّر القادرُ في السماوات والأرض<sup>(٣)</sup>.

وروي عن محمد بن جرير أنه قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ فجعله متصلاً بالأوّل، ﴿وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ﴾؛ أي: يعلمُ في الأرض<sup>(٤)</sup>.

وكانه<sup>(٥)</sup> اعتبر ما في (الملك) من قوله: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]،

(١) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٢١٠)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١) دون نسبة، وقال: «وهذا أظهر».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١) وقال: «أنكره المحققون».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣١٩).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٥٥)، ولفظه: «إن الذي له الألوهة التي لا تنبغي لغيره، المستحق عليكم إخلاص الحمد له بآلآئه عندكم أيها الناس، الذي يعدل به كفاركم من سواه، هو الله الذي هو في السماوات ﴿وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ فلا يخفى عليه شيء».

ونسب المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥١) للكسائي، واستغربه.

(٥) في (ن): «ولعله».

والمراد: عرشه وصنعه؛ فإنَّ الله تعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الظَّرْفِ وَالْمَكَانِ<sup>(١)</sup>.  
وقال أبو علي: ﴿هُوَ﴾ كنايةٌ عن الأمرِ والشَّانِ، و﴿اللَّهُ﴾ مبتدأٌ، و﴿يَعْلَمُ﴾ خبره،  
والظَّرْفُ متَّصِلٌ بالخبرِ؛ أي: الله يعلمُ في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.  
وقيل: ظرفٌ للمصدر<sup>(٢)</sup>، وهو خطأ؛ لأنَّ صلةَ المصدرِ لا تتقدَّمُ على المصدرِ.  
وقيل: ظرفٌ لقوله: ﴿تَكْسِبُونَ﴾.  
وأهلُ السَّمَاوَاتِ: الملائكةُ، وأهلُ الأرضِ: الإنسُ والجِنُّ.  
ويحتملُ أن يكونَ الظَّرْفُ حالاً من المصدرِ، تقدَّم على ذي الحالِ وعلى العاملِ،  
وهذا على أربابِ الصَّنْعَةِ غيرِ خافٍ<sup>(٣)</sup>.  
والسَّرُّ: إخفاءُ الشَّيْءِ فِي النَّفْسِ.  
والجَهْرُ: إظهارُ المعنى الذي في النَّفْسِ.

\*\*\*

(١) كذا ذهب المصنف إلى مذهب طائفة من الخلف في التأويل للنصوص المتشابهة، أما مذهب السلف رضي الله عنهم والطائفة الأخرى من الخلف في تلك النصوص فهو التسليم مع التنزيه، وإمراؤها كما جاءت من دون تأويل، ولا تعطيلٍ ولا تشبيه، ولا تمثيلٍ.  
(٢) أي: الظرف متعلق بـ﴿سِرْكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، وعدَّ المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١ / ٣٥١) من العجائب.

(٣) لخص ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢ / ٩) ما قيل في هذه الآية فقال: «فيه أربعة أقوال: أحدها: هو المعبود في السماوات وفي الأرض، قاله ابن الأباري. والثاني: وهو المنفرد بالتدبير في السماوات وفي الأرض، قاله الزجاج. والثالث: وهو الله في السماوات، ويعلم سركم وجهركم في الأرض، قاله ابن جرير. والرابع: أنه مقدم ومؤخر. والمعنى: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض، ذكره بعض المفسرين».

(٤) - ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ .

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ المرادُ بالآيةِ هاهنا: المعجزةُ. وقيل: القرآنُ. وقيل: انشقاقُ القمرِ.

و(من) الأولى زيادةٌ، والثانيةُ للتبعيضِ، و(كان) زيادةٌ.

وقيل: أعرَضُوا كما عَلِمَ منهم، والمعنى: تركوا النَّظَرَ فيها، وحقيقةُ الإعراضِ: الانصرافُ بالوجهِ<sup>(١)</sup> عن الشيءِ، وقد سَبَقَ.

\*\*\*

(٥) - ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ قيل: هو القرآنُ. وقيل: الإسلامُ.

وقيل: محمَّدٌ عليه السَّلَامُ، والمعنى: نَسَبُوا محمَّدًا عليه السَّلَامُ إلى الكذبِ بسببِ رَدِّهم الحَقَّ.

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ يريدُ: العذابَ في الآخرةِ.

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: في الدنيا، فقتلَهُم بالسَّيْفِ يومِ بدرٍ<sup>(٢)</sup>.

ابنُ بحرٍ: سيعلمون ما يُؤوُلُ إليه عاقبةُ استهزائِهِم<sup>(٣)</sup> في الدَّارينِ، والعذابَ فيهما.

\*\*\*

(١) «بالوجه»: ليست في (و).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (٩ / ١٥٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٣٢) دون نسبة.

(٣) في (ن): «عاقبة أمرهم واستهزائِهِم».

(٦) - ﴿أَمْ يَرَوْنَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

﴿أَمْ يَرَوْنَ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾: ألم يُبصروا كم أهلكنا ﴿من قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ القرن: الزَّمانُ. والقرن: أهل الزَّمان. والقرن من الزَّمان: ثمانون سنة، وقيل: سبعون. والمرادُ به: أهل ذلك الزَّمان.

الزَّجَاجُ: القرن: أهل كلِّ مدَّةٍ [كان] فيها نبيٌّ، أو كان [فيها] طبقةً من أهل العلم؛ قلتِ السُّنون أم كَثُرَتْ<sup>(١)</sup>. واشتقاقه من (قرئتُ).

﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ﴾ يُريدُ: أعطيناهم من نعيم الدنيا والأمرِ والنهي بين أهلها ما لم نُعطِكم.

ابن عيسى: التَّمَكِينُ: إعطاء ما يَصِحُّ به الفعلُ كائناً ما كان، ومعنى مَكَّنَّاهُ الشَّيءَ: أزلتُ الحائلَ منه<sup>(٢)</sup>. ومَكَّنْتُ له الشَّيءَ؛ بمعناه، وجاءت الآيةُ بهما.

ووزن (مكان) عند الخليل: مَفْعَلٌ، قال: ولكثرته في الكلامِ أُجْرِي الميمُ مُجْرِي الفاء، كقولهم: تَمَسَّكَنَ وَتَمَدَّرَعَ<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٩)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) في (ن): «بينهما».

(٣) ذهب الخليل إلى أن (المكان): مشتقٌّ من (كان يكون)، فلما كثر في كلام العرب صارت الميم كأنها أصلية، فعاملوه معاملة فَعَالٍ، فجمعوه على: أمكنة، وصاغوا منه الفعل: تمكَّنَ، وقد فعلوا ذلك في نحو: تمدرع وتمسكن. وقد ذهب ثعلب إلى قول الخليل، واختاره السهيلي والراغب، بينما مال كثير من مؤلفي المعاجم إلى اشتقاقه من (مكن)، كما اختار المصنف. انظر: «العين» (٥/ ٣٨٧ و ٤١٠)، و«نتائج الفكر في النحو» للسهيلي (ص: ٣٠٢)، و«المحكم» (٧/ ٧١ و ٤٦) و«المفردات» (ص: ٧٧٣). =

وفيه ضعفٌ لشذوذه، والأصحُّ أن يكونَ من (المَكْنِ)<sup>(١)</sup>.  
﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ الإرسالُ: الإنزالُ،  
والسَّمَاءُ: المطرُ، وحكوا عن العربِ: (ما زِلْنَا نَطَأُ السَّمَاءَ حَتَّى أَتَيْنَاكُمْ)<sup>(٢)</sup>.  
والمِدْرَارُ: الدَّائِمُ، وهو من (دَرَّ يَدْرُ دُرُورًا)، مأخوذٌ منَ الحَلَبِ.  
والمعنى: عاشوا في الخَضْبِ والرِّيفِ بين الأنهارِ والثَّمارِ، وسُقيا الغيْثِ  
المتَّصِلِ المِدرارِ.

﴿فَاهَلَكْتَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: لم يُغْنِ ذلك عنهم شيئاً، ﴿وَأَنشَأْنَا﴾: خلقنا وأحدثنا.  
والإنشاءُ: إحداثٌ من غير سببِ.  
﴿مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾: خلقاً<sup>(٣)</sup> آخرين بدلاً منهم.

\*\*\*

(٧) - ﴿وَلَوْ زَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.  
﴿وَلَوْ زَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الكلبيُّ: إنَّ مُشركي  
قريشٍ قالوا: يا محمَّدُ، والله لن نُؤمِّنَ لك حتَّى تأتينا بكتابٍ من عندِ الله ومعه

= وقال ابن يعيش في «شرح المفصل» (١/١٦٥): «ولا أراه صحيحاً، لقولهم: تَمَكَّنَ، ولو كان من  
(الكَوْنِ)، لَقِيلَ: تَكَّوْنٌ، فَأَمَّا (تَمَسَّكَنَ) وَ(تَمَدَّرَعَ) فقليل من قبيل الغلط لا يُقاس عليه، وقد قالوا  
في الجمع: أمْكِنَةٌ. وليس في كلام ابن يعيش ما يدفع صحة قول الخليل أو يحسم الخلاف،  
والله أعلم.

(١) في هامش (ن): «المَكْنِ: بيض الضب». انظر: «تهذيب اللغة» مادة (م ك ن) (١٠/١٦٢) و«المعجم  
الاشتقائي المؤصل» لمحمد حسن جبل (٤/٢١٠٥).

(٢) انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٢٥٦)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (١/٤٣٩).

(٣) في (ن): «وخلقنا».

أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنت رسوله، فأنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>.  
والمعنى: لو أجبناهم إلى ما سألوا، وأنزلنا كتابًا مكتوبًا في كاغيد.

ابن عباس رضي الله عنهما: طلبوا كتابًا مُعلَّقًا من السماء إلى الأرض<sup>(٢)</sup>.  
ابن عيسى: التَّشْدِيدُ لَطُولِ الْمُكْثِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ<sup>(٣)</sup>.

قوله: ﴿فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: عاينوه ولمسوه، وخصَّ اللَّمْسُ لانه مقدِّمةُ  
الإبصارِ، ولا يقعُ معه التزوُّيرُ، وأسندَ إلى اليدِ توكيدًا له، فإنه قد يُستعملُ للفحصِ،  
كقوله: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ [الجن: ٨].

قوله: ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: ظاهرٌ، سُحِرَتْ أَعْيُنُنَا؛  
أي: لو أجبناهم إلى ما سألوا لم يؤمنوا.

\*\*\*

(٨) - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفِضَى الْأَمْرِ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾؛ أي: هلاً، ومعناه: التَّحْضِيضُ عَلَى الْفِعْلِ؛ أي: أنزل  
معه ملكٌ يكلمنا أنه نبيٌّ، فقال الله:

﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفِضَى الْأَمْرِ﴾: لَعُوَجَلَتْ عَقُوبَتُهُمْ.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٣٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤). وزاد الثعلبي  
نسبته إلى مقاتل.

(٢) ذكره الواحدي في «البيسط» (٨ / ٢٣) بلفظ: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مُعلَّقًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى  
الْأَرْضِ.

(٣) أي: جاء لفظ ﴿نَزَّلْنَا﴾ مُشَدَّدًا دَالًّا عَلَى الْمَبَالِغَةِ الْبُعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

وقيل: لقامت القيامة؛ لأنَّ الملكَ يُرى في القيامةِ وحالةِ الموتِ، ولأنَّ الآيةَ المُقرحةَ إذا جاءتهم فلم يُؤْمِنُوا بها عاقبتهم في الحالِ من غيرِ إهمالٍ.

﴿ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ﴾: لا يُؤخرون طرفَةَ عينٍ.

\*\*\*

(٩) - ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾؛ أي: المطلوبَ أو الرسولَ ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾؛ أي: صيرناه آدمياً ذكراً؛ فإنَّ الملائكةَ ليسوا بآناثٍ.

الزَّجَّاجُ: لو أرسلناه ملكاً لم تُرسله إلَّا في صورةِ إنسانٍ؛ لأنَّ الملائكةَ روحانيون لا يُمكنُ النَّظْرُ إليهم ولا المكالمةُ معهم<sup>(١)</sup>، ولأنَّهم عِظَامُ الأَجْسَامِ، لا يُدرِكُ بصرُ الإنسانِ منهم إلَّا اليسيرَ من جملتهم، ولهذا كانوا يأتون الأنبياءَ عليهم السَّلامُ على صورِ الآدميين كدحية<sup>(٢)</sup> وأضيافِ إبراهيمَ ولوطٍ وخصمي داودَ عليهم السَّلام<sup>(٣)</sup>، ورؤيتهم على هيئتهم مُعجزةٌ فلا تكونُ إلَّا لنبِيٍّ.

﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: لشبَّهنا وأشكَّلنا عليهم من أمره؛ إذ كان سبيلُه كسبيلِكَ

يا محمَّدُ.

(١) في (و): «لهم».

(٢) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، كان من كبار الصحابة، لم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وبقي إلى خلافة معاوية، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته أحيانًا، وكان رسول الله ﷺ إلى قيصر سنة ست من الهجرة. انظر:

«الاستيعاب» (٢/ ٤٦١)، و«الإصابة» (٢/ ٣٢٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣١).

﴿مَا يَلْبِسُونَ﴾؛ أي: على أنفسهم.

وقيل: على ضعفائهم، يقولون: إنما هذا بشرٌ مثلكم؛ أي: لبسنا لبسًا كلبسهم.  
و(ما) للمصدر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم أهل الكتاب، لبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم بتحريف الكلام عن مواضعه<sup>(١)</sup>.

وحكى أفضى القضاة لجويبر: لبسنا على الملائكة من الثياب ما يلبسه  
الناس<sup>(٢)</sup>.

وهذا لا تحتمله العربية؛ لأنك تقول: (لبست الأمر) بالفتح (ألبسته) بالكسر،  
و(لبست الثوب) بالكسر (ألبسته) بالفتح.  
وقرئ في الشواذ بالتشديد للمبالغة<sup>(٣)</sup>.  
وقيل: لخلطنا عليهم ما يخلطون.

\*\*\*

(١٠) - ﴿وَلَقَدْ أَسْنَهَزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَسْنَهَزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ثم عزى نبيه على ما أصابه من استهزاء قومه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ١٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٢٦٧).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٢ / ٩٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٥٣)، وعده من العجائب.

(٣) نسبت هذه القراءة إلى الزهري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٢)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرمانى (ص: ١٦٤).

﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾؛ أي: نزل بهم وبأل فعلهم.

الرَّجَّاجُ: الحَيُّقُ: ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله<sup>(١)</sup>.

وقيل: معناه: وجب.

وقيل: (حاق) و(حق) بمعنى.

﴿مَا كَانُوا﴾؛ أي: الذي، ويجوز أن تكون للمصدر؛ أي: استهزأؤهم.

\*\*\*

(١١) - ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: أبعدا فيها نحو اليمن مرةً ونحو الشام أخرى،

﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ لِيَتَرَوْا كَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابِ

الاستئصال، ومثل ذلك بالمرصاد لمن سلك سبيلهم بالكفر والفساد.

الحسن: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: اقرؤوا القرآن وتأملوا ما وقع بهم، فانظروا

كيف كان حال<sup>(٢)</sup> المكذبين<sup>(٣)</sup>.

وذكر بلفظ (ثم) لأنهم أمروا بسير بعد سير، وذاك يقع في زمان بعيد، والفاء

يوجب سيرًا واحدًا يتعقبه النظر.

والسير: استمرار الانتقال لطلب الإبعاد.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣١).

(٢) في (ن): «عاقبة».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٤٨)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٤٥)، وذكره

المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٣)، واستغربه.

وَالنَّظْرُ: طلب إدراك الشيء من جهة البصر أو الفكر.

\*\*\*

(١٢) - ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: ملكها. وقيل: تسخيرها.

﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ ابن عباس رضي الله عنهما: إن أجابوك وإلا فقل: الله<sup>(١)</sup>.

وقيل: فقل: لله، فإنهم لا ينكرون.

قال صاحب «النظم»: فقال لهم ما أمر، فقالوا: فلِمَنْ هي؟ فأجابهم الله بقوله:

﴿قُلْ لِلَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾؛ أي: قضى وأوجب عليه سبحانه تفضلاً وكرماً، وذكر النفس لارتفاع الوسائط، والمعنى: من رحمته إمهاله إياهم بعد كفرهم.

﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ استئناف وقسم؛ أي: ليجمعنكم في القبور إلى يوم القيامة الذي أنكرتموه.

وقيل: ليجمعنكم في يوم القيامة. و(إلى) بمعنى: في.

وقيل: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ متصل بـ﴿الرَّحْمَةَ﴾؛ أي: من رحمته بعثه إياكم وإنعامه

عليكم.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: في اليوم، وقيل: في الجمع.

(١) ذكره الفيروزآبادي في «تنوير المقباس» (ص: ١٠٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٤)، واستغربه.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: غَبَنُوا ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قيل: إنه استئناف، ومحلُّه رفعٌ بالابتداء، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خبره. وقيل: ذمٌّ<sup>(١)</sup>.  
وقيل: بدلٌ من ضمير المُخاطب، ومحلُّه نصبٌ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١٣) - ﴿وَلَهُ مَاسِكِنٌ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَلَهُ مَاسِكِنٌ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ في سبب النزول: قال الكلبيُّ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: إنَّ كَفَّارَ مَكَّةَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ إِنَّمَا يَحْمِلُكَ عَلَى مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ الْحَاجَةُ، فَنَحْنُ نَجْعَلُ لَكَ نَصِيبًا فِي أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ مِنَّا أَغْنَانَا رِجَالًا، وَتَرْجِعَ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٣)</sup>.

والمعنى: له ما سكن في الليل والنهار وتحرك فيهما، فافتنى بأحد الضدين عن الآخر.

وقيل: ذكر السكون لأنه أعمُّ من الحركة، وأنَّ مَالَ كُلِّ مُتَحَرِّكٍ إِلَى السُّكُونِ<sup>(٤)</sup>.

وقيل: ﴿مَاسِكِنٌ﴾؛ أي: دخل، من قوله: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

(١) فهو في محلِّ نصب بفعل محذوف تقديره: أذمُّ.

(٢) ذكره الأخفش في «معاني القرآن» (١/٢٩٣)، وقد اختار القول الأول الزجاج في «معاني القرآن» (٢/٢٣٢)، واختاره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/٥).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤)، وهو في «تفسير الثعلبي» (١٢/٤٢) عن الكلبي.

(٤) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/٣٥٤)، واستغربه.

وقيل: الشُّكُونُ: الحلولُ؛ أي: له ما يَشْتَمِلُ عليه اللَّيْلُ والنَّهَارُ من الأَجْسَامِ والأَعْرَاضِ.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لَأَقْوَالِهِمْ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِأَفْعَالِهِمْ.

\*\*\*

(١٤) - ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُوا لِيَأْ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعَمُ قُلُوبَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ أَكُونُوا أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُوا لِيَأْ﴾: ناصراً ومعبوداً، وذلك أَنَّهُ دُعِيَ إِلَى الشُّرْكِ وَعِبَادَةِ الأصْنَامِ.

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خَالِقَهُمَا وَمُوجِدَهُمَا. وَأَصْلُ الْفَطْرِ: الشَّقُّ.

وذكر المفسِّرون عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قال: ما كنتُ أعْرِفُ معنى (فَطَرَ) حتَّى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئرٍ، فقال أحدهما: أنا فطرْتُها؛ أي: أنا ابتدأتُها<sup>(١)</sup>.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعَمُ﴾؛ أي: يَرْزُقُ وَلَا يُرْزَقُ.

وقيل: خصَّ الطَّعَامَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ أَشَدُّ، كقولهِ: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُون﴾ [الذاريات: ٥٧].

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾: أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ فِي دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٤٥)، ومن طريقه ابن الأباري في «إيضاح الوقف

والابتداء» (١/٧٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/١٧٥).

الحسن: **أَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنْ أُمَّتِهِ** (١).

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تقديره: كنْ **أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ** ولا تكوننَّ من المشركين.

\*\*\*

(١٥) - ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: **إِنِّي أَخَافُ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**، وهو القيامة، **إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي** - وقد أمرني أن أكون **أَوَّلَ مُسْلِمٍ** - عاقبني عليه، فالجزاء محذوف، والشرط معترض بين الفاعل والمفعول به (٢).

\*\*\*

(١٦) - ﴿مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾

﴿مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: **مَنْ يُصِرْفِ الْعَذَابُ عَنْهُ**، أو **يُصِرِفُهُ اللَّهُ** (٣)، ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾: **أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَنَجَّاهُ** ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾.

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤ / ٤٥٣).

(٢) في هامش (ن): «الفاعل: ﴿أَخَافُ﴾، والمفعول: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ﴾ والشرط بينهما، وهو اعتراض حسن معنوي». قلت: ويعني بكون الفاعل ﴿أَخَافُ﴾ ما فيه من الضمير المستتر الذي هو الفاعل، لا هو نفسه؛ فإنه فعل، ويستحيل أن يكون فاعلاً.

(٣) قوله: «مَنْ يُصِرْفِ الْعَذَابُ عَنْهُ، أو يُصِرِفُهُ اللَّهُ» لعله بذكر الوجهين يشير إلى القراءتين بضم الياء ويفتحها، وقد صرح بذلك في «غرائب التفسير» (١ / ٣٥٥) فقال: «مَنْ قَرَأَ بِفَتْحِ (الياء) فَالفاعل مضمَرٌ يَعُودُ إِلَى ﴿رَبِّي﴾ والمفعول محذوف تقديره: مَنْ يُصِرِفُهُ عَنْهُ، والعائد ضمير العذاب... وَمَنْ ضَمَّ الياء فَالمضمَرُ فِيهِ يَعُودُ إِلَى الْعَذَابِ».

وقد قرأ بفتح الياء على البناء للفاعل حمزة وأبو بكر والكسائي، والباقون بضمها على البناء للمفعول. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٤)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

(١٧) - ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: بليّةٍ وفقرٍ ومرضٍ، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾: لا دافع له ﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلا الله، ومعنى: مسّه بكذا: أصابه ذلك.

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ﴾: عافيةٍ وغنىٍ وصحةٍ، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادرٌ.

\*\*\*

(١٨) - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾: الغالبُ المُتقدِرُ ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾؛ أي: عالٍ عليهم بالقدرة. خبرٌ

بعد خبرٍ.

والعبادُ: المملوكون، وهي<sup>(١)</sup> مخصوصةٌ بالإضافةِ إلى الله، وسائرُ جموعه عامٌ.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في أمره ﴿الْخَبِيرُ﴾ بعبادِهِ.

\*\*\*

(١٩) - ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ

وَمَنْ بَلَغَ إِلَيْكُمْ لِتَشْهَدُوا أَنْتَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ في سبب النزول: قال الكلبي: إن رؤساء مكة قالوا: يا محمد، ما نرى أحداً يُصدّقك بما تقول من أمر الرّسالة، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكرك ولا صفة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله كما تزعم، فأنزل الله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾<sup>(٢)</sup>: أعظمُ شهادة لا يجري فيها السّهو والخطأ والكذب. وقيل: أفضل.

(١) أي: لفظة العباد.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٥١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤).

﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: فإن أجابوك وإلا فقل: الله<sup>(١)</sup>.

وقيل: كان القوم مُقرّين بأن الله أكبر شهادةً، فلهذا لم ينتظر الجواب.  
ووقف بعض القراء على: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>، و﴿شَهِيدٌ﴾ خبرٌ مبتدأٌ محذوفٌ؛ أي: هو شهيدٌ.  
وذهب بعض المفسرين إلى أن الله أمره أن يشهد عليهم بتبليغ الرسالة إليهم بقوله: ﴿قُلِ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾.

﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾؛ أي: بالقرآن.  
أراد: لِأُنذِرَكُمْ ولِأُبَشِّرَكُمْ، فاكتفى بأحد الضدين.  
قال الشيخ الإمام<sup>(٣)</sup>: ويحتمل أنهم يُنذرون إلى أن يؤمنوا.  
﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾؛ أي: ومن بلغه القرآن، فهو نصبٌ عطفًا على ضمير المُخاطبين.  
وَمَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَقَدْ أَنْذَرَهُ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي الْخَيْرِ: وَمَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَقَدْ بَلَغَهُ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤ / ٤٥٩).

(٢) وهو وقف حسن كما قال أبو بكر الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢ / ٦٢٩).

وجاء في هامش (ن): «ومن وقف على قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ فمثاله تقول: صليت الجمعة اليوم في الجامع؟ يقول: نعم، وإن شاء أعاد كلامك كله، والأحسن حذفه والاقتصار على ما يليق بالجواب، كذلك الوقف في الآية على هذا».

(٣) «قال الشيخ الإمام»: ليست في (ن). والمراد بهذه العبارة المؤلف نفسه، وقد تكررت في كتابه هذا كثيراً وفي «غرائب التفسير».

(٤) رواه ابن أبي شيبه في «مصنفه» (٢٩٩٥٨)، والطبري في «تفسير» (٩ / ١٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٢٧١) من قول محمد بن كعب القرظي.

﴿أَيُّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾ يعني: الأصنام، استفهام إنكارٍ وتبكيّة.  
 ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ بما تشهدون ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ﴾: بل أشهد أن لا إله إلا الله  
 ﴿وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾؛ أي: وأتبرأ من الأصنام التي تزعمون أنها له شركاء.

\*\*\*

(٢٠) - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾: التّوراة والإنجيل ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ يعني: محمّداً عليه  
 السّلام، وقيل: يعرفون القرآن ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ سبق تفسيره في (البقرة).  
 ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: بلغوا النّهاية في الخسران؛ لأنّ من خسر ماله تعرّى  
 بسلامته نفسه. وقيل: خسروا منازلهم وأهاليهم في الجنّة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

\*\*\*

(٢١) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ﴾.  
 ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: استفهامٌ يتضمّن معنى النّفي؛ أي: لا أحد أظلم لنفسه ﴿وَمِمَّنْ  
 افْتَرَى﴾: اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فيصفه بغير صفاته. والافتراء: تحسين الكذب.  
 ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾؛ أي: كذب نبيّه برّد آياته.  
 ﴿إِنَّهُ﴾ كناية عن الأمر والشّان ﴿لَا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ﴾: لا ينالون خيراً.

\*\*\*

= روى نحوه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٩٤)، والخطيب البغدادي في «مسلسل العيدين»  
 (ص: ٥٣) من قول ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه: «من بلغه القرآن فكانما شافهه، قال الله تبارك  
 وتعالى: ﴿لَا نُذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾».

(٢٢) - ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ .

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾؛ أي: اذكر<sup>(١)</sup>، وقيل: أنذرهم.

ابن جرير: تقديره: لا يفلح الظالمون أبداً ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>؛ أي: من قبورهم؛ يريد: الظالمين والخلق جميعاً.

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾؛ أي: أشركوا مع الله غيره: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ﴾ سؤال تنكير<sup>(٣)</sup>؛ أي: أين أعيانها. وقيل: شفاعتها.

ومعنى: ﴿شُرَكَاءُكُمْ﴾؛ أي: سميتهم شركاء لله.

﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: تزعمونهم شركاء.

\*\*\*

(٢٣) - ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ .

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ﴾؛ أي: مقالتهم. وقيل: الفتنة: الخلاص. وقيل: معذرتهم. وقيل: عاقبة فتنتهم.

﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؛ أي: عند أنفسنا، بل ظننا أننا مُصيون.

وقيل: تخلقوا في القيامة بأخلاقهم في الدنيا من الكذب فجحدا وكفروهم.

وقيل: هؤلاء قوم كانوا مشركين، ولم يعلموا أنهم مشركون، فيحلفون على اعتقادهم في الدنيا.

(١) أي: اليوم منصوبٌ بمحذوفٍ، تقديره: واذكر يوم نحشرهم. وهو مفعول به لا ظرف.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٩ / ١٨٨)، وفيه: إن هؤلاء المفترين على الله كذبا، والمكذبين بآياته، لا يفلحون اليوم في الدنيا، ولا يوم نحشرهم جميعاً؛ يعني: ولا في الآخرة، ففي الكلام محذوف قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٥٦)، واستغربه.

(٣) أي: استفهام إنكار، كما ذكر المصنف في مواضع مقصورة، وهو إنكار توبيخ، لا إنكار تكذيب. انظر: «مفتاح العلوم» للسكاكي (ص: ٣١٦).

(٢٤) - ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ .

﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا﴾؛ أي: انظر يا محمد. وقيل: الخطاب للملائكة.

﴿كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: في الدنيا؛ لأنَّ القيامة لا يكذب فيها أحد.

وقيل: المراد به: كذبهم بقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وللقيامه<sup>(١)</sup> مواطن فما لم

يصيروا إلى الجنة أو النار يجري فيها الخصام والمراء والصدق والكذب.

وقيل: صار وبال كذبهم على أنفسهم.

وقيل: ﴿كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: جحدوا.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: ما يدعونه من الشركاء، ومعناه: ذهب عنهم ما

كانوا يفترون، وقيل: اشتغل عنهم.

وقيل: معنى ﴿ضَلَّ عَنْهُمْ﴾: نسوا.

\*\*\*

(٢٥) - ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَعِجُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا

كُلاً ءَايَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ كُرْهُ يَجِدُوا لَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ .

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَعِجُ إِلَيْكَ﴾ في سبب النزول: قال ابن عباس رضي الله عنهما في

رواية أبي صالح: إنَّ أبا سفيان والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأمّية وأبيّ

ابني خلف استمعوا إلى رسول الله عليه السلام، فقالوا للنضر: ما تقول؟ فقال: والذي

جعلها بيته ما أدري ما يقول، إلا أنني أرى تحريك شفثيه يتكلم بشيء، وما يقول إلا

أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، قال: وكان النضر كثير

(١) في (و): «والقيامه».

الحديث عن القرون الماضية<sup>(١)</sup>، وكان يُحدِّث قريشًا ويستملحون حديثه، فأُنزل الله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>؛ أي: من الكفار ﴿مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ﴾: يتعرَّض لسماع القرآن. ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية، جمع كِنَانٍ، وهو سِتْرُ الشَّيْءِ<sup>(٣)</sup>. ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾؛ أي: كراهة أن يفقهوه. وقيل: أن لا<sup>(٤)</sup> يفقهوه. ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلاً يمنع من السَّمْع. ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآئِيًّا﴾ يُريد: انشقاق القمرٍ وسائر ما رأوا من دلائل النبوة. ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ﴾: أي: انتهى كفرهم إلى أن جاؤوا مُجَادِلِينَ. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: كتبهم. أبو عبيدة: ﴿أَسْطِيرُ﴾: تَرَهَات<sup>(٥)</sup>.

والأساطير جمعٌ لا واحد له كعباديد، وقيل: جمعُ إِسْطَارٍ وإِسْطَارَةٍ وأِسْطُورٍ وأِسْطُورَةٍ<sup>(٦)</sup>، وَسَطَّرَ الرَّجُلُ: أتى بالحديث الباطل، وهو سَطَّرٌ وَسَطَّرٌ وَأَسْطَرٌ وَأَسْطَارٌ وَسُطُورٌ<sup>(٧)</sup>. وذهب بعضهم إلى أنَّها نزلت فيمن قصدوا النبي عليه السلام ليؤذوه ويرجموه،

(١) في (ن): «القرون الأول».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤)، وهو في «تفسير الثعلبي» (١٢ / ٥٥ - ٥٦) عن الكلبي. فلعله عند من عراه لابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعلى كل فالكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٣) في (ن): «بالشيء».

(٤) في (و): «وقيل أني»، وهو تحريف، والمثبت من (ن)، والمعنى عليه: «لأن لا...».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (١ / ١٨٩).

(٦) وإسْطِير وإِسْطِيرَة، فهي ستة: ثلاثة دون هاء، وثلاثة بزيادة الهاء. انظر: «القاموس» (مادة: س ط ر).

(٧) في عبارة المصنف اختصار، والمراد أن كلمة (سطر) فيها لغة بسكون الطاء، ولغة بفتحها، وتجمع على لغة التسكين على (أسطر) للقلّة، و(سطور) للكثرة، وتجمع على لغة الفتح على (أسطار). انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (س ط ر) (١٢ / ٢٢٩).

وكانوا يستدلُّون بقراءته على موضعه، فألقى الله عليهم النَّوْمَ إذ قعدوا يرصدونه<sup>(١)</sup>، ومثلها قوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا﴾ [الإسراء: ٤٥] الآيتان.

وقيل: هذا ذمُّ كقوله: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ﴾ [البقرة: ١٨]، وقد سبق.

الزَّجَّاجُ: فعلٌ ذلك بهم مُجازاةً على كُفْرِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٢٦) - ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ في سبب نزولها

قولان:

أحدهما: أنها نزلت في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله عليه السلام، ويتباعدوا عنه جاء به<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: اجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون سوءاً بالنبي عليه السلام، فقال أبو طالب:

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٠٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٥)، والطبري في «تفسيره» (٤٠٢/٩)، والحاكم في «المستدرک» (٣٢٢٩)، جميعهم من طريق الثوري عن حبيب بن أبي ثابت قال: حدثني من سمع ابن عباس يقول... فذكره.

ورواه الحاكم في «المستدرک» (٣٢٢٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٥) من طريق حمزة بن حبيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الحاكم: حديث حمزة بن حبيب صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ      حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا  
 فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غُضَاضَةٌ      وَابْشِرْ وَقَرَّ بِذَلِكَ مِنْكَ عَيْنَا  
 لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِي سُبَّةٌ      لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَلِكَ مَتِينًا<sup>(٤)</sup>  
 والثَّانِي: قولُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَالسُّدِّيِّ وَالضَّحَّاكِ: نَزَلَتْ فِي كَفَّارِ مَكَّةَ، كَانُوا  
 يَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَتْبَاعِدُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْهُ<sup>(٥)</sup>.

وَالهَاءُ فِي ﴿عَنْهُ﴾ تَعَوُّدٌ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.  
 وَقِيلَ: إِلَى الْقُرْآنِ؛ أَي: يَنْهَوْنَ عَنْ سَمَاعِهِ وَيَتْبَاعِدُونَ عَنْهُ مَخَافَةَ مِيلِ الْقُلُوبِ إِلَيْهِ.

\*\*\*

(٢٧) - ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.  
 ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا﴾؛ أَي: يُوقَفُونَ ﴿عَلَى النَّارِ﴾؛ أَي: عَايَنُوهَا.  
 وَقِيلَ: صَارُوا فَوْقَ النَّارِ وَصَارَتِ النَّارُ تَحْتَهُمْ.  
 وَقِيلَ: حُبِسُوا فِي النَّارِ.  
 وَذَكَرَ أَقْضَى الْقِضَاءِ وَجْهًا آخَرَ؛ أَي: جُعِلُوا وَقَفًا عَلَى النَّارِ، مِنَ الْوَقُوفِ الْمُؤَبَّدَةِ<sup>(٦)</sup>.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٥٥٦)، وعنه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٦)، والواحي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٠١ - ٢٠٣) عن ابن عباس ومحمد ابن الحنفية والسدي وغيرهم. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٧) عن ابن عباس ومحمد ابن الحنفية، وقال: «وروي عن الضحاك وحبیب بن أبي ثابت نحو ذلك».

(٦) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ١٠٥)، وقد ذكره عن الكلبي بلفظ: «ولو ترى إذ حُيسُوا على النار». وذكره بلفظه: المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٦)، واستغربه، وذكره بلفظ قريب أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٧٤).

ويدفعه قوله: ﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَيْبِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠].

﴿فَقَالُوا يَلَيْلًا نَرُدُّ﴾: تمنوا الرَّدَّ إلى الدنيا ليؤمنوا ويخلصوا إيمانهم.

﴿وَلَا تَكْذِبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استئناف كلام منهم<sup>(١)</sup>، ومن نصب جعل

الواو تنوب عن الفاء، كأنهم تمنوا الرَّدَّ وأن لا يكذبوا وأن يكونوا مؤمنين.

وجواب (لو) محذوف تقديره: لرأيت عجباً.

\*\*\*

(٢٨) - ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلِ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿بَلْ بَدَأَهُمْ﴾ ﴿بَلْ﴾ للإضراب عن الوفاء بما تمنوا، و﴿بَدَأَهُمْ﴾: ظهر لهم ﴿مَا

كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلِ﴾ قيل: في الدنيا؛ أي: الشرك والنفاق والمعاصي.

وقيل: هو قولهم: ﴿وَاللَّوْثِيَّتَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؛ أي: بدا بشهادة الجوارح؛

أي: بدا عنهم<sup>(٢)</sup>.

وقيل: بدا جزاء ذنوبهم.

ابن بحر: ﴿بَدَأَهُمْ﴾: ظهر وبان لهم ﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ﴾؛ أي: يجدونه خافياً، كما

تقول: أحمدته: وجدته محموداً، وأعمرت البلاد: وجدتها عامرة<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾؛ أي: إلى الدنيا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾؛ أي: إلى الكفر.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ قيل: في الدنيا، وقيل: في قولهم: ﴿وَلَا تَكْذِبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) هذا على قراءة من رفع (نكذب)، وقد قرأ حمزة وحفص: ﴿وَلَا تَكْذِبْ﴾ و﴿نكون﴾ بنصب الباء

والنون فيهما، وقرأ ابن عامر: ﴿وَنَكُونَ﴾ فقط بالنصب، والباقون بالرفع فيهما. انظر: «السبعة»

(ص: ٢٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٧)، وعده من العجائب.

(٢٩) - ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نحنُ بِمبعوثين﴾.

﴿وقالوا﴾؛ أي: في الدنيا: ﴿إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: ما هي، و﴿هي﴾ كناية عن المدة. وقيل: عن الحياة.

﴿وَمَا نحنُ بِمبعوثين﴾ وهو عطفٌ على ﴿وَهُمْ يَنهَوْنَ عَنْهُ﴾.

وقيل: متصلٌ بقوله: ﴿لَعَادُوا لِمَا هُوَ عَنْهُ﴾؛ أي: لعادوا وقالوا: ﴿إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾.

\*\*\*

(٣٠) - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهمْ﴾: قضاء ربهم فيهم، وقيل: مسألة ربهم إياهم عن أعمالهم. وقيل: وقفوا لحساب ربهم.

وفسر بعض المشبهة ﴿وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهمْ﴾؛ أي: وقفوا عليه فشهدوه<sup>(١)</sup>، وهذا فاسد؛ لأننا إنما نثبت الرؤية لله في حق المؤمنين دون الكافرين.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا﴾: هو إشارة إلى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب.

﴿بِالْحَقِّ﴾: بالكائن الموجود لا بالباطل المعدوم.

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أقرؤا، وأكدوا الإقرار باليمين.

﴿قَالَ﴾؛ أي: الله: ﴿فَذوقُوا الْعَذَابَ﴾ ابن عيسى: إنما قال: (ذوقوا) لأنهم في كل حال يجدونه وجدان الذائق في شدة الإحساس، ولا يصيرون إلى نقصان الإدراك<sup>(٢)</sup>.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قيل: بسبب كفركم. وقيل: الباء للبدل؛ أي: مكانه وبدلاً منه.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٦)، وعده من العجائب، وردّه كما هنا.

(٢) ذكره الواحدي في «البيسط» (٨/ ٨٢) بلا نسبة، وفيه: «من غير أن يصيروا إلى حال من يشم الطعام في نقصان الإدراك».

(٣١) - ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ .

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾؛ أي: فاتهم النعيم وهلكوا، ولقاء الله: البعث بعد الموت.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾ يعني: القيامة، وسُميت القيامة ساعة لسرعة الحساب فيها للجزاء، كقوله: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وقيل: أراد الساعة التي إذا جاءت بطلت الدنيا، فحذف الصفة.

﴿بَغْتَةً﴾: فجأة، وهي نصب على الحال؛ أي: باغتة، وهي ورود الشيء على صاحبه من غير علمه بوقته.

﴿قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا﴾: تحسروا على تقصيرهم ونادوا بالحسرة؛ أي: تعالي فهذا أو أوانك. وقيل: معناه: انتبهوا على حسراتنا. ومعنى ﴿فَرَطْنَا﴾: قصرنا.

ابن بحر: فرط: سبق، والفارط: السابق، وفرط: خلى السبق لغيره.

﴿فِيهَا﴾ قيل: في الدنيا.

وقيل: في الصفة، ودل ﴿خَسِرَ﴾ عليها<sup>(١)</sup>.

وقيل: في الساعة؛ أي: فرطنا في التقدمة لها.

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: آثامهم، وزر الرجل يزره وزراً: أثم، ووزر فهو موزور: إذا أثم أيضاً، وأصله: الثقل، والوزارة: حمل الثقل.

وقيل: الوزر: الملجأ، والوزارة منه.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٧)، واستغربه. وذكر وجهاً عدّه من العجائب واستحسنه،

وهو: أن ﴿مَا﴾ هي الموصولة، و﴿فِيهَا﴾ كناية عن ﴿مَا﴾، وأنت حملاً على الأعمال.

وُخْصَّ الظَّهْرُ لِأَنَّهُ لَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ إِلَّا الْأَثْقَلُ.

وُخْصَّ بِالِإِضَافَةِ نَفِيًّا لِلْمَجَازِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وَرُوِيَ: وَزَرَ يَزِرُ؛ بِالكَسْرِ فِيهِمَا<sup>(١)</sup>.

وَقِيلَ: هُوَ<sup>(٢)</sup> مَجَازٌ بِمَعْنَى اللَّزُومِ.

﴿الْأَسَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ أَي: بِشَسِّ شَيْئًا يَحْمِلُونَهُ، وَأَفَادَ ﴿أَلَا﴾ تَعْظِيمَ مَا يُذَكَّرُ بَعْدَهُ.

\*\*\*

(٣٢) - ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقَوْنَ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ جَوَابٌ لِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾؛ أَي:

وَمَا أَعْمَالُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ.

وَقِيلَ: وَمَا أَهْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَّا بِأَهْلِ لَعِبٍ وَلَهْوٍ؛ أَي: سَرِيعَةُ الْانْقِضَاءِ قَلِيلَةُ الْبَقَاءِ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ لَا مَنَفَعَةَ لَهُ<sup>(٣)</sup> فِي عَاقِبَتِهِ.

وَقِيلَ: عَاقِبَةُ اللَّعْبِ وَاللَّهْوِ الْغَمُّ وَالنَّدَمُ.

ابْنُ عِيسَى: اللَّعْبُ: عَمَلٌ يَشْغَلُ عَمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ إِلَى مَا لَا يُنْتَفَعُ بِهِ، وَاللَّهْوُ: صَرْفُ النَّفْسِ

عَنِ الْجِدِّ إِلَى الْهَزْلِ، وَأَصْلُهُ مِنْ (لَهَيْتَ عَنْهُ)<sup>(٤)</sup>، وَمِنْهُ: إِذَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِشَيْءٍ فَأَلَهُ عَنْهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) فِي (ن) زِيَادَةُ «لِغَةِ».

(٢) أَي: حَمَلُ الْأَثْقَالِ عَلَى الظَّهْرِ.

(٣) «لَهُ»: لَيْسَتْ فِي (ن).

(٤) أَي: غَفَلْتَ عَنْهُ وَتَرَكْتَ ذِكْرَهُ، وَمُضَارَعَةُ: يَلْهَى.

(٥) مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ كَمَا فِي «تَارِيخِ دِمَشْقٍ» (٥٦ / ٣١٤)، وَ«الْجَلِيسِ الصَّالِحِ» (ص: ٢٠٧)، وَنَسَبُهُ

الْمَبْرَدُ فِي «الْكَامِلِ» (٤ / ٣٢) لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَقَدْ رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ»

(٥ / ٣٢٦) وَذَكَرَ لَهُ خَبْرًا: أَنَّ عَمَرَ رَأَى رَجُلًا يَشِيرُ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: يَا هَذَا! إِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَا تَشْرَنَّ =

﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَنْقُوتُونَ﴾؛ لِدَوَامِهَا وَبِقَائِهَا، وَلِحُسْنِ عَاقِبَةِ الْمُتَّقِينَ<sup>(١)</sup> فِيهَا، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَيَّ الْحَالَيْنِ خَيْرٌ.

\*\*\*

(٣٣) - ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ

يَجْحَدُونَ﴾.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾

في سبب النزول: قال السُّدِّيُّ: التَّقَى الْأَخْنَسُ بْنُ شُرَيْقٍ وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ الْأَخْنَسُ لِأَبِي جَهْلٍ: يَا أَبَا الْحَكَمِ، أَخْبَرَنِي عَنْ مُحَمَّدٍ، أَصَادِقٌ هُوَ أَمْ كَاذِبٌ؟ فَإِنَّهُ لَيْسَ هَاهُنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامَكَ غَيْرِي، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَصَادِقٌ، وَمَا كَذَبَ مُحَمَّدٌ قَطُّ، وَلَكِنْ إِذَا ذَهَبَ بَنُو قُصَيٍّ بِاللُّوَاءِ وَالسَّقَايَةِ وَالْحِجَابَةِ وَالنَّدْوَةِ وَالنُّبُوَّةِ، فَمَاذَا يَكُونُ لِسَائِرِ قُرَيْشٍ؟ فَأُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو ميسرة: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ بِأَبِي جَهْلٍ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا وَاللَّهِ لَا<sup>(٣)</sup> نُكْذِّبُكَ، إِنَّكَ عِنْدَنَا لَصَادِقٌ، وَلَكِنْ نُكْذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

= بشمالك، أشربيمينك. فقال الرجل: ما رأيت كالיום! إن رجلاً دفن أعز الناس إليه ثم إنه يهيمه يميني من شمالي، فقال عمر: إذا استأثر الله بشيء فآله عنه. ومعناه والله أعلم: ما ذكره المبرد في «التعازي والمراثي» (ص: ٨٩) عن الأصمعي عن عمر قال: إنما الجزع قبل فوات الشيء، فإذا فاتك الشيء فآله عنه.

(١) في (و): «ولحسن عاقبتها للمتقين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٢٢).

(٣) في (و): «ما».

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٦)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٦٤) إلى =

وعن مقاتلٍ: أنها نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل، كان يكذبُ النبيَّ عليه السلامُ في العلانية، فإذا خلا مع أهل بيته قال: ما محمدٌ من أهل الكذب، ولا أحسبه إلا صادقاً، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٥)</sup>.

وكلمة (قد) تأتي للتوقع، وتأتي للتقريب من الحال، وتأتي للتقليل<sup>(٦)</sup>، والآية تحتمل الأوجه الثلاثة.

وفي الآية تسليئة النبي عليه السلام على تكذيبهم إياه وقولهم له: إنه كاذبٌ وساحرٌ وشاعرٌ ومجنونٌ، فإنهم لا يكذبونك ولا يخصونك بالتكذيب، وإنما يجحدون آيات الله.

وقيل: معناه: لا يكذبونك بحجة، ولا يعتد بتكذيبهم.

وقيل: لا يسبونك إلى الكذب<sup>(٧)</sup>.

و﴿يَكْذِبُونَكَ﴾<sup>(٨)</sup> بالتخفيف معناه: لا يجدونك كاذباً<sup>(٩)</sup>. وقيل: هما بمعنى.

\*\*\*

= عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه، وروى نحوه الترمذي (٣٠٦٤)، والحاكم في «المستدرک» (٣٢٣٠)، والضياء في «المختارة» (٧٤٨)، من طريق ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه، وأعله الترمذي بالإرسال، فقد رواه عن ناجية بن كعب مرسلًا وقال: «هذا أصح».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٥٥٨).

(٦) وقد تأتي أيضاً للتحقيق والتكثير. انظر: «الجنى الداني» للمراي (ص: ٢٥٦ - ٢٥٩).

(٧) في (و): «التكذيب».

(٨) قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وباقي السبعة بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

(٩) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣٣٩).

(٣٤) - ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرًا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ كهودٍ ولوطٍ وصالحٍ وشُعيبٍ ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا﴾ فَنَاسَ بِهِمْ وَاصْبِرْ.  
﴿حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرًا﴾: مَعُونَتَنَا.

﴿وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لَا مُخْلِفَ لوعده؛ يعني قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١]... الآيات، وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٥١]... الآية، وقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَخْلِيصٍ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]... الآية.  
﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: قَصَصِهِمْ وَمَا حَلَّ بِقَوْمِهِمْ. والفاعل مُضْمَرٌ<sup>(١)</sup>.

وقيل: (من) زيادة، وفيه بُعد<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٣٥) - ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾: عَظَمَ وَشَقَّ ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عنك وعن الإيمان بك وبالقرآن، وحرصت على إيمانهم، ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْغِي﴾: تَطَلَّبَ ﴿نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ تغوص

(١) أي: فاعل (جاء) مضمر فيه، وهو يعود إلى النبأ وإن لم يتقدم ذكره؛ لأن قوله: ﴿مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ يدل عليه. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٨)، وانظر: «إعراب القرآن» للباقولي (١/ ٢٩٠).

(٢) وهذا قول الأخفش، وهو مشهور عنه، كما في «معاني القرآن» له (١/ ٢٩٨)، و«التيان» للعكبري (١/ ٤٩٢). وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٨) فقال: «ولا يجوز أن تكون (من) زيادة؛ لأنها لا تزداد في الإثبات، وأجاز الأخفش زيادتها في الإثبات قياساً على النفي».

فيها، والنَّفَقُ: سَرَبٌ له مَخْلَصٌ إلى مكانٍ آخَرَ. ﴿أَوْ سَلَّمَ فِي السَّمَاءِ﴾: مَصْعَدًا تَصْعَدُ فيه، وقيل: درجًا، وقيل: سببًا، وسُمِّيَ سَلَّمَ لِتَسْلِيمِهِ إلى المَقْصِدِ.

﴿فَتَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ﴾ ابنُ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: بآيةٍ خَيْرٍ مِّمَّا مَعَكَ فافْعَلْ<sup>(١)</sup>.

والمعنى: لا يُؤْمِنُونَ وإن اجتهدتَ كُلَّ الاجتهادِ وَجَهَّتْهُمَ بما اقترَحوا من الآياتِ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ بإنزالِ آيةٍ تَضْطَرُّهُمْ إلى الإيمانِ.

وقيل: لو شاء اللهُ أن يَطْبَعَهُمْ على الهدى لَفَعَلَ.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾؛ أي: بحكمِ اللهُ في عباده.

وقيل: لا تَجَزَعْ في مواطنِ الصَّبْرِ فَتُقَارِبَ حالَ الجاهلِ.

ويحتملُ أن المعنى: فلا تُكُنْ مِمَّنْ لا يَعْلَمُ هذا، وليس المرادُ به الجهلُ المذمومُ.

وقيل: الخطابُ للنبيِّ عليه السَّلامُ والمرادُ به غيره.

\*\*\*

(٣٦) - ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: يُجِيبُ المؤمنون الذين ينتفعون بسمعهم.

﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾؛ أي: فأَمَّا الكفَّارُ الذين هم كالموتى، الذين

لا يسمعون ولا يُبْصِرُونَ، فيبعثُهُم اللهُ مع الموتى، فإنَّهُم في عِدادِهِم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ

يُرْجَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ أي: إلى أرضِ المحشرِ.

\*\*\*

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢٦ / ٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٢٨٤).

(٢) في (و): «يحشرون».

(٣٧) - ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلِ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ﴾؛ أي: هَلَّا أُنزِلَ عليه ﴿ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ يريدون: ما اقترحوا عليه من جعل الصفا ذهباً، وأن يوسع لهم أرض مكة، ويُفجّر الأنهارَ خلالها تفجيراً. ﴿ قُلِ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً ﴾ من الآيات التي اقترحتهم، لكنها سؤال إعناتٍ وطلبٍ مُدافعةٍ، وهو سبحانه لا ينزل مثل هذه الآيات، وقد أنزل عليك القرآن وهو من أبلغ الآيات وأظهر المعجزات، ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾؛ لأنها تستدعي تأملاً فيها وتفكيراً.

\*\*\*

(٣٨) - ﴿ وَمَلَيْنَ دَابَّةً فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ بِطَيْرٍ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَنُفِّرُكَ لِكِ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ .

﴿ وَمَلَيْنَ دَابَّةً فِي الْأَرْضِ ﴾ ثم ذكر ما يستدل به على قدرته على الآيات، والدابة: اسم لما يدب، يقع على المذكر والمؤنث، ولا يطلق على الأدمي إلا شتماً<sup>(١)</sup>، وكذلك الحيوان<sup>(٢)</sup>. ﴿ وَلَا طَيْرٍ بِطَيْرٍ بِجَنَاحِهِ ﴾ قيد الطيران بالجنحين قطعاً لمجاز السرعة. والجنح: أحد ناحيتي الطير، مشتق من جنح: إذا مال.

﴿ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ في الخلق والرزق والموت، وفي الحاجة إلى مدبرٍ يدبر أمر مرادها<sup>(٣)</sup> وإن انفرد كل نوع بخاصة لا توجد في غيره. والأمة: الجماعة تشترك في نوع. وقيل: أمثالكم في الأكل والشرب.

(١) ذكره ذلك المصنف في تفسير سورة (البقرة)، وفي «غرائب التفسير» (٢/٨٨٦).

(٢) فلا يقال الإنسان: دابة، أو حيوان؛ إلا على سبيل الشتم.

(٣) أي: ما يصلح أحوالها، والمراد: مقاصد الطرق. انظر: «الصحاح» مادة: (ر ش د) (٢/٤٧٤).

الدِّمَاطِيُّ: فِي أَنَّهَا تَعْرِفُ اللَّهَ تَعَالَى وَتُوحِّدُهُ وَتُسَبِّحُ لَهُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، قَالَ: وَتُسَبِّحُهُ: يَا حَلِيمُ يَا غَفُورُ<sup>(١)</sup>.

الرَّجَّاحُ: أَمْثَالُكُمْ فِي الْخَلْقِ وَالْمَوْتِ وَالْبَعْثِ<sup>(٢)</sup>.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ أَصْنَافَ الْحَيَوَانَ مَكْلَفَةٌ مُتَعَبَّدَةٌ لِقَوْلِهِ: ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾، وَلِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، فَجَاهِلٌ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الْمُمَثِّلَةَ لَا تُوجِبُ الْإِتِّفَاقَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ مِنْ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

﴿مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قِيلَ: الْكِتَابُ: اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى مَا يَجْرِي فِي الْعَالَمِ مِنْ جَلِيلٍ وَدَقِيقٍ مِنْ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ وَغَيْرِهَا. وَقِيلَ: الْكِتَابُ: الْقُرْآنُ.

وَقَوْلِهِ: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أَي: مِنْ شَيْءٍ اِحْتِيجَ إِلَى بَيَانِهِ، وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى مَا تُعَبَّدُ نَابَهُ كِنَايَةً وَتَصْرِيحًا، أَوْ مُجْمَلًا وَتَفْصِيلًا.

ابْنُ بَحْرٍ: ﴿الْكِتَابِ﴾: هُوَ كِتَابُ الْأَجْلِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، وَلِقَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وَلِقَوْلِهِ: ﴿كُنُوزًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]<sup>(٤)</sup>.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ لِلْبَعْثِ وَالْقِصَاصِ.

(١) ذَكَرَ نَحْوَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «الْبَسِيطِ» (٨ / ١١٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ رِوَايَةِ عَطَاءٍ، وَلَفْظُهُ: «يَعْرِفُونِي وَيُوحِدُونِي وَيُسَبِّحُونِي وَيُحْمَدُونِي، مِثْلَمَا قَالَ تَعَالَى فِي (سَبْحَانَ): ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]»، وَاسْتَعْرَبَهُ الْمَصْنَفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١ / ٣٥٨).

(٢) ذَكَرَهُ الْمَصْنَفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١ / ٣٥٨).

(٣) ذَكَرَهُ الْمَصْنَفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١ / ٣٥٨)، وَعَدَّهُ مِنَ الْعَجَائِبِ، وَرَدَّهُ كَمَا هُنَا.

(٤) ذَكَرَهُ الْمَآوِرِيُّ فِي «النُّكْتِ وَالْعَيُونِ» (٢ / ١١٢).

ابن عباس رضي الله عنهما: حَشْرُهَا: مَوْتُهَا<sup>(١)</sup>.  
وقيل: تُحَشِّرُ وتَعَوِّضُ عَمَّا لَحِقَها مِنَ الْأَلَامِ، وَيُنْصَفُ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ، وَتَدْخُلُ  
الْجَنَّةَ، وَتَكُونُ مِنْ جَمَلَةِ دَوَابِّ الْجَنَّةِ.

\*\*\*

(٣٩) - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرُوا عَلَيْكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَاءُ يُجْعَلْهُ  
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرُوا عَلَيْكُمْ﴾ عن الخبير ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ، ويُريدُ  
بـ ﴿الظُّلُمَاتِ﴾: ظلمة الجهل والحيرة والكفر، وظلمات المحشر والنار.  
﴿مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ فيموت على الكفر.  
﴿وَمَن يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: الإسلام.

\*\*\*

(٤٠) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِن أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ إِن كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾: كلمة استفهام للجمع وتعجيب ليس لها نظير، والكاف  
فيها حرف خطاب لا محلَّ له من الإعراب، والتاء قبلها ضميرُ الفاعل، لزم طريقة  
واحدة<sup>(٢)</sup> استيقناً للجمع بين علامتي خطاب، ومعناه: تنبّه وتفكّر.  
وقال الكوفيون: الكاف اسم، ومحله نصب، وكانهم أضمرُوا والمفعول الثاني<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٢٨٦).

(٢) وهي الفتحة؛ سواء مكان المخاطب واحداً أو جمعاً، مذكراً أو مؤنثاً، ورأى الأزهري أن المراد بها  
التقرير. انظر: «معاني القراءات» (١ / ٣٥٣).

(٣) واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٥٩) فقال: «الغريب: ذهب الكوفيون إلى أن الكاف =

﴿إِنَّ آتَانَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾؛ أي: كما جاء من قبلكم.

﴿أَوْ آتَانَكُمْ السَّاعَةَ﴾ التي تُحْيُونَ فِيهَا وَتُخْرَجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ.

﴿أَغْيِرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ فيكشف ما نزل بكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام آلهة؟  
وجزاء الشرط مضمّر، تقديره: فادعوها.

\*\*\*

(٤١) - ﴿بَلْ آيَاتُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُكْفِرُونَ﴾.

ثم قال: ﴿بَلْ آيَاتُهُ تَدْعُونَ﴾ لأنهم كانوا إذا مسهم الضرّ دعوا الله لا غير، دليله قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾ [الزمر: ٨]، وقوله: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْعَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُمِ اللَّيْلِ دَعَا اللَّهَ﴾ [لقمان: ٣٢]، وأمثاله.

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾؛ أي: فيكشف الضرّ الذي تدعون الله إليه<sup>(١)</sup>، تقول: دعوتُ الله إلى أن يغفر لي، ودعوتُ الله بأن يُسهّل لي<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ شَاءَ﴾ يُرِيدُ: يكشف العذاب في الدنيا؛ لأن الساعة لا تُكشَفُ ولا يُكشَفُ ما ينزل بهم فيها.

= اسم، والمعنى: رأيت نفسك، وهذا بعيد؛ لأن شرط المفعول الثاني في هذا الباب إذا كان مفرداً أن يكون هو إياه، وليس هو كذلك في قوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، ولا في سائر الآيات...

(١) أي: إلى كشفه، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٧): «المعنى: فيكشف الضر الذي من أجله دعوتم، وهذا على اتساع الكلام مثل: سل القرية، المعنى: سل أهل القرية».

(٢) لعله يشير إلى أن (دعا) يتعدى بالباء وبإلى، فمن الثاني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ﴾، ومن الأول قول الشاعر:

دَعَوْتُ لِمَا نَأَيْبِي مَسْوَرًا

انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٥١٣).

﴿وَتَنْسَوْنَ مَا نُنشِرُكُمْ﴾: وتتركون، وقيل: (تَنسَوْنَ) منَ (النَّسيان) (١). وقيل: تُعْرِضُونَ عنه إِعْرَاضَ النَّاسِي.

﴿مَا نُنشِرُكُمْ﴾؛ أي: الذي تُشْرِكُونَهُ مع الله، وقيل: (ما) للمصدر؛ أي: تَنسَوْنَ إِشْرَاكَكُمْ.

\*\*\*

(٤٢) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ﴾ يعني: رسلاً ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: (من) زيادة؛ أي: زمانهم قبل زمانك. ﴿فَآخَذْنَاهُمْ﴾؛ أي: فكفروا بهم وكذبوهم فأخذناهم ﴿بِالْبَأْسَاءِ﴾: الشَّدَّةِ والفقرِ ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: الضَّرِّ والآفاتِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾: ليعودوا إلى الله، والضَّرَاعَةُ: الدَّلَّةُ، وتَضَرَّعَ: تَصَاغَرَ وخَضَعَ.

والمعنى: فعلنا ما ذكرنا فلم تخشع قلوبهم ولم تضرع نفوسهم.

\*\*\*

(٤٣) - ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾؛ أي: هَلَّا تَضَرَّعُوا بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم ينزجروا بما ابتلوا به ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ خَيْلَ إِلَيْهِمْ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ مِنَ اللَّهِ.

\*\*\*

(١) والمراد: أنهم ينسون شركاءهم على الحقيقة في تلك الحال.

(٤٤) - ﴿فَلَمَّاسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.

﴿فَلَمَّاسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾؛ أي: فلمَّا لم يتعظوا بالبلاء، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

الرَّجَّاجُ: أي: فتحنا عليهم ما كان مُغْلَقًا عنهم<sup>(١)</sup>.

ابن جرير: فتحنا عليهم أبوابًا من النعم كُنَّا سدَدْنَاها عليهم<sup>(٢)</sup>.

وروي عن النبي عليه السلام أنه قال: «مُكْرٍ بالقوم وربُّ الكعبة»<sup>(٣)</sup>.

﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا﴾: أُعْجِبُوا ﴿بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾: فجأة.

وقيل: في الآية تقديرٌ وتأخيرٌ تقديره: فرحوا بما أُوتوا ونسوا ما ذُكِّرُوا به

أخذناهم بغتةً.

﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾: (إذا) هذه تُسَمَّى المُفْجَأة، كما تقول: خَرَجْتُ إِذَا زَيْدٌ قَائِمٌ<sup>(٤)</sup>،

ومعنى ﴿مُبْلِسُونَ﴾: آيسون.

الرَّجَّاجُ: المُبْلِسُ: الشَّدِيدُ الحَسْرَةِ اليائِسُ الحَزِينُ<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٨)، وفيه: «فتحنا عليهم أبواب كل شيء كان مغلقًا عليهم من الخير».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٢٤٥-٢٤٦)، وما ذكره المصنف هو معنى كلامه مختصرًا.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩١) عن الحسن موقوفًا عليه.

وروى الإمام أحمد في «المسند» (١٧٣١١) عن عقبه بن عامر عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّاسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾....

(٤) انظر: «المقتضب» للمبرد (٢/ ٥٧)، و«شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٣/ ٢٦٦).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٤٩).

قُطِرْبُ: الإبلاسُ: الخشوعُ<sup>(١)</sup>.  
 أبو عبيدة: الكئيبُ والحزينُ<sup>(٢)</sup>.  
 ابنُ جريرٍ: السَّاكُتُ عند انقِطَاعِ الحِجَّةِ<sup>(٣)</sup>.  
 الدِّمِياطِيُّ: أي: يئسُوا مِنَ الخَيْرِ كما يئسُ إبليسُ<sup>(٤)</sup>.  
 ابنُ عيسى: الإبلاسُ: اليأسُ مِنَ النَّجَاةِ عند وُرُودِ الهَلَاكِ<sup>(٥)</sup>.  
 الحسنُ: مُبْصَبُصُونَ<sup>(٦)</sup>.  
 وقيل: الإبلاسُ: الإطْرَاقُ مِنَ الحَزَنِ والنَّدَمِ.

\*\*\*

(٤٥) - ﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾  
 ﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ أي: آخِرُ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ، تقول: دَبَّرَهُ دَبْرًا وَدُبُورًا:  
 إِذَا تَبَعَهُ.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: هو محمودٌ على ما فعل؛ فَإِنَّهُ سَبِحَانَهُ قَدْ أَعْدَرَ  
 وَأَنْذَرَ وَأَنْعَمَ وَأَمْهَلَ.

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤ / ٥١٥). وذكره الطبري في «تفسيره» (٩ / ٢٤٩)،  
 والماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ١١٤) بلا نسبة.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١ / ١٩٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٩ / ٢٤٩) وقد ذكره قولاً من جملة أقوال.

(٤) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١ / ٥٠٩)، وابن فارس في «مجمّل اللغة» (ص: ١٣٥) مادة  
 (ب ل س)، والماوردي في «النكت والعيون» (١ / ١٠٢) دون نسبة.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٢ / ٢٧١)، والرازي في «التفسير الكبير» (١٢ / ٥٣٥) دون نسبة.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٧٥). والبصبصة: تحريك الكلب ذنبه طمعاً وخوفاً. والإبل تفعله  
 إذا حدى بها. انظر: «العين» (٧ / ٩١).

وقيل: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إهلاك أعدائه وأعداء أنبيائه.

وقيل: عَلَّمَ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ يَحْمَدُونَهُ عَلَى نِعْمِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَنِقْمِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ<sup>(١)</sup>.  
ويحتمل أنَّ المعنى: أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا كَانَ لَمْ يَنْقَطِعْ بِهَلَاكِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٤٦) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ فأصمَّكم، ﴿وَأَبْصَرَكُمْ﴾ فأعماكم، ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فسلبَ العقولَ عنها<sup>(٣)</sup> والتمييز.  
وقيل: خَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ فَأَمَاتَكُمْ.

(١) في (و): «بالكافرين».

(٢) فصل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٠) ما أجمله هنا فقال ما معناه: «في الحمد هنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أمر، وهو على وجهين:

أحدهما: قولوا: الحمد لله على إهلاك أعدائه وأعداء المؤمنين.

والثاني: قولوا: الحمد لله الذي لم يجعل هلاك أمة محمد ﷺ في الدنيا، كما جعل هلاك سائر الأمم فيها.

وأما الثاني: فهو ثناء من الله - سبحانه - على نفسه بإهلاك عدوه وعدو أنبيائه.

وأما الثالث: فهو إخبار، وهو على وجهين؛ أحدهما: إثبات، والآخر نفي.

أما الإثبات: فعلى تقدير: فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ثابت كما كان لم ينقطع بهلاكهم.  
وأما النفي: فهو نفي الذم؛ أي: قَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وهو محمود على ما فعل، فإنه سبحانه قد أعذر وأنذر وأنعم وأمهل.

الغريب: يحتمل أنه لما قال: (قُطِعَ) بلفظ المجهول، قال: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: هو القاطع فاحمدوه».

(٣) في (و): «سلب العقول منها».

﴿مَنْ لِلَّهِ عِزُّ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾؛ أي: مَنْ يَأْتِيكُمْ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ لَا أَحَدَ يُعْطِيهِمْ عَوْضَهَا.

والهاء في ﴿بِهِ﴾ قيل: تعودُ إلى الأخذِ، والمرادُ المأخوذُ.  
وقيل: إلى الختمِ، والمرادُ به المختومُ عليه.  
وقيل: إلى السَّمْعِ، ويكونُ ما عُطِفَ عليه داخلاً معه.  
وقيل: ما يَأْتِيكُمْ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ.  
﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: نُكْرِرُهَا.  
﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يُعْرِضُونَ، وَالصُّدُوفُ: الْإِعْرَاضُ عَنِ الشَّيْءِ.

\*\*\*

(٤٧) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهَنَّمَ هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَعْتَهُ﴾ من غير مُقَدِّمَةٍ ﴿أَوْ جَهَنَّمَ﴾ يتقدَّمُهَا أدلَّةٌ وعلاماتٌ.

الحسنُ: ﴿بَعْتَهُ﴾: لَيْلًا، ﴿أَوْ جَهَنَّمَ﴾: نَهَارًا<sup>(١)</sup>.

وقيل: ﴿بَعْتَهُ﴾: آمِنِينَ، ﴿أَوْ جَهَنَّمَ﴾: تَنْتَظِرُونَ.

﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: لو أُجِبتُم إلى ما تَقَرَّحُونَ من إسقاطِ السَّمَاءِ كِسْفًا وَغَيْرِهَا لَمْ يُهْلِكْ بِهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ وَالْمُعَانِدُونَ.

\*\*\*

(١) ذكره الواحدي في «البيسط» (٨ / ١٥٠)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢ / ٢٩٣).

(٤٨) - ﴿وَمَا رُسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿وَمَا رُسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ بِالْجَنَّةِ ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بِالنَّارِ، وَلَيْسَتْ بِأَيْدِيهِمُ الْآيَاتُ.

﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾؛ أَي: دَامَ عَلَى إِيمَانِهِ، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

\*\*\*

(٤٩) - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ أَي: كَذَّبُوا رُسُلَنَا بَرْدَ آيَاتِنَا ﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾: يَنَالُهُمْ وَيُصِيبُهُمْ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

\*\*\*

(٥٠) - ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن

أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: خَزَائِنُ رِزْقِهِ<sup>(١)</sup>. وَقِيلَ: خَزَائِنُ عَذَابِهِ، وَقِيلَ: خَزَائِنُ آيَاتِهِ، فَأَفْعَلُ كُلُّ مَا أُرِيدُ.

وَقِيلَ: خَزَائِنُهُ: مَقْدُورَاتُهُ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾؛ أَي: كُلِّ الْغَيْبِ، إِلَّا مَا عَلَّمَنِيهِ سُبْحَانَهُ.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾؛ أَي: أَقْدَرُ عَلَىٰ مَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ.

(١) فِي (و): «نَقْمَهُ».

(٢) فِي (و): «خَزَائِنُ مَقْدُورَاتِهِ».

والمعنى: لست أدعي شيئاً مما لا يليق بي.  
﴿إِنْ أَنْتِجُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: ما يأمرني به بالوحي.  
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: العالم والجاهل. وقيل: الضَّالُّ والمُهتدي.  
وقيل: معناه: لست مثلكم؛ فإني مُهتدٍ وأنتم ضالون.  
﴿أَفَلَا تَنْفَكُونَ﴾ فتعقلوا ذلك.

\*\*\*

(٥١) - ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاِلَىٰ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَنْفَعُونَ﴾.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾؛ أي: بما يُوحَى إليك - وهو القرآن - ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: المؤمنين. وخصَّهم لانقاعهم بالإنذار.  
وقيل: هم الكفار، شكوا في البعث وقالوا: آلهتنا شفعاؤنا عند الله.  
﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاِلَىٰ﴾: يلي أمرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: يشفع لهم.  
وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاِلَىٰ وَلَا شَفِيعٌ﴾ واقعٌ موقع المفعول الثاني لـ ﴿أَنْذِرْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقيل: محله نصبٌ على الحال من ﴿يَخَافُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
﴿لَعَلَّهُمْ يَنْفَعُونَ﴾.

\*\*\*

(١) في هامش (ن): ﴿يَخَافُونَ﴾؛ أي: يعلمون؛ كقوله: ﴿وَإِنَّ أُمَّرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء]:

[١٢٨].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦١)، واستغربه.

(٣) «وقيل: محله نصب على الحال من يخافون»: ليست في (ن).

(٥٢) - ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ في سبب النزول: عن سعد قال: نزلت هذه الآية فيّ وفي ابن مسعود وعمار وصهيب والمقداد وبلال، قالت قريش لرسول الله عليه السلام: إننا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء فاطرهم عنك، فدخل قلب رسول الله عليه السلام من ذلك ما شاء الله أن يدخله، فأنزل الله هذه الآية<sup>(١)</sup>.

وعن خباب بن الأرت قال: فينا نزلت، كنا ضعفاء عند النبي عليه السلام بالغداة والعشيّ يعلمنا القرآن والخير، وكان يخوفنا بالجنة والنار، فجاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقالا: إننا من أشراف قومنا، وإننا نكره أن يرونا معهم، فاطرهم إذا جالسناك، قال: «نعم» قالوا: لا نرضى حتى تكتب كتاباً، فأتي بأديم ودواة، فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

والطرّد: إقصاء على جفاء.

﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾؛ أي: يصلون الصلوات الخمس في الجماعة.

وقيل: يدعون بالتمجيد والتحميد.

وقيل: صلاة الفجر والعصر.

وقيل: هو قراءة القرآن.

(١) رواه مسلم (٢٤١٣)، والواحد في «أسباب النزول» (ص: ٢١٧) واللفظ له. ولفظ مسلم: «كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾...».

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٢٧)، وحسن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٨٤٤).

وقيل: عامٌّ في العباداتِ.

والغداة تُنكَّرُ، وتدخُلُها الألفُ واللَّامُ للتَّعريفِ، و(عُدْوَةٌ) معرفةٌ لا تدخُلُها الألفُ واللَّامُ، وكذلك (بُكْرَةٌ)، ومن العربِ مَنْ لا يَصْرُفُها<sup>(١)</sup>.

وابنُ عامرٍ قاسَ (عُدْوَةً) على (الغداة)<sup>(٢)</sup>، وفيه بُعدٌ عندَ النُّحاةِ<sup>(٣)</sup>.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: يُرِيدُونَ اللهَ، والوجهُ ذِكْرٌ تعظيماً كقولهِ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَبَعَثْنَا وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وقيل: الوجهُ: الجهةُ؛ أي: يقصدون جهةَ الله بطاعتِهِم.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ في الحسابِ،

هاهنا ثلاثة أقوال:

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢٩٣ - ٢٩٤)، و«غرائب التفسير» (١/٣٦٢).

(٢) قرأ ابن عامر: (بالغدوة) هنا وفي (الكهف). انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

(٣) كذا قال المؤلف، وكذلك تكلم أبو عبيد على هذه القراءة بأن ابن عامر قرأ تلك القراءة اتباعاً للخط، وليس في إثبات الواو في الكتاب دليل على القراءة بها؛ لأنهم كتبوا الصلاة والزكاة بالواو ولفظهما على تركها، وكذلك الغداة، قال: على هذا وجدنا العرب. انتهى.

وتعقبه أبو حيان في «البحر» (٤/٥٢٢): بأن هذا من أبي عبيد جهل باللغة التي حكاها سيبويه والخليل من أن بعضهم ينكِّرها فيقول: «رأيتُه غدوةً» بالتنوين، قال: وعلى هذه اللغة قرأ ابن عامر، كما أنه لم ينفرد بهذه القراءة، بل قرأ بها أيضاً جماعة منهم: أبو عبد الرحمن السلمي ومالك بن دينار والحسن ونصر بن عاصم وأبو رجاء العطاردي، قال: وكيف يظن بهؤلاء الجماعة القراء أنهم إنما قرؤوا بها لأنها مكتوبة في المصحف بالواو، والقراءة إنما هي سنة متبعة، وأيضاً فابن عامر عربي صريح كان موجوداً قبل أن يوجد اللحن لأنه قرأ القرآن على عثمان بن عفان، ونصر بن عاصم أحد العرب الأئمة في النحو، وهو ممن أخذ علم النحو عن أبي الأسود الدؤلي مستنبط علم النحو، والحسن البصري من الفصاحة بحيث يُستشهد بكلامه، فكيف يظن بهؤلاء أنهم لحنوا واغتروا بخط المصحف؟

أحدها: حسابُ أعمالِهِمْ<sup>(١)</sup> كقولِهِ: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: ١١٣].

والثاني: حسابُ أرزاقِهِمْ.

والثالث: من كفايتِهِمْ، تقول: حَسَبِي؛ أي: كَفَانِي.

﴿فَنظَرُدَّهُمْ﴾: فَنُتَبِعِدَهُمْ، وقيل: نُؤَخَّرُهُمْ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ إِلَى الْأَخِيرِ.

﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بسببِ طردِهِمْ.

وقولِهِ: ﴿فَنظَرُدَّهُمْ﴾ جوابُ النَّفْيِ، وقولِهِ: ﴿فَتَكُونُ﴾ جوابُ النَّهْيِ<sup>(٢)</sup>، وقيل:

عطفٌ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(٥٣) - ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ

اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾؛ أي: امتحنَّا الْفَقِيرَ بِالْغَنِيِّ وَالْغَنِيَّ بِالْفَقِيرِ؛

﴿لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ المعنى: لو كان هذا الأمرُ الذي دخلوا فيه -

يعني: الإسلام - نعمةً وفضلًا لَمَّا حُصِّوا به من بَيْنِنَا، كقولِهِ: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾

[الأحقاف: ١١].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾؛ أي: هو أعلمُ بِمَن يَشْكُرُ نِعْمَتَهُ مِمَّنْ يَكْفُرُهَا،

فَمَنَّ عَلَيْهِم بِالْهُدَايَةِ لِشُكْرِهِمْ وَخَذَلَ غَيْرَهُمْ لَكُفْرِهِمْ.

وَاللَّامُ لَامُ الْعَاقِبَةِ، وقيل: لَامُ (كي).

(١) في (و): «أموالِهِمْ»، وفي (ن): «أعمالِكُمْ»، والمثبت أنسب بالسياق.

(٢) انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/١٨٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/١١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٦١) واستغربه.

(٥٤) - ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا إِبْهَاتًا لَمْ تُجِزْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ في سبب النزول: قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله نبيه عن طردهم، فكان إذا رآهم بدأهم بالسَّلام وقال: «الحمد لله الذي جعل في أممي من أمرني أن أبدأهم بالسَّلام»<sup>(١)</sup>.

وقال ماهان الحنفي<sup>(٢)</sup>: أتى قوم النبي عليه السَّلام فقالوا: إننا أصبنا ذنوبًا عظامًا، فما إخاله ردَّ عليهم شيئًا، فلما ذهبوا وتولَّوا نزلت: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي: يُصدِّقون بالقرآن، وقيل: بحججنا وبراهيننا.

﴿فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أمره الله أن يبدأهم بالتسليم عليهم.

الحسن: ﴿فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: من ربكم<sup>(٤)</sup>.

المُبرَّد: السَّلام في اللغة أربعة أشياء: اسمٌ من أسماء الله عزَّ وجلَّ، وجمعُ «سلامة»، ومصدرُ «سَلَم»، واسمُ شجرٍ<sup>(٥)</sup>.

ومعنى: سلامٌ عليك: سلِّمت من الآفات دينا ودنيا.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٩٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٩).

وروى نحوه أبو يعلى في «مسنده» (١١٥١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: «الحمد لله الذي جعل في أممي من أمرت أن أصبر معهم».

(٢) ماهان أبو سالم الحنفي عن أم سلمة، قتله الحجاج بن يوسف، سمع مولاته عن أم سلمة، روى عنه المنهال بن عمرو وسليمان الشيباني، يعدُّ في الكوفيين، وقال بعضهم: ماهان أبو صالح، ولا يصح. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٦٧/ ٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٠).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١١٩).

(٥) ذكره تلميذه الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٥٢)، وذكر أنه سمعه منه.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾: أوجبها. وقيل: كتب في اللوح المحفوظ، وما كتب أبقى وأثبت.

﴿أَنَّهُ﴾ الهاءُ للأمرِ والشَّانِ ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا﴾: ذنبًا ﴿بِجَهْلَةٍ﴾: جهل كنه ما يؤوُلُ إليه. وقيل: بجهالةٍ في اختياره.

الحسن: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا خَطِيئَةً فهو جاهلٌ<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعدَ السُّوءِ والعملِ أو الجهلِ ﴿وَأَصْلَحَ﴾: عَزَمَ أَنْ لا يعودَ إلى الذَّنْبِ ﴿فَأَنَّهُ عَفُورٌ رَجِيمٌ﴾.

فتحُ (أَنَّ) الأولى على البدلِ من (الرَّحمة)، والكسرُ على الاستئناف، وكسرُ الثاني على الابتداء، والفتحُ على تقدير: فالأمرُ أَنَّهُ<sup>(٢)</sup>.

و(مَنْ) يجوزُ أَنْ تكونَ للشرطِ، والفاءُ دخلَ للجزاء، ويجوزُ أَنْ يكونَ بمعنى: الذي، والفاءُ دخلَ على الخبرِ.

\*\*\*

(٥٥) - ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ﴾؛ أي: وكما بيَّنَّا الحُجَجَ في هذه السُّورةِ وما قبلها ﴿نُفْصِلُ الْآيَاتِ﴾: نبيِّنُها.

والفَصْلُ: بَوْنُ ما بين الشَّيئين، والفَصْلُ في القضاءِ من هذا، والتَّفْصِيلُ: التَّبْيِينُ بين المعاني المُلتبسةِ.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٢٠)، والواحدي في «البيسط» (٨/ ١٧٧).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ﴾ ﴿فَأَنَّهُ عَفُورٌ رَجِيمٌ﴾ بفتح الهمزتين، ونافع بفتح الأولى فقط، والباقون بكسرهما. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ اللّامُ عطفٌ على المعنى؛ أي: نُفَصِّلُ الآياتِ ليظهرَ الحقُّ ولتستبينَ.

ويَحْتَمِلُ: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ فَصَّلْنَاهُ<sup>(١)</sup>.  
والمعنى: سبيلُ المُجرمين وسبيلُ المؤمنين، فاكتفى بأحدِ الضدِّين.  
واستبانَ لازمٌ ومُتعدِّ<sup>(٢)</sup>. والبيانُ: فَصَّلُ المعنى ممَّا التَّبَسَّ به. والسَّيْلُ يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(٥٦) - ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَصَلُّونَ إِذَا وَأَمَّا أَنَا مِنَ الْمُهْتَبِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ﴾ ابنُ عيسى: النَّهْيُ: الزَّجْرُ عن الفعلِ بطريقةٍ: لا تَفْعَلْ<sup>(٤)</sup>.  
﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: تَعْبُدُونَ. وقيل: ﴿تَدْعُونَ﴾ من الدُّعَاءِ.  
وقيل: تَدْعُونَهَا آلِهَةً؛ أي: تُسْمُونَهَا، كما تقولُ: دَعَوْتُ ولدي زيدًا؛ أي: سَمَّيْتُهُ.  
﴿قُلْ لَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ﴾ ابنُ عيسى: الهوى: أَرِيحِيَّةُ النَّفْسِ إلى ما تَحِنُّ إليه<sup>(٥)</sup>.  
﴿قَدْ صَلَّيْتُ إِذَا﴾ مع كثرةِ وُضوحِهِ وإعلامِ شواهدِهِ<sup>(٦)</sup> ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَبِينَ﴾؛  
أي: إلى شيءٍ من مرَاشِدي.

الزَّجَاجُ: وما أنا من النَّبِيِّينَ الذين سَلَكَوا الهدى<sup>(٧)</sup>.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٣)، واستغربه.

(٢) وهو في الآية لازم.

(٣) انظر: «المذكر المؤنث» للأباري (١/ ٤٢٣).

(٤) ذكر نحوه ابن فورك، وقيده بما لا يجوز. انظر: «تفسير ابن فورك» (٣/ ١٤٤).

(٥) هذا في اللفظ، أما في المعنى فيأتي النهي بلفظ اجتناب، ويكون بغير لفظ. انظر: «المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٨٢٦).

(٦) في (ن): «مع وضوح كثرة أعلامه وكثرة شواهد».

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٥٥).

(٥٧) - ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَمُّ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ في سبب النزول: قال الكلبي: نزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش، كانوا يقولون: يا محمد، اتينا بالعذاب الذي تعدنا به؛ استهزاء منهم، فنزلت: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾<sup>(١)</sup>: معجزة. وقيل: القرآن.

وقيل: دين صحيح.

الحسن: النبوة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ الزجاج: الهاء تعود إلى البيان<sup>(٣)</sup>. وقيل: إلى مدلول البيئته. وقيل: إلى القرآن. وقيل: إلى ﴿رَبِّي﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾؛ أي: ليس عندي الذي تطلبونه، ولا في قدرتي هذا العذاب.

وقيل: ما اقترحو عليه من الآيات.

والاستعجال: طلب الشيء قبل وقته.

﴿إِنْ أَلْحَمُّ إِلَّا لِلَّهِ﴾: ليس الحاكم بيننا إلا الله، وهو يظهر المحق من المبطل.

(١) ذكره عن الكلبي الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٩)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣٦ / ٢) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، فهو مما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) ذكره بعض المفسرين دون نسبة. انظر: «تفسير ابن زمين» (٢ / ٢٨٥)، و«الهداية» لمكي (٣ / ٢٠٤٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ٢٥٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٦٣)، واستغربه.

﴿يُقْضَى الْحَقُّ﴾: يقضي القضاء الحق.

وقيل: يصنع الحق<sup>(١)</sup>.

و﴿يُقْضَى الْحَقُّ﴾: يُبَيِّنُ الْحَقَّ. ويجوز: يُقْضَى الْقَصَصَ الْحَقَّ.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ﴾: لا حَيْفَ وَلَا جَوْرَ فِي حُكْمِهِ.

\*\*\*

(٥٨) - ﴿قُلْ لَوْ أَن عِنْدِي مَا سْتَعْمِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿قُلْ لَوْ أَن عِنْدِي مَا سْتَعْمِلُونَ بِهِ﴾؛ أي: لو كان العذاب بيدي وفي مقدوري

﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ لأنزلته عليكم، ولم أكن لأحلم<sup>(٢)</sup> عنكم، ولصار

الأمر إلى آخره، وانقطع ما بيني وبينكم.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾؛ أي: بمن ينبغي أن يؤخذَ وبمن ينبغي يُمهَل.

\*\*\*

(٥٩) - ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ

مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ فهو يُظهِرُ ما أرادَ منها.

والمفاتيح: جمع مِفْتَاحٍ، وهو ما يُفْتَحُ به<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/٢٥٦) وشرحه بقوله: «أي: كل ما صنعه عزَّ وجلَّ فهو حق

وحكمة»، وجعله الزمخشري من قولهم: (قضى الدرع) إذا صنعها؛ أي: يصنع الحق ويدبره. انظر:

«الكشاف» (٢/٣٠).

(٢) في (ن): «الأحكام».

(٣) قال ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية: المفاتيح: جمع مِفْتَاحٍ بفتح الميم، وهو المخزن الذي

يُفْتَحُ ويُغْلَقُ، أو جمع مِفْتَاحٍ بكسرها، وهو المفتاح، ويؤيده قراءةٌ من قرأ: (مفاتيح).

وَالْغَيْبُ: مَا غَابَ عَنْ مَعَارِفِ الْخَلْقِ.

ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾: خزائن العذابِ والرِّزْقِ (١).

﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾: لَا يُنَزَّلُ الْعَذَابَ وَالرِّزْقَ إِلَّا هُوَ.

وقيل: ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾: الْأُمُورُ الَّتِي بِهَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الْغَائِبِ فَيَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ، مِنْ قَوْلِكَ: فَتَحْتُ عَلَى الْإِمَامِ: إِذَا عَرَفْتَهُ مَا نَسِيَ.

وعن النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ»، ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الْآيَةَ (٢).

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ﴾: مَا فِي الْفِجَارِ مِنَ النَّبَاتِ وَالذُّوَابِ ﴿وَالْبَحْرِ﴾ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَوَاهِرِ. وَقِيلَ: ﴿الْبَرِّ﴾: الْفَلَاةُ ﴿وَالْبَحْرِ﴾ الْقَرْيُ.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ثَابِتَةً وَسَاقِطَةً.

وقيل: كَمْ انْقَلَبَتْ ظَهْرًا لِبَطْنٍ إِلَى أَنْ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ.

وَرُويَ عَنْ كَعْبٍ: مَا عَلَى الْأَرْضِ شَجْرَةٌ إِلَّا وَكَلَّ بِهَا مَلَكَانِ، يَكْتُبُ أَحَدُهُمَا مَا سَقَطَ مِنْهَا، وَالْآخَرُ مَا يَطْلُعُ، فَقِيلَ لَهُ: وَلَا الْحَشِيشُ؟ فَقَالَ: وَلَا الْحَشِيشُ، فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (٣).

﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾: تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ. وَقِيلَ: تَحْتَ التُّرَابِ.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٢١)، والواحدي في «البيسط» (٨/ ١٩٠). وروى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ قال: هن خمس: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ إلى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، وسيورده المصنف مرفوعاً.

(٢) رواه البخاري (٤٧٧٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) لم أقف عليه.

﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ﴾؛ أي: جميع الأجسام؛ لأنها إنما تكون رطباً أو يابساً.  
﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: في اللوح المحفوظ، تطلع عليه الملائكة المقربون، ويعلم  
العباد أن أعمالهم مُحصاةٌ للجزاء.

وقيل: الكتاب مجازاً عن الحفظ.

وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ مع قوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ استثناءٌ بعد استثناءٍ، كقول الشاعر:

ما بالمدينة دارٌ غيرٌ واحدةٍ      دارُ الخليفةِ إلا دارٌ مرواناً<sup>(١)</sup>

وقرئ: (ولا حبة.. ولا رطبٌ ولا يابسٌ) بالرفع<sup>(٢)</sup>، فيكون ما بعد ﴿إِلَّا﴾

خبر المبتدأ.

\*\*\*

(٦٠) - ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثْكُمْ فِيهِ

لِيُقَضَّ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ بِاللَّيْلِ﴾؛ أي: يُنيمكم<sup>(٣)</sup>.

وحُصَّ اللَّيْلُ بالنَّوْمِ والنَّهَارُ باليقظةِ على الأغلبِ ومَجْرَى العادةِ.

والتَّوَفَّى هاهنا مُستعارٌ من الوفاةِ التي هي الموتُ، وحَسَنَ هذه الاستعارةُ لِمَا

بين النَّوْمِ والموتِ من المُناسبةِ: من زوالِ الإحساسِ والمعرفةِ والفكرِ والتَّمييزِ، وما

يلحقُه من استرخاءِ الأعضاءِ ويمنعُه عن الكسبِ، ومثله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ

(١) عزاه سيبويه في «الكتاب» (٢/ ٣٤٠) للفرزدق، وقد سبق الكلام عليه.

(٢) هي قراءة شاذة نسبت لابن أبي إسحاق واليماني. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٤٣)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرمانى (ص: ١٦٩).

(٣) في (و): «يُميتكم».

مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴿ [الزمر: ٤٢]، فاستعمل الحقيقةَ والمجازَ جميعًا.

والتَّوْفِيُّ: قَبْضُ الشَّيْءِ عَلَى التَّمَامِ، وَأَصْلُهُ مِنْ اسْتِيفَاءِ الْعَدْدِ، قَالَ:

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدٍ

وَلَا تَوَقَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدِ<sup>(١)</sup>

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾؛ أَي: كَسَبْتُمْ.

وقيل: أُنْتُمْ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: يُنَبِّهُكُمْ وَيُوقِظُكُمْ. وَضَعِ الْبَعْثَ فِي مُقَابَلَةِ التَّوْفِيِّ.

﴿فِيهِ﴾: فِي النَّهَارِ.

الْحَسَنُ: فِي الْأَجْلِ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِي النَّهَارِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ

فِيهِ، يَحْتَمَلُ أَنَّ النَّهَارَ هُوَ السَّابِقُ عَلَى اللَّيْلِ، وَلَفْظُ الْمَاضِي يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ:

﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾؛ أَي: فِي نَهَارٍ آخَرَ، كَقَوْلِهِ: لَهُ عَلَيَّ دَرَاهِمٌ وَنِصْفُهُ؛ أَي: نِصْفُ

دَرَاهِمٍ آخَرَ<sup>(٣)</sup>، وَكُلُّ شَاةٍ وَسَخَلَتْهَا بِدَرَاهِمٍ؛ أَي: سَخَلَتْ شَاةً أُخْرَى، أَوْ يَعُودُ إِلَى

الْأَجْلِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ.

(١) الرجز لمنظور الوبري، كما في «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٢)، و«تهذيب اللغة» مادة (و ف ي) (١٥/ ٤١٩).

وينو الأدرم هم بنو تميم بن غالب بن فهر بن مالك، وهم من قريش الظواهر لا قريش الأباطح. وهذا الراجز

يهجوهم بأن قريشاً أهل الأباطح لا يجعلون بني الأدرم تماماً لعددهم، ولا يستوفون بهم عددهم إذا عدوا.

من حاشية «تفسير الطبري» بتحقيق أحمد ومحمود شاكر (١١/ ٤٠٥).

(٢) لم أجده.

(٣) في هامش (ن): «القياس: إذا قال: (علي درهم ونصفه)، أن لا يلزمه إلا درهم واحد؛ لأن (نصفه)

دخل في الدرهم، وليس كذلك؛ لأن تقديره: ونصفه من درهم آخر».

﴿لِيُقَضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لِيَبْلُغَ آخِرَ أَجَلِهِ الْمُسَمًّى له في الدنيا، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾  
بالموت، ﴿ثُمَّ نَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

\*\*\*

(٦١) - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾: الغالبُ ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: علو شأنٍ لا مكانٍ<sup>(١)</sup>.  
﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ﴾: وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ ﴿حَفَظَةً﴾: يحفظونه ويحفظون عليه أعماله.  
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾: ﴿حَتَّىٰ﴾ لغاية الحفظ، ويُريدُ بـ(الموت): وقتَ  
الموت.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ يُريدُ: مَلَكَ الْمَوْتِ، وَجُمِعَ لِأَنَّ لَهُ أَعْوَانًا.

وقيل: الْمُتَوَفِّونَ هُمُ الْحَفَظَةُ أَيْضًا<sup>(٢)</sup>.

﴿وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَا يُضَيِّعُونَ<sup>(٣)</sup>.

(١) بعيداً عن الخلاف بين السلف والخلف في تفسير هذه الآية وأمثالها فقد أحسن ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢١٩) في قوله: «﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي: وهو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له لوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته على الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٤)، واستغريه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٧).

وقيل: لا يُؤخرون. وقيل: لا يتوانون. وقيل: لا يعجزون.  
ابن بحر: لا يدعون أحداً يقرط عنهم؛ أي: يسبقهم ويفوتهم<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٦٢) - ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِينِ﴾  
﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾: انقلبوا برد الله إليهم بالبعث. وقيل: ردهم الملائكة.  
﴿مَوْلَاهُمُ﴾: الذي يتولّى أمرهم. وقيل: سيدهم<sup>(٢)</sup>.  
﴿الْحَقِّ﴾؛ أي: الثابت من كل جهة، وكل مولى غير الله فمن بعض الجهات.  
﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾: القضاء والفصل يوم القيامة.  
﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِينِ﴾: يحاسب جميع الخلق في مقدار حلب شاة.

\*\*\*

(٦٣) - ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾  
﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾: يخلصكم. والنجاة: السلامة من الهلكة، واشتقاقه من  
(النجوة)، وهي المرتفعة من الأرض، والناجي: مرتفع عن موضع الهلكة.  
﴿مَنْ ظَلَمْتَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: إذا تهتم فيهما.  
وظلمات البر والبحر: شدائدهما، والظلمة: الشدة.  
وقيل: البر: الفلا، وظلمات البر: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة الغبار.

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/٥٤٠).

(٢) كذا ضبطت في (ن)، وهو صحيح على أنها خبر لمبتدأ محذوف، ويجوز فيه الجر.

وظلماتُ البحرِ: ظلمةُ الليلِ، وظلمةُ السَّحابِ، وظلمةُ الأمواجِ.  
﴿تَدْعُونَهُ نَضْرَعًا﴾: مُعْلِنِينَ الضَّرَاعَةَ ﴿وَخُفِيَةً﴾: مُسْرِينَ فِي أَنْفُسِكُمْ.  
الحَسَنُ: ﴿نَضْرَعًا﴾: عَلَانِيَةً، ﴿وَخُفِيَةً﴾: نِيَّةً<sup>(١)</sup>.

﴿لَئِنْ أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾؛ أي: إِذَا حَزَبَكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْكُلِّ وَأَخْلَصْتُمْ الْعِبَادَةَ وَالِدُعَاءَ اللَّهِ وَنَدَرْتُمْ النُّدُورَ، فَلَمَّا كَشَفَ مَا بَكُمْ وَخَلَّصَكُمْ رَجَعْتُمْ إِلَى شِرْكِكُمْ. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ:

(٦٤) - ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ﴾.

﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا﴾؛ أي: مِنْ هَذِهِ الظُّلْمَاتِ، ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾: غَمٌّ وَحُزْنٌ سِوَاهَا، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ﴾ وَلَا تُشْكُرُونَ؛ أَي: تُعَاوِدُونَ الشِّرْكَ وَلَا تَقُونَ بِالْعَهودِ.

\*\*\*

(٦٥) - ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسَّكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْكُمْ نَصْرَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ يعني: الْحِجَارَةَ وَالطُّوفَانَ وَالصَّيْحَةَ وَالرَّيْحَ، كَمَا فَعَلَ بِعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ شُعَيْبٍ وَقَوْمِ لُوطٍ وَقَوْمِ نُوحٍ.

(١) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» (٣/ ٣١٧)، والواحد في «البيضا» (٨/ ٢٠٠).

وقد روى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٧) عن الحسن أثرًا بليغًا في ذلك، قال رحمه الله: «إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جأزه، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به. ولقد أدرنا أحوالًا ما كان على الأرض من عمل يقدر على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا فرضي فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].».

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني: الرَّجْفَةَ وَالزَّلْزَلَةَ وَالخَسْفَ.  
ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾: أئمةُ السُّوءِ، و﴿مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾  
خادمُ السُّوءِ<sup>(١)</sup>.

﴿أَوْ يَلْسِكُمْ﴾: يخالطكم ﴿شَيْعًا﴾: أحزابًا مُتَفَرِّقِينَ، فتتفرَّق كلمتكم.

﴿وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾: يُقاتِلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

الحَسَنُ فِي جَمَاعَةٍ: الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْمُسْلِمِينَ<sup>(٢)</sup>.

غَيْرُهُمْ: فِي الْمَشْرِكِينَ.

﴿انظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ؛ أَي: تَأَمَّلْ ﴿كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ﴾ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ﴿لَعَلَّهُمْ

يَفْقَهُونَ﴾: لِيَكُونُوا أَقْرَبَ إِلَى التَّأَمُّلِ وَالِاعْتِبَارِ.

\*\*\*

(٦٦) - ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾؛ أَي: بِالْقُرْآنِ، وَقِيلَ: بِمَا أَخْبَرَ بِهِ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيل: يجوز أن يكون بمحمد - عليه السلام - على تلوين الخطاب.

﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾: الصِّدْقُ وَالْحَقِيقَةُ.

﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: بِمُسْلَطٍ. وَقِيلَ: بِحَافِظٍ. وَقِيلَ: لَا أَخَذُكُمْ بِالْإِيمَانِ أَخَذَ

الوكيل الذي يلزمه بلوغ آخره، والحفظ من لحوق الضرر به.

\*\*\*

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٩ - ١٣١١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٠٨) بلفظ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ

أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: هذا للمشركين، ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: هذا للمسلمين.

(٦٧) - ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾: خيرٍ ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: وقتٌ يقعُ فيه ويظهرُ.

وقيل: لكلِّ عملٍ جزاءٌ.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عند وقوعه في الدنيا بالسَّيْفِ، وفي الآخرة بالعذابِ.

\*\*\*

(٦٨) - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيِنِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا

يُنسِئَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيِنِنَا﴾؛ أي: يكذبون فيها، ويسخرون منها، ويستهزئون

بها؛ يعني: القرآن.

والخوضُ: الدُّخُولُ فِي الشَّيْءِ عَلَى تَلَوُّثٍ، وَأَصْلُ الخوضِ: المشيُّ فِي المَاءِ.

وقيل: الخوضُ: التَّخْلِيطُ.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: قُمْ عَنْهُمْ وَلَا تَقْعُدْ مَعَهُمْ ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾: غيرِ

القرآنِ مِمَّا يَحِلُّ<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِمَّا يُنسِئَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ مَا نُهِيتَ عَنْهُ بِوَسْوَئِهِ ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى﴾: بعدِ

التَّذْكِيرِ ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وقيل: بعد ما ذكركناك. والذكري: التذكيرُ.

\*\*\*

(١) بعدها في (و): «بعد».

(٦٩) - ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن المسلمين قالوا: يا رسول الله، لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم، لا نطيق أن نجلس في المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت، فأُنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>.  
 والمعنى: ﴿مَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُونَ﴾ معاصي الله ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾: من حساب هؤلاء الذين يخوضون في القرآن تكديباً واستهزاءً.

وقيل: وما على المتقين من الحساب يوم القيامة مكروه.  
 ﴿وَلَكِنْ ذَكَرُوا﴾؛ أي: ولكن ذكروهم ذكراً؛ فمحلها نصب، ويحتمل الرفع، وتقديره: ولكن عليهم ذكراً<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾: مساءتكم إذا رأوكم.

\*\*\*

(٧٠) - ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ﴾ قتادة: نسختها: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠٩ / ١٢)، والواحدي في «البيضا» (٢١١ / ٨).  
 (٢) النصب على المصدر (المفعول المطلق)، والرفع على أنه مبتدأ خبر محذوف، وأجاز الزجاج أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ٢٦١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١٥ / ٢).  
 (٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢ / ٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٩ / ٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٣١٧).

وقيل: هذا تهديدٌ وليس بمنسوخ، كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١].  
ابن بحرٍ: ذَرُّ مُلَاطَفَتِهِمْ وَذَكَرَهُمْ بِهِ، فصار كقوله: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّهُمْ﴾  
[النساء: ٦٣].

والمُرَادُ بِهِمْ<sup>(١)</sup>: مُشْرِكُو الْعَرَبِ.  
وقيل: هم الذين يخوضون في آياتنا.  
ابن عباسٍ رضي الله عنهما: هم كَفَّارُ مَكَّةَ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى<sup>(٢)</sup>.  
والمعنى: اعتقدوا بطلانَ الأديانِ.  
الْفَرَاءُ: ﴿دِينُهُمْ﴾: عِيدُهُمْ؛ فَإِنَّ كُلَّ قَوْمٍ اتَّخَذُوا عِيدَهُمْ فَرِحًا وَلَهُوًّا وَبَاطِلًا، إِلَّا  
أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُمْ اتَّخَذُوا عِيدَهُمْ صَلَاةَ اللَّهِ وَصِدْقَةً وَذِكْرًا<sup>(٣)</sup>.  
وقيل: ﴿دِينُهُمْ﴾: عِبَادَتُهُمْ<sup>(٤)</sup>.  
﴿وَعَرَّزْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بتكذيبهم البعث. وقيل: غرَّتهم بما مكَّنوا منها.  
﴿وَذَكَرْتَهُمْ﴾ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: بِالْقُرْآنِ<sup>(٥)</sup>. وقيل: بالحسابِ.  
وقيل: بالدينِ.

(١) في (ن): «به».

(٢) في «البيضا» (٨/ ٢١٤): «قال ابن عباس والمفسرون: يعني: الكفار الذين إذا سمعوا آيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها».

(٣) «وذَكَرًا»: ليست في (ن). انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٣٩)، ولفظه: «يقال: ليس من قوم إلا ولهم عيد فهم يلهون في أعيادهم، إلا أمة محمد ﷺ فإن أعيادهم بر وصلاح وتكبير وخير».

(٤) استغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٥)، وأضاف قولاً آخر عده من العجائب، وهو:  
﴿دِينُهُمْ﴾ أي: دنياهم ﴿لِعِبَادِهِمْ﴾، واستدل القائل بقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُحُوبٌ وَلَهُمْ فِيهَا زِينَةٌ  
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكَثِيرٌ مِّنَ الْأَمْوَالِ الْأُولَى﴾، أي: لعب كلعب الصبيان، ولهو كلهو الشباب، وزينة كزينة  
النسوان، وتفاحر كتفاخر الإخوان، وتكاثر كتكاثر السلطان».

(٥) ذكره الواحدي في «البيضا» (٨/ ٢١٥).

﴿أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾: تُرَهَنَ حَتَّى لَا مَحِيصَ لَهَا. وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ: الْبَسْلُ، وَهُوَ الْمَنْعُ.

وتقديره عند بعض المُفسِّرين: أَنْ لَا تَبْسَلَ نَفْسٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَنْ تَضَلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] (١).  
وعند بعضهم: بَيَّنَّ لَهُمْ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُمْ تَرْهَنُهُمْ فِي النَّارِ وَلَا يَجِدُونَ فَكَأَنَّ بِالْإِيمَانِ.

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾ يَنْصُرُهَا بِقُوَّةٍ ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يَدْفَعُ عَنْهَا بِمَسْأَلَةٍ ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كَعَدْلٍ﴾: تَقْدِرُ كُلَّ الْفِدَاءِ ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ الْحَسَنُ: إِنْ أَمِنَ لِيَفْتَدِيَ نَفْسَهُ لَا يُقْبَلُ (٢).  
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾: ارْتَهَنُوا ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾؛ أَي: هُمْ بَيْنَ نَارٍ يَأْكُلُونَهَا وَمَاءٍ مَّغْلِيٍّ يَشْرَبُونَهُ.

\*\*\*

(٧١) - ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلُوبَهُمْ هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ إِنْ دَعَوْنَاهُ دَعْوَةَ عِبَادَةٍ، وَقِيلَ: دَعْوَةَ اسْتِعَانَةٍ. ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إِنْ خَذَلْنَاهُ.

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ﴾؛ أَي: نَرْجِعُ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ رَزَقَنَا اللَّهُ الْإِسْلَامَ. تَقُولُ الْعَرَبُ لِمَنْ أَدْبَرَ: قَدْ رَجَعَ إِلَى خَلْفٍ، وَ: قَدْ رَجَعَ الْقَهْقَرَى (٣).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣٢٠ / ٩)، و«تفسير الثعلبي» (١١٠ / ١٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١٣١ / ٢)، والواحدي في «البيضا» (٢١٨ / ٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢٦٢ / ٢).

﴿كَأَلَيْدِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ استهوى: استفعل، من هوى يهوى هويًا، وقيل: استفعل، من هوى يهوى هوى<sup>(١)</sup>.

﴿حَيْرَانَ﴾: متحيرًا في ظلمة الليل وسعة الفلاة.

﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا﴾؛ أي: ويقولون له: اتبنا.

والمفسرون على أن الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر وأبويه، كانا يدعوانه إلى الإيمان، وهو يدعوهما إلى الشرك<sup>(٢)</sup>.

والمعنى: مثل الكافر كرجل أضله الشيطان في مفازة ليلاً، وله أعوان وأصدقاء يدعوونه ويقولون له: اتبنا؛ فإننا على الطريق، فأبى أن يأتهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا: عنى بالأصحاب: من يدعوته إلى الضلال ويزعمون أن الذي يأمرون به هدى<sup>(٣)</sup>.

(١) والمعنى على التقدير الأول: استزلته، وعلى التقدير الثاني: تعلقت به، والعياذ بالله من الأمرين.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٦٢)، والواحدي في «البيضا» (٨/ ٢٢٤).

وهذا القول مردود لا يصح، فإن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قد أسلم وكان من أجلاء الصحابة، وإنما ينزل مثل هذا فيمن مات على كفره كأبي لهب والوليد بن المغيرة.

ورده ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٠٦) بما رواه البخاري (٤٨٢٧) عن يوسف بن ماهك:

أن مروان قال عن عبد الرحمن رضي الله عنه: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَأَلَيْدِي قَالَ لَوْلَدَيْهِ أُفِّي

لَكُمْ أَتَيْدَانِي﴾ [الأحقاف: ١٧]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن

إلا أن الله أنزل عذري». قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٥٧٧): «نفي عائشة أن تكون نزلت في

عبد الرحمن وآل بيته أصح إسناداً وأولى بالقبول». وقال: «المراد بقول عائشة: (فيها)؛ أي: في بني

أبي بكر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٢)، من طريق عطية

العوفي عن ابن عباس، وإسناده ضعيف.

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾؛ أي: ما دلَّ عليه الله فهو المؤدِّي إلى الهدى والفوز بالنعيم ﴿وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

\*\*\*

(٧٢) - ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ﴾ قيل: تقديره: أمرنا لأن نُسَلِّمَ لربِّ العالمين ولأن نُقيمَ الصَّلَاةَ.

وقيل: أمرنا بالإسلام وبإقامة الصَّلَاة.

ويحتمل: أمرنا ما أمرنا نُسَلِّمَ، وقد سبق.

وقيل: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿أَتَيْنَا﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يعني: يوم القيامة.

\*\*\*

(٧٣) - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ

قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْكُمْ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ﴾ قيل: بالحكمة. وقيل:

بكلامه، وهو قوله: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١].

الحسن: معناه: للحق<sup>(١)</sup>. وقيل: ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: مُحَقَّقًا.

= وروى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٢) من طريق

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما رواية أخرى فسَّرَ الأصحابَ فيها بالمهتدين.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢١) عن الكلبي. وذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٣٤)

بلا نسبة، وفيه: «قيل: الباء بمعنى اللام؛ أي: إظهارًا للحق لأنه جعل صنعه دليلًا على وحدانيته».

وذكر المصنف نحوه في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩١) بلا نسبة.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قيل: عطفٌ على قوله: ﴿وَاتَّقَوْهُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقيل: اذكر يومَ يقولُ.

وقيل: خلقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُبَدِّئًا، ويخلقُ مُعِيدًا يومَ يقولُ: كُنْ فيكونُ.

وقيل: خبرٌ من قوله: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾.

وقيل: نصبٌ على الظَّرْفِ خَبْرٌ عن المبتدأ، وهو قوله: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾، و﴿قَوْلُهُ﴾

مبتدأ، و﴿الْحَقُّ﴾ صفتُهُ، و(اليومَ) خبرُهُ.

وقيل: يُعِيدُهَا يَوْمَ يَقُولُ<sup>(٢)</sup>.

ومعنى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾؛ أي: يقولُ اليومَ: كُنْ فيكونُ؛ أي: فتقوم<sup>(٣)</sup> القيامةُ.

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾؛ أي: وَعَدَهُ وَوَعِيدُهُ.

﴿وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أَنَّهُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ فَيُصْعَقُ الْخَلْقُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ فَيَحْيَوْنَ.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: تكونُ السَّمَاوَاتُ صُورًا يُنْفَخُ فِيهِ مِثْلُ الْقَرْنِ،

وتبدلُ سماءٌ أُخْرَى<sup>(٤)</sup>.

(١) أي: على الهاء في (اتقوه)؛ أي: واتقوا الله واتقوا يومَ يقولُ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(٢) من قوله: «وقيل: نصبٌ على الظرف» إلى هنا ليس في (ن)، وهو بحرفه مذكور في «غرائب التفسير»

(١/٣٦٦ - ٣٦٧). والظاهر أن قوله: «وقيل: نصبٌ على الظرف خبرٌ عن المبتدأ... إلخ» تفصيل

لما قبله من قوله: «وقيل: خبرٌ من قوله: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾».

(٣) في (و): «فتكون».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٦٧)، وعده من العجائب.

والثاني: أنه جمع «صورة»، كسورة وسور، وصوفة وصوف، أي: تُنفخ الأرواح في الصور<sup>(١)</sup>.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٧٤) - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَبُّكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّ﴾ اختلف المفسرون في (أرز):

فذهب بعضهم إلى أنه اسم أبيه، وظاهر القرآن يدل عليه.

وذهب بعضهم إلى أن اسم أبيه تارح<sup>(٣)</sup>، ورؤي عن النبي عليه السلام أنه قال:

«كَذَبَ النَّسَابُونَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أي: الأجساد كما في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧)، وهذا القول عدّه المصنف من الغرائب.

(٢) تكلم المصنف عليها في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧) فقال: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ تعلق

بقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وقيل: خبر مبتدأ؛ أي: هو عالم الغيب، أو يرتفع بفعل مضمّر

دل عليه ﴿يُنْفَخُ﴾؛ أي: ينفخ عالم الغيب، كما قال الشاعر:

لَيْسَكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ      وَخُتْبِطٌ مَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحَ

(٣) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧): «وقيل: نسبته إلى تارح كذب» وذكر الحديث.

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٧)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (١/ ١٢)،

وابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٥٢) عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي

صالح، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا انتهى إلى معد بن عدنان أمسك ثم يقول: «كذب

النسابون قال الله: ﴿وَفُرُونَا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾. وإسناده شديد الضعف؛ فإن الكلبي متروك وأبا صالح

لم يسمع من ابن عباس.

وذهب بعضهم إلى أن تَارَحَ وَاَزَرَ كيعقوب وإسرائيل<sup>(١)</sup>.  
 وذهب بعضهم إلى أن آزرَ وَصَفُ ذمٍّ، ومعناه: المعوجُّ.  
 وذكر الثعلبي أن معناه: الشيخ، بالفارسية<sup>(٢)</sup>.

وقيل: آزرُ اسمُ صنم، وإن أباه ينحتُ الخشبَ أصنامًا فيعبدها هو وغيره، ويكون منصوبًا بفعلٍ مُضمرٍ دلَّ عليه ما بعده، تقديره: اتَّخَذَ آزرَ إلهاً ﴿اتَّخَذُ أَصْنَامًا إلهَةً﴾ فحذفَ الأوَّلَ لأنَّ الثانيَ يدلُّ عليه<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنِّي أَرِنَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ﴾؛ أي: عن الحقِّ ﴿ثُمَّ يَنزِلُ﴾: ظاهر الفساد.

\*\*\*

(٧٥) - ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾.  
 ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: كما أريناه البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه  
 نُرِيهِ ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.  
 وقيل: كما أريناك كذلك أرينا إبراهيم.  
 ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما يُشاهدُ منهما من العجائبِ والحوادثِ  
 والشمسِ والقمرِ والنجومِ والشجرِ والبحارِ والجبالِ.  
 والملكوٓتُ: أعظمُ المُلْكِ، تقول العربُ: المملكوٓتُ: العراقُ واليمنُ<sup>(٤)</sup>.

(١) أي: كان له اسمان، تارح وآزر، كيعقوب وإسرائيل. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ١١٩)، وعدّه المصنف من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٨).

(٣) استغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٧).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٣٤٧)، وفيه: «وحكي عن العرب سماعًا: له ملكوت اليمن والعراق، بمعنى: له ملك ذلك».

ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خَلَقَهُمَا<sup>(١)</sup>.  
 وقيل: (الملكوث) - بالثاء، وقرئ به - اسمٌ عبريٌّ، فعرَّبَ فقلَّبَ تاءً<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤَقِنِينَ﴾ عطفٌ على المعنى؛ أي: لِيَحْتَجَّ عَلَى قَوْمِهِ، وليكون  
 من المؤقنين.

وقيل: وليكون من المؤقنين أريناه ملكوت السماوات والأرض.  
 وقال مجاهد: تفرَّجت لإبراهيم السماوات السبع حتى العرش فنظر فيهنَّ،  
 وتفرَّجت له الأرضون السبع فنظر فيهنَّ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(٧٦) - ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾.  
 ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾: ستره بظلامه، تقول: جنَّ عليه الليل وأجنَّ وجنَّه، جنَّاً  
 وجنَّاناً وجنُوناً، وأصله: السَّتْرُ.  
 ﴿رَأَى الْكَوْكَبَ﴾ قيل: الزُّهْرَةُ. وقيل: كان المُشْتَرِي.

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ وفي صدور هذا القولِ عن إبراهيم عليه السلام أقوالٌ:  
 أحدها: أنه كان في النَّظَرِ والاستدلالِ والبحثِ عن الأحوالِ، وهذه رُتْبَةٌ<sup>(٤)</sup> كلُّ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٣٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٣٢٦)، واستغربه  
 المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٦٨).

(٢) نسبت هذه القراءة لعكرمة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٤)، و«شواذ  
 القراءات» لشمس القراء الكرمانى (ص: ١٧١)، وقد عدَّ المصنف هذا القول من العجائب في  
 «غرائب التفسير» (١ / ٣٦٨)، وقبل: هو باليونانية أو القبطية أو النبطية. انظر: «البحر المحيط»  
 لأبي حيان (٤ / ٥٦٣)، و«الدر المثور» للسيوطي (٣ / ٣٠١)، و«المهذب فيما وقع في القرآن من  
 المعرب» له أيضاً (ص: ١٤٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٣٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٣٢٦).

(٤) في (ن): «مرتبة».

مُتَرَقِّقٌ وَمُسْتَدَلٌّ، وكان استدلال إبراهيم عليه السلام على معرفة ربه وخالقه حتى عرفه من يومٍ وليلةٍ، ابتداءً وحال بلوغه.

والثاني: أنه قال في حال الطفولية<sup>(١)</sup>؛ فإن أمه ولدته في غارٍ خَوْفًا من نمرود، فلَمَّا خَرَجَ قال هذا القول.

والثالث: قاله على وجه الإنكارِ على قومه، وتقديره: أهذا ربِّي؟!

وقيل: تقديره: قال: أيقولون<sup>(٢)</sup>: هذا ربِّي!.

وقيل: عبد كل واحدٍ منهما حتى غاب<sup>(٣)</sup>.

والأوّل هو الوجه.

﴿فَلَمَّا أَفَلَّ﴾؛ أي: غاب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ لأنّ أفوله دلّ على حركته

وانتقاله، وتلك<sup>(٤)</sup> من صفات الأجسام.

\*\*\*

(٧٧) - ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ

مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾: طالعا، والبزوغ: ابتداء الطلوع.

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾: استعجز

نفسه، فاستعان ربه في درك الحق.

(١) في (ن): «الطفولة»، وهما مصدران بمعنى: الصغر، وبمعناهما: الطفل والطفالة أيضاً. انظر:

«المحكم» لابن سيده (١٧٢/٩).

(٢) في (ن): «يقولون».

(٣) هذا قول مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «تفسير الطبري» (٣٥٦/٩) و«تفسير ابن

أبي حاتم» (١٣٢٩/٤)، وقد ذكره المصنف للتنبيه على غرابته.

(٤) في (ن): «وذلك».

(٧٨) - ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِّمَّا دُشِرُوكُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ قوله: ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾ دليلٌ على أنه في النظر والاستدلال.

﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾؛ أي: رأى منها ما رأى من الكوكب والقمر ﴿قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِّمَّا دُشِرُوكُونَ﴾ يعني: الأصنام.

وفي تذكير ﴿هَذَا﴾ - والشَّمْسُ مُؤنثةٌ - ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ذهب إلى لفظ الشَّمْسِ، وهو مُذكَّرٌ.

والثاني: أنه ذهب إلى الضَّوءِ.

والثالث: إلى الشَّخْصِ<sup>(١)</sup>.

والوجه أن الربوبية والتأنيث لا يجتمعان، وإبراهيم عليه السلام اعتقد فيه الربوبية، أو أظهر، أو حكى على ما سبق<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٧٩) - ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾: أخلصت طاعتي. وقيل: قصدت بعبادتي.

(١) انظر: «المذكر والمؤنث» للأبباري (١/١٤٧)، و«الخصائص» لابن جني (٢/٤١٤)، وقد عراه

المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٦٨) لعلي بن سليمان وهو الأخفش الأصغر، وأنشد:

قامت تبيكه على قبره      من لي من بعدك يا عامر

تركتني في السدار ذا غربة      قد ذل من ليس له ناصر

وزاد وجهها عن الكسائي والأخفش، وهو الأوسط: أن تقديره: هذا الطالع ربي.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٦٩)، واستغربه.

﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خَلَقَهُمَا.  
 ﴿حَنِيفًا﴾ سَبَقَ بَيَانُهُ<sup>(١)</sup>. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

\*\*\*

(٨٠) - ﴿وَحَاجَّةُهُ قَوْمُهُ. قَالَ أَتُحْتَجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.  
 ﴿وَحَاجَّةُهُ قَوْمُهُ﴾: خَاصُّهُ فِي دِينِهِ.

﴿قَالَ أَتُحْتَجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي﴾: عَرَّفَنِي التَّوْحِيدَ وَالْحَقَّ، أَنْكَرَ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِمْ طَمَعَهُمْ فِي أَنْ يُزِيلُوهُ عَنِ الْحَقِّ بِالْمُحَاجَّةِ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ يَعْنِي: الْأَصْنَامَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: إِنَّا نَخَافُ أَنْ تَمَسَّكَ آلِهَتُنَا بِسَوْءٍ مِنْ بَرَصٍ أَوْ خَبَلٍ لِعَيْبِكَ إِيَّاهَا.  
 ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ فَإِنَّهُ يُصِيبُنِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ.

وقيل<sup>(٤)</sup>: الاستثناء منقطع؛ أي: لكن أخاف مشيئة الله تُعَذِّبُنِي عَلَى ذَنْبٍ يَكُونُ مَنِيًّا.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أَي: أَحَاطَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

(١) في (و): «سبق بيانه، مخلصاً، وقيل: على دين الإسلام، وقيل: مستسلماً حنيفاً».

(٢) في (و): «وأنكر».

(٣) تكلم المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٦٩) عن قوله تعالى: ﴿أَتُحْتَجُّونِي﴾ فقال: «مَنْ خَفَّفَ حَذْفَ النُّونِ الَّتِي قَبْلَ الْيَاءِ، نَحْو: لَيْتِي وَلَيْتَنِي، وَلَيْسْتَ النَّوْنُ الَّتِي تَقَعُ عَلَامَةً لِلرَّفْعِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَحْذَفُ فِي حَالِ الرَّفْعِ، وَإِنَّمَا كَسَرَتْ لِتُصَحَّحَ الْيَاءُ، فَاسْتِدْلَالُ الْقَائِلِ بِالْكَسْرِ بَاطِلٌ».

والقراءة بتخفيف النون هي قراءة نافع وابن عامر بخلاف عن هشام. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦١)، و«التيسير» (ص: ١٠٤).

(٤) في (ن): «قيل».

(٨١) - ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾؛ أي: الأصنام ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾؛ أي: ما يكون لكم حُجَّةً في وجوب عبادة الأصنام. ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أنا وأهل ديني أم أنتم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

\*\*\*

(٨٢) - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ قيل: هذا من كلام إبراهيم عليه السلام لما سأل: أيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن؟ وقيل: هذا استثناءٌ من الله سبحانه مُجيباً وحاكماً<sup>(١)</sup>.

وقيل: هذا من كلام قوم إبراهيم، أجابوا بما فيه الحجة عليهم. وقوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾؛ أي: بشرك؛ فإن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله عليه السلام وقالوا: أينما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو<sup>(٢)</sup> ما تظنون، إنما هو ما قال لقمان لابنه: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: الظلم عامٌ، والمراد بالآية: إبراهيم عليه السلام، وهذا القول مروى عن علي رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>.

(١) في (و): «وحكماً».

(٢) «هو»: ليست في (ن)، وفي (و): «هذا»، والمثبت من رواية مسلم.

(٣) رواه البخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٧٨/٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٣٣/٤)، والحاكم في =

(٨٣) - ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾: هي إشارة إلى قول إبراهيم: أيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن؛ أَمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ أَمْ مَن يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ!؟

وقيل: هي إشارة إلى ما أَرَى من ملكوتِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ.

وقيل: هي إشارة إلى قوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ بالحجَّة والبيان. وقيل: بالمنزلة والمكان.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في تديبره ﴿عَلِيمٌ﴾ بعباده.

\*\*\*

(٨٤) - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾؛ أي: لإبراهيم ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾؛ أي: كلَّهم وفَقَّنَا وأرشدْنَا، وهو إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل إبراهيم، والفائدة في ذكر نوح عليه السَّلام هاهنا: أَنَّهُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ قِيل: من ذرية نوح، وهو الأظهر. وقيل: من ذرية إبراهيم.

﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي:

كما جَزَيْنَا إبراهيم على إِحْسَانِهِ برفعِ درجَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ نَجْزِي كُلَّ مُحْسِنٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ.

= (المستدرک) (٣٢٣٢)، بلفظ: «هذه الآية لإبراهيم ﷺ خاصة، ليس لهذه الأمة منها شيء».

(٨٥) - ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ﴾ ذهب بعضهم إلى أن إلياس وإدريس واحدٌ كإسرائيل ويعقوب.

﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كلهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ أي: من الأنبياء.

\*\*\*

(٨٦) - ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُدَّيًّا وَكَانَ قَوْلُكَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ إنما تأخر ذكر إسماعيل - والله أعلم - لأن الأولين هم أنبياء بني إسرائيل، وهو أبو العرب.

﴿وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُدَّيًّا وَكَانَ قَوْلُكَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالثبوت والرسالة.

\*\*\*

(٨٧) - ﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَتُهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾؛ أي: كما هدينا هؤلاء هدينا بعض آبائهم وإخوانهم.

﴿وَأَجْنِبَتُهُمْ﴾؛ أي: اخترناهم، وهو عطفٌ على قوله: ﴿كَانَ قَوْلُكَ عَلَى النَّاسِ وَهُدًى مِّن قَبْلُ﴾. ﴿وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

\*\*\*

(٨٨) - ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما دان به هؤلاء المذكورون ﴿هُدَى اللَّهِ﴾: دين الله ﴿يَهْدِي بِهِ﴾: يدلُّ عليه ويُعرِّف ﴿مَن يَشَاءُ مِّن عِبَادِهِ﴾ الأنبياء والمؤمنين.

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هؤلاء مع مرتبتهم وعظمت شأنهم لو كان منهم أدنى شركٍ لبطلت أعمالهم وصاروا من أهل النار والخسار.

ثم مدحهم فقال:

(٨٩) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِأَوْلَادِهَا فَقَدْ وُكِّلْنَا بِهَا قَوْمًا

لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: المُنزَّل ﴿وَالْحُكْمَ﴾ أراد: الحكمة.

وقيل: الحُكْمُ: ما سنوا. وقيل: الحُكْمُ: فهُم الكتاب.

﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: وهي أعلى مرتبة البشر.

﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ قيل: بالنُّبُوَّة. وقيل: بالكتاب والحُكْم<sup>(١)</sup> والنُّبُوَّة. وقيل: بآيات القرآن.

﴿هُنَّ لِأَوْلَادِهَا﴾ يعني: قُرَيْشًا.

﴿فَقَدْ وُكِّلْنَا بِهَا﴾: بمُرَاعَاةِ أَمْرِ النُّبُوَّةِ وَالْآيَاتِ ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ قيل: هم

الأنبياء الثمانية عشر. وقيل: هم الملائكة. وقيل: هم الأنصار.

(٩٠) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ أُقْتَدِ ۗ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ

إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يعني: الأنبياء الذين تقدّم ذكرهم ﴿فَبِهِدْيِهِمُ أُقْتَدِ﴾؛

أي: اقتد بهديهم<sup>(٢)</sup>، تقول: قدّا به قِدَّةً وَقُدُوَّةً، واقْتَدَى به: إذا تأسى به، والهاء للاستراحة<sup>(٣)</sup>،

وَمَنْ أَشْبَحَ الْهَاءَ<sup>(٤)</sup> جعلها كناية عن المصدر لا غير؛ أي: بهداهم اقتد اقتداء<sup>(٥)</sup>.

(١) في (و): «والحكمة».

(٢) في (ن): «بهدهم».

(٣) ويسمونها هاء بيان الحركة، وهي شبيهة بهاء الوقف. انظر: «تصحيح الفصح» لابن درستويه

(ص: ٤١٢)، و«الصاحبي» لابن فارس (ص: ٧٨) و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٢٤٦).

(٤) قرأ بها ابن ذكوان في أحد الوجهين عنه، وهشام يكسرها من غير إشباع؛ أي: باختلاس حركتها،

وهو الوجه الثاني لابن ذكوان، وحمزة والكسائي يحذفان الهاء في الوصل خاصة، والباقون يثبتونها

ساكنة في الحالين، واتفقوا جميعًا على إثباتها وقفًا. انظر: «التيسير» (ص: ١٠٥).

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي (١/٣٥٢).

﴿قَدْ لَأَسْتَأْذِنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرِّسَالَةِ والدُّعَاءِ إِلَى التَّوْحِيدِ ﴿أَجْرًا﴾: جُعِلَا وَمَنْفَعَةً تَصِلُ إِلَيَّ مِنْ جِهَتِكُمْ.

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: لا غرض إلا تذكيركم.

وقيل: ما محمَّدٌ إِلَّا عِظَةٌ لِلْعَالَمِينَ.

وقيل: ما القرآنُ إِلَّا عِظَةٌ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

\*\*\*

(٩١) - ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي

جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَوهُ قَرَاتِيسَ يُبَدُّونَهَا وَخُفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ في سببِ النُّزُولِ عَنِ ابْنِ

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا فِي رِوَايَةِ الْوَالِيِّ: قَالَتِ الْيَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ كِتَابًا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ كِتَابًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال سعيد بن جبير: جاء رجل من اليهود يُقَالُ لَهُ: مالك بن الصَّيْفِ، يُخَاصِمُ

النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ<sup>(٢)</sup> ﷺ: «أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى التَّوْرَةَ، أَمَا تَجِدُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْحَبْرَ السَّمِينِ؟» وَكَانَ حَبْرًا سَمِينًا، فَغَضِبَ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ: وَيْحَكَ، وَلَا عَلَى مُوسَى؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٩٦ / ٩)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٩). والوالي

هو علي بن أبي طلحة، ورواياته عن ابن عباس صحيفة، وأكثرها في «تفسير الطبري».

(٢) «النبي»: ليست في (و).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٩٣ / ٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٣٤٢).

- وَيُقَالُ: إِنَّ قَائِلَ هَذَا الْكَلَامِ فِنْحَاصُ بْنُ عَاذُورَاءَ.  
 وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا فِي يَهُودٍ كَانُوا بِمَكَّةَ.  
 وَقِيلَ: هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ.  
 وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ دَفَعُوا النُّبُوتِ.  
 وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾؛ أَي: مَا عَظَّمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ.  
 ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وَمَا آمَنُوا بِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(١)</sup>.  
 أَبُو عبيدة: مَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ<sup>(٢)</sup>.  
 وَأَصْلُ الْقَدْرِ: الْكَمِّيَّةُ، وَقَدَرَ الشَّيْءَ وَقَدَّرَهُ: عَدَّلَ كَمِّيَّتَهُ، وَيُسْتَعْمَلُ<sup>(٣)</sup> فِي الشَّرْفِ وَعُلُوِّ الرَّتْبَةِ.  
 ﴿يَتَّخِذُونَهُ قَرَأِطِيسَ﴾: تَكْتُبُونَهُ فِي الْقَرَأِطِيسِ.  
 الْفَرَاءُ: الْقَرَأِطِيسُ<sup>(٤)</sup> هَاهُنَا: الصَّحِيفَةُ<sup>(٥)</sup>.  
 «الْحِجَّةُ»: تَجْلَعُونَهُ<sup>(٦)</sup> قَرَأِطِيسَ؛ أَي: تُؤَدِّعُونَهُ أَيَّاهَا<sup>(٧)</sup>.  
 وَقَوْلُهُ: ﴿تُبَدُّوْنَهَا وَتُخْفُونُ كَثِيرًا﴾؛ أَي: تَجْعَلُونَهُ عِضِينَ؛ تُؤْمِنُونَ بِالْبَعْضِ فَتُظْهِرُونَ
- 
- (١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٣٩٦) بلفظ: «هم الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره».
- (٢) انظر: «مجاز القرآن» (١ / ٢٠٠).
- (٣) في (ن): «ثم يستعمل».
- (٤) في (ن): «القرطاس». وكذا وقع الاختلاف في نسخ الفراء كما ذكر في حواشيه.
- (٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٣٤٣).
- (٦) في (و) زيادة: «ذوي»، وفي «الحجة»: «ذوات»، وذكر في الهامش أنه في نسخة: «زا» وهو الوجه، والله أعلم.
- (٧) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٣ / ٣٥٥).

للنَّاسِ، وَتَكْفُرُونَ بِالْبَعْضِ وَتُخْفُونَ، كَصَفَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَعْتِهِ آيَةِ الرَّجِمِ.  
 وَقِيلَ: تَجْعَلُونَهُ كِتَابًا مُتَفَرِّقَةً؛ تُظْهِرُونَ بَعْضَهَا وَتَكْتُمُونَ بَعْضَهَا.  
 ﴿وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعَلَّمُوا﴾؛ أَي: ﴿وَعَلَّمْتُمْ﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ بِالْكِتَابِ أُمُورَ دِينِكُمْ  
 وَدُنْيَاكُمْ ﴿مَا لَمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾.  
 الزَّجَّاجُ فِي جَمَاعَةِ: الْخَطَابُ لِلْمُسْلِمِينَ؛ أَي: عَلَّمْتُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ  
 السَّلَامُ مَا لَمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ<sup>(١)</sup>.  
 ﴿قُلِ اللَّهُ﴾؛ أَي: أَحِبَّ عَنْهُمْ إِنْ سَكْتُوا؛ إِذْ لَا جَوَابَ إِلَّا هَذَا.  
 ﴿تُذَرُّهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾؛ أَي: لَا تَعْجَلْ بِأَهْلَاكِهِمْ؛ فَإِنَّ لَهُمْ أَجَلًا، وَهَذَا قَبْلَ  
 أَنْ أَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْقِتَالِ.

\*\*\*

(٩٢) - ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا  
 وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.  
 ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ  
 مُوسَى﴾؛ أَي: وَهَذَا أَيْضًا أَنْزَلَهُ الْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ<sup>(٢)</sup> مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.  
 ﴿مَبَارَكٌ﴾ يَكْتَرُّ بِهِ وَفِيهِ الْخَيْرُ.  
 ﴿مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يَعْنِي: التَّوْرَةَ.  
 ﴿وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾؛ أَي: أَهْلَ مَكَّةَ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ دُحَيْتٌ مِنْ تَحْتِهَا، وَلِأَنَّهَا أَعْظَمُهَا  
 مَنْزِلَةً وَشَأْنًا، وَلِأَنَّهَا قِبْلَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ.  
 ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أَهْلَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ. وَقِيلَ: أَهْلَ الْوَبْرِ وَالْمَدْرِ.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧١).

(٢) فِي (و) زِيَادَةٌ: «وَهُوَ».

وهي عطفٌ على المعنى؛ أي: لثَبَّتَكَ<sup>(١)</sup> به ولتندِرَ.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾؛ أي: مَنْ كَانَ يُعِيرُ بَأَنَّ لَهُ مُعَادًا، وَمَنْ شَأْنُهُ إِثْبَاتُ الْآخِرَةِ اعْتِقَادًا، عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَأَمَّنَ بِهِ وَلَزِمَ طَاعَتَهُ.

والهَاءُ كِنَايَةٌ عَنِ الْقُرْآنِ. وَقِيلَ: عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: يُرَاعُونَ أَوْقَاتَهَا وَالْقِيَامَ بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَخَصَّتْ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا عَلِمَ الْإِيمَانَ.

\*\*\*

(٩٣) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ نزلت في مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ وَالْأَسْوَدِ العَنَسِيِّ. وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ كَأَنَّ فِي يَدَيَّ سِوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبَّرْتُ عَلَيَّ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَنْفُخُهُمَا، فَانْفُخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوْلَتْ ذَلِكَ كَذَّابَ الْيِمَامَةِ، وَكَذَّابَ صِنْعَاءِ الْأَسْوَدِ العَنَسِيِّ»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وذلك أن النبي عليه السلام أملى عليه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾

(١) في (ن): «لنبتنك».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٧ / ٢) مرسلًا، ورواه البخاري (٣٦٢١)، ومسلم (٢٢٧٤) من

حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مِنْ سُئِلَ مِنْ طِينٍ ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿خَلْقَاءَ آخَرَ﴾ قَالَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ: فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ؛ تَعْجَبًا مِنْ تَفْصِيلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَكَذَا أُنزِلَتْ»، فَشَكََّ وَارْتَدَّ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ كَمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، وَلَيْتَنِّي كَانَ كَاذِبًا لَقَدْ قُلْتُ كَمَا قَالَ<sup>(١)</sup>.

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هم الذين قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأَنْفَال: ٣١].

(١) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٤٧٦/٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٤٣/٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٠)، والرازي في «تفسيره» (٢٦٦/٢٣)، بألفاظ متقاربة. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٧٣٣/٢)، وعدّه من العجيب، وقال: «وقيل: في هذه الحكاية نظر؛ لأن ارتداده كان بالمدينة، والسورة مكية»، وهو نحو قول أبي الليث. وقد نقل الألويسي - رحمه الله - التوفيق بين كون السورة مكية وكون القصة وقعت في المدينة فقال في «روح المعاني» (٣٨/١٨): وطعن بعضهم في صحة هذه الرواية بأن السورة مكية وارتداده بالمدينة كما تقتضيه الرواية، وأجيب بأنه يمكن الجمع بأن تكون الآية نازلة بمكة واستكتبها ﷺ إياه بالمدينة فكان ما كان، أو يلتزم كون الآية مدنية لهذا الخبر، وقوله: إن السورة مكية، باعتبار الأكثر.

وأصل هذه القصة دون موافقة ابن أبي السرح للفظ القرآن: رواها أبو داود (٤٣٥٨)، والنسائي (٤٠٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار».

وها هنا أمر يجب التنبيه إليه، فقد ذكر بعض المفسرين في هذه الرواية زيادة فيها محذور خطير، وهي: أنه كان يكتب للنبي ﷺ، فإذا قال النبي ﷺ: ﴿عَفُورٌ رَجِيمٌ﴾ كتب: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ و﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فيقول له النبي ﷺ: «هما سواء!» وقد تم التنبيه على وهاء سند هذه الرواية ونكارة متنها في حواشي «الكشاف» طبعة دار اللباب، فلتنظر ثمة.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ استفهامٌ والمعنى النفي؛ أي: لا أحد أظلم منه، أو [من] قال: أوحى إليّ، ولم يوح إليه شيء، ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾: (إذ) وقع موقع: (إذا)<sup>(١)</sup>.

﴿فِي غَمْرَاتٍ مُّوتٍ﴾: شدائده، من غمره الشيء: إذا غشيّه.

﴿وَأَلْمَلَيْكَةَ بِأَسْطُوٰ أَيْدِيهِمْ﴾ لقبض الأرواح.

وقيل: بأسطو أيديهم بالضرب والعذاب.

وقال ابن الأنباري<sup>(٢)</sup>: ﴿بِأَسْطُوٰ أَيْدِيهِمْ﴾ يعودُ إلى الظالمين، وفيه بُعد.

﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾؛ أي: يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم.

والمخرج هو الله سبحانه وتعالى، والمعنى تغليظُ الحال؛ أي: إنهم بمنزلة من يتولّى إزهاق نفسه إكراهاً له.

وقيل: معناه: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: خلصوها من هذه الغمرة والشدة، على

وجه التويخ.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ (الهُون) بالضمّ: الهوان، وهو إلحاق ألم على وجه

الاستخفاف والإهانة والحقارة<sup>(٣)</sup>، والهون بالفتح: الدعة والرّفق والسكون<sup>(٤)</sup>.

وقيل: هو خطابٌ لهم بعد أن دخلوا<sup>(٥)</sup> النار.

(١) لأن (إذ) تدلُّ على ما مضى، وهذا أمر منتظر لم يقع. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣٩ / ١٥).

(٢) في (و): «السدي». ولم أجد هذا القول.

(٣) «والحقارة» من (ن).

(٤) «والسكون» من (ن). وانظر: «الصحاح» مادة (هـ و ن) (٢٢١٨ / ٦).

(٥) في (ن): «بعد دخول».

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ مِنْ أَنْ لَهُ شَرِيكًا وَصَاحِبَةً وَوَلَدًا؛ أَي: بِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ.

﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أَي: عَنِ الْعَمَلِ بِمُوجِبِهَا، وَالتَّأْمَلِ فِيهَا وَالتَّدْبِيرِ.

\*\*\*

(٩٤) - ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَفَرَّقْنَاكُمْ مَا خَوْلَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ زَعُمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾؛ أَي: لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ.

﴿فُرَادَى﴾؛ أَي: وَاحِدًا وَوَاحِدًا<sup>(١)</sup> مِنْ غَيْرِ مُعَيَّنٍ وَلَا نَاصِرٍ، تَقُولُ: فَرَدٌ وَفَرِيدٌ وَفَارِدٌ وَفَرِيدٌ<sup>(٢)</sup>، وَأَفْرَدٌ وَفَرْدَاءٌ، وَفَرَادَى: جَمْعُ فَرِيدٍ؛ كَأَسِيرٍ وَأَسَارَى<sup>(٣)</sup>.  
وَقَالَ الْفَرَاءُ: ﴿فُرَادَى﴾: اسْمٌ مَفْرَدٌ عَلَى فُعَالَى<sup>(٤)</sup>.  
وَقِيلَ: جَمْعُ فَرْدَانٍ؛ كَسَكَرَانَ وَسُكَارَى<sup>(٥)</sup>.

(١) فِي (ن): «وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ».

(٢) «وَفَرِيدٌ» مِنْ (ن).

(٣) فِي (و): «تَقُولُ: فَرَدٌ وَفَرْدٌ وَفَارِدٌ وَأَفْرَدٌ، وَفَرْدٌ وَفَرَادَى: جَمْعُ فَرِيدٍ؛ كَرَدِيفٍ وَرَدَافٍ وَقَرِينٍ وَقِرَانَ، وَقِيلَ: كَأَسِيرٍ وَأَسَارَى». وَفِي «غُرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١/٣٧٣): «فَرْدٌ، وَفَرِيدٌ، وَفَارِدٌ، وَفَرِيدٌ، وَأَفْرَدٌ، وَفَرْدٌ، وَفَرَادَى: جَمْعُ فَرِيدٍ؛ كَرَدِيفٍ وَرَدَافٍ، وَقَرِينٍ وَقِرَانَ، وَقُرَىءَ فِي الشَّوَاذِ: (فَرَادًا كَمَا) بِالتَّنْوِينِ».

(٤) كَذَا قَالَ هُنَا، وَفِي «غُرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١/٣٧٣)، وَالَّذِي فِي «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلْفَرَاءِ (١/٣٤٥) أَنَّهُا جَمْعٌ، وَلَفْظُهُ: «﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ وَهُوَ جَمْعٌ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: قَوْمٌ فَرَادَى وَفَرَادِيًا هَذَا، فَلَا يُجْرَوْنَهَا، شَبِهَتْ بِثَلَاثٍ وَرُبَاعٍ، وَفَرَادَى وَاحِدَهَا فَرْدٌ...» وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عَنْهُ عِنْدَ أُمَّةِ اللُّغَةِ وَالتَّفْسِيرِ.

(٥) هُوَ قَوْلُ ابْنِ قَتَيْبَةَ، كَمَا فِي «غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص: ١٦٨)، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «غُرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١/٣٧٣)، وَاسْتَعْرَبَهُ.

﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ عُرَاءَ حُفَاةٍ غُرًّا بِهُمَا.

﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾: مَلَكْنَاكُمْ مِنَ الْخَوْلِ، وَالْخَوْلُ: مَنْ يَزْهَى بِهِمْ<sup>(١)</sup> الْإِنْسَانُ وَيُعْجَبُ.

﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا﴾ يعني: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهَا عَلَى أَنَّهَا شُرَكَاءُ لِلَّهِ، وَأَنَّهَا تَشْفَعُ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ؛ أَي: مَا بِالْهِيَ<sup>(٢)</sup> لَا تَظْهَرُ فِي أَشَدِّ مَا كُنْتُمْ إِلَيْهَا مُحْتَاجِينَ؟!!

وقيل: هم الملائكة.

﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>؛ أَي: تَفَرَّقَ جَمْعُكُمْ وَتَشَتَّتَ. وَالْبَيْنُ: الْوَصْلُ، وَالْبَيْنُ الْفِرَاقُ<sup>(٤)</sup>.

(١) في (و): «ما يزهي به».

(٢) في (ن): «مالها».

(٣) هكذا ضبطت في النسخ بضم النون، وهي قراءة ابن عامر وأبي عمرو وابن كثير وحمزة وأبي بكر، وقرأ نافع وحفص والكسائي: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بنصب النون. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٤) انظر: «الأضداد» للأبباري (ص: ٧٥)، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٣): «قوله: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ من رفعه جعله اسماً بعد أن كان ظرفاً، كما جعل اسماً في قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾.

الغريب: البين: الفراق، وقد يستعمل بضده، وهو الوصل؛ أي: تقطع وصلكم، فعلى هذا اسم وليس بظرف.

ومن قرأ بالنصب: فله وجهان: أحدهما: أن الفاعل مضمَر، ومن نصب على الظرف، فتقديره: لقد تقطع وصلكم بينكم، وأول الآية يدل عليه. والثاني: وهو الغريب: قال الأخفش: إذا نصب فمعناه معنى المرفوع، لكن جرى في كلامهم منصوباً ظرفاً تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام، قال: ومثله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾، ومثله: ﴿وَمِنَادُونَ ذَلِكَ﴾، فـ(دون) في موضع رفع عنده.

العجيب: قول من قال: تقطع ما بينكم، فحذف الموصول، فإن ذلك لا يجوز، أو الموصوف، فإن ذلك إنما يسوغ مع المفرد».

﴿وَصَلَّ عَنْكُمْ﴾: ضاع وبطل ﴿مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أن لا بعث ولا جزاء.  
وقيل: من أنها شفعواؤكم عند الله.

\*\*\*

(٩٥) - ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ط يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ أكثر المفسرين على أن التقدير: فالق الحب عن السنبله، والنواة عن النخلة، وكل نبات فعن حبه ونواه.  
والفلق والقطر والخلق بمعنى واحد<sup>(١)</sup>.

وقيل: المراد به: الشقاق الذي في الحب والنواة<sup>(٢)</sup>.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾؛ أي: يُخْرِجُ النَّبَاتَ - وهو كالحَيِّ لكونه نامياً - من الحَبِّ والنَّوَةِ، وهما كالميِّتِ؛ لكونهما غير ناميين.

﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾: الحب والنواة من النبات.

وقيل: يُخْرِجُ الْوَلَدَ<sup>(٣)</sup> من النطفة، والدجاج من البيض، ويُخْرِجُ الميِّتَ من الحيِّ: النطفة من الإنسان، والبيض من الدجاج.

وقيل: يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ.

﴿ذَلِكُمْ﴾؛ أي: الذي فصل هذه الأشياء هو ﴿اللَّهُ﴾ لا الأصنام.

﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: تُصَرَّفُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ.

\*\*\*

(١) نقله أبو حيان عن تاج القراء في «البحر المحيط» (٤ / ٥٩١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٧٤) عن مجاهد، واستغربه.

(٣) في (و): «الوليد».

(٩٦) - ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ﴾.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾؛ أي: شاقُّ عمودِ الصُّبْحِ من بين الظُّلْمَةِ.

والإِصْبَاحُ: مصدرُ أَصْبَحَ؛ أي: دخل في الصُّبْحِ، والصُّبْحُ: إضاءةُ الفجرِ.

وَقُرِئَ فِي الشَّوَادِ: (الأصباح) بالفتح<sup>(١)</sup>، جمعُ: صُبْحِ.

والمعنى<sup>(٢)</sup>: فالقُ ما به يحصلُ الإِصْبَاحُ.

وقيل: فالقُ<sup>(٣)</sup> نورُ النَّهَارِ.

وقيل: الإِصْبَاحُ: ضوءُ الشَّمْسِ بالنَّهَارِ وضوءُ القَمَرِ اللَّيْلِ. عن ابنِ عَبَّاسٍ

رضي اللهُ عنهما<sup>(٤)</sup>.

﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا﴾<sup>(٥)</sup> يسكنُ فيه الخلقُ بالنَّوْمِ وتركِ التَّصَرُّفِ، وَمَنْ قَرَأَ:

﴿وَجَعَلَ﴾ فَلَأَنَّ ﴿فَالِقُ﴾ بمعنى: فلقُ.

(١) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٥)، و«شواذ القراءات»  
لشمس القراء الكرمانى (١١ / ٥٥٦).

(٢) أي: على القراءة المتواترة. ففي: «غرائب التفسير» (١ / ٣٧٥): ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾؛ أي: فالق ما به  
يحصل الإِصْبَاحُ، والإِصْبَاحُ: مصدرُ أَصْبَحَ.

(٣) في (ن): «خالق».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٤٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٣٥٣)، واستغربه  
المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٧٥).

(٥) كذا في النسخ: ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ﴾ بألف وجر اللام من ﴿اللَّيْلِ﴾ على الإضافة، وهي قراءة ابن كثير.  
ونافع وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ عاصم وحزمة والكسائي: ﴿وَجَعَلَ﴾ بغير ألف ونصب اللام من  
﴿اللَّيْلِ﴾. انظر: «السبعة» (١ / ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

قال المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٧٥): «مَنْ أَضَافَ نَصَبَ (سَكَنًا) بِفَعْلٍ مَضْمَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ =

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾؛ أي: بحساب، كقوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، والمعنى: جعل سيرهما بحسابٍ ومقدارٍ؛ لأنَّ الشَّمْسَ تقطعُ البروجَ كلَّها في ثلاثٍ مئةٍ وخمسةٍ وستينَ يومًا ورُبْعَ يومٍ، وتعودُ إلى مكانها، والقمرَ يقطعُ البروجَ في ثمانيةٍ وعشرينَ يومًا، وبدورانِهما يعرفُ النَّاسُ حسابَ الأيامِ والشُّهورِ والأعوامِ. وقيل: يجريان بحسابٍ وعددٍ لبلوغِ نهايةِ آجالِهما<sup>(١)</sup>.

قتادة: جعلهما ضياءً<sup>(٢)</sup>، من قوله: ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠]؛ أي: نازًا. حكاه الماوردي<sup>(٣)</sup>.

والحُسابان: مصدرٌ حَسَبْتُ حُسْبَانًا.

أبو عبيدة: الحُسابان: جمعُ حسابٍ؛ كشهابٍ وشُهبانٍ<sup>(٤)</sup>.

والحُسابانة: الوِسادة، وجمعُها: حُسابانٌ، وحَسَبْتُهُ: أَجَلَسْتُهُ عليها<sup>(٥)</sup>.

= (جاعل)؛ أي: جعله سكنًا، وكذلك قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾؛ أي: جعلهما، ولا يتصّب باسم الفاعل عند البصريين؛ لأنه بمعنى الماضي، وأجاز ذلك الكوفيون». (١) في (و): «أجلهما». والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥)، واستغربه المصنف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٥)، وعده المصنف من العجائب في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥)، وقال الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٠): «وأحسب أن قتادة - في تأويل ذلك بمعنى الضياء - ذهب إلى شيء يروى عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأُورِثَلْ عَلَيْهِا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠]، قال: نازًا، فوجه تأويل قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: ٩٦] إلى ذلك التأويل، وليس هذا من ذلك المعنى في شيء».

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ١٤٨)،

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٢)، وقد جعله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٥) قول الجمهور.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٤٣٠)، وقد قيّد الطبري جمع الوِسادة بكسر الحاء، وتعقب ذلك =

وقيل: (وجعلَ الشَّمْسَ والقمرَ حسابًا) بالنَّصْبِ من غير الباء، يُفيدُ اعتدَالَ نظامِ العالمِ، وذلك أَنَّ اللهَ قَدَّرَ أن يكونَ لهما<sup>(١)</sup> ثلاثُ حركاتٍ: إحداهما: تحريكُ المُحيطِ للكُلِّ من النقطةِ وإليها<sup>(٢)</sup> في كلِّ يومٍ وليلَةٍ مرَّةً واحدةً.

والثانيةُ: حركةُ فلكِهما الخاصِّ لهما بخلافِ تلكِ الحركةِ من المغربِ إلى المشرقِ.

والثالثةُ: ما لكلِّ واحدٍ منهما<sup>(٣)</sup> من الحركةِ في فلكِهما<sup>(٤)</sup>.

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾: الذي لا يُغْلَبُ ﴿الْعَلِيمِ﴾: الذي لا يخفى عليه الدقيقُ والجليلُ.

\*\*\*

(٩٧) - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ﴾؛ أي: خلقها ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ وتخصيصُها بالاهتداءِ بها لا يدلُّ على نفي ما عداه من المنافع. ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ تفصيلُ الآياتِ: تمييزُ كلِّ واحدةٍ من الأخرى.

= الأستاذ أحمد شاكر في تحقيقه للطبري (١١ / ٥٦٠) بقوله: هكذا قال أبو جعفر: «بكسر الحاء» والذي أطبقت عليه كتب اللغة أنه بضم الحاء، ولم يشيرُوا إلى كسر الحاء في هذه.

(١) في (ن): «لها».

(٢) في (و): «من النقطة ويعود إليها»، والمثبت من (ن)، ومثله في «غرائب التفسير» (١ / ٣٧٥)، وجاء في هامش (ن): «يعني: نقطة الفلك».

(٣) في (ن): «منها».

(٤) عدّه المصنف من العجائب في «غرائب التفسير» (١ / ٣٧٥).

(٩٨) - ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَفْقَهُونَ ﴾ .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني: آدم عليه السلام ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ قِرَى:

بالكسر والفتح<sup>(١)</sup>، فالكسر اسمُ الفاعلِ بمعنى: القارّ، والفتح المصدرُ أو المكانُ؛ لأنَّ (استقرَّ) لازمٌ.

﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ يصلحُ للمفعولِ والمصدرِ والمكانِ؛ فمن قرأ: ﴿ مُسْتَقَرٌّ ﴾

بالكسرِ فالمُسْتَوْدَعُ مفعولٌ، فيكونُ تقديرُهُ: فمنكم مُسْتَقَرٌّ ومنكم مُسْتَوْدَعٌ، ومن قرأ بالفتح: فالمُسْتَوْدَعُ مثلهُ في أن يكونَ مصدرًا ومكانًا؛ أي: فلکم مُسْتَقَرٌّ ولکم مُسْتَوْدَعٌ.

واختلفوا في معناهما:

فقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: ﴿ مُسْتَقَرٌّ ﴾ في الرَّحِمِ ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ في القبرِ<sup>(٢)</sup>.

ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿ مُسْتَقَرٌّ ﴾ في الأرضِ ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ في الأصلابِ<sup>(٣)</sup>.

ابنُ بحرٍ: ﴿ مُسْتَقَرٌّ ﴾ في أصلابِ الرِّجَالِ ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ في أرحامِ النساءِ<sup>(٤)</sup>.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٣٣ / ٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٥٦ - ١٣٥٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٣٥ / ٩) بلفظ: «يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا»: المستودع: في الصلب، والمستقر: ما كان على وجه الأرض، أو في الأرض.

(٤) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٨٢ / ١٣)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٥٩٦ / ٤)، وفيهما: «عبر عن الذكر بالمستقر لأن النطفة إنما تتولد في صلبه وإنما تستقر هناك، وعبر عن الأنثى بالمستودع لأن رحمها شبيهة بالمستودع لتلك النطفة».

قتادة: على الضد<sup>(١)</sup>.

وقيل: ﴿فَسْتَقَرُّ﴾ في الدنيا ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ في القبر.

وقيل: ﴿فَسْتَقَرُّ﴾ في الدنيا ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ في الآخرة.

وقيل: ﴿فَسْتَقَرُّ﴾ مَنْ خُلِقَ ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ مَنْ لَمْ يُخْلَقْ بَعْدُ.

وقيل: ﴿فَسْتَقَرُّ﴾: الأب، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: الأم.

ويحتمل: ﴿فَسْتَقَرُّ﴾ في الجنة أو النار ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ من يوم خُلِقَ إلى أن صار

إلى جنة أو نار.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ قال في الأولى: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ لأن الدلالة

في الأولى أظهر، وفي الثانية: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ لأن الدلالة فيها أغمض<sup>(٢)</sup>.

وفقه الشيء: علمه بما يتشعب منه، فيوصل إليه بإنعام النظر بعد معرفة ظاهره.

\*\*\*

(٩٩) - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ

خَضِرًا مُخْرِجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ

وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من السحاب. وقيل: من جانب السماء.

﴿مَاءً﴾: مطرًا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾: بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: كل شيء من

النبات من الحبوب والثمار.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٤٤١ / ٩).

(٢) ذكر الخطيب الإسكافي والمصنف في «البرهان» (ص: ١١١) وجهًا آخر، وهو أن قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾

جاء بعد آيات نهبت على معرفة الله، وهي أشرف العلوم، فناسبها أشرف الألفاظ، وهو ﴿يَعْلَمُونَ﴾،

وأن قوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ جاء بعد آيات تستدعي تأملًا وتدبرًا، فحتمت بقوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾. انظر:

«درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٢ / ٥٣٠ - ٥٣٣).

وقيل: رزق كل شيء من الحيوان.

وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ بعد قوله: ﴿أَنْزَلْنَا﴾ محمولٌ على سعة الكلام وتلوين الخطاب، وله نظائر<sup>(١)</sup>.

وقيل: لا يمتنع أن يكون تقديره: قولوا: فأخرجنا نحن بني آدم منه نبات كل شيء بكِراب<sup>(٢)</sup> الأرض وطرح البذر وغرس الشجر؛ لأنَّ النَّخْلَ والرُّمَانَ والعنبَ والحنطة والشعيرَ والأرزَ لا ينبتُ حتى يُغرسَ ويُطرحَ البذرُ، ولولا الماءَ لَمَا نَفَعَ طرْحُ البذرِ ولا غرسُ الشجرِ، فيكون معنى: ﴿أَخْرَجْنَا﴾: أَخْرَجْنَا مَا أَنْبَتَهُ اللهُ بِفِلاحَتِنَا إلى الانتفاع به<sup>(٣)</sup>.  
﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ قيل: من الماء، وقيل: من النبات.

﴿خَضِرًا﴾ أخضر، تقول: خَضِرَ يَخْضُرُ خَضْرَةً، فهو خَضِرٌ وأخْضُرٌ، وأخْضَرَ فهو مُخْضِرٌ.

﴿مُخْرِجٌ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ كالحنطة والذرة والشعير.

﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا﴾ أي: وأخرجنا من النَّخْلِ نخلًا ﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾؛ أي: من ثمرها وكُفْرَها<sup>(٤)</sup> وما يطلع منها.

(١) وهذا يسمى: الالتفات في علم البيان كما تقدم، وقد قال الزمخشري، قال: «وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي أَلْفَاكٍ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِ سَحَابًا فَسَقْنَهُ﴾ [فاطر: ٩]». ثم قال: «وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأنَّ الكلام إذا نُقِلَ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ كان ذلك أحسنَ تطريةً لنشاط السامع وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوبٍ واحدٍ». انظر: «الكشاف» (١/١٤).

(٢) كربت الأرض: إذا قلبتها للحرث. انظر: «الصحاح» مادة: (ك ر ب) (١/٢١١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٧٦)، واستغربه.

(٤) الكُفْرَى: وعاء الطلع. انظر: «جمهرة اللغة» مادة (ك ف ر) (٢/٧٨٦).

﴿قَتَوَانٌ﴾: أَعْدَاقٌ، وَهِيَ لَهَا كَالْأَغْصَانِ، وَاحِدُهَا قَتْوٌ، وَمِثْلُهُ: صِنَوَانٌ وَصِنُوٌّ، لَا نَظِيرَ لِهَمَا<sup>(١)</sup>.

﴿دَانِيَةٌ﴾ الْحَسَنُ: مُلْتَقَةٌ مُتْدَاخِلَةٌ<sup>(٢)</sup>. غَيْرُهُ<sup>(٣)</sup>: مَائِلَةٌ.

وقيل: دَانِيَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ يَجْنُونَهَا قَائِمِينَ وَقَاعِدِينَ.

وقيل: دَانِيَةٌ وَغَيْرُ دَانِيَةٍ، فَانْتَفَى بِأَحَدِ الضَّدِّينِ.

وقيل: تَقْدِيرُهُ: وَلَهُمْ مِنَ النَّخْلِ مَا هَذِهِ صِفَتُهَا<sup>(٤)</sup>.

(١) لعل المصنف يريد عدم النظير في القرآن الكريم، أما في اللغة فقد وقع غيرهما على ندرة، قال ابن خالويه في كتابه «ليس في كلام العرب» (ص: ١٥٩): «ليس في كلام العرب ثنية تشبه الجمع إلا ثلاثة أسماء، وإنما يفرق بينهما بكسرة وضممة، وهن: الصنو، والقنو، والرئد. والثنية: صنوان، وقنوان، ورئدان، وهذا نادر مليح».

وفي «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٥٧٦): «رئد ورئدان»، قال: «والرئد: فرخ الشجر»، وذكر أيضاً: «شقد وشقدان». قال: «والشقد: ولد الحرباء».

وقال أبو عبيد في «غريب الحديث» (٢/ ١٥): «والعرب تجمع الصنو صنوان، والقنو قنوان؛ على لفظ اثنين بالرفع، وإنما يفترقان بالإعراب؛ لأن نون الاثنين مخفوضة، ونون الجمع يلزمها الإعراب على كل وجه».

(٢) لم أجده هكذا، وذكر الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ١٨٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٤٩)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٢) عن الحسن قوله: «دانية بعضها من بعض لتقاربها».

(٣) في (و): «غير».

(٤) وقد تكلم المصنف عن إعراب ﴿قَتَوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٦) فقال: «كان

القياس: (قَتَوَانًا دَانِيَةً) كما في مصحف أنس، عطفاً على ﴿بَكَتَ﴾، وللرفع وجوه:

أحدها: ومن النخل نخلاً من طلعتها قنوان، فحذف نخلاً، وفيه بعد.

الثاني: وكذلك من النخل من طلعتها قنوان، كما تقول: ضربت زيدا وعمرو؛ أي: وعمرو؛ كذلك. =

﴿وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾؛ أي: وأخرجنا جناتٍ من أعنابٍ.  
 ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ الزَّجَّاجُ: قَرَنَ الزَّيْتُونَ بِالرُّمَّانِ؛ لِأَنَّهُمَا شَجَرَتَانِ  
 مُتَشَابِهَتَانِ<sup>(١)</sup>.

﴿مُشْتَبِهًا وَعَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾؛ أي: يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ وَجْهِ وَيَخْتَلِفُ مِنْ وَجْهِ.  
 وقيل: مُتَشَابِهَةٌ لَوْنُهَا، وَيَخْتَلِفُ طَعْمُهَا، كَالْحَامِضِ وَالْحَلْوِ مِنَ الرُّمَّانِ.  
 ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾؛ أي: إِلَى ثَمَرِ كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّا تَقَدَّمَ ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾: أَخْرَجَ ثَمَرَهُ.  
 ﴿وَيَنْعِهِ﴾ الْيَنْعُ: مَصْدَرُ (يَنْعُ)؛ أَي: أَدْرَكَ؛ أَي: وَذَا يَنْعِهِ، وَهُوَ النَّضِيجُ مِنْهُ.  
 وقيل: يَنْعُ جَمْعُ يَانِعٍ؛ كَتَاجِرٍ وَتَجْرٍ.  
 وَفُرْيٌ: (وَيُنْعِيهِ)<sup>(٢)</sup>، (وَيَانِعِيهِ)<sup>(٣)</sup> فِي الشَّوَاذِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أَي: مَنْ شَأْنُهُ الْإِيمَانُ بِالآيَةِ فَيَمَّا سَبَقَ ذِكْرُهُ  
 آيَاتٌ<sup>(٤)</sup>.

= الثالث: ولكم من النخل من طلعتها قنوان.

ثم ذكر من الغريب: يحتمل أنه محمول على مضمرة دل عليه (أخرجنا)؛ أي: ويخرج من النخل  
 من طلعتها قنوان، تقوية قراءة من قرأ: (يخرج منه حبُّ متراكب)، ومثله: ﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾  
 [نوح: ١٧]؛ أي: أَنْبَتَكُمْ وَتَنْبُتُونَ نَبَاتًا.

(١) «متشابهتان»: ليست في (و). ولفظ الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٦): «وقرن الزيتون بالرمان

لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره».

(٢) نسبت لمجاهد وابن محيصن وغيرهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه

(ص: ٤٥)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرمانى (ص: ١٧٤).

(٣) نسبت لابن محيصن في «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٥)، ولابن أبي عبله

واليماني وأبي حنيفة في «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرمانى (ص: ١٧٤).

(٤) في (و): «بالآية فيما سبق ذكره»، وليس فيها: «آيات».

(١٠٠) - ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ .

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ في سبب النزول: عن الكلبي: أن الآية نزلت في الزنادقة، قالوا: إن الله وإبليس أخوان، والله خالق النور والناس والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والحيات والسباع والعقارب، فذلك قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ (١).

ومعنى ﴿ جعلوا ﴾: زعموا وسموا الجن شركاء لله.

والواو في ﴿ وَجَعَلُوا ﴾ ضمير المشركين.

وقيل: ﴿ الْجِنَّ ﴾ بدل من ﴿ شُرَكَاءَ ﴾ (٢).

والزنادقة هم المجوس هاهنا؛ فمنهم من قال: الشيطان قديم، ومنهم من قال: إنه تعالى فكر في عظم ملكه، فتولد من فكره إبليس، ومنهم من قال: بل شك في قدرته فتولد من شكه الشيطان (٣)، فهؤلاء أثبتوا نسبا على سبيل ما يتولد الابن عن الأب (٤).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ١٦٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢١).

(٢) وفيها وجهان ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٧٧):

أحدهما: أن التقدير: وجعلوا الجن شركاء لله، فـ ﴿ الجن ﴾ و ﴿ شركاء ﴾ مفعولان، و ﴿ لله ﴾ متعلق بـ ﴿ شركاء ﴾.

والثاني: ما ذكره هنا: أن ﴿ شركاء ﴾ المفعول الأول، و ﴿ لله ﴾ واقع موقع المفعول الثاني، و ﴿ الجن ﴾ بدل من الشركاء.

قال: وهذا الوجه أبلغ وأحسن؛ لأنه يتضمن فائدة شريفة لا توجد في الوجه الأول، وذلك: أنه يفيد إنكار الشركاء أصلاً، والإنكار يجري مجرى النفي، وعلى الوجه الأول يفيد إنكار كون الجن شركاء لله دون غيرهم، تعالى أن يكون له شريك أو شبيه، ومثله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾ [النحل: ٥٧].

(٣) في (ن): «إبليس» وفي الهامش: «الشيطان» وكتب فوقها: «أصح».

(٤) انظر: «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (ص: ٥٦)، و«غرائب التفسير» (١ / ٣٧٨)، و«التفسير الكبير»

للرازي (١٣ / ٨٨).

الحسن: أطاعوا الشيطانَ في عبادة الأوثان، فكأنهم جعلوهم شركاءَ لله في العبادة<sup>(١)</sup>.

وقيل: الجنُّ صنفٌ من الملائكة، وإبليسُ منهم، وهذا كقوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصفات: ١٥٨].

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾؛ أي: الجاعلين لله شركاء، وقيل: الجنُّ.

﴿وَحَرَفُوا لَهُ﴾: افتعلوا وافتروا له ﴿بَيْنَ وَبَيْنَ﴾ قالت العربُ: الملائكةُ بناتُ الله، وقالت النَّصارى: المسيحُ ابنُ الله - فجمعَ لازدواجِ البناتِ<sup>(٢)</sup> - وإنَّ الله صاهرَ الجنَّ فولدتَ الجِنِّيَّةُ أولادًا إناثًا هم الملائكةُ<sup>(٣)</sup>.

﴿يَغَيِّرُ عِلْمَهُ﴾؛ أي: بغير علمٍ أنَّ له بنينَ وبناتٍ، وقيل: بغير حجَّةٍ دلَّتْهم على ذلك.

ويحتمل أن معنى قوله: ﴿يَغَيِّرُ عِلْمَهُ﴾؛ أي: جهلاً منهم.

﴿سُبْحٰنَكَ﴾: نزه نفسه مُعجَبًا<sup>(٤)</sup> ﴿وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٥٠)، والواحدي في «البيسط» (٨/ ٣٢٥).

(٢) أي: جمع لفظ (ابن) مع أنه لم يُسمع بطائفة نسبت لله سبحانه وتعالى أكثر من ابن؛ لمناسبة لفظ (بنات).

(٣) في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٨): «أي: قالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فجمع موافقة للبنات، وزعمت طائفة منهم أن الله صاهر الجن فولدت الجينية أولادًا إناثًا هم الملائكة، وهو قوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصفات: ١٥٨] تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً».

(٤) في (و): «متعجباً».

(١٠١) - ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ، وَوَلَدٌ لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: مُبْدِعُهُمَا لا على مثالِ سَبَقٍ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى: مُنْفَعِلٌ.

والإبداعُ: إيجادُ الشَّيْءِ بغيرِ<sup>(١)</sup> واسطةٍ.

وقيل: ﴿بَدِيعٌ﴾؛ أي: مبدوعَةٌ سماواتُهُ.

﴿أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ، وَوَلَدٌ لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ لأنَّ الولدَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الصَّاحِبَةِ، وَالصَّاحِبَةُ: كُفُوُ الصَّاحِبِ، وَهُوَ يَقْتَضِي المُجَانَسَةَ وَالْمُمَاثَلَةَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الجِنْسِ وَالْمِثْلِ وَالْكَفِّءِ.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وَالْمَخْلُوقُ لَا يَكُونُ كُفُوًا لِلْخَالِقِ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

\*\*\*

(١٠٢) - ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾؛ أي: وَحْدَهُ

وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا<sup>(٢)</sup>، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ فَكَلِّمُوا أَمْرَكُمْ<sup>(٣)</sup> إِلَيْهِ.

(١) في (ن): «بلا».

(٢) وأورد المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٧٨) ها هنا لطيفة، وهي: «لم قال في هذه السورة:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وقال في (المؤمن): ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ﴾ فقدم

﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؟

وأجاب بقوله: «لأن في هذه السورة تقدم ذكر الشركاء وذكر البنين والبنات، فأتى بعده بما يدفع قول

من يجعل له شريكاً، فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، ثم قال: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وفي (المؤمن) تقدم

ذكر الخلق في قوله: ﴿لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾، وكان الكلام على تثبيت

خلق الإنسان لا على نفي الشريك، فقدم في كل سورة ما اقتضاه ما قبله من الآيات.

(٣) في (ن): «أموركم».

(١٠٣) - ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.  
 ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ﴾ الإدراك: اللحاق والإصابة، والأبصار: جمع بصر، وهو حاسة تدرك بها الرؤية.  
 والمعنى: لا يدرك حقيقة ذاته أحد من خلقه، وليس هذا نفيًا للرؤية<sup>(١)</sup>.  
 وقد جاءت الأخبار المتواترة بإثباتها:  
 منها قوله عليه السلام: «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «كما ترون الشمس ليس دونها سحب»<sup>(٣)</sup>.  
 ومثله قوله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].  
 وقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ﴾؛ أي: يعلم حقيقته، وأنتم لا تعرفون حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينه دون سائر أعضائه<sup>(٤)</sup>.

(١) كما ادعى ذلك المعتزلة، وفسروا هذه الآية وغيرها على ما يوافق مذهبهم، وينظر كلامهم ورده في «الكشاف» طبعة دار اللباب عند تفسير هذه الآية، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْظَرَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٢) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ولفظ مسلم: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته».

(٣) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك».

(٤) في (و): «جسده». هذا كلام الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٨)، وفي «تفسير المنار» (٧/ ٥٤٤): «قد عرف البشر من تشريح العين ما تتركب منه طبقاتها ورطوباتها ووظائف كل منها في ارتسام المرئيات فيها، وعرفوا كثيرًا من سنن الله تعالى في النور ووظائفه في رسم صور الأشياء في العينين، ولكن لم يعرفوا كنه الرؤية ولا كنه قوة الإبصار ولا حقيقة النور»، وقد أفاض ابن كثير في «تفسيره» في الكلام على الآية وما قيل فيها.

وذهب بعضهم إلى أنّ الإدراك إذا قرّن بالبصر فالمرادُ به الرؤيةُ، فهذا نفْيُ الرؤيةِ، وليس هذا مذهب أهلِ الحقِّ.

وقيل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في الدنيا، وتُدْرِكُهُ في الآخرة؛ أي: تراه.

وقيل: إنّ الله تعالى يُحدِثُ للعبيد حاسّةً سادسةً سوى حواسّهم الخمس فيرونه بها.

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ للتدبير ﴿الْخَبِيرُ﴾: العالمُ بالبادي والخافي من المخلوقات.

\*\*\*

(١٠٤) - ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: جمعُ بصيرةٍ، وهي المُقابلة<sup>(١)</sup> أو الحالة التي تُبصرُ الحقَّ، والمرادُ بها هاهنا: القرآنُ.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾؛ أي: استبصر<sup>(٢)</sup> بها واهتدى ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾؛ أي: فلنفسه مُستهدٍ.

﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾؛ أي: أعرَضَ عنها ﴿فَعَلَيْهَا﴾؛ أي: فعليها ما<sup>(٣)</sup> جنى.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ الحسنُ: برّبٌ أجازِيكُم<sup>(٤)</sup>.

وقيل: لا آخذكم بالإيمانِ أخذَ الحفيظِ عليكم.

(١) في (و): «المقالة». وقال الطبري في «تفسيره» (٩/٤٧٠): «يعني بالبصيرة: الحجةُ البيّنةُ الظاهرةُ»، ولعل كلام المصنف مأخوذ من قول الماوردي في «النكت والعيون» (٥/٣٤٩) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَصَّرْنَا أَبْصَارًا حَيْدًا﴾: «وفي المراد بالبصر هنا وجهان: أحدهما: بصيرة القلب؛ لأنه يبصر بها من شواهد الأفكار ونتائج الاعتبار ما تبصر العين ما قابلها من قبلها من الأشخاص والأجسام...».

(٢) في (و): «أبصر».

(٣) «ما»: ليست في (ن).

(٤) ذكره الواحدي في «البيسط» (٨/٣٢٧) بلفظ: «على أعمالكم حتى أجازيكم بها».

(١٠٥) - ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾؛ أي: كما صرّفنا الآيات التي سبقت - وهو الإتيان بها واحدة بعد واحدة. وقيل: تصريفها: تقليبُ معانيها بالعبارات المختلفة - نُصَرِّفُ الآياتِ في القرآن.

﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ قُرِيءَ: ﴿دَرَسْتَ﴾ و﴿دَارَسْتَ﴾ و﴿دَرَسْتُ﴾<sup>(١)</sup>، تقول: دَرَسْتَ: إذا قرأت على غيرك، ودرَسَ النَّاقَةَ: ارتاضها، ودرَسَ السُّورَةَ؛ أي: قرأ السُّورَةَ لتخفَّ على لسانه.

فَمَنْ قرأ: ﴿دَرَسْتَ﴾؛ أي: تلوّثَ وقرأت كتب أهل الكتاب.  
وَمَنْ قرأ: ﴿دَارَسْتَ﴾؛ أي: قارأت أهل الكتاب فتعلّمت منهم، زعموا أنه يتعلّم من أبي فكيهة وجبر<sup>(٢)</sup>،.....

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (دارست) بالألف وفتح التاء، وابن عامر بغير ألف وفتح السين وإسكان التاء، والباقون بغير ألف وإسكان السين وفتح التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).  
(٢) ذكر مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٤٨٧) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبِي﴾ [النحل: ١٠٣]: «ذلك أن غلامًا لعامر بن الحضرمي القرشي يهوديًا أعجميًا كان يتكلم بالرومية يسمى يسار ويكنى أبا فكيهة، كان كفار مكة إذا رأوا النبي ﷺ يحدثه قالوا: إنما يعلمه يسار، أبو فكيهة... فضربه سيده فقال: إنك تعلم محمدًا ﷺ، فقال أبو فكيهة: بل هو يعلمني».

ويسار أبو فكيهة: معدود في الصحابة، قال: ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس يجلس إليه المستضعفون من أصحابه: حباب وعمار وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن حرب، ذكره ابن إسحاق في المغازي. انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٥٨٢).

وقال ابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٢٦٨): «مولى صفوان بن أمية، وقيل: مولى بني عبد الدار، ويقال: أصله من الأزد. أسلم قديمًا، فربط أمية بن خلف في رجله حبلاً فجره حتى ألقاه في الرمضاء، وجعل يخنقه، فجاء أخوه أبي بن خلف، فقال: زده، فلم يزل على ذلك حتى ظن أنه مات، فمر أبو بكر الصديق فاشتراه وأعتقه».

فتكون اللام لام العاقبة والصيرورة<sup>(١)</sup>.

ابن عيسى: أي: يُقْرُونَ بِوُرُودِ الْآيَاتِ، فتقوم الحجة الواضحة عليهم.  
وقيل: تَكَرَّرَتِ الْآيَاتُ ليقولوا إذا سمعوا آية بعد آية: درست هذه علينا،  
فيتذكروا<sup>(٢)</sup> الماضية<sup>(٣)</sup>، فعلى هذين اللام لام (كي)<sup>(٤)</sup>.  
ومن قرأ ﴿دَرَسَتْ﴾؛ أي: هذه الآيات تقادمت فانمحت، ولم يأت محمد بآية  
سوى ما أتى به، فيكون تقديره: لثلاً يقولوا، وكرهة أن يقولوا: دَرَسَتْ<sup>(٥)</sup>.

= وكذلك جبر فقد ذكر أيضاً في الصحابة؛ قال ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٥٦٢): «جبر مولى بني عبد الدار، ذكر الواقدي أنه كان بمكة، وكان يهودياً، فسمع النبي ﷺ يقرأ سورة يوسف فأسلم وكنم إسلامه، ثم أطلع مواليه على ذلك، فعذبوه، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة شكأ إليه ما لقي فأعطاه ثمنه فاشترى نفسه وعتق واستغنى، وتزوج امرأة ذات شرف، وفي تفسير ابن أبي حاتم وعبد بن حميد من طريق حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسلم الحضرمي، قال: كان لنا عبدان؛ أحدهما يقال له: يسار، والآخر يقال له: جبر، وكانا صيقليين، فكانا يقرآن كتابهما، ويعملان عملهما، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيسمع قراءتهما، فقالوا: إنما يتعلم منهما، فنزلت: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، ولم يذكر أنهما أسلما».

(١) لام العاقبة تسمية بصرية، ولام الصيرورة كوفية، وما بعدها ليس بغية، لكنه مأل. انظر: «اللغات» للزجاجي (ص: ١١٩).

(٢) في (و): «فيتذكرون».

(٣) ذكر المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٩)، واستغربه.

(٤) لام كي هي تعرف بلام التعليل اليوم، ويأتي بعدها فعل مضارع منصوب بها عند الكوفيين، وبأن المضمرة عند البصريين، وإنما تأتي مبينة سبب الفعل الذي قبلها، انظر: «اللغات» للزجاجي (ص: ٦٦)، و«جامع الدروس العربية» للغلاييني (٢/ ١٧٣).

(٥) رتب المصنف هذه الوجوه على حسب القراءات في «غرائب التفسير» (١/ ٣٧٩) فقال: «وقرىء

في المعروف ﴿دَرَسَتْ﴾، وفيه وجهان: أحدهما: قرأت وتعلمت. الثاني، وهو الغريب: وليقولوا درست علينا هذه قبل اليوم، فيذكروا بالثانية الأولى.

و(دارست)، وله وجهان:

أحدهما: دارست أهل الكتاب وتعلمت من أبي فكيهة وجبر ويسار. [وقوله: ويسار، فيه نظر، فإنه =

﴿وَلْيُنَبِّئُنَّهُ﴾؛ أي: القرآن ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

والواو في قوله: ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ عطفٌ على المعنى؛ أي: لتتمَّ حُجَّتُنَا عليهم وليقولوا.

\*\*\*

(١٠٦) - ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾؛ أي: اعملْ بالقرآن.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup> منسوخةٌ بآيةِ السَّيْفِ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١٠٧) - ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾<sup>(٣)</sup>: ربًّا، وقيل: رقيبًا.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: قِيمٌ بأمورهم.

= اسم أبي فكيهة كما تقدم، لا رجل ثالث كما يوهم كلامه].

الغريب: دارستنا قبل هذا، كما قيل في درست.

و(دَرَسْتُ)، وله وجهان:

أحدهما: هذه آيات دَرَسْتُ وتقدمت ولم يأت محمد إلا بما أتى به من قبله.

الثاني، وهو الغريب: لثلاث يقولوا: دَرَسْتُ وانمحت ولا يأتينا محمد بغيرها.

واللام العاقبة على ثلاث تأويلات، ولأم كي على ثلاث.

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٧٩): «قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يجوز أن يكون حالاً عن

﴿رَبِّكَ﴾، ويجوز أن يكون اعتراضاً بين الأمرين، ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿مَا أُوحِيَ﴾».

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص: ٣٧).

(٣) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٧٩): «أي: لو شاء أن لا يشركوا ما أشركوا، فمفعول شاء

مضمرة، وقوله: ﴿مَا أَشْرَكُوا﴾ جواب: لو».

(١٠٨) - ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنْتِجُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في سبِّ النُّزُولِ: عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما في روايةِ الوالبيِّ: قالوا: يا مُحَمَّدُ لَسْتَهُيْنِ عَنْ سَبِّ<sup>(١)</sup> آلِهِنَا أَوْ لِنَهْجُونَ رَبَّكَ، فَنَهَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يُسَبُّوا أَوْثَانَهُمْ فَيُسَبُّوا اللَّهَ عَدْوًا<sup>(٢)</sup>.

السَّبُّ: الذِّكْرُ بِالْقِيحِ.

و﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: هم الأصنام، ويحتمل أنهم الكفار.

والعدوُّ والعدوانُ والعدوُّ: مصدرُ (عدا): إذا تجاوزَ الحدَّ.

ومعنى ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون، وقيل: من الدُّعاء.

وإنما نهوا عن سبِّ الأصنامِ لأنَّه إغراءٌ على الكفرِ والنِّفارِ عن الإيمان؛ ولأنَّ<sup>(٣)</sup> السَّبَّ ليس من فعلِ العاقلِ، ولا من سبيلِ المُناظرِ، ولأنَّها ما أذنبتْ فُتُسَبَّ.

﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ﴾ من الطَّاعةِ والمعصيةِ والخيرِ والشرِّ، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنْتِجُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم.

\*\*\*

(١) في (ن): «سبك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٤٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٣٦٦).

(٣) في (و): «لأن».

(١٠٩) - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: بأوكَدِ الأيمانِ وأعظمِها حُرمةً عندهم<sup>(١)</sup>.  
(وَجَهْدَ) مصدرٌ واقعٌ<sup>(٢)</sup> موقع الحال؛ أي: مُجتهدين.

﴿لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا﴾؛ أي: من التي اقترحوها، من قوله: ﴿حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات، فلَمَّا نزلت هذه الآيات<sup>(٣)</sup> اشتدَّ طمعُ المسلمين في إيمانِ القومِ، فسألوا النَّبِيَّ عليه السَّلَامُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ إِيَّاهُمْ إِلَى أَنْزَالِ آيَةٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فِي قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أَي: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ عِنْدَهَا.

ثم استأنفَ فقال: ﴿إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ لِأَنَّهُمْ مُعَانِدُونَ، وَمَنْ فَتَحَ<sup>(٤)</sup> فَتْقُدِيرُهُ: لَعَلَّهَا إِذَا جَاءَتْ، وَهُوَ مَذْهَبُ سَيُوبِيهِ<sup>(٥)</sup> وَالبصريين، وَذَهَبَ الفراءُ<sup>(٦)</sup>

(١) في (و): «حرمة عند ربهم».

(٢) في (ن): «وقع».

(٣) في (ن): «الآية».

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الهمزة، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

(٥) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٢٣).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٧)، وفيه: «وقوله: ﴿لِنُؤْمِنَهُمْ أَلْهَلُ الْكِتَابِ﴾ وفي قراءة عبد الله: (لكي يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون)، والعرب تجعل (لا) صلة في كل كلام دخل في آخره جحد، أو في أوله جحد غير مصرح، فهذا مما دخل آخره الجحد، فجعلت (لا) في أوله صلة. وأما الجحد السابق الذي لم يصرح به فقوله عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

والكوفيون إلى أن التقدير: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١١٠) - ﴿وَنَقَلِبُ أَفْدَتِهِمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا لَرِئُومُنُوأَيْهٖ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدَرُهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ

يَعْمَهُونَ﴾.

﴿وَنَقَلِبُ أَفْدَتِهِمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا لَرِئُومُنُوأَيْهٖ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ابن عباس رضي الله عنهما:

نحول بينهم وبين الإيمان، ولو جاءهم ما اقترحوا ما آمنوا به<sup>(٢)</sup>.

﴿كَمَا لَرِئُومُنُوأَيْهٖ﴾: بالله ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يريد: انشقاق القمر وغيره.

وقيل: بالقرآن.

وقيل: بمحمد عليه السلام.

وقيل: ﴿كَمَا لَرِئُومُنُوأَيْهٖ﴾ زمن موسى عليه السلام؛ أي: أسلافهم.

وقيل: ﴿وَنَقَلِبُ أَفْدَتِهِمْ وَأَبْصَرُهُمْ﴾ في النار ﴿كَمَا لَرِئُومُنُوأَيْهٖ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ في

الدنيا؛ أي: جزاء لذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) فصل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٠) فقال: «قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ الآية، أجمع

المفسرون على أن (ما) للاستفهام، وفاعل (يشعركم) مضمرة يعود إلى (ما)، والمفعول الثاني

محذوف؛ أي: إيمانهم، ثم استأنف فقال: إنها - أي: الآيات المقترحة - إذا جاءت لا يؤمنون. ومن

فتح جعله بمعنى: لعل، قال الخليل: العرب تقول: اتت السوق أنك أن تشتري لحمًا؛ أي: لعلك.

وذهب الكوفيون إلى أن (لا) زائدة، وتقديره: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون، فيكون (ما)

مبتدأ، (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) خبره، والعائد إلى (ما) محذوف بعد حذف الجار منه...».

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وروى عنه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»

(٩/ ٤٩٠) قوله: «لما جحد المشركون ما أنزل الله، لم تثبت قلوبهم على شيء، ورددت عن كل أمر».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٠)، واستغربه.

وقيل: معناه: إِنَّا نُحِيطُ عِلْمًا بِذَاتِ الصُّدُورِ وَخَائِنَةِ الْأَعْيُنِ مِنْهُمْ.  
﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: في مجاوزتهم<sup>(١)</sup> الحدَّ في الكفرِ ﴿يَعْمَهُونَ﴾:  
يتردّدون مُتَحَيِّرِينَ.

\*\*\*

(١١١) - ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِنَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا  
لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.  
﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ﴾: كما<sup>(٢)</sup> اقترحوا عليك فعائنهوهم، ﴿وَكَلَّمَهُمُ  
الْمَوْقِنَ﴾ بصحّة بُبُوتِكَ ووجوب الإيمان بك.  
﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ و﴿قُبُلًا﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي: مُعَايِنَةً.  
وقيل في (قُبُلٍ): إنه جمعُ قَبِيلٍ، وقَبِيلٌ جمعُ: قَبِيلَةٍ؛ أي: جماعةٌ جماعةً، وصِنْفًا  
صِنْفًا<sup>(٤)</sup>.

وقيل: جمعُ قَبِيلٍ، وهو الكفيلُ.  
﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لِمَا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ الشَّقَاوَةِ<sup>(٥)</sup> ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إِيْمَانَهُمْ  
فِيهِدِيهِمْ. والاستثناءُ مُنْقَطِعٌ.  
﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ فيقتَرِحونَ الآيَاتِ.

(١) في (و): «تجاوزهم».

(٢) في (ن): «لما».

(٣) قرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء، والباقون بضمهما. انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٦)،  
و«التيسير» (ص: ١٠٦).

(٤) ذكر هذا الطبري في «تفسيره» (٤٩٣/٩)، وذكر الأزهرى في «معاني القراءات» (١/٣٨٠) أن (قُبُلٍ)  
جمع (قبيل)، وهم الجماعة ليسوا بني أب واحد، أما (قبائل) فجمع (قبيلة)، وهم بنو أب واحد.

(٥) في (ن): «الشقاء».

والكناية<sup>(١)</sup> تعودُ إلى الذين حَرَّصُوا على إيمانِهِم. وقيل: تعودُ على الكفارِ الذين<sup>(٢)</sup> قالوا: ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٩].

\*\*\*

(١١٢) - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.  
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾؛ أي: كما جعلنا لك عدوًّا كذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوًّا.

وقيل: كما جعلنا العداوةَ بين بعضِ النَّاسِ وبعضِهِم كذلك جعلنا بين الأنبياءِ وأُمَمِهِم.

﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ قال بعضهم: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ﴾: مرَدُّتهم، وكذلك شياطينُ الجنِّ.

وقيل: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ﴾: مَنْ وُكِّلَ بهم من أولادِ إبليسَ، وكذلك شياطينُ الجنِّ من وُكِّلَ بهم من أولادِ إبليسَ.

و﴿شَيَاطِينَ﴾ نصبٌ على البدلِ من (العدوِّ).

وقيل: هو المفعولُ الأوَّلُ، و(العدوِّ) الثاني<sup>(٣)</sup>.

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: يُوسِسُ وَيُوهِمُ ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾: الباطلُ المُمَوِّهَ.  
﴿غُرُورًا﴾ قيل: حالٌ. وقيل: علةٌ. وقيل: نصبٌ على المصدرِ<sup>(٤)</sup>.

(١) أي: واو الجماعة في ﴿يُجَاهِلُونَ﴾.

(٢) في (ن): «والذين».

(٣) لأن (جعل) تنصيب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، وأصل الجملة: الشياطينُ عدوُّ. مادة (ع د و)

(٣/٦٩)، انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/٢٨٤)، و«تهذيب اللغة».

(٤) وتفصيل هذه الأقوال: على الأول: هو مصدرٌ في موضع الحال؛ أي: غارِين. وعلى الثاني: هو نصبٌ على المفعول له؛ أي: لَأَنْ يُعْرَوْا غيرهم. وعلى الثالث: هو منصوبٌ على المصدرِ ﴿يُوحِي﴾؛ لأنه =

وقيل: بدلٌ من (الزُّخْرَفِ)<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾؛ أي: لو شاء إيمانهم آمنوا، والهَاءُ تعودُ إلى الكفْرِ.

﴿وَدَرَّهْمٌ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: كفرهم إلى أن يأتي أمرُ الله بالقتالِ.

وقيل: ما فعل الشَّيَاطِينُ الوحي.

\*\*\*

(١١٣) - ﴿وَلِصَّغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِرِضْوَةٍ وَلِيقْرَفُوا مَا هُمْ

مُقْتَرَفُونَ﴾.

﴿وَلِصَّغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾؛ أي: ولتميل إلى الزُّخْرَفِ<sup>(٢)</sup>

قلوبُ الكفَّارِ. تقول: صَغَا يَصْغُو، وَصَغِي يَصْغَى: مَالٌ.

﴿وَلِرِضْوَةٍ﴾: وليحبوه، ﴿وَلِيقْرَفُوا مَا هُمْ مُقْتَرَفُونَ﴾: وليكتسبوا ما هم مُكْتَسِبُونَ،

والاقتِرَافُ: الاكتِسَابُ، من قوله: ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ [التوبة: ٢٤].

وقيل: الاقْتِرَافُ: عملٌ مع<sup>(٣)</sup> تَهْمَةٍ، ويدفعه قوله: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ [الشورى: ٢٣].

واللَّامُ لَامُ الْعَاقِبَةِ<sup>(٤)</sup>، وقيل: لَامُ الْأَمْرِ، ويدفعه إثباتُ الألفِ إِلا شاذًّا نحو:

ألم يَأْتِيكَ<sup>(٥)</sup>

= بمعنى: يَعْزُّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. انظر: «البحر المحيط» (٤/٦٢٥)، و«الدر المصون» (٥/١١٦).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٨١)، واستغربه.

(٢) في (و): «المحرف».

(٣) في (ن): «معه».

(٤) أي: في قوله: ﴿وَلِصَّغَىٰ﴾.

(٥) يشير إلى قول قيس بن زهير العبسي كما في «الجمل في النحو» (ص: ٢٢٣)، و«معاني القرآن»

للغراء (٢/٢٢٣)، و«الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص: ٢٢٣):

(١١٤) - ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي﴾: أطلب ﴿حَكَمًا﴾: حاكمًا، والحكم أبلغ لأنه اسم لمن عُرِفَ بالحكم مرةً بعد أخرى، والحاكم اسمُ الفاعلِ، وهو نصبٌ على الحالِ.

وتقدير الآية: قل لهم: أفغير الله أبتغي حكمًا ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾: فيه بيان كلِّ ملتبسٍ، وفيصلاً<sup>(١)</sup> بيني وبينكم.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾: هم مؤمنو أهل الكتابِ. وقيل: هم أصحاب رسول الله عليه السلام.

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بإظهار الحق.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكين في أن أهل الكتاب يعلمون ذلك.

وقيل: لا تشك أنهم يعلمون نبوتك.

ابن جرير: لا تكن في شك مما قصصنا عليك<sup>(٢)</sup>.

وقيل: لا تكن شاكًا في أن الذين يبتغون حكمًا غير الله لا يؤمنون.

= أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَأَقْت لَبُونُ بَيْي زِيَاد

والشاهد فيه: إثبات الياء مع الجزم، وهذا شاذ لا يقاس عليه، وقد قرأ الحسن وابن شرف: (ولتطغى) بسكون اللام وإثبات الألف، وهي قراءة شاذة. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/٢٢٧).

وثمة بيت آخر يصلح شاهداً، وهو قول عدي بن زيد العبادي كما في «المنتخب من كلام العرب» (٦٩٧):

أَلَمْ يَأْتِيكَ أَنْ أَبَاكَ عَانٍ وَتَقَعُدَ لَا أَفُكُ وَلَا تَصُولُ

وقد عدَّ المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٨١) هذا القول من العجائب، وزاد في الإعراب قولين آخرين: أن تكون اللام هي لام كي، وهو عطف على المعنى؛ أي: ليغروه ولتصغى، وأن تكون: هي لام القسم، والأصل: لتصغين.

(١) في (ن): «وفصلاً».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٩/٥٠٧).

(١١٥) - ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ قيل: هو القرآن. وقيل: عِدَاتُهُ<sup>(١)</sup>. وقيل: دِينُهُ.

﴿صِدْقًا﴾: صادقةً فيما وعد.

﴿وَعَدْلًا﴾: عادلةً فيما حكم.

وقيل: ﴿صِدْقًا﴾ فيما حكاها، ﴿عَدْلًا﴾ فيما قضاها.

﴿لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾: لا تبدل ولا تغيير.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِمَا يَقُولُونَ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يُضْمِرُونَ.

\*\*\*

(١١٦) - ﴿وَإِنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ

وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

﴿وَإِنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: الكفار. وقيل: الجهال؛ لأنَّ العلماء

قليلون. وقيل: أهل<sup>(٢)</sup> الأرض أهل مكة.

﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دِينُهُ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: ما يتبعون إِلَّا ظَنًّا لا

يعلمون صحته ولا فسادَه فهم شاكُون ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون.

قال بعض المفسرين: وذلك حين جادلوه في أكل الميتة وقالوا: تأكلون ما

قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم<sup>(٣)</sup>!؟

(١) في (و): «عذابه».

(٢) «أهل» ليست في (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفرأ (١/ ٣٥٢). وروي نحو هذا في نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فقد روى أبو داود (٢٨١٩) واللفظ له، والترمذي (٣٠٦٩)، عن ابن عباس، قال: جاءت اليهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله؟ فأنزل الله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية. قال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(١١٧) - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: هو يعلم الكفارَ والمؤمنين.

و﴿مَنْ﴾ محله نصبٌ بفعلٍ دلَّ عليه ﴿أَعْلَمُ﴾؛ أي: يعلم مَنْ يَضِلُّ. وقيل: محله رفعٌ؛ لأنه استفهامٌ.

وقيل: جرٌّ بإضمارِ الباءِ، ودلَّ عليه قوله: ﴿أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، ولا يجوزُ أن يكونَ جرًّا بالإضافة، تعالى اللهُ عن ذلك<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١١٨) - ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: يُريدُ دونَ ما لم يُذكرْ ودونَ الميتةِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾.

أجمعَ المُفسِّرونَ على أنَّ المرادَ به: ما ذُكِرَ اسمُ اللهُ على ذبحه، إلَّا عطاءً فإنَّه قال: هو عامٌّ في كلِّ مطعومٍ ومشروبٍ ومذبوحٍ<sup>(٢)</sup>.

= ورواه الطبريُّ في «تفسيره» (٩/ ٥٢٢-٥٢٦) عن ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد والضحاك وغيرهم. (١) لأن الإضافة تفيد التخصص، والله واسع عليم، وقد فصل المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٢) في الإعراب فقال: «قوله: ﴿أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ﴾ لا عمل لقوله: ﴿أَعْلَمُ﴾ في ﴿مَنْ﴾؛ لأن المعاني لا تعمل في المفعول به، ولا تعلق المعاني أيضاً، بل فيه إضمار دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾؛ أي: يعلم، و﴿مَنْ﴾ في محل نصب، كقوله: ﴿يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، وقيل: في محل رفع، كقوله: ﴿لِنَعْلَمَ أُمَّةً لِّلرَّيْبِ﴾ [الكهف: ١٢]، وهذا أولى.

الغريب: نصب بنزع الخافض. العجيب: محله جر بالباء؛ لأنها منوية، و﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾ يدل عليه. ويريد بالمعاني هنا صيغة (أفعل)، وهي للتفضيل في الأصل، لكنها تخرج إلى معنى الصفة المشبهة، والصحيح أنها لا تنصب مفعولاً به وإن كانت من فعل متعدّد. انظر: «ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٥/ ٢٣٢٦). (٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١١).

(١١٩) - ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الحسن: عني به مُشركي العرب، قال: ومعناه حلالٌ لكم فكلوا<sup>(١)</sup>.

غيره: عني به المؤمنين<sup>(٢)</sup>، وهو تأكيدٌ للأول<sup>(٣)</sup>.

ومعنى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾: أي شيءٍ يتّم لكم في أن لا تأكلوا؟  
 وقيل: ما منعكم ألا تأكلوا؟

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: فيما سبق من القرآن.  
 ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: إلى أكله. والاضطرار: العوز الذي يخاف معه التلّف.  
 ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وهم الذين جادلوا في إحلال الميته.  
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: الذين يُجاوزون<sup>(٤)</sup> الحق إلى الباطل.

\*\*\*

(١٢٠) - ﴿وَذَرُوا ظِلْهَ الْأَيْمَنِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَيْمَنَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْرَفُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.  
 ﴿وَذَرُوا ظِلْهَ الْأَيْمَنِ وَبَاطِنَهُ﴾ ابن عباس رضي الله عنهما: اتركوا معصية الله سرًّا وجهراً<sup>(٥)</sup>.

(١) لم أجده.

(٢) وهو المفهوم من كلام الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٢ - ٥١٣) فليُنظر ثمة.

(٣) في (ن): «تأكيد للآية الأولى».

(٤) في (ن): «تجاوزوا».

(٥) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٦ - ٥١٧) عن قتادة والربيع بن أنس ومجاهد.

غَيْرُهُ: الزَّنى في الحوائتِ واتَّخَاذَ الْأَخْدَانِ، فَإِنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَكُنْ تَسْتَنْكِفُ مِنَ الزَّنى سَرًّا.

الزَّجَّاجُ فِي جَمَاعَةٍ: هُوَ عَامٌّ فِي أَنْوَاعِ الْمَعَاصِي<sup>(١)</sup>.

وَقِيلَ: ظَاهِرُهُ: بِالْجَوَارِحِ، وَبِاطْنُهُ: بِالْقَلْبِ.

وَالْأَلْيَقُ بِالآيَةِ أَنْ يُحْمَلَ ظَاهِرُ الْإِثْمِ وَبِاطْنُهُ عَلَى أَكْلِ الْمَيْتَةِ وَمَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْرَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾.

\*\*\*

(١٢١) - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ

إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْمَيْتَةُ<sup>(٢)</sup>.

غَيْرُهُ: مَا ذُبِحَ لِغَيْرِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ.

وَقِيلَ: مَا ذُبِحَهُ غَيْرُ مُوَحِّدٍ، وَأَمَّا ذَبِيحَةُ الْمُسْلِمِ إِذَا كَانَتْ مَتْرُوكَةً التَّسْمِيَةِ عَمْدًا

فَحَرَامٌ بِخِلَافِ النَّاسِي<sup>(٣)</sup>؛ فَإِنَّ عَلِيًّا وَابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي جَمَاعَةٍ قَالُوا: لَا

بِأَسِّ بِأَكْلِ مَا ذُبِحَ وَنُسِيَ التَّسْمِيَةُ عَلَيْهِ.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٨٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢٨).

(٣) وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٦٢) في تحريم أكله ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا يحرم سواء تركها عامدًا أو ناسيًا، قاله الحسن والشافعي.

والثاني: يحرم إن تركها عامدًا، ولا يحرم إن تركها ناسيًا، قاله أبو حنيفة.

والثالث: يحرم سواء تركها عامدًا أو ناسيًا، قاله ابن سيرين وداود.

وقال علي رضي الله عنه: هو على الملة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ذكُر الله في قلبه<sup>(٢)</sup>.

وقال: كما لا ينفع الاسم مع الشرك لا يضُر النسيان في الإسلام<sup>(٣)</sup>.

وذهب بعضهم إلى أن متروك التسمية عمداً حلال، وكذلك عنده النسيان؛ لما

رَوِيَ عن النبي عليه السلام أنه قال: «ذبيحة المسلم حلال وإن نسي ولم يذكر<sup>(٤)</sup>»

اسم الله عليه، فإنه لو ذكر لم يذكر إلا الله<sup>(٥)</sup>.

وذهب بعضهم إلى أن متروك التسمية عمداً أو نسياناً حرام على ظاهر الآية.

(١) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٤ / ١٧١).

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤ / ٢٤٧)، والجصاص في «أحكام القرآن»

(٤ / ١٧١).

ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٨٩١) موقوفاً بلفظ: «المسلم فيه اسم الله وإن لم يذكر

التسمية»، و(١٨٨٩٠) مرفوعاً بلفظ: «المسلم يكفيه اسمه، فإن نسي أن يسمي حين يذبح فليذكر

اسم الله وليأكله»، وأعله البيهقي بالموقوف، وقال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤ / ٣٣٨):

وفي إسناده ضعف... قال البيهقي: الأصح وقفه على ابن عباس، وقد صححه ابن السكن.

وروى الدارقطني في «سننه» (٤ / ٢٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٨٩٤) من حديث

أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «اسم الله على كل مسلم»، وأعله بمروان بن سالم، وقال

البيهقي: وهذا الحديث منكر بهذا الإسناد.

(٣) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٤ / ١٧١).

(٤) في (و): «وإن نسي وإن لم يذكر».

(٥) رواه أبو داود في «المراسيل» (٣٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٨٩٥) مرسلًا عن الصلت.

قال ابن القطان في «الوهم والإيهام» (٣ / ٥٧٩): «علته مع الإرسال، هي أن الصلت السدوسي لا

تعرف له حال، ولا يعرف بغير هذا، ولا روى عنه إلا ثور بن يزيد». وانظر: «نصب الراية» للزليعي

(٤ / ١٨١).

﴿وَأِنَّهُ﴾؛ أي: أكله ﴿لَفِسْقٌ﴾ الحسن: كفر<sup>(١)</sup>، يُريد: مع الاستحلال.  
غيره: معصية.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ بالوسوسة ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ يعني: الكفار ﴿لِيُجِدُوا لَكُمْ﴾  
بقولهم: تأكلون ذبيحتكم وصيد البازي والكلب وتدعون ما قتله الله.  
عكرمة: إِنَّ الشَّيَاطِينَ أَهْلُ فَارَسَ؛ كَاتَبُوا أَوْلِيَآئَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ بِأَنْ حُجُّوا مُحَمَّدًا  
بتفضيله قتل أصحابه على قتيل الله<sup>(٢)</sup>. فالوحي على هذا: الكتابة.  
﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في استحلال ما حُرِّمَ مِنْ هَذِهِ ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾: كافرون.

\*\*\*

(١٢٢) - ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي  
الْظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ نزلت في حمزة وأبي جهل<sup>(٣)</sup>.  
وقيل: في عمر وأبي جهل<sup>(٤)</sup>.  
وقيل: في عمار بن ياسر وأبي جهل<sup>(٥)</sup>.

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٣٠) دون نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٠٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٣٣) عن الضحاك، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨١) عن زيد بن أسلم.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨١) عن عكرمة.

وقيل: في رسولِ الله عليه السَّلامُ وأبي جهلٍ<sup>(١)</sup>.  
 وقيل: عامٌّ في كلِّ مؤمنٍ وكافرٍ؛ شُبِّهَ الكافرُ بالميتِ لآنَه لا يَنْتَفِعُ بِحَيَاتِهِ.  
 ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ يعني: القرآن، وقيل: الإيمان والحُجَجَ والبيانَ.  
 ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يُقَالُ: هو كلُّ فضيلةٍ بين المسلمين. وقيل: يمشي به  
 في القيامة.

﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾؛ أي: كَمَنْ مثله مثلُ مَنْ في الظُّلُمَاتِ.  
 وقيل: (مثل) زيادةٌ؛ أي: كَمَنْ هو في الظُّلُمَاتِ: الكفرِ والجهلِ.  
 ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾: لا يُفَارِقُهَا.  
 ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: كما زَيْنَ للمؤمنِ إيمانه ﴿زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:  
 زَيْنَ لهم الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ.  
 ابنُ بحرٍ: ﴿زَيْنَ﴾ في مثلِ هذا لا يَحْتَاجُ إلى فاعلٍ، كـ(أعجَبَ) و(زَهِيَ) وغيرِ  
 ذلك<sup>(٢)</sup>؛ أي: حُسْنٌ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١٢٣) - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرِيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا  
 يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.  
 ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرِيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا﴾: (كذلك) إشارةٌ إلى (الزَّين).

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٥٨٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٣)، واستغربه، وانظر: «إتحاف الفاضل بالفعل المبني  
 لغير الفاعل» للصدقي (٢٩- ٦٩).

(٣) «أي حسن»: ليست في (و).

وقيل: إلى المصدر<sup>(١)</sup>؛ أي: كما جعلنا بمكة أكابر مجرميها<sup>(٢)</sup> جعلنا في سائر البلاد أكابر المجرمين.

وأضاف الأكابر إلى ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ لأنَّ (أفعل من) لا يُجمع إلا مع الألف واللام أو مع الإضافة<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿لِيَمَّكُرُوا فِيهَا﴾ هي لامُ العاقبة.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لعود<sup>(٤)</sup> الوبال إليها، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنه يعود إليها.

وذهب بعضهم إلى أن تقديرها: جعلنا مجرميها أكابر. وهذا التأويل يدفعه

الإعراب<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١٢٤) - ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ

حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾: أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾: معجزة، وقيل: ﴿آيَةٌ﴾ من القرآن

تأمرهم بالإيمان.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾؛ أي: لن نصدقك ﴿حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾؛ أي: حتى

يُوحَىٰ إلينا ويؤتى كل واحد منا كتاباً.

(١) أي: مصدر الفعل الذي بعدها، وهو: ﴿جَعَلْنَا﴾.

(٢) في (ن): «المجرمين».

(٣) انظر: «همع الهوامع» للسيوطي (٣/٩٥).

(٤) في (و): «يعود».

(٥) وكذا زيفه المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٨٤) فقال: «وهذا زائف، والوجه ما سبق».

وقيل: أراد: حتى نُؤْتَى مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْمَنْزَلَةِ مِثْلَهُمْ.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ وهو مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أَي: يُرْسَلُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَصْلُحُ لِلرِّسَالَةِ، و﴿حَيْثُ﴾ مفعولٌ به.

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾: ذُلٌّ، وَالصَّغَارُ فِي الْقَدْرِ، وَالصَّغَرُ فِي السَّنِّ وَغَيْرِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ فِي الْقِيَامَةِ ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾؛ أَي: جَزَاءٌ عَلَى<sup>(٢)</sup> مَكْرِهِمْ.

و﴿عِنْدَ﴾ صِلَةٌ ﴿صَغَارٌ﴾، وَقِيلَ: تَقْدِيرُهُ: مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ.

\*\*\*

(١٢٥) - ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾: يُعَرِّفَهُ طَرِيقَ الْإِيمَانِ وَيُوفِّقُهُ لَهُ. وَقِيلَ: يَهْدِيهِ لِنَيْلِ الثَّوَابِ. ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾: يَفْتَحُهُ وَيُوسِّعُهُ وَيُنَوِّرُ قَلْبَهُ لِقَبُولِ الْإِسْلَامِ<sup>(٣)</sup>.

وَرَوَى الْمُفَسِّرُونَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُئِلَ عَنْ شَرْحِ الصُّدُورِ<sup>(٤)</sup> مَا هُوَ؟ فَقَالَ: «نُورٌ يَقْدِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ فَيَنْشُرُ لَهُ وَيَنْفَسِحُ» قَالُوا: فَهَلْ لَذَلِكَ مِنْ أَمَارَةٍ يُعْرَفُ بِهَا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ؛ الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ،

(١) انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ص غ ر) (٦٠ / ٨).

(٢) «على»: ليست في (و).

(٣) في (و): «وينور عليه لقبول الإسلام».

(٤) في (ن): «الصدر».

والتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِلِ الْمَوْتِ<sup>(١)</sup>.  
﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُصَلِّهُ﴾ عَنْ هِدَايَتِهِ وَيُخَذَلَهُ. وَقِيلَ: عَنْ نَيْلِ الثَّوَابِ.  
﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَبَقًا﴾: لَا يَنْجَعُ فِيهِ الْإِيمَانُ.  
﴿حَرَجًا﴾: أَثِيمًا. وَقِيلَ: شَاكًا. وَقِيلَ: مُلْتَبِسًا<sup>(٢)</sup>.  
الْفَتْحُ مُصَدَّرٌ وَالْكَسْرُ<sup>(٣)</sup> صِفَةٌ؛ كَقَمِنٍ وَقَمِنٍ.  
﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾: كَأَنَّهُ كُفِّ الصُّعُودَ إِلَيْهَا فِي الْبُعْدِ وَالِامْتِنَاعِ.  
وَقِيلَ: كَأَنَّهُ لَا يَجِدُ مَنفَذًا؛ لِضَيْقِ الْمَسَالِكِ عَلَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٤ / ٢٣)، والحاكم في «المستدرک» (٤ / ٣٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٦٨)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وفي إسناده: عدي بن الفضل قال عنه الذهبي: «ساقط».

ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (٨٥٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٩١٨ - تفسير)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٦) عن عبد الله بن المسور عن النبي ﷺ مرسلًا. وذكر له الدارقطني في «علله» (١٨٩ / ٥) طرقًا ثم قال: وكلها وهم، والصواب عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلًا عن النبي ﷺ، وعبد الله بن المسور هذا متروك.

(٢) في (و): «متلبسًا».

(٣) قرأ نافع وأبو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

(٤) تكلم بعض العلماء العصريين عن هذه الآية وذكروا أن فيها إعجازًا علميًا لم يكتشفه المفسرون السابقون، حيث إن الإنسان كلما ارتقى في طبقات الجو العليا تناقص قدرته على التنفس، فيضيق صدره، وهذا وإن كانت الآية تحتمله لكن كلام المفسرين القدامى في تفسيرهم للآية صحيح أيضاً، أما ما ذهب إليه بعضهم من نسبة العجز لمن تقدم من المفسرين، وأنهم لم يهتدوا لسرها حتى جاء العلم الحديث فكشف معنى الآية، فهو كلام في غير مكانه، فإنهم - كما المصنف هنا - فسروا الآية واستقام عندهم المعنى، ولا يُنكر أن تكشف الأيام عن معان جديدة للآية؛ لأن القرآن كتاب معجز لا تنتهي عجائبه، كما جاء في وصفه.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الحسنُ: رجاسة الكفر وقذارته<sup>(١)</sup>. رَجِسَ يَرَجِسُ مثل: نَجِسَ يَنْجَسُ.

وقيل: العذابُ، وقيل: السَّخَطُ، وقيل: الشَّيْطَانُ.  
الرَّجَاجُ: اللَّعْنَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١٢٦) - ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَهَذَا﴾ يُرِيدُ مَا سَبَقَ مِنْ ذِكْرِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْأَحْكَامِ ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾؛ أَي: الطَّرِيقُ الَّذِي لَا عَوَجَ فِيهِ. وقيل: القرآنُ.

و﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حَالٌ عَنْ ﴿هَذَا﴾، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَنِ (الصِّرَاطِ).  
﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

\*\*\*

(١٢٧) - ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يُرِيدُ: الْجَنَّةَ، وَ﴿السَّلَامِ﴾: هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَالْجَنَّةُ دَارُهُ.  
وقيل: يُرِيدُ: السَّلَامَةَ، فَحَذَفَ الْهَاءَ.

وقيل: ﴿السَّلَامِ﴾: التَّحِيَّةُ، وَسُمِّيَتْ دَارَ السَّلَامِ لِقَوْلِهِ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، وَ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ﴿إِلَّا قِيْلًا سَلَمْنَا سَلَمًا﴾ [الواقعة: ٢٦].  
﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أَي: نَاصِرُهُمْ وَمُعِينُهُمْ.

(١) لم أجده هكذا، وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٦٢) عن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: «الشرك».  
(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٠).

(١٢٨) - ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا لِمَعْشَرِ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلَّيْنَا فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: الإنس والجنَّ يومَ القيامةِ ﴿لِمَعْشَرِ الْجِنِّ﴾؛ أي: فيقول: يا معشرَ الجنِّ ﴿قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾؛ أي: من إغوائهم وإضلالهم. ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ وهم الذين أطاعوا الجنَّ، اعترفوا رجاءً أن ينفعهم: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾؛ أي: الإنس بالجنِّ، والجنُّ بالإنس. وقيل: استمتع بعض الإنس ببعضهم.

وقيل: أمَّا استمتاعُ الجنِّ بالإنسِ فإغواؤهم إيَّاهم وإضلالهم، وأمَّا استمتاعُ الإنسِ بالجنِّ فهو أنَّ العربَ إذا نزلت وادياً أو سلكوا مفازةً استعاذوا بالجنِّ وقالوا: نعوذُ بسيدِّ هذا الوادي - أو هذه المفازة - من شرِّ سفهاءِ قومِهِ. وكانوا يعتقدون أنَّ الأرضَ مملأى<sup>(١)</sup> جنًّا، وأنَّ من لم يدخله جنِّيٌّ في جواره خبئه الآخرون، وكذلك إذا قتلوا صيداً استعاذوا بهم؛ لأنَّهم يعتقدون أنَّ هذه البهائم للجنِّ منها مراكبهم.

وقيل: هو ما كانوا يأخذونه من الجنِّ من السِّحْرِ والكهانةِ والأراجيفِ، واستمتاعُ الجنِّ بالإنسِ أيضاً أنَّهم قالوا: قد سُدنا الجنُّ والإنسَ حتى عاذاؤنا، فيزدادون شرفاً في قومهم وعظماً في أنفسهم.

﴿وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾ يعني: الموت، وقيل: البعث.

﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾: منزلُكم ﴿خَلَّيْنَا فِيهَا﴾، والأحسنُ أن يُجعلَ ﴿مَثْوَاكُمْ﴾

مصدرًا؛ لعمليهِ في الحالِ، وتقديرُهُ: ذاتُ مَثْوَاكُمْ<sup>(٢)</sup>.

(١) في (ن): «ملى».

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٥): «لا يخلو (مثنوى) من أن يكون مصدرًا أو مكانًا، فإن =

﴿لَا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: من الزيادة على النار من العذاب والنكال.

وقيل: سوى ما شاء الله.

وقيل: إلا ما شاء الله قبل الدخول.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال<sup>(١)</sup>: جعل أمرهم في مبلغ عذابهم ومُدَّتهم إلى مشيئة الله حتى لا يحكم على الله في خلقه أحد<sup>(٢)</sup>.

والمعنى: لن<sup>(٣)</sup> ينفعكم اعتراضكم ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

\*\*\*

(١٢٩) - ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يَأْتِيهِمْ كَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يَأْتِيهِمْ كَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: كما خذلنا عصاة الجن والإنس ﴿نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ﴾. قتادة: هو من الموالاة؛ أي: تُتبع<sup>(٤)</sup> بعضهم بعضاً في النار<sup>(٥)</sup>. ابن عباس رضي الله عنهما: من التولية؛ أي: نُسلطُ بعضهم على بعض<sup>(٦)</sup>.

= جعلته مصدراً امتنع أن يكون خيراً عن النار، وإن جعلته ظرفاً امتنع أن يعمل في الحال، والوجه أن يجعل مصدراً لعمل في الحال، وتضم (ذات) فيقال: النار ذات مثواكم؛ ليصلح أن يكون خيراً. وقد ذهب الزجاج إلى أنه مكان، ووجهه أن يضم فعل ينصب الحال وتقديره: النار مثواكم تثوون خالد بن زيد فيها. انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٦٤٥).

(١) «قال»: ليست في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٥)، وعده من الغريب العجيب.

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٤٦): «والإجماع على التخليد الأبدي في الكفار، ولا يصح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما».

(٣) في (ن): «لم».

(٤) في (و): «يتبع».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٨) عن قتادة وابن زيد.

كما قيل: إذا فسد الزمانُ أمرَ عليهم شرارهم<sup>(١)</sup>، وعن النبي عليه السلام: «عَمَّا لَكُمْ أَعْمَالِكُمْ»<sup>(٢)</sup>، وعنه عليه السلام: «يقولُ اللهُ: أنا اللهُ لا إلهَ إلا أنا، مالكُ الملوكِ، قلوبُهُم ونواصيهُم بيدي، فمن أطاعني جعلتُهُم عليه رحمةً، ومن عصاني جعلتُهُم عليه نِقْمَةً، فلا تشتغلُوا بسبِّ الملوكِ، ولكنْ توبوا إليَّ أُعظفَهُم عليكم»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: من الولاية، المؤمنُ وليُّ المؤمنِ حيثُ كان، والكافرُ وليُّ الكافرِ حيثُ كان.  
وقيل: معناه: نكلُ بعضهم إلى بعضٍ.

(١) روى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥٠ / ٥) عن منصور بن الأسود قال: «سألت الأعمش عن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ما سمعتهم يقولون فيه؟ قال: سمعتهم يقولون: إذا فسد الناس أمر عليهم شرارهم».

(٢) لم أرف عليه مرفوعاً. وروى الطبراني عن الحسن البصري أنه سمع رجلاً يدعو على الحجاج، فقال له: لا تفعل، إنكم من أنفسكم أتيتم، إنما نخاف إن عزل الحجاج أو مات أن يتولى عليكم القردة والخنازير، فقد روي: إنَّ أَعْمَالَكُمْ عَمَّا لَكُمْ، وكما تكونوا يوئى عليكم. انظر: «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٢٠).

(٣) رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣ / ٧٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٩٦٢)، وتمام في «فوائده» (١ / ٢٦٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥ / ٢٤٩): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه وهب بن راشد، وهو متروك».

وقال ابن حبان: «وهب بن راشد شيخ يروي عن مالك بن دينار العجائب لا يحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به».

ولعل الصواب أنه من قول مالك بن دينار، روى عنه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢ / ٣٧٧)، قال: «قرأت في الحكمة...» وذكره.

وعن كعب قال: «إنا نجد أن الله تعالى قال...» وذكره. رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦ / ١٩). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٤٩) وفيه: «ومن الغريب: قال الله تعالى في بعض

كتبه» وذكر الخبر.

(١٣٠) - ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ الَّذِينَ رُسِلُوا مِنْكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُّوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ الَّذِينَ رُسِلُوا مِنْكُمْ يَفْضُونَ﴾: يقرؤون ﴿عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾: كُتِبِي ﴿وَيُزِدُّوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ يعني: يوم القيامة.

الضَّحَّاكُ: بَعَثَ إِلَى الْجِنِّ رُسُلًا مِنْهُمْ كَمَا بَعَثَ إِلَى الْإِنْسِ رُسُلًا مِنْهُمْ<sup>(١)</sup>.

الزَّجَّاجُ وَالْفِرَاءُ فِي جَمَاعَةٍ: رُسُلُ الْجِنِّ مِنَ الْإِنْسِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَوْلُهُ: ﴿رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ لَا يَدْفَعُ هَذَا التَّأْوِيلَ؛ فَإِنَّهُ غَلَبَ الْإِنْسَ عَلَى الْجِنِّ.

ابن عباس: رُسُلُ الْجِنِّ هُمُ الْمُنْدَرُونَ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩]<sup>(٣)</sup>.

﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ بِالْجُرْمِ وَالْعِصْيَانِ.

﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بَحِيثٌ لَا يُمَكِّنُ التَّلَافِي وَالِاسْتِدْرَاكُ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا بِمَا بَعْدَهُ.

﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾؛ أَي: بَمَنْ أَتَاهُمْ مِنَ الرُّسُلِ.

\*\*\*

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٥٦٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٨٦)، وعده من العجيب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٣٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢ / ٢٩٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٥٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٨٦)، واستغربه.

(١٣١) - ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى إرسال الرُّسُلِ ﴿أَنْ لَمْ﴾ بسبب أن لم ﴿يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾؛ أي: لا يهلكهم ولا يُعذبهم حتى يبعث إليهم الأنبياء ويُعذر إليهم<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾؛ أي: من الله. وقيل: بظلمهم.

ومعنى: ﴿غَافِلُونَ﴾؛ أي: عن الإعذار والإنذار.

\*\*\*

(١٣٢) - ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلِكُلِّ﴾؛ أي: للمؤمن<sup>(٢)</sup> والكافر ﴿دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾؛ أي: هم متفاوتون في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم، والجنة درجات والنار درجات، فغلبت الدرجات.

وقيل: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ للمؤمنين خاصة، ثم أوعد الكفار فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

\*\*\*

(١٣٣) - ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ

بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن العباد ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ بهم ﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ﴾: يستأصلكم ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ يريد: ويقم مكانكم غيركم، و﴿مَا﴾ بمعنى: من.

(١) أي: لا يدع لهم موضعاً للاعتذار.

(٢) في (و): «المؤمن».

﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ﴾؛ أي: خلقكم ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾؛ أي: قرناً بعد قرن.  
وقيل: يذهبُ بكم ويأتي بخلقي مخالفٍ لجنسِكُم هو أطوعُ لله منكم، ولهذا  
قال: ﴿مَا يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١٣٤) - ﴿إِنَّ مَأْتُوَعَدُونَ لَأَتِيَّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.  
﴿إِنَّ مَأْتُوَعَدُونَ لَأَتِيَّ﴾؛ أي: من البعثِ والحسابِ والثوابِ والعقابِ  
لكائنٍ لا محالة.  
﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: بفائتين، وتقديره: لا تُعجزون طالبكم.

\*\*\*

(١٣٥) - ﴿قُلْ يَنْقُورِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ  
لَهُ عَنقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.  
﴿قُلْ يَنْقُورِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾ هذا أمرٌ تهديد<sup>(٢)</sup> ووعيد، ومثله:  
﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].  
والمعنى: ﴿أَعْمَلُوا﴾ فعملكم عائدٌ عليكم بالوَبَالِ ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ بخلافِ  
عملكم.

وقيل: ﴿أَعْمَلُوا﴾ في أمري؛ ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ في أمركم.  
وقوله: ﴿عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ﴾: على قدرِ منزلتِكُم، من قولِ العرب: مَكَّنَ  
مكانةً فهو مَكِينٌ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٨٦)، واستغربه.

(٢) في (و): «وتهديد».

ابن عباس رضي الله عنهما: ناحيتكم<sup>(١)</sup>.

أبو عبيدة: على حيالكم<sup>(٢)</sup>.

الزجاج وابن عيسى: طريقته<sup>(٣)</sup>.

الكلبي: منازلكم<sup>(٤)</sup>.

وقيل: على تودة وتثبت.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: سيظهر<sup>(٥)</sup> أينما أحسن عملاً.

﴿مَنْ﴾ بمعنى: الذي، ومحله نصب كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾

[البقرة: ٢٢٠]، ويجوز أن يكون استفهاماً ومحله رفع كقوله: ﴿لَنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢].

والعاقبة: مصدر<sup>(٦)</sup>، والمرادُ بها الجنة.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: لا يفوز<sup>(٧)</sup>، عكرمة: لا ييقون في الثواب<sup>(٨)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٥٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٣٩٠).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١ / ٢٠٦)، وفيه: «أي: على حيالكم وناحيته».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ٢٩٣) وفيه: «المعنى: اعملوا على تمكنكم. ويجوز أن يكون

المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه، ويقال للرجل إذا أمرته أن يثبت على حال: على مكانتك يا فلان،

أي: اثبت على ما أنت عليه».

ونقل الماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ٥٠١) عن ابن عيسى قوله: «على تمكنكم».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٢٢١).

(٥) في (ن): «فسنظهر».

(٦) قال الأزهرى: «وقد جاءت مصادر كثيرة على فاعله». انظر: «تهذيب اللغة» (٣ / ١٤١)، و«شرح

شافية ابن الحاجب» لركن الدين الاستراباذي (١ / ٣٠٧).

(٧) في (ن): «لا يفوزون».

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٢٢٢).

(١٣٦) - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا﴾ يعني: قریشًا ومُشركي العربِ ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خلقَ وأظهرَ ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾: الزَّرْعِ ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الإبلِ وغيرها ﴿نَصِيبًا﴾: حظًّا، يُريدُ: وللأصنامِ نصيبًا، فاكتمى بما دلَّ عليه قوله: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾.

اختلفت عباراتُ المُفسِّرين عن هذا النَّصيبِ، ومحصولُ كلامهم: أنَّ الكفَّارَ جعلوا للضيَّفانِ والمساكينِ في حُرُوثهم وأنعامهم نصيبًا، ونسبوه إلى الله سبحانه، وجعلوا للأوثانِ نصيبًا يُنفقونه ويصرفونه إلى وجوه عيَّونها لها، ثم جعلوا الأرجحَ الأجودَ للأصنامِ، والأخسَّ الأردلَ لله، وقصَّروا في نصيبِ الضيَّفانِ والمساكينِ بعد توفيرهم نصيبَ الأوثانِ عليها، وإن وقع في نصيبِ الأوثانِ خللٌ أو احتاجت<sup>(١)</sup> إلى زيادةٍ صُرفَ من نصيبِ الله إليها، وإن وقع فيما نسبوه إلى الله خللٌ لم يُصرفَ إليه من نصيبِ الأوثانِ.

ثم ذمَّ صنيعهم فقال: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

\*\*\*

(١) في (ن): «واحتاجت».

(١٣٧) - ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ﴾؛ أي: كما زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَيَخْسَ حَقَّ اللَّهِ ﴿زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾: البناتِ بِالْوَادِ مَخَافَةَ الْفَقْرِ وَالْعَارِ، وَالْبَنِينَ بِالنُّدُورِ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَاتِ ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾: شَيَاطِينُ الْجِنِّ؛ لِأَنَّهُمْ شَارَكُوهُمْ فِي الْكُفْرِ وَزَيْنُوا بِالْوَسْوَسَةِ لَهُمْ ذَلِكَ. وَقِيلَ: ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾: قَوْمٌ كَانُوا يَخْدُمُونَ الْأَوْثَانَ.

وقراءةُ ابنِ عامرٍ: ﴿زَيْنَ﴾ بضمِّ الزايِ و﴿قَتَلَ﴾ رَفَعُ ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ نَصَبٌ ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ جُرٌّ<sup>(١)</sup>، وَإِنْ صُعِقَتْ فِي الْعَرَبِيَّةِ لِلْحَالَةِ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ؛ فَقَوِيَّةٌ فِي الرَّوَايَةِ عَالِيَةً<sup>(٢)</sup>.

﴿لِيَرُدُّوهُمْ﴾: لِيُهْلِكُوهُمْ بِالْعَذَابِ، وَاللَّامُ لِأَمِّ الْعَاقِبَةِ، وَقِيلَ: هِيَ لِأَمِّ (كِي).  
﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾؛ أَي: لِيُغْطُّوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَتَدَيَّنُوا

به.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ بِسَلْبِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، ﴿فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ﴾؛ أَي: دَعَهُمْ وَمَا هُمْ فِيهِ.

\*\*\*

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٧).

(٢) ومن أشد المتكلمين فيها الزمخشري، انظر كلامه مع الرد عليه في طبعة دار اللباب من «الكشاف». وجاء في هامش (ن): «ابن عامر من القراء السبعة، وهو شامي، وفي مصحف الشام مكتوب كما يقرأ ابن عامر، وهو من جملة المصاحف الخمسة المعتمد عليها».

(١٣٨) - ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أُنْعَمٌ وَّحَرَّتْ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِرِزْعِهِمْ وَأَنْعَمُ حَرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أُنْعَمٌ﴾ يعني: ذبائح الأوثان. وقيل: البحيرة وأخواتها ﴿وَحَرَّتْ﴾: هو ما جعلوه للأوثان ﴿حَجْرٌ﴾: حرام، وأصله: المنع ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ﴾ يريد: الرجال دون النساء. وقيل: من يخدم الأوثان والأصنام ﴿بِرِزْعِهِمْ﴾؛ أي: لا حجة لهم على ذلك، وقيل: بكذبهم.

قال شُريح: لكل شيء كناية، وكناية الكذب الزعم<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَنْعَمُ حَرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ يعني: السائب والحامي.

﴿وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ مُجاهد: كانت لهم طائفة من الأنعام لا يذكرون اسم الله عليها؛ لا حالة الذبح، ولا حالة الحلب والبيع والرحل<sup>(٢)</sup>.  
عاصم عن أبي وائل: هو ما لم يُحجَّ عليه<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٢٢٤) بلفظ: «إن لكل شيء كنية، وكنية الكذب: زعموا».

ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٦ / ١٤١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٧٩٦) بلفظ: «زعموا كنية الكذب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٥٨٣) بلفظ: «كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها، ولا في شيء من شأنها، لا إن ركبوها، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا، ولا إن منحوا، ولا إن عملوا شيئاً».

ووقع في (ن): «... لإحالة الذبح وإحالة الحلب...»، وفي (و): «... لإحالة الذبح وإحالة الحلب...»، هكذا وقع فيهما بهذا الرسم والضبط، والمثبت هو الموافق لما في الخبر.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٥٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤ / ١٣٩٤).

غَيْرُهُمَا: هو ما لم يُذكَر اسمُ الله على دَبِحِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿أَفْتَرَاءَ عَلَيْهِ﴾ مصدرٌ وقع موقع الحال؛ أي: مُفْتَرَيْن؛ لأنَّهم زعموا أن الله أمرهم بذلك. وقيل: افترؤا بتركهم التسمية ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

\*\*\*

(١٣٩) - ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَرْوَجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾. ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ قيل: الأجنة. وقيل: اللبن. وقيل: هما جميعاً. ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَرْوَجِنَا﴾؛ أي: هي للذكور خاصة.

وتأنيثُ ﴿خَالِصَةٌ﴾ لتأنيث معنى ﴿مَا﴾ لأنها للأجنة، وتذكيره للفظه.

وقيل: هي مصدرٌ كالعاقبة<sup>(٢)</sup>، قال:

كُنْتُ أَمِينِي وَكُنْتُ خَالِصَتِي      وليس كلُّ امرئٍ بمؤتمنٍ<sup>(٣)</sup>

وقيل: للمبالغة في الخلوص.

﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾؛ أي: خرَجَ ميتاً زال عنه التَّحْرِيمُ، فحلَّتْ للرجال والنساء.

(١) في (و): «عليه».

(٢) رجح المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١ / ٣٨٨) فقال: «وهذا أظهر».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٢٣١)، والواحد في «البيسط» (٨ / ٤٦٥)، والسمين الحلبي

في «الدر المصون» (٥ / ١٨٣). وجاء في «البيسط»: «أمنيته» بدل (أمنيته).

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ﴾: هو كقوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ [النحل: ٦٢]، وتقديره: بوصفهم، فحذف الجار. وقيل: جزاء وصفهم، فحذف المضاف. ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

\*\*\*

(١٤٠) - ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ بالوَادِ والنَّذْرِ ﴿سَفَهًا﴾: جهلاً وخفة عقل. وهو مصدرٌ وقع موقع الحال. وقيل: نصبٌ على المصدر؛ أي: سفهوا سفهًا. وقيل: نصبٌ على العلة، وفيه بعد.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: بغير علم أن الله أمرهم به.

﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: البحيرة وأخوانها ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: كذبوا في نسبة التحريم إلى الله ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الصواب.

\*\*\*

(١٤١) - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾: خلق ابتداءً ﴿جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾: مرفوعاتٍ على ما يحملها كالكرم وما يُشبهه؛ أي: من شأنها أن تُعرش. ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾: النَّخْلَ وما يُشبهه<sup>(١)</sup>.

(١) في (ن): «يشبهها».

وقيل: المعروشات: ما يُرْفَعُ بَعْضُ أَغْصَانِهَا عَلَى بَعْضٍ.

ابن عَبَّاسٍ: المعروشات: ما غرس<sup>(١)</sup> النَّاسُ، وَغَيْرُ الْمَعْرُوشَاتِ: ما خَرَجَ فِي الْبَرِّ وَالْجِبَالِ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالشُّمَارِ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: ﴿مَعْرُوشَتَيْ﴾: ما حَوْلَهَا حَائِطٌ ﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَتَيْ﴾: ما لا حَائِطَ حَوْلَهَا.

﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا﴾ حَالٌ مُقَدَّرٌ، كَقَوْلِهِ: مَعَهُ صَقْرٌ صَائِدًا بِهِ غَدًا<sup>(٣)</sup>.

﴿أَكَلُهُ﴾: ثَمْرُهُ، وَالْهَاءُ تَعُودُ إِلَى الزَّرْعِ.

وقيل: أكل ذلك، وقيل: أكل كل واحدٍ منها<sup>(٤)</sup>.

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّمَانُ مُمْتَشِكِيهَا وَغَيْرَ مُمْتَشِكِيهَا﴾ قيل: مُتَشَابِهٌ فِي اللَّوْنِ، غَيْرُ

مُتَشَابِهٍ فِي الطَّعْمِ؛ كَالْحَلْوِ وَالْحَامِضِ وَالْمَرِّ مِنَ الزَّمَانِ.

وقيل: أَنْوَاعٌ تَشْتَبِهُ طَعُومُهَا، وَأَنْوَاعٌ تَخْتَلِفُ طَعُومُهَا.

وقيل: الْمُتَشَابِهُ: ما كان من جنسٍ واحدٍ، وَغَيْرُ الْمُتَشَابِهِ: ما اختلفَ جنسه

وثمره.

(١) في (و): «المعروشات: ما حولها ما غرز».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٩٣).

(٣) تسمى الحال المقدرة؛ لأنها لا تقارن الفعل في الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُؤْتِيهِمَ الْجِبَالَ يُؤْتُونَ﴾،

وكما تقول: «خط هذا الثوب قميصاً»، لأن الجبل لا يكون بيتاً في حال النحت، كذا الثوب لا

يكون قميصاً في حال الخياطة، فقوله: «صائداً به غداً»؛ أي: مقدراً به الصيد غداً، وكذا كل حال

مقدرة. انظر: «الكتاب» (٢/ ٥٢). و«الكشاف» تفسير الآية (٧٤) من الأعراف، والآية (٤٥) من

سورة الأحزاب.

(٤) ذكر هذين القولين المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٨٩)، واستغربهما.

﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾: من ثمر كل واحد من ذلك ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾، هذه رخصة للمالك أن يأكل عند إدراكه وقبل<sup>(١)</sup> إخراج حق الله منه.

﴿وَأَثَرُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾؛ أي: حق الله، وفيه خمسة أقوال:

سعيد بن جبير: منسوخة بالزكاة<sup>(٢)</sup>.

ابن عباس رضي الله عنهما: نسخت بالعشر ونصف العشر<sup>(٣)</sup>.

أنس بن مالك والحسن: هي الزكاة المفروضة<sup>(٤)</sup>.

سفيان: هو أن يدع المساكين يتبعون أثر الحصادين، فما سقط من المنجل أخذوه<sup>(٥)</sup>، ويكره حصاد الليل لهذا.

وقيل: هذا نذب.

و﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: يوم قطعه وجذاذه.

(١) في (ن): «قبل».

(٢) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤١)، والطبري في «تفسيره» (٩ / ٦٠٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٤٧٢)، و(١٠٤٨٧)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٢٠)، وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الحق هنا بالعشر ونصف العشر ولم يذكر النسخ - وهو موافق للقول الآتي عن أنس والحسن - رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٥٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٣٩٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٥٩٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٢١) عن أنس بن مالك والحسن، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٣٩٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) روي نحوه عن مجاهد، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٦٠) ولفظه: «يتركهم يتبعون آثار الصرام»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٦٠٣) بعدة روايات.

وقيل: ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: يوم كيله.

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بإشراك الآلهة في الحرث.

وقيل: لا تُسْرِفُوا في الأكلِ قبل إخراجِ حقِّ الله.

وقيل: لا تُسْرِفُوا فَتُنْفِقُوا في معصيةِ الله.

وقيل: لا تُسْرِفُوا فَتَتَجَاوَزُوا قَدْرَ المفروضِ، وَأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ:

جَدَّ نَخْلَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَصَدَّقُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١٤٢) - ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ﴾: هي كبار الإبل التي يُحْمَلُ عليها، والفرش:

صغارها.

ابن عباس رضي الله عنهما: الحمولة: ما حُمِلَ عليه من الإبل والبقر، والفرش:

الغنم<sup>(٢)</sup>.

والإفراش: الإضجاع للذبح.

ابن جرير: الفرش من الأنعام: ما قَرَبَتْ جَسَدَهُ مِنَ الْأَرْضِ<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧٢٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٩٩ / ٥) عن ابن جريج.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩ / ٦٢١) بلفظ: «فأما الحمولة: فالإبل والخيل والبغال والحمير،

وكل شيء يحمل عليه، وأما الفرش: فالغنم». وكذا رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٤٠٠ -

١٤٠١) (٧٩٧٢) و(٧٩٧٦) مفراً.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٩ / ٦٢٢)، وفيه: «الفرش إنما هو صفة لما لطف فقرب من الأرض جسمه، =

وقيل: الحَمُولَةُ: الإبلُ والخيلُ والبغلُ والحَمِيرُ والبقرُ، والفرشُ: ما أُتخذَ من أصوافِها وجُلودِها<sup>(١)</sup>.

﴿كَلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾؛ أي: كلوا ما أحلَّ اللهُ<sup>(٢)</sup> لكم منها، ولا تحرّموا كفعلِ الجاهليّة.

\*\*\*

(١٤٣) - ﴿ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيَيْنِ نِعُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾: أفراد، والزَّوْجُ: ما معه آخرٌ من جنسِه، ويُقالُ لمجموعِهما: زَوْجٌ، وللْمُفْرَدِ: زَوْجٌ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما زَوْجٌ لِلاُخْرِ.

ونصبُ ﴿ثَمَنِيَةَ﴾ على البدلِ مِنَ الحَمُولَةِ والفرشِ، أو تقديرُه: أنشأنا ثمانية أزواجٍ<sup>(٣)</sup>.

﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ الضَّأْنُ: ذَوَاتُ الصُّوفِ والألَايا، والضَّأْنُ جمعٌ، واحداً ضائئٌ، وقيل: ضائئةٌ.

وقيل: إنَّها جمعٌ لا واحدَ لها من لفظِها، وتُجمعُ على «ضئين» كعبيدٍ وكليبٍ.

= فيقال له: الفرش. وأحسبها سميت بذلك تمثيلاً لها في استواء أسنانها ولطفها بالفرش من الأرض، وهي الأرض المستوية التي يتوطؤها الناس، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٨٩)، واستغربه.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٨٩)، وعدّه من العجائب.

(٢) اسم الجلالة «الله»: ليس في (و).

(٣) ذكر المصنف القولين في «غرائب التفسير» (١ / ٣٨٩) وقال: «والقولان واحد»، ويريد: أنهما واحد في المعنى، أما في الإعراب فاختلفا فهما واضح؛ فالأول بدل كما ذكر، والثاني مفعول به لفعل محذوف، والله أعلم.

﴿وَمِنَ الْمَعْزِ أُنثَيْنِ﴾ هي ذواتُ الشَّعْرِ، واحداها: معزٌّ، ومن فتح العين<sup>(١)</sup> جعله كحارسٍ وحرسٍ، وطالبٍ وطلبٍ، وجاء فيها: المِعْزَى والأَمْعُوزُ والمَعِيزُ، وكلُّها جمعٌ<sup>(٢)</sup>.

﴿قُلْ أَلَذَكَّرِينَ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثِيَّيْنَ أَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِنَّ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ هذا جوابٌ لمن<sup>(٣)</sup> قالوا: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَفْعَادِ خَالِصَةٌ لِّذِكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيَّ أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩].

وقيل: نزلت في مالك بن عوفٍ وأصحابه<sup>(٤)</sup>.

والمعنى: قُلْ لهم: أحرَّم الله الذُّكُورَ أم حرَّم الإناث؟ أم حرَّم جميع ما في الأرحام؟ ولو كان تحريمه من جهة الله لكان عاماً في نوعه كتحرим البنات والأخوات والرِّبَا والزَّنى، ولم يكن مخصوصاً في بعضٍ دون بعضٍ، ولا في عامٍ دون عامٍ، وعلى قومٍ دون قومٍ، كما يزعمون، وإذا لم يكن هذا على منهاجٍ سائرِ المُحرَّماتِ ظهرَ كذبُكم على الله وافترأؤُكم.

﴿نَبِيُّنِي بَعِيرٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي: أخبروني بما علمتم به أن هذا من جهة الله سبحانه.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح العين، والباقون بإسكانها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٧١)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

(٢) بين هذه الألفاظ اختلاف في الدلالة رغم دلالتها على الجمع، وذكر عن أبي رضي الله عنه أنها قرأها: (من المعزى)، وهي قراءة شاذة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٦)، و«جمهرة اللغة» مادة: (مع ز) (٢/ ٨١٧).

(٣) في (و): «لما».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٤٤)، وفيه أن مالك بن عوف جادل النبي ﷺ في مخالفته لهم في تحريمهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، في خبر طويل.

(١٤٤) - ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءالَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ  
أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا  
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءالَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا  
اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا﴾؛ أي: أم  
شاهدتموه فسمِعتم يوصي بهذا التحريم إذ كنتم لا تؤمنون بنبي.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يريد علماءهم وكبراءهم.

وقيل: يريد عمرو بن لحي؛ فإنه غير دين إبراهيم عليه السلام وسن هذا  
التحريم.

﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ﴾: العوام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

\*\*\*

(١٤٥) - ﴿قُلْ لَا أُجِدُي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ  
دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا  
عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿قُلْ لَا أُجِدُي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾؛ أي: في القرآن<sup>(١)</sup> ﴿مُحَرَّمًا﴾: حيوانًا حُرِّمَ أكله  
﴿عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾: أكل يأكله ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ﴾: المَحْرَمُ ﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ  
لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ﴾؛ أي: فإن الخنزير، وقيل: فإن اللحم ﴿رِجْسٌ﴾: مُتَنِّ قَدْرٌ ﴿أَوْ  
فِسْقًا﴾؛ أي: مذبوح فسق، فحذف المضاف.

(١) في (و): «اليوم أي القرآن».

و﴿فَسَقَا﴾ نصبٌ بالعطفِ على ما قبله، وقوله: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ جرى مجرى الوصف<sup>(١)</sup>، وقيل: أو ما أهّل به لغير الله فسقاً<sup>(٢)</sup>.

﴿أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾؛ أي: ذبح على اسم الصنم.

اختلفت الأئمة في هذه الآية على خمسة أقوال:

الأول: أنها منسوخة، وأن (المائدة) نزلت بعدها، وفيها النسخة. وهذا

ضعيف؛ لأن قوله: ﴿لَا أُجِدُّ﴾ خبر، والخبر لا يدخله النسخ<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أنها محكمة، وليس شيء من الحيوان بمحرّم إلا ما فيها. وهذا مذهب

مالك، وليس هذا المأخوذ به في المذهبين<sup>(٤)</sup>.

والثالث: أن المحرّمات داخله فيها؛ لأن التذكية إنما تؤخذ توقيفاً، وكلّ

ما لم يؤخذ<sup>(٥)</sup> تذكيته بالتوقيف فهو ميتة داخل في الآية، فالشرع أباح لك أكل

السّمك بغير ذكاة، ولا يجوز غيرُه؛ لأنّه لم يُجزّه النبي عليه السّلام.

(١) ولم يرتض المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٨٩) هذا القول، فقال بعد أن نقله عن الجمهور: وفيه نظر؛ لأن قوله: ﴿أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ من الموصولات، ولا يحال بين صلة الموصول وما يعطف عليها بأجنبي.

(٢) أي: ﴿فَسَقَا﴾ منصوب على أنه مفعول من أجله مُقدّم على العامل فيه وهو ﴿أَهْلٌ﴾ كقوله:

طَرَنْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ

وفصل به بين ﴿أَوْ﴾ و﴿أَهْلٌ﴾ بالمفعول له، ويكون ﴿أَوْ أَهْلٌ﴾ معطوفاً على ﴿يَكُونَ﴾، قاله

الزمخشري، ولم يرتضه أبو حيان لما فيه من التكلف كما قال. انظر: «الكشاف» (٢ / ٧٥)، و«البحر

المحيط» (٤ / ٦٧٦).

(٣) انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٨ / ١٣٥).

(٤) انظر: «الجامع لمسائل المدونة» (٥ / ٧٨٤)، و«شرح مختصر الطحاوي» (٨ / ٧٦)، و«أسنى

المطالب» (١ / ٥٦٣).

(٥) في (ن): «يوجد».

الرَّابِعُ: مَا صَحَّ تَحْرِيمُهُ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَاخِلٌ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ.  
الخَامِسُ: أَنَّ الْآيَةَ جَوَابٌ لِمَا سَأَلُوا، وَثُمَّ مَحْرَمَاتٌ لَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا.  
﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاعٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سبق في (البقرة).

\*\*\*

(١٤٦) - ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَنِ  
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ  
جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا﴾؛ أي: حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ  
عَقُوبَةً لَهُمْ ﴿كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ يريدُ: مَا لَيْسَ بِمُفْرَجِ الْأَصَابِعِ مُشَقَّوقِهَا كَالْإِبْلِ  
وَالنَّعَامِ وَالْبَطِّ، وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ السَّبَاعِ كَالسَّنَانِيرِ وَالْكَلابِ وَمَا يَصْطَادُ بِظُفْرِهِ مِنَ  
الطَّيْرِ دَاخِلٌ فِيهِ.

وقيل: كُلُّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ وَكُلُّ ذِي حَافِرٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَسُمِّيَ الْحَافِرُ  
ظَفْرًا مَجَازًا.

﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَنِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ يريدُ: الثَّرُوبَ<sup>(١)</sup>، وَقِيلَ: كُلُّ  
شَحْمٍ لَمْ يَخْتَلَطْ بِلَحْمٍ وَلَا عَظْمٍ. وَقِيلَ: شَحْمُ الْكَلْبِينِ.  
﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ يريدُ: شَحْمَ الْجَنْبِ وَمَا عَلِقَ بِالظَّهْرِ مِنْ خَارِجٍ،  
وَقِيلَ: مِنْ دَاخِلٍ.

﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾: هِيَ مَا يَتَحَوَّى فِي الْبَطْنِ؛ أَي: يَجْتَمِعُ وَيَسْتَدِيرُ، وَيُسَمَّى<sup>(٢)</sup>

(١) الثروب: جمع ثرب؛ شحم رقيق يغشي الكرش والأمعاء. انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ث ر ب)  
(٥٩ / ١٥).

(٢) فِي (و): «وَسَمِي».

بناتِ اللَّبَنِ. وقيل: هي المباعرُ. واحدُها: حاويةٌ. وقيل: واحدُها: حاويةٌ؛ كقاصِعاء وقواصِعَ. وقيل: حاويةٌ؛ كسفينَةٍ وسفائنَ.

﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: قيل: هي الآليةُ لا تتصلبُها بالعُصْعُصِ. وقيل: المُخُّ. وقيل: فيها تقديمٌ، والتَّقديرُ: حرَّمنا عليهم شُحومَهُما، أو الحوايا، أو ما اختلطَ بعظمٍ إلا ما حملتْ ظهُورُهُما. (أو) للتَّخييرِ.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: التَّحريمُ ﴿جَزَيْنَهُمْ بِغَنِيمٍ﴾: بظلمِهِم ومُخالفتِهِم أنبياءَهُم. الحَسَنُ: بكفَرِهِم<sup>(١)</sup>.

﴿وإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما أَخبرنا به.

\*\*\*

(١٤٧) - ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرْدُّ بِأَسْئَةٍ عَنِ الْقَوْمِ

الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ يا مُحَمَّدٌ ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ﴾: لا يُعَجَّلُ بالعقوبةِ ﴿وَلَا يُرْدُّ بِأَسْئَةٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يُمهَلُ ولا يُهمَلُ.

\*\*\*

(١٤٨) - ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ

كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْنَانِهِمْ هَلْ عَمِرُوا فَتُخْرِجُوهُمْ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ في الآيةِ

أعظمُ معجزةٍ لرسولِ الله عليه السَّلامُ؛ لأنَّه أَخبرَ عنهم قبلَ قولِهِم، فكان كما أَخبر<sup>(٢)</sup>.

(١) لم أجده.

(٢) بعدها في (و): «عنهم قبل قولهم».

وَعَطَفَ ﴿ءَابَاؤُنَا﴾ عَلَى الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ، وَعَدَّ (لَا) حَائِلًا.

المعنى: رَضِيَ مِنَّا وَمِنْ آبَائِنَا الشَّرِكِ، وَأَرَادَ مِنَّا تَحْرِيمَ مَا حَرَّمَاهُ.

وقيل: معناه: لو شاء الله أن لا يُفعلَ لِحَالِ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُ.

﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ذَهَبَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّ هَذَا لَيْسَ

بِجَوَابٍ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ مُشَدَّدٌ؛ أَي: كَذَّبَكَ قَوْمُكَ فِيمَا أَخْبَرْتَهُمْ بِهِ كَذَلِكَ كَذَّبَ الْأُمَمُ

السَّالِفَةُ أَنْبِيَاءَهُمْ.

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ جَوَابٌ؛ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا فِي هَذَا، وَكَذَّبُوا بِهِذَا رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: أَرَادَ اللَّهُ مِنَّا أَنْ نُشْرِكَ وَرَضِيَ بِهِ.

وقيل: قالوا هذا القول تعنتاً واستهزاءً، ولو قالوا تيقناً واعتقاداً كان إيماناً.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾؛ أَي: عَذَابِنَا.

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ﴾: بَيَانٍ لِّدَعْوَتِكُمْ ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾: فَتُظْهِرُوهُ.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾؛ أَي: مَا تَتَّبِعُونَ إِلَّا ظَنًّا لَا يُؤَدِّي إِلَى عِلْمٍ، ﴿وَإِن أَنتُمْ إِلَّا

تَخْرُصُونَ﴾: تَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ (١).

\*\*\*

(١٤٩) - ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾ لِأَنَّ مَا احْتَجَجْتُمْ بِهِ بَاطِلٌ، وَإِذَا بَطَلْتُمْ حُجَّتْكُمْ

غَلَبَتْ حُجَّةُ اللَّهِ وَعَلَتْ (٢)، وَهِيَ مَا احْتَجَّ بِهَا عَلَى الْكَافِرِينَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى

وَفِي سَائِرِ الْآيَاتِ.

وَالْحُجَّةُ: مَا تَثَبَّتْ بِهِ صِحَّةُ دَعْوَى الْمُدَّعِي.

(١) «على الله»: ليست في (و).

(٢) في (ن): «علت حجة الله وغلبت».

والبالغة: التي بلغت النهاية في التصحيح والبيان.  
﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: هداية إجماعاً واضطراباً.

\*\*\*

(١٥٠) - ﴿قُلْ هَلُمُّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلُمُّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾؛ أي: اتئوني بمن يشهد لكم على صيحة دعوتكم أن الله حرم الحرث والأنعام.  
وقيل: هلّم شهادتكم.

﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾؛ أي: شهادتكم غير مقبولة؛ لأنهم يشهدون لأنفسهم حيث كانوا على دين واحد واعتقاد واحد.

والمعنى: إن اقتصروا على قولهم وشهادتهم فخالفتهم في ذلك.  
(هلّم): يأتي مبنياً على الفتح، يستوي معه الواحد والجمع، والتأنيث والتذكير، وقد يجري مجرى سائر الأفعال، فيقال: هلّمّا، وهلّموا، وهلّمّي، وهلّممن<sup>(١)</sup>.  
وأصله: (ها) و(لم).

قال الكوفيون: أصلها: (هل) و(أم)<sup>(٢)</sup>.

ويكون متعدياً كما في الآية، وبمعنى: تعالوا، كقوله: ﴿هَلُمُّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨].  
﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وإن أقرؤوا بالآخرة كأهل الكتاب

(١) بناؤه لغة أصل الحجاز، وإجراؤه لغة أهل نجد. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٠٨)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٠٨)، و«المقتضب» (٣/ ٢٥).

(٢) انظر: «الخصائص» (٣/ ٣٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٥١٤)، و«الإنصاف» للأبنازي (١/ ٢٧٩ و٢٨٢).

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ كَعَبْدَةِ الْأوثَانِ ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾: يجعلون له عدلاً<sup>(١)</sup>، وهو المثل.

\*\*\*

(١٥١) - ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ للذين حرّموا الحرثَ والأنعامَ: ﴿تَعَالَوْا﴾: احضروا ﴿أَتْلُ﴾: أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ﴾: ما الذي<sup>(٢)</sup> حرّم، ومحله نصبٌ بـ ﴿أَتْلُ﴾.

وقيل: نصبٌ بـ ﴿حَرَّمَ﴾، و﴿أَتْلُ﴾ بمعنى: أقل<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من صلة ﴿حَرَّمَ﴾، وقيل: استئنافٌ للإغراء، ويحتمل أن يكون صلة ﴿أَتْلُ﴾.

وقوله: ﴿أَلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ بدلٌ من ﴿مَا﴾، ومحله نصبٌ.

الزَّجَّاجُ: لأن لا، ومحله خفضٌ<sup>(٤)</sup>.

(١) في (ن): «عديلاً».

(٢) في (ن): «ما الذي».

(٣) وعليه تكون ﴿مَا﴾ استفهامية في موضع نصب على المفعولية لـ ﴿حَرَّمَ﴾، والجملة مفعول ﴿أَتْلُ﴾ لأن التلاوة من باب القول، فيصح أن تعمل في الجملة بناء على المذهب الكوفي من أنه تُحكى الجملة بكل ما تضمن معنى القول، وغيرهم يقدر في ذلك قائلاً ونحوه، والمعنى هنا على الاستفهام: تعالوا أقل لكم وأبين جواب: أي شيء حرّم ربكم. انظر: «روح المعاني» (٤/٢٩٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/٣٠٤)، وفيه: ﴿أَلَّا تَشْرِكُوا﴾ منصوبة بمعنى طرح اللام؛ أي: =

وقيل: رفع؛ أي: ذلك أن لا تُشركُوا.

وقيل: ﴿فُتْرِكُوا﴾ جزمٌ إذا حُمِلَتْ على النَّهْيِ، وَنَصَبٌ إِذَا أَعْمِلَتْ (أَنْ)، وكذلك ما بعدها.

وقيل: (أَنْ) هاهنا هي المُفسِّرةُ بمعنى: (أي).

وقيل: (لا) صلةٌ، والمعنى: لا تُشركُوا مع الله في العبادة والطَّاعةِ غيرَ الله.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ أي: أوصيكم بالوالدين إحسانًا.

وقيل: أحسنوا بالوالدين إحسانًا، فحذف؛ لأنَّ المصدرَ دلَّ عليه.

والمعنى: عقوقهما حرامٌ والبرُّ بهما والإحسانُ إليهما فرضٌ.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ﴾: فقرٌ بكم ﴿تَحْتَنُ نَزْدُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ والإملاقُ: الفقرُ يحملُ صاحبه على الخضوعِ.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾؛ أي: الزنا سرًّا وجهرًا.

وقيل: ﴿مَا ظَهَرَ﴾ بالجوارحِ ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ بالنيَّةِ.

وقيل: الآثامُ كُلُّها فواحشٌ منهيٌّ عنها ظاهرها وباطنها.

و﴿مَا ظَهَرَ... وَمَا بَطَنَ﴾ بدلٌ من ﴿الْفَوَاحِشَ﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: القودُ بالنفسِ الحرامِ، والزنى بعد

الإحصانِ، والكفرُ بعد الإيمانِ.

= أبين لكم الحرام لثلاث تشركوا به شيئًا؛ لأنهم إذا حرموا ما أحل الله فقد جعلوا غير الله - في القبول منه - بمنزلة الله جل وعز، فصاروا بذلك مشركين». ولم يرتض هذا الوجه الألوسي، في «روح المعاني» (٤/ ٣٠١)، وقد ارتضاه معربو القرآن الكريم، وأجازه، وذكر ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص: ٣٠) سبعة وجوه في إعرابها، فلتنظر ثمة.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: ما ذَكَرَ مُفَصَّلًا ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ﴾: وَصَّأَكُم رُبُّكُمْ بِحِفْظِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لتصبروا من الرّاشدين.

\*\*\*

(١٥٢) - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: يُرِيدُ: التَّجَارَةَ وَتَثْمِيرَ مَالِهِ. الزَّجَاجُ: رَكُوبَ دَابَّتِهِ وَاسْتِخْدَامَ خَادِمِهِ<sup>(١)</sup>، وَقَدْ سَبَقَ.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَقِيلَ: إِذَا احْتَلَمَ، وَقِيلَ: يَبْلُغُ الْحِنْثَ، وَقِيلَ: ثَلَاثِينَ سَنَةً.

جَمْعُ شِدَّةٍ؛ كِنِعْمَةٍ وَأَنْعَمٍ، وَقِيلَ: جَمْعُ شَدٍّ، نَحْوُ: فَلْسٍ وَأَفْلُسٍ، وَقِيلَ: هُوَ وَاحِدٌ كَالْأَنْكِ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ﴾: أَوْفُوهُمَا بِالْعَدْلِ تَامًّا، وَ(الْمِيزَانُ) مَصْدَرٌ كَالْكَيْلِ<sup>(٣)</sup>.

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أَي: إِذَا تَوَخَّيْتُمُ الْإِيْفَاءَ فَلَا تُؤَاخِذُونَ بِمَا لَيْسَ فِي وُسْعِكُمْ بِالْتَّعْدِيلِ عَلَى أَقْلِ التَّقْلِيلِ، فَإِنَّهُ يَصْعَبُ خُصُوصًا فِي الْكَيْلِ.

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٠٥) عن بعضهم، ثم قال: «وليس في الظاهر أن هذا هو المراد، وإنما التي هي أحسن: حفظ ماله عليه، وتثميته بما وجد إليه السبيل».

(٢) الأول قول سيبويه، والثاني قول الكسائي، والثالث قول أبي عبيدة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١٩٧/٢)، و«الأضداد» للأباري (ص: ٢٢٣).

(٣) ويمكن أن يكون (الميزان) آلة الوزن، و(الكيل) مصدر أطلق على الآلة كالمكيال. انظر: «البحر المحيط» (٦٦٦/٤).

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾؛ أي: إذا حكمتُم بين الناس وتكلمتُم فقولوا الحق.

وقيل: تجنبوا الزيادة والنقصان.

وقيل: لا تحيفوا وإن كان المقول فيه قريباً لكم.

﴿وَيَعْبُدِ اللَّهَ أَوْفُوا﴾: هو ما عهد إليكم من تأدية أحكام الشرع.

وقيل: النذور والحلف.

﴿ذَلِكُمْ﴾؛ أي: ما تقدم ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون.

\*\*\*

(١٥٣) - ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَأَنَّ هَذَا﴾؛ أي: ما سبق في السورة؛ لأنها كلها في التوحيد وأدلة النبوة

وإثبات الدين.

وقيل: الإشارة إلى هذه الآيات؛ لأنها المحكمات التي لم تُنسخ في ملّة من

الملل.

وقيل: هو القرآن.

﴿صِرَاطِي﴾: طريقي الذي يُؤدّي سالكه إليّ لا عوج فيه ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حال.

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: اعملوا بموجبه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: الكتب المتقدمة والشرائع

المنسوخة. وقيل: البدع والشبهات.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾: نُزِيلُكُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ وَتُبَعِدُكُمْ<sup>(١)</sup> عَنِ الْقُرْآنِ.

(١) في (و): «وتبعدكم».

﴿ذَلِكُمْ﴾؛ أي: الاتِّبَاعُ ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ﴾: أَمْرُكُمْ بِلُزُومِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لتكونوا على رجاءِ إصابةِ التقوى.

\*\*\*

(١٥٤) - ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: (ثمّ) لتراخي الإخبار؛ أي: ثمّ أخبركم أنّنا آتينا موسى الكتاب<sup>(١)</sup>.

وقيل: ثمّ قُل: آتينا موسى.

وقيل: (ثمّ) مع الجملة تأتي بمعنى الواو، كقول الشاعر:

إِنْ مَن سَادَ ثَمَّ سَادَ أَبُوهُ      ثَمَّ قَدْ سَادَ بَعْدَ ذَلِكَ جَدُّهُ<sup>(٢)</sup>

﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ قيل: الفعلُ مسندٌ إلى ضميرِ (الذي)، وهو واقعٌ موقعَ الجمع؛ أي: على الذين أحسنوا، وهم الأنبياءُ عليهم السّلام<sup>(٣)</sup>، كقول الشاعر:

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بَفْلَجٍ دِمَاؤُهُمْ      هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ<sup>(٤)</sup>

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٢) واستغربه.

(٢) البيت لأبي نواس من قصيدة مدح بها إبراهيم بن عبيد الله الحنظلي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٢)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٣٦)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (٣/ ١٩٥٩)، وروايتها في هذه المصادر: (قل لمن ساد...). والبيت لم يرد في النسخة (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٣)، واستغربه.

(٤) البيت للأشهب بن رميلة، وهو في «الكتاب» (١/ ١٨٧)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٩٠)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٩١)، و«المقتضب» (٤/ ١٤٦).

وقيل: الفعلُ لله؛ أي: تماماً على الذي أحسنَ اللهُ إلى موسى عليه السَّلام<sup>(١)</sup>.  
وقيل: الفعلُ لموسى؛ أي: تماماً على الذي أحسنَ موسى من قيامه بأمرنا  
ونَهينَا.

وقيل: أحسنَ موسى؛ أي: علم.

وقيل: الفعلُ لإبراهيمَ عليه السَّلام<sup>(٢)</sup>.

وجوّزَ الكوفيون أن تكونَ ﴿أَحْسَنَ﴾ اسماً في محلِّ جرٍّ صفةٍ لـ(الذي)<sup>(٣)</sup>.  
وهذا خطأً عند البصريين.

وقُرئَ: (أَحْسَنُ)<sup>(٤)</sup>؛ أي: هو أحسنُ.

وقيل: ﴿الَّذِي﴾ بمعنى: ما؛ أي: على إحسانه، وفيه بُعدٌ أيضاً<sup>(٥)</sup>.

﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: بياناً لكلِّ ما يحتاجونَ إليه في دينهم ﴿وَهُدًى  
وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ﴾؛ أي: بني إسرائيل ﴿يَلْقَاهُمْ يَوْمَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ بالشَّوابِ والعقابِ والبعثِ  
والحسابِ.

\*\*\*

(١) انظر: «روح المعاني» (٤/٢٩٧)، ونسب هذا القول للجبائي، وعدّه خلاف الظاهر.  
وذكر نحو هذا القول ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/٣٦٤) والتقدير عنده: ﴿تَمَامًا﴾؛ أي:  
تفضلاً وإكمالاً على الذي أحسن الله فيه إلى عباده من النبوات والنعمة وغير ذلك.  
(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٩٣)، وعدّه من العجائب.  
(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٩٣)، وعدّه من العجائب.  
(٤) قراءة شاذة نسبت لابن يعمر. انظر: «المحتسب» (١/٢٣٤)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء  
الكرماني (ص: ١٨١).

(٥) والذي على هذا الوجه موصول حرفي يؤول مع ما بعده بمصدر، وقد ذكر هذا الوجه الفراء في  
«معاني القرآن» (١/٣٦٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٣٩٣)، وعدّه من العجائب.

(١٥٥) - ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَهَذَا﴾ يعني: القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾: كثير الخير ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾؛ أي: اعملوا بما فيه، ﴿وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: بعد الاتباع.

\*\*\*

(١٥٦) - ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ

لَعَفْلِينَ﴾.

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾؛ أي: أنزلنا القرآن كراهة أن تقولوا، أو: لئلا تقولوا.

وقيل: لعلكم تتفنون أن تقولوا يا أهل مكة<sup>(١)</sup>:

﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾: اليهود والنصارى، وخصاً بالذكر

لحصولهما بين أظهرهم، وهذا يدل على أن المجوس ليسوا بأهل كتاب.

﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَعَفْلِينَ﴾: ما ندري ما هي وما معنى كتبهم.

\*\*\*

(١٥٧) - ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ

رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سََجْرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ

عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: أصوب ديناً، وقيل: أشدَّ

اهتداءً.

والأحسن أن يجعل من الهداية؛ لأنه لا يهدي<sup>(٢)</sup> إلا مهتدٍ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٣)، واستغربه.

(٢) في (و): «لا يهتدي».

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ بِالغَةِ<sup>(١)</sup> تَعْرِفُونَهَا ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ لمن عمل بها.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ﴾؛ أي: النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَعَايَتِ اللَّهِ﴾؛ أي: برد آياتِ الله ﴿وَصَدَفَ﴾: أَعْرَضَ ﴿عَنْهَا سَنَجَرَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾: يُعْرِضُونَ ﴿عَنْ آيَاتِنَا﴾ غير مُتَفَكِّرِينَ فِيهَا ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: شِدَّتَهُ ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾: بِإِعْرَاضِهِمْ. و(صدف) لازمٌ ومُتَعَدٌّ، والآيةُ تحتملُهما إذا قَدَرْتَ مفعولاً<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١٥٨) - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾؛ أي: ما ينتظر أهل مكة، والنظر إذا لم يكن مُقَيِّدًا بـ(إلى) كان انتظارًا، ولم يكونوا مُتَظَرِّينَ لذلك في الحقيقة، ولكن يُقَالُ لِمَا سَيَلْحَقُ لَا مَحَالَةَ: إِنَّهُ يَنْتَظِرُهُ؛ أي: يلحقه لحوق المنتظر.

﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم، وقيل: بالعذاب. ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ يعني: عذابه، أو إهلاكه، أو أمره، فحذف لأن التهديد دل عليه. والإتيان الذي هو انتقال لا يجوز على الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

(١) في (ن): «بلغه».

(٢) يأتي (صدف) لازماً بمعنى: أعرض، ويأتي متعدياً بمعنى: صدَّ، والآية تحتمل أن تكون بمعنى: أعرض هو عن الآيات، أو بمعنى صدَّ غيره عن الآيات والله أعلم. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٦٩٧/٤).

(٣) في (و): «والإتيان هو انتقال، ولا يجوز على الله تعالى».

﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يعني: أشراف الساعة.

ورُوِيَ عن حذيفة والبراء بن عازب رضي الله عنهما قالا: كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ، فقال: «ما تذاكرون؟» قلنا: نتذاكر الساعة، فقال: «إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر أمارات: الدخان، ودابة الأرض، وخسفاً بالمشرق، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً بجزيرة العرب، والدجال، وأجوج ومأجوج، ونازراً تخرج من قعر عدن، ونزول عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها»<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمَنُهَا لَوَ تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾:

قيل: ذلك إذا ظهرت أولى الآيات.

وقيل: إذا خرجت الآيات كلها؛ لأنه يُغلق باب التوبة.

ورُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ<sup>(٢)</sup> عليه السلام قال يوماً لأصحابه: «بادرُوا بالعملِ الصَّالحِ قبل أن يُغلق بابُ التَّوْبَةِ بَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا» قالوا: يا رسولَ الله، كيف يكون ذلك؟ قال: «إِنَّ الشَّمْسَ إِذَا غَرَبَتْ صَارَتْ إِلَى تَحْتِ الْعَرْشِ فَخَرَّتْ سَاجِدَةً إِلَى أَنْ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي واطلعي من مطلعك، فإذا أراد الله قيام الساعة لا يُقال لها كما كان يُقال لها<sup>(٣)</sup>، فيطول الليل على الناس، فيقع الفزع، ثم يُقال لها: اطلعي وارتفعي من

(١) هكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٢٧٤) عن حذيفة والبراء، ورواه مسلم (٢٩٠١) من حديث

حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

(٢) في (ن): «رسول الله».

(٣) «لها»: ليست في (ن).

مغربك، فتطلع من المغرب مع القمر مُقَرَّنَيْنِ<sup>(١)</sup> كبعيرين مقروئين، فبعد ذلك لا ينفع نفساً إيمانها ولا عملها بالصالحات<sup>(٢)</sup>.

(١) في (ن): «مقروئين».

(٢) كذا ذكر المصنف هذا الحديث بالمعنى، وهو مجموع من عدة روايات بعضها مرفوع والآخر موقوف:

فقد روى بعضه بنحوه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩)، عن أبي ذر رضي الله عنه، ولفظ مسلم - وهو أقرب إلى سياق المصنف -: «أن النبي ﷺ قال يوماً: أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها»، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون متى ذاك؟ ذاك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾.

وروى نحوه الإمام أحمد في «المسند» (٦٨٨١)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٢٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ورواه مختصراً البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾».

وقوله: «فتطلع من المغرب مع القمر مقرنين كبعيرين مقروئين»: رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٢٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أُمَّةٍ بِرَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر، كأنهما بعيران مقرونان».

وقوله في أول الحديث: «بادروا بالعمل الصالح قبل أن يغلث باب التوبة بطلوع الشمس من مغربها» روى الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٤٢٨) عن ابن =

قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ قيل: إخلاصاً، وقيل: طاعةً، وقيل: توبةً.  
وقوله: ﴿لَوْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ دليل لمن قال: إن الإيمان لا يُشترط في صحته  
إلى العمل.

وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ دليل على أن العمل مع الإيمان مشروط<sup>(١)</sup>.  
و﴿أَوْ﴾ يدل على صحة القولين.

﴿قُلْ أَنْظِرُوا﴾ إحدى هذه الآيات الثلاث<sup>(٢)</sup> ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ ثوابه وكرامته.  
وقيل: ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ بكم إحداها.

وقيل: ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ هلاككم وموتكم، فانتظروا هلاكي وموتي.

\*\*\*

= عباس رضي الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ عشية من العشيات، فقال لهم: يا عباد الله، توبوا  
إلى الله، فإنكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب، فإذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوي  
العمل وختم الإيمان».

(١) وهذا مذهب المعتزلة، استدلوا بقوله: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَوْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا  
خَيْرًا﴾ على أن الإيمان لا ينفع مع عدم كسب الخير، قال ابن المنير في «الانتصاف» (٢/٨٢) في  
سياق رده على الزمخشري: «إن هذا الكلام اشتمل على النوع المعروف من علم البيان والبلاغة  
باللف، وأصل الكلام: يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد، ولا  
نفساً لم تكسب في إيمانها خيراً قبل ما تكسبه من الخير بعد، إلا أنه لَفَّ الكلامين فجعلهما كلاماً  
واحداً بلاغة واختصاراً وإعجازاً».

قال: «ويظهر بذلك أنها لا تخالف مذهب الحق، فإننا نقول: لا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب  
الخير وإن نفع الإيمان المتقدم في السلامة من الخلود، فهذا بأن يدل على رد الاعتزال أجدر  
من أن يدل له».

(٢) في (و): «أي: إحدى آيات ثلاث».

(١٥٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾؛ أي: آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

و﴿فارقوا﴾<sup>(٣)</sup> معناه: بأيّنوا وخرجوا عنه.

﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: فرقا يدين بعضهم بخلاف ما يدين به البعض، فتهود بعض وتنصر بعض<sup>(٤)</sup>، وكان دين الله دين إبراهيم عليه السلام.

وقيل: هم أهل البدع من هذه الأمة.

وقيل: هم اليهود والنصارى اختلفوا فيما بينهم.

الحسن: جميع المشركين<sup>(٥)</sup>.

وأصله من (شاع وذاع). وقيل: أصله من (شيعة)؛ أي: أتبعته.

﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾؛ أي: أنت بريء منهم، قال:

إذا حاولت في أسد فجورا فإني لست منك ولست مني<sup>(٦)</sup>

وقيل: هو نهي عن قتالهم، ثم نسخ بآية السيف.

وقيل: ليس عليك من جنائهم ضرر.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: يتولى جزاءهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ أي:

يعاقبهم.

(٣) هذه قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

(٤) في (ن): «فتهود قوم وتنصر قوم».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٩٦).

(٦) البيت للناطقة الذبياني. انظر: «ديوانه» ت: حمدو طماس (ص: ١٢٣)، و«الكتاب» (٤/ ١٨٦)،

و«النكت والعيون» (٢/ ١٩٣).

(١٦٠) - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ابن عباس رضي الله عنهما: الحسنه: قول: لا إله إلا الله، والسيئة: الشرك<sup>(١)</sup>.  
غيره: الحسنه عام في كل طاعة يأتيها المؤمن.

والحسنة: الفعلة الواحدة، وتقع على الإيمان الذي يضم جميع الطاعات.  
وقوله: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قيل: يكتب بالواحدة<sup>(٢)</sup> عشر حسنات.  
رؤي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال: «من صام رمضان وأتبعه بسبب من شوال فقد صام السنة كلها، فاحسبوا إن شئتم»<sup>(٣)</sup>.  
وقيل: عشر من النعم<sup>(٤)</sup>.

وقيل: المراد بالعشر: التضعيف، لا العدد المعلوم لمحدود، كما يقال: إن أسديت إليّ معروفاً كافأتك عشرين.  
وقيل: العشر لبعض الطاعات كما سبق.

وقيل: لبعض المطيعين؛ فإن عمر رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في الأعراب وضعفاء المهاجرين<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٤١).

(٢) في (و): «الواحدة».

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٨٣٣٤)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (٢٧٠٢)، وليس فيه عندهما: «فاحسبوا إن شئتم». وكذا رواه مسلم (١١٦٤) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه دون تلك الجملة، ولم أقف عليها.

(٤) في (و): «النعم».

(٥) لم أجد بهذا اللفظ، ولم أجد عن عمر، لكن روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٤٣٢) عن =

وقيل: مَنْ جَاءَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ جَاءَ بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ، وهي المذكورةُ في قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية.

وقوله: ﴿أَمْثَالِهَا﴾؛ أي: في كونها حسنةً.

وقيل: المرادُ به المُجانسةُ؛ أي: من أَحْسَنَ أَحْسَنَ إِلَيْهِ.

وَأَنْتَ عَشْرًا لِأَنَّ الْأَمْثَالَ مُضَافَةٌ<sup>(١)</sup> إِلَى مُؤَنَّثٍ.

وقيل: تقديره: فله عشرُ حسناتٍ أمثالها، فحذفَ الموصوفُ.

وعن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رَبِّ زِدْنِي» فنزلت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية، قال: «رَبِّ زِدْنِي» فنزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] الآية، قال: «رَبِّ زِدْ أُمَّتِي» فنزلت: ﴿إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] (٢).

= ابن عمر رضي الله عنه قال: «نزلت هذه الآية: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ في الأعراب، والأضعاف للمهاجرين».

وروى الطبري في «تفسيره» (٣٦ / ٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (٧١٠ / ٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نزلت في الأعراب: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، فقال رجل: فما للمهاجرين يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وإذا قال الله عز وجل لشيء: عظيم، فهو عظيم».

قال الطبري: يعني: من جاء بالحسنة من أعراب المؤمنين فله عشر أمثالها، ومن جاء بالحسنة من مهاجرين يضاعف له ويؤته الله من لده أجرًا؛ يعني: يعطه من عنده أجرًا عظيمًا.

(١) في (و): «لأنه مضاف».

(٢) رواه ابن المنذر كما في «العجاب» (٦٠٦ / ١)، و«الدر المنثور» (٧٤٧ / ١). وروى نحوه =

وَالسَّيِّئَةُ: الكفر، وجزاؤها النار، وقيل: عامٌّ كالحسنة.  
والمُرَادُ بـ ﴿مِثْلَهَا﴾: أنها تسوء كالسَّيِّئَةُ.  
﴿وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ﴾: لا يُنْقِصُونَ من حسناتهم، ولا يُزَادُ في سيئاتهم.

\*\*\*

(١٦١) - ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: دلّني وأرشدني إلى دينٍ مُستقيم،  
ليس فيه شعبٌ يُخَافُ<sup>(١)</sup> منه الضلال، وهو دينُ إبراهيم عليه السلام.  
﴿دِينًا﴾ بدلٌ من الصراطِ على المعنى، تقول: هُديتُ الطريقَ، وإلى الطريقِ.  
وقيل: محمولٌ على المعنى؛ أي: عرّفني دينًا.  
﴿قِيمًا﴾: قائمًا، فعَلٌ للمبالغة، وقيل: مصدرٌ كالشَّيخِ.  
﴿مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾: شريعة إبراهيم، مُشْتَقَّةٌ من الإِمالِ؛ لأنّها تَبَتَّتِي على مكتوبٍ  
ومسموعٍ، وقيل: من المِلَّةِ لتأثيرها.  
نصبها<sup>(٢)</sup> على البدلِ.  
﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الأديانِ كلّها<sup>(٣)</sup>. وقيل: مُستقيمًا، وقد سبق.  
﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

= ابن حبان في «صحيحه» (٤٦٤٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، والبيهقي في «شعب  
الإيمان» (٥ / ٢٥)، وليس فيه آية الأنعام.

(١) في (و): «نخاف». الشعب: الطريق في الجبل والشَّعب: الصَّدع، والسياق يحتمل هذين المعنيين،  
لكن الأول أولى. انظر: «القاموس» (مادة: ش ع ب).

(٢) في (ن): «وقيل نصبها».

(٣) «كلها»: ليست في (ن).

(١٦٢) - ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .  
 ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ يُرِيدُ: ذَاتَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ .  
 ﴿وَنُسُكِي﴾: عِبَادَتِي، وَقِيلَ: دِينِي، وَقِيلَ: قُرْبَانِي .  
 ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾: حَيَاتِي وَمَوْتِي لِلَّهِ، وَهُوَ مُدَبِّرِي فِي الْحَالَتَيْنِ .  
 وَقِيلَ: عَمَلِي فِي حَيَاتِي وَمَا أَوْصِي بِهِ بَعْدَ مَمَاتِي .  
 ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مَالِكِهِمْ .

\*\*\*

(١٦٣) - ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ .  
 ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾: فِي الْعَالَمِينَ . وَقِيلَ: لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمَذْكُورِ أَوَّلٌ .  
 ﴿وَبِذَلِكَ﴾؛ أَي: بِذَلِكَ الْقَوْلِ ﴿أُمِرْتُ﴾ وَقِيلَ: بِالْإِخْلَاصِ .  
 ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ مِنْ أُمَّتِي . وَقِيلَ: أَوَّلُ مَنْ اسْتَحَقَّ هَذَا الْاسْمَ .

\*\*\*

(١٦٤) - ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ آبَنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزْرُ  
 وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ .  
 ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ آبَنِي رَبًّا﴾: أَطْلُبُ رَبًّا ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا تَصِحُّ  
 الرُّبُوبِيَّةُ لِمَرْبُوبِهِ .

وهذا استفهامٌ بمعنى التوبيخ، وجوابٌ لمن دَعَوَهُ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ<sup>(١)</sup> .  
 ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزْرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ هذا كقولهِ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ  
 وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] .

(١) فِي (ن): «الْأَصْنَامُ» .

ويحتمل أن التقدير: ولا تكسب كل نفس إلا لها وعليها<sup>(١)</sup>.  
 وقوله: ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَرْزُ وَرَزَّ أُخْرَى﴾ جوابٌ للوليد بن المغيرة حين قال: ولنحمل  
 خطاياكم<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾؛ أي: في القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾: يبين  
 الرشد من الغي عياناً.

\*\*\*

(١٦٥) - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ  
 لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَانِكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.  
 ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضِ﴾؛ أي: سَكَنَ الأرضِ بدلَ الجنِّ.  
 وقيل: خلأف الأرضِ أمةً محمدٍ عليه السلامُ.  
 وقيل: يخلفُ بعضكم بعضاً، ويخلفُ أهلُ<sup>(٣)</sup> كلِّ عصرٍ مَنْ كان قبله.  
 ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ في النسبِ والحسبِ، والفقيرِ والغني، والذُّلِّ  
 والعِزِّ، وغير ذلك.

﴿لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَانِكُمْ﴾: ليختبركم ويختبر شكركم وصبركم، والله عالمٌ بما  
 يكون منكم، والمعنى: يُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةَ الْمُبْتَلَى.  
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ، ومثله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا  
 كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

(١) في (و): «إلا عليها».

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦ / ٤١٦٢)، والواحدي في «البيضا» (٨ / ٥٦٤)، وابن  
 الجوزي في «زاد المسير» (٣ / ١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ن): «في أهل».

ابنُ بحرٍ: معناه إذا شاء عاقَبَ<sup>(١)</sup>.

وقيل: معناه: يُسرِّعُ عقابَ مَنْ استحقَّه.

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لَمَنْ استغفَرَ وتاب.

وقيل: سريعُ العقابِ لأعدائِهِ، غفورٌ رحيمٌ لأوليائِهِ.

تمَّ الربعُ الأوَّلُ من هذا التفسيرِ المُباركِ

والحمدُ لله على نِعَمِهِ، والصَّلَاةُ على نبيِّ الرَّحمةِ سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ

وصحبه. ربِّ اختمْ بالخيرِ برحمتِكَ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ١٩٧).

(٢) من قوله: «تم الربع الأول» إلى قوله: «رب اختم بالخير برحمتك»: ليست في (ن).



# سُورَةُ الْأَعْرَافِ





قال محمودُ بنُ نصرٍ رحمه الله<sup>(١)</sup>: قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هي مكيَّةٌ  
إِلَّا خمسَ آياتٍ، من قوله: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾  
[الأعراف: ١٦٣]<sup>(٢)</sup>.

وقيل: كلُّها مكيَّةٌ.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿الْمَصَّ﴾.

﴿الْمَصَّ﴾ سبقَ الكلامُ في الحروفِ الواقعةِ أوائلَ السُّورِ على العمومِ.

(١) من قوله: «مِثْنَانٍ» إلى هنا: ليست في (و).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٢٠٠).

قال ابن الجوزي: وروى العوفي وابن أبي طلحة وأبو صالح عن ابن عباس أن سورة الأعراف من المكيَّة، وهذا قول الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة.

قلت: رواه عن ابن عباس ابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص: ٢٣)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٤٥). وروي أيضاً عن عبد الله بن الزبير رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤١٢).

وفي «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٥٥): عن قتادة: مكية إلا قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ الآية فإنها نزلت بالمدينة.

وفي «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٧ - ٢٨): مكيَّةٌ غيرَ ثمانِ آياتٍ: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ إلى: ﴿وَإِذْ نَنقَضْنَا﴾ [الآية: ١٧١].

وقيل في هذه السورة على الخصوص: إنَّ معناه: المصوِّرُ.

وقيل: أنا الله أعلم وأفضلُ.

وقيل: معناه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] (١).

\*\*\*

(٢) - ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾؛ أي: هذا كتابٌ، وقيل: القرآن كتابٌ.

﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ﴾ الفاء لعطفِ جملةٍ على جملةٍ.

وقيل: فيه معنى الشَّرْطِ، وتقديره: إذا كان أنزل إليك لتُنذِرَ به فلا يَكُنْ في

صدرِكَ.

﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: شَكٌّ (٢).

الحسن: ضيقٌ (٣)، خوفاً أن لا تقوم بحقّه.

وقيل: ضيقٌ بأن يُكذَّبوك؛ فإنَّ أبا هريرة رضي الله عنه روى أن (٤) النبي عليه

السَّلَام قال: «أخاف أن يتلغوا رأسي فيجعلوه كالخُبْزَةِ» (٥).

والهَاءُ فِي ﴿مِّنْهُ﴾ تَعَوُّدٌ إِلَى الْكِتَابِ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٩٥)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٤٣٨).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ١٩٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢ / ١٠١).

(٤) في (ن): «عن».

(٥) رواه مسلم (٤ / ٢١٩٧) ضمن حديث عن عياض بن حمار رضي الله عنه بلفظ: «رَبِّ إِذَا يَتَلْغَوْا

رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْزَةً».

وقيل: إلى تكذيبِ المُشركين<sup>(١)</sup>.

وقيل: إلى الإنذار؛ لأنه في تقديرِ التَّقديمِ<sup>(٢)</sup>.

﴿لِنُنذِرَ بِهِ﴾؛ أي: أنزلَ لتُنذِرَ به، وقوله: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ اعتراضٌ.

وقيل: ﴿لِنُنذِرَ بِهِ﴾<sup>(٣)</sup> على انشراحِ صدرٍ بالإنذارِ.

﴿وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ولتُدكِّرَ المؤمنين، وخصَّهم بالإنذارِ<sup>(٤)</sup> لانْتفاعِهم بها.

ومحلُّها نصبٌ بالمصدرِ، ويجوزُ الرِّفْعُ بالعطفِ على ﴿كِتَابٌ﴾، ويجوزُ الجرُّ؛

أي: للإنذارِ والذِّكْرِ.

\*\*\*

(٣) - ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ﴾.

﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ يعني: القرآن؛ أي: قل: اتَّبِعُوا.

وقيل: خطابٌ له وللمؤمنين.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ﴾؛ أي: تذكرونَ

قليلاً، و(ما): صلةٌ. وقيل: معناه: قليلاً تذكركم<sup>(٥)</sup>. وقيل: قليلاً من يتذكركم منكم<sup>(٦)</sup>.

وقيل: (ما): نفيٌّ، وفيه بُعدٌ<sup>(٧)</sup>.

\*\*\*

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٥)، وعده من المعجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٥)، واستغربه.

(٣) «به»: ليست في (ن).

(٤) كذا في النسخ الخطية، والظاهر أن كلمة (الإنذار) هنا جاءت موضع (الذكرى) والله أعلم.

(٥) و(ما) مصدرية على هذا القول.

(٦) و(ما) موصولية على هذا القول.

(٧) لأن (ما) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها عند البصريين. انظر: «الدر المصون» (٥/ ٢٤٦).

(٤) - ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾: (كم) تُستعمل للكثرة والاستفهام<sup>(١)</sup>، والمراد به هاهنا: الكثرة. ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾؛ أي: أهلها، والمراد: أَرَدْنَا إِهْلَاكَهَا. وقيل: أهلكتناها<sup>(٢)</sup> بالخذلان، وقيل: الإهلاك ومجيء البأس معاً كما تقول: أعطيتك وأحسنْتُ إليك. وقيل: أهلكتناها ﴿فَجَاءَهَا﴾؛ أي: فصَحَّ أَنَّهُ جَاءَهَا ﴿بَأْسًا﴾: عذابنا. وقيل: أهلكتناهم بإرسال الملائكة للعذاب. ﴿بَيِّنًا﴾: لِيَلَّا ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾: نائمون وقت الظهيرة، والمعنى: أخذناهم بغتة في حال سكونٍ وراحة، وحُذِفَ وأُو الحَالِ لِأَنَّ العَائِدَ يَنُوبُ عَنْهُ. الفراء: الواو مُضْمَرٌ، وتقديره: أو وهم<sup>(٣)</sup>. وفيه بُعد<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ٥٥ - ٦٧).

(٢) «وقيل: أهلكتناها»: ليست في (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٢).

(٤) كذا استبعده الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣١٧)، وذكر المصنف قول الفراء في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٦)، وقال: «وأنكره الزجاج، قال: العائد من الجملة قام مقام الواو فلم يحتج إليه».

قال: «وأنا أذكر فضلاً يكون حكماً بين الشيخين: اعلم أن الحال إذا كانت جملة من مبتدأ وخبر، فالغالب عليها الواو، فإن كان في الجملة عائد يعود إلى ذي الحال حسن الحذف وحسن الإثبات، فإن كان مبتدأ الجملة ضمير ذي الحال لم يكن بد من الواو، نحو: جاءني زيد وهو ضاحك، وضربت عمراً وهو قائم، لو قلت: (جاءني زيد هو ضاحك) و(ضربت عمراً هو قائم) لم يصح، ثم نرجع إلى الآية فننظر أن العائد من قوله سبحانه ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ كيف هو، فنظرنا والعائد إلى ذي الحال هو مبتدأ الجملة التي وقعت حالاً؛ لأن تقدير الآية: وكَم من أهل قرية أهلكتناهم فجاءهم بأسنا بيئاتاً أو هم قائلون، فصَحَّ أن الفراء أصاب، وعُدُّرُهُ من حذف الواو الاستتقال من الجمع بين (أو) و(الواو)».

والمعنى: بعضهم بيئاتاً وبعضهم قائلين<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٥) - ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾؛ أي: دُعاؤهم وقولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ اعترفوا بأنهم كانوا ظالمين.

وقيل: ظنوا أن الإقرار ينفعهم، فلم يُقبل منهم.

\*\*\*

(٦) - ﴿فَلَنَسْتَأَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَأَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَلَنَسْتَأَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ عن إجابتهم الرُّسلَ وقبولِ الرِّسالةِ والحرمةِ لهم. ﴿وَلَنَسْتَأَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن أداءِ الرِّسالةِ والشَّفقةِ على الأمم؛ لُنَجَازِي كَلًّا على فعله. وقيل: هذا سؤالٌ مُحاسِبِيَّةٌ ومُطالبِيَّةٌ، واستشهادُ الرُّسلِ كاستِنطاقِ الجوارحِ.

\*\*\*

(٧) - ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعَاظِهِمْ وَمَا كُنَّا عَائِدِينَ﴾.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعَاظِهِمْ﴾ رُوِيَ عن النَّبِيِّ عليه السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَسْأَلُ كُلَّ وَاحِدٍ<sup>(٢)</sup> بِكَلَامِهِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ»<sup>(٣)</sup>.

(١) في (ن): «قائلون».

(٢) في (ن): «أحد».

(٣) رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦)، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، بلفظ: «ما منكم من

أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان» الحديث.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يُقرأ على العبد ما هو مكتوبٌ في كتابِ عمله<sup>(١)</sup>.

وفي قوله: ﴿بِعَلْمِهِ﴾ قولان:

أحدهما: بآنا عالمون.

والثاني: بمعلومنا، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن الأمم والرسل.

\*\*\*

(٨ - ٩) - ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَن

خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَن خَفَّتْ

مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ والوزنُ بمعنى: وزن

الأعمال، وهو مُقابلةُ شيءٍ بشيءٍ ليظهر مقدارُه منه.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يومَ إذ سألنا وقصصنا؛ يعني: يومَ القيامة، فحذفت

الجملةُ وُعوضَ عنها التَّوْنِينُ، فصار للتَّعْرِيفِ.

﴿الْحَقُّ﴾؛ أي: لا نُقصانَ ولا رُجحانَ.

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٦٧)، وفيه: «وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقول في معنى

قوله: ﴿فَلَنُقَصِّنَّ عَلَيْهِمْ بِعَلْمِهِ﴾ أنه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم بأعمالهم». قال: «هذا قول غير بعيد

من الحق، غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه

يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان».

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٤٤٠) بلفظ: «يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا

يعملون».

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: جمع: ميزانٍ، والجمهورُ على أنه ميزانٌ له لسانٌ  
وَكِفَّتَانِ، والوازنُ جبريلٌ عليه السَّلَامُ.

وذهب بعضهم إلى أن الميزانَ عبارةٌ عن العدل<sup>(١)</sup>.

وقيل: الميزانُ: كتابُ أعمالِ الخلقِ.

وذهب بعضهم إلى أنه عبارةٌ عن رفعِ المنزلةِ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/٦٨ و٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/٤٤٠)، عن مجاهد: أن الوزنَ هو القضاء والحقُّ هو العدل. وذكره الرازي عن بعض السلف وعن كثير من المتأخرين، فقال: وهو قولُ مجاهدٍ والضَّحَّاكِ والأعمش، وكثيرٌ من المتأخِّرين ذهبوا إلى هذا القول، وقالوا: حملُ لفظِ الوزنِ على هذا المعنى سائغٌ في اللُّغة، والدَّلِيلُ عليه، فوجبَ المصيرُ إليه. انظر: «تفسير الرازي» (١٤/٢٠٢).

وقد ذهب إلى هذا القول المعتزلة، أما الأول فهو قول جمهور الأمة كما قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/١٤)، وهو قول عامة المفسرين كما قال الرازي، وهو الذي صوبه الطبري في «تفسيره» (١٠/٧)، وعدّه الزجاجي في «معاني القرآن» (٢/٣١٩) أولى أن يُتبع، وهو الأرجح؛ لحديث البطاقة المعروف - رواه الترمذي (٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في «المستدرک» (٩) و(١٩٣٧) وصحَّحَه، من حديثِ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - ولعدم الضرورة التي تدعو إلى صرف الكلام عن ظاهره، ولأن هذا لو جاز لفتح باباً للتأويل لا ينتهي كما أشار القشيري فيما نقله عنه القرطبي، حيث قال: إذ لو حُمِلَ الميزانُ على هذا فليحمل الصراط على الدِّينِ الحقِّ، والجنةُ والنارُ على ما يَرِدُ على الأرواحِ دونَ الأجسادِ، والشَّيَاطِينُ والجنُّ على الأخلاقِ المذمومةِ، والملائكةُ على القُوَى المحمودة. وقد أجمعت الأمة في الصدرِ الأوَّلِ على الأخذِ بهذه الظواهر من غيرِ تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وَجَبَ الأخذُ بالظَّاهر، وصارت هذه الظواهرُ نصوصاً. انظر: «تفسير القرطبي» (٩/١٥٦).

وَجُمِعَ الْمِيزَانُ لِتَعَدُّدِ مَنْ يُوزَنُ لَهُمْ، وَقِيلَ: لِاخْتِلَافِ الْمَوْزُونَاتِ، كَقَوْلِهِ:  
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقيل: هي جمعُ (موزونٍ)، لا جمعُ (ميزانٍ).

وفيما يُوَضَعُ فِي الْمِيزَانِ - وَالْأَعْمَالُ أَعْرَاضٌ - أَقْوَالٌ:

أحدها: أَنَّ الَّذِي يُوزَنُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ.

وقيل: وَزَنُ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ بِأَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِي مَوْضِعِ الْحَسَنَاتِ ثِقَلًا وَفِي  
مَوْضِعِ السَّيِّئَاتِ خِفَّةً.

وقيل: يُوزَنُ الْإِنْسَانُ.

\*\*\*

(١٠) - ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: مَكَّنَّاكُمْ مِنْ سُكْنَاهَا وَزَرَاعَتِهَا.

وقيل: مَلَكْنَاكُمْ وَهِيَ، وَالتَّمْكِينُ: التَّمْلِكُ.

ابن عيسى: هُوَ إِعْطَاءٌ مَا يَصِحُّ بِهِ الْفِعْلُ مَعَ دَفْعِ الْمَنْعِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا﴾: جَمْعُ مَعْيِشَةٍ، وَهِيَ مَا يَتَعَيَّشُونَ بِهِ. وَقِيلَ: مَا يَتَوَسَّلُونَ

بِهِ إِلَيْهَا. وَقِيلَ: الْمَعْيِشَةُ مَا مِنْهُ الْعَيْشُ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ<sup>(٢)</sup>، وَزَنْهَا: مَفْعَلَةٌ وَمَفْعَلَةٌ.

(١) قال العسكري في «معجم الفروق اللغوية» (ص: ١٤٢): «الفرق بين التمكين والإقذار: أن التمكين

إعطاء ما يصح به الفعل كائناً ما كان من الآلات والعدد والقوى، والإقذار إعطاء القدرة، وذلك أن

الذي له قدرة على الكتابة تتعذر عليه إذا لم يكن له آلة للكتابة، ويتمكن منها إذا حضرت الآلة،

والقدرة ضد العجز، والتمكن ضد التعذر».

(٢) في (ن): «أو مشرب».

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: ما أقلُّ شُكْرِكُمْ، وقد فعلتُ بكم هذه كلها. وقيل: قلَّ مَنْ يشكُرُ منكم.

\*\*\*

(١١) - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: خلقنا أبائكم آدم<sup>(١)</sup>. فحذف المضاف، أو نُزِّلَ خلقه منزلة خلق الكلِّ لما كان الخلق كلُّهم من أجزاء انفصلت عنه.

﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾؛ أي: في أرحامِ الأمهات، وتصويرُ الشيء: إعطاؤه صورته.

وقيل: خلقنا أبائكم<sup>(٢)</sup>، ثمَّ صوَّرناكم في ظهره.

وقيل: خلقناكم في أصلابِ الآباء، ثمَّ صوَّرناكم في بطونِ الأمهات.

وقيل: خلقنا أبائكم، وصوَّرنا أبائكم.

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: (ثم) موضوعةٌ للتراخي، وذهب الأخصُّ إلى أنَّه هاهنا بمعنى: الواو<sup>(٣)</sup>. وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ.

وقيل: (ثم) لترتيب الخبر؛ أي: ثمَّ أُخْبِرُكُمْ أَنَّا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٤٤٢).

(٢) في (و): «وقيل خلقناكم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخص (١ / ٣٢١).

(٤) انظر: «الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢ / ٦١٤).

وَمَنْ جَعَلَ الْخَلْقَ وَالتَّصْوِيرَ وَالْخَطَابَ كُلَّهَا لَادَمَ فـ(ثُمَّ) وَقَعَ مَوْقَعَهُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ  
فُعِلَتْ لَادَمَ<sup>(١)</sup> فِي أَوْقَاتٍ مُتْبَايِنَةٍ.

وَأَمَّا ذِكْرُ التَّصْوِيرِ بَعْدَ الْخَلْقِ فَلَيْسَ بِمُشْكِلٍ؛ لِأَنَّ التَّصْوِيرَ وَقَعَ بَعْدَ خَلْقِ شَيْءٍ  
لَا مَحَالَةَ.

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ سَبَقَ فِي سُورَةِ (البقرة).

وَرَوَى النِّقَاشُ أَنَّ بَعْضَ الْمُفَسِّرِينَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى أَسَجَدَ الْمَلَائِكَةَ لَادَمَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّتَيْنِ؛ مَرَّةً عِنْدَ تَمَامِ خَلْقِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ ﴿الْحَجَر: ٢٩﴾،  
وَمَرَّةً عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿البقرة: ٣١﴾. وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ  
مُخَالَفَةٌ لِإِجْمَاعِ الْمُفَسِّرِينَ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١٢) - ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾: أَيُّ شَيْءٍ حَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ السُّجُودِ لَادَمَ؟ وَ(لَا)  
صِلَةٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَيْتَ لَا يَعْلَمُ﴾ ﴿الْحَدِيد: ٢٩﴾.

وَقِيلَ: الْمَنْعُ بِمَعْنَى الْقَوْلِ؛ أَي: مَنْ قَالَ لَكَ: لَا تَسْجُدْ. وَهَذَا مُزَيَّفٌ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ  
مَجْرُومٌ<sup>(٣)</sup>.

وَقِيلَ: الْمَمْنُوعُ مِنَ الشَّيْءِ مُضْطَرٌّ إِلَى خِلَافِ مَا مُنِعَ مِنْهُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: أَيُّ شَيْءٍ  
اضْطَرَّكَ إِلَى أَنْ لَا تَسْجُدَ؟

(١) فِي (ن): «بَادَمَ».

(٢) ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٣٩٧/١)، وَاسْتَعْرَبَهُ.

(٣) فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٣٩٨/١): «الْغَرِيبُ: الْمَنْعُ بِمَعْنَى الْقَوْلِ؛ أَي: مَنْ قَالَ لَكَ: لَا تَسْجُدْ. وَهَذَا  
ضَعِيفٌ، لِأَنَّهُ يَقْتَضِي الْخَيْرَ».

وقيل: ما الذي جعلك في مَنَعَةٍ عن عذابي<sup>(١)</sup>؟

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ ذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا ليس بجوابٍ للأوَّلِ.

وذهب بعضهم إلى أنَّه جوابٌ من حيثُ المعنى؛ أي: المانعُ هو أَنِّي خيرٌ منه، وذكر العلةُ فقال: ﴿خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ﴾ وهي نُورَانِيَّةٌ ﴿وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ وهو ظُلْمَانِيٌّ.

وقيل: أخطأ إبليس؛ فإنَّ الجواهرَ كلَّها من حيثُ كونها جوهرًا سواءً، وإنَّما اختلافُها بالأعراض والأوصاف.

وذهب بعضهم إلى أنَّ الطَّيْنَ أفضلُ مِنَ النَّارِ<sup>(٢)</sup>.

وقولُ مَنْ قال: إنَّ إبليسَ قاسَ<sup>(٣)</sup> = قولُ ركيكٍ؛ لأنَّه ليس في الآيةِ قياسٌ ولا احتجاجٌ.

\*\*\*

(١٣) - ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ قيل: مِنَ السَّمَاءِ. وقيل: مِنَ الْجَنَّةِ. وقيل: مِنَ الْأَرْضِ؛ فَإِنَّهُ أُخْرِجَ إِلَى الْبَحْرِ. وقيل: مِنَ الْمَرْتَبَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٣٩٨)، واستغربه.

(٢) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٣٠٩) خمسة وجوه لتفضيل الطين على النار، وأفاض ابن القيم في تفضيل الطين على النار فذكر خمسة عشر وجهًا لذلك. انظر: «بدائع الفوائد» (٤ / ١٣٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٨٦) عن الحسن وابن سيرين قالا: «أول مَنْ قاس إبليس».

قال الطبري: «يعنيان بذلك: القياس الخطأ». قال ابن عطية في «تفسيره» (٢ / ٣٧٩): «ولا يتأول عليهما إنكار القياس، وإنما خرج كلامهما نهياً عما كان في زمنهما من مقاييس الخوارج وغيرهم، فأرادا حمل الناس على الجادة».

قلت: والمراد أنهما لم يقصدا إنكار القياس الذي هو حجة في الأحكام الشرعية.

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: أن تترفع وتمتنع عما أمرت به، ﴿فَأَخْرَجَ إِيَّاكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾: الأذلاء، جمع: صاغِرٍ، وقيل: من المُعَدِّينَ.

\*\*\*

(١٤) - ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ سأل من الله أن يُبقِيه إلى يوم القيامة.

\*\*\*

(١٥) - ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ الجمهورُ على أنه مُنظَرٌ إلى وقتٍ غيرِ معلومٍ.

وقيل: مُنظَرٌ إلى النَّفْخَةِ الْأُولَى.

وقيل: مُنظَرٌ إلى يومِ القيامةِ.

\*\*\*

(١٦) - ﴿قَالَ فِيمَا آغَايَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

﴿قَالَ فِيمَا آغَايَيْتَنِي﴾ قيل: الباءُ بمعنى (مع)، وقيل: بَاءُ الْبَدَلِ<sup>(١)</sup>.

قال الشَّيْخُ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>: وَيَحْتَمِلُ السَّبَبَ.

وقيل: بمعنى اللَّامِ، وقيل: لِلْقَسَمِ.

وذكر الثَّعْلَبِيُّ أَنَّ (ما) لِلْجَزَاءِ<sup>(٣)</sup>، وهو سهوٌ؛ إذ لا جزاءَ بعده، ولأنَّ ما لِلشَّرْطِ

(١) ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٩)، واستغريهما، وباء البدل هي التي تدخل في

مثل قولك: هذا بذاك؛ أي: عوض منه. انظر: «فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٢٤٣).

(٢) قال الشيخ الإمام رحمه الله من (ن).

(٣) ذكر الثعالبي في «تفسيره» (١٢/ ٣١٠) كوجه من وجوه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير»

(١/ ٣٩٩)، وعدّه من العجائب.

لا يدخل عليه الباء من فعلٍ يقع قبله، لا يجوز: مررتُ بمن تمرز، ولكن تقول: بمن تمرز أمرز به<sup>(١)</sup>.

وقيل: للاستفهام، وهو ضعيف؛ لأنَّ الألفَ تُحذفُ منه في الاستفهام<sup>(٢)</sup> إلا في ضرورة الشعر.

وقيل: للمصدر، وهو الصواب؛ أي: يا غوائك إياي.

ومعنى ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: أضللتني. وقيل: أهلكتني. وقيل: خيبتني. وقيل: ألفتني غاويًا. وقيل: سميتني غاويًا. وقيل: جعلتني في الغي، وهو العذاب من قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]؛ أي: عذابًا.

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ أي: أترصد لهم فأصددهم عن سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم. وقيل: طريق الجنة. وقيل: طريق مكة.

وتقديره: على صراطك، وفي صراطك، فحذف الجار قياسًا على المبهم من ظرف المكان.

\*\*\*

(١٧) - ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ

شَكْرِيكَ﴾.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أكثر المفسرون في هذه الآية، ومحصول كلامهم: أنه يتصرف بهم في الإضلال من جميع الجهات.

(١) من قوله: «إذ لا جزاء» إلى قوله: «بمن تمرز أمرز به»: ليست في (ن).

(٢) أي: تحذف الألف من (ما) الاستفهامية مع الجار. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣٩٩) وعده من

وقال في الأوليين (من) لابتداء الغاية، وفي الأخيرين (عن)؛ لأن (عن) يدلُّ على الانحراف.

ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: من قِبَلِ الآخرة، ﴿وَمَنْ خَلْفَهُمْ﴾: من قِبَلِ الدُّنيا، ﴿وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ﴾: من قِبَلِ حَسَنَاتِهِمْ، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: من قِبَلِ الباطلِ<sup>(١)</sup>.  
وعنه أيضًا: ولم يُقَلْ: من فوقهم؛ لأنَّ رحمةَ الله تنزَّلُ عليهم من فوقهم، ولم يُقَلْ: من تحتهم؛ لأنَّ الإتيانَ منه توحُّشٌ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾: مُوحِّدين مُطيعين.

الحسن: لَمَّا أُغْوِيَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمَ أَنَّ ذَرِيَّتَهُ أضعفُ منه، فقالَ اللهُ سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠]<sup>(٣)</sup>.  
وقيل: إنَّما علمَ من جهةِ الملائكةِ.

\*\*\*

(١٨) - ﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَا مَذْهُورًا لَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَا﴾: معيياً، والذَّامُ<sup>(٤)</sup> والذَّامُ<sup>(٥)</sup> والذَّمُّ: العيبُ، والمهموزُ أشدها<sup>(٦)</sup>.

﴿مَذْهُورًا﴾: مطرودًا مُبعَدًا من رحمةِ الله، وقيل: مطرودًا من السَّماءِ.

﴿لَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: هو إبليسُ وذُرِّيَّتُهُ وَمَنْ تبعه من ذُرِّيَّةِ

آدَمَ، وغلبَ الخطابُ على الغيبةِ، وكرَّرَ الخروجَ ثلاثَ مرَّاتٍ؛ لأنَّ الأوَّلَ خروجُ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٩٧).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (١٠ / ١٠١) القسم الأول منه، وذكره بتمامه أبو حيان في «البحر» (٥ / ٢٢).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ٢٠٧).

(٤) يقال: الذَّامُ بتخفيف الميم، والذَّامُ بتشديدها. انظر: «تهذيب اللغة» مادة (ذ م م) (١٤ / ٢٩٩).

(٥) في (ف): «الذَّيْمُ»، وهي لغة في (الذَّامُ) أيضًا. انظر: «الصحاح» مادة (ذ م م) (٥ / ١٩٢٥)، وبدل في

«المحكم» مادة (ز ي م) (١٠ / ١١٠).

(٦) ذكر ذلك المصنف في «البرهان» (ص: ١١٩).

مُطْلَقٌ<sup>(١)</sup>، والثاني خروجٌ بصفةٍ صغارٍ وذُلٍّ، والثالثٌ بصفةٍ طردٍ وذمٍّ شديدٍ.

\*\*\*

(١٩) - ﴿وَيَكَادُمْ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَيَكَادُمْ اسْكُنْ أَنْتَ﴾؛ أي: وقلنا بعد إخراج إبليس من الجنة: يا آدم اسكن ﴿أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾؛ أي: اتَّخِذْهَا مَسْكِنًا.

﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ سبق تفسيرها في (البقرة).

وعن أهل الكتابين: أنها شجرةُ الحنظل؛ أي: استدلالاً على مرارة أحوال الدنيا. حكاها الماوردي<sup>(٢)</sup>.

﴿فَتَكُونَا﴾؛ أي: فتصيرا ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يجوزُ أن يكونَ نصبًا، وأن يكونَ جزمًا<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(٢٠) - ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا

رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾.

﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا﴾؛ أي: إليهما ﴿الشَّيْطَانُ﴾ قيل: كان وسواسًا وإلهامًا، وقيل: كان

كلامًا؛ لقوله عقيبه: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا﴾ الآية.

ابنُ بحرٍ: أصلُ الوسواسِ: الإكثارُ من الكلامِ على غيرِ نظامٍ.

غيرُه: الوسوسةُ حديثُ النَّفْسِ.

(١) وقد جاء بلفظ ﴿فاهبط﴾، وإذا أمره بالهبوط إلى الأرض فقد أمره بالخروج من الجنة. انظر: «درة

التنزيل» للخطيب الإسكافي (٢/ ٥٧٤).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٩)، وفيه: «وحكى محمد بن إسحاق عن أهل الكتابين أنها شجرة

الحنظل، ولا أعرف لهذا وجهًا».

(٣) النصب بأن مضمرة بعد الفاء على اعتبارها سببية، والجزم بالعطف على ﴿تقربا﴾ على اعتبار الفاء عاطفة.

﴿لِبَدَىٰ لُهُمَا﴾: لِيُظَهِّرَ، وَاللَّامُ لَامُ الْعَاقِبَةِ.

﴿مَا وَرَىٰ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ بَيْنَهُمَا﴾ من جملة بدنيهما<sup>(١)</sup>.

قتادة: كانا لا يريانِ سواتهما قبل المعصية<sup>(٢)</sup>.

وقيل: لم يكن يرى كل واحدٍ منهما عورة صاحبه قبل المعصية، فلما عصيا بدت عوراتهما.

﴿وَقَالَ مَا نَهَنَّا كَارِئِكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا﴾: إِلا كراهة أن تكونا<sup>(٣)</sup>.

الكوفيون: إِلَّا أَنْ لَا تَكُونَا<sup>(٤)</sup>.

﴿مَلَكَيْنِ﴾ تَعْلَمَانِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَقِيلَ: ﴿مَلَكَيْنِ﴾ تَسْتَغْنِيَانِ عَنِ الْغِذَاءِ.

﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾: مِنَ الَّذِينَ لَا يَمُوتُونَ.

\*\*\*

(٢١) - ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ﴾.

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ﴾: (قَاسَمَ) مِنْ بَابِ طَارَقْتُ وَعَافَاهُ اللَّهُ<sup>(٥)</sup>، وَالْمَعْنَى: أَقْسَمَ لَهُمَا يَمِينًا فَاجِرَةً، وَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا لَا يَحْلِفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا، وَإِبْلِيسُ أَوَّلُ مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا<sup>(٦)</sup>.

وقيل: ﴿قَاسَمَهُمَا﴾: قَالَ لَهُمَا: إِنَّ كَانَ مَا قُلْتُهُ خَيْرًا فَهُوَ لَكُمْ دُونِي، وَإِنْ

(١) في (ن): «حلة بدنهما». والمثبت من (و)، وهو الموافق لما ذكره أبو حيان في «البحر» (٢٥ / ٥)

عن قتادة قال: «كفى بسوءاتهما عن جميع بدنهما، وذكر السوأة لأنها أقبح ما يظهر من بني آدم».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٥ / ٢)، والطبري في «تفسيره» (١٠ / ١١٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٣٢٢ / ١)، و«تفسير الطبري» (١٠ / ١٠٧).

(٤) انظر: «البيسط» للواحدى (٦٣ / ٩)،

(٥) أي: ليس من باب المفاعلة والمشاركة، بل من باب: فاعل بمعنى فَعَل، وقد تقدم الكلام عليه.

(٦) ذكر ذلك مقاتل في «تفسيره» (٣٢ / ٢).

كان شرًّا فهو عليّ دونكما، ومَنْ فَعَلَ ذلك معكما فهو من النَّاصِحِينَ لكما، فكانت هذه مُقاسمةً. حكاها الماوردي<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٢٢) - ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَافٍ مُؤْمِنٌ﴾.

﴿فَدَلَّهُمَا﴾؛ أي: دلّاهما في المعصية، والتدلية والإدلاء: إنزال من الأعلى<sup>(٢)</sup> إلى أسفل، كقوله<sup>(٣)</sup>: ﴿فَأَدَلِّيْ دَلْوَهُ﴾ [يوسف: ١٩].

ابن عيسى: حطّهما إلى المعصية<sup>(٤)</sup>.

الثعلبي: دلّهما، فقلّب اللام الأخير ياء<sup>(٥)</sup>.

الواحدى: جرّأهما على المعصية<sup>(٦)</sup>. ولا أدري من أين أخذ<sup>(٧)</sup>.

﴿بِغُرُورٍ﴾: هو إظهار النصح مع إبطان الشرّ.

(١) أي: هذا القول والذي قبله. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢١٠). وفي (ن): «حكاها الماوردي»

فيكون المراد القول الأخير.

(٢) في (ن): «الإنزال من أعلى».

(٣) في (ن): «لقوله».

(٤) قال ابن عيسى في «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ٩١): «وقال تعالى: ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ وحقيقته:

صيرهما إلى الخطيئة بغرور، والاستعارة أبلغ، لإخراجه إلى ما يحس من التدلي من علو إلى سفلى».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٢٢) من جملة أقوال ساقها.

(٦) انظر: «البسيط» للواحدى (٩/ ٦٧).

(٧) لعله أخذها من الأزهرى في «تهذيب اللغة» (١٢٢/ ١٤) مادة (دل ل)، فقد قال: «وفيه قول ثالث: ﴿فَدَلَّهُمَا

بِغُرُورٍ﴾؛ أي: جرّأهما إبليس على أكل الشجرة بغرره والأصل فيه: دلّهما. والبال والدالة الجرأة»، وبهذا تعلم

أن قول الواحدى مرده إلى قول الثعلبي، والله أعلم.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لهُمَا سَوْءُهُمَا﴾: فروجهما، وسُمِّيَ الفرجُ سِوَاءً؛ لأنه يسوءُ صاحبه ظهوره.

ابن عباس رضي الله عنهما: كانت كِسوتُهُمَا مِنَ النُّورِ<sup>(١)</sup>.  
قتادة: كان لباسُ آدمَ وحواءَ في الجنةِ ظُفْرًا كَلَّهُ<sup>(٢)</sup>.  
وقيل: كان حُلَّةً.

﴿وَطَفِقَا﴾: داما ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ يجعلانِ ورقةً على ورقةٍ ليسترا فروجهما،  
والخَصْفُ: ترقيعُ النَّعْلِ، فصارتِ الأوراقُ كهَيْئَةِ الثَّوْبِ.  
﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾؛ أي: من ورقِ شجرِ الجنةِ، وهو ورقُ التَّيْنِ. وقيل: ورقُ الموزِ.  
﴿وَنَادَيْهُمَا رَيْبَهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾؛ أي: عن أكلِهَا ﴿وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ  
لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوةِ.

\*\*\*

(٢٣) - ﴿فَالَارْبَيْنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَعْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿فَالَارْبَيْنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾: أسأنا إليها بالمعصية ﴿وَإِن لَّمْ تَعْفِرْ لَنَا﴾: تستر عيوبنا  
﴿وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: من الهالكين.

\*\*\*

(٢٤) - ﴿قَالَ أَهَيْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿قَالَ أَهَيْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ سبق في  
(البقرة) تفسيرُ أكثرِ هذه الآياتِ.

\*\*\*

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ١٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٤٥٩) عن وهب بن منبه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ١١٣).

(٢٥) - ﴿ قَالَ فِيهَا مَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ .

﴿ قَالَ فِيهَا ﴾: في الأرضِ ﴿ مَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ للشَّوَابِ والعقَابِ، فهبط آدمُ بأرضِ الهندِ، وحواءُ بجُدَّةَ، والحيَّةُ بأصفهانَ، وإبليسُ بالأبلة<sup>(١)</sup>، وقيل: بالمداثنِ.

\*\*\*

(٢٦) - ﴿ يَبْنَیْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَأْسَا يُوزَى سَوْءَ تِكْمٍ وَرِدِشًا وَلِيَأْسَ الْقَمَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ

ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ .

﴿ يَبْنَیْءَ آدَمَ ﴾ خطابٌ للحاضرين ولمن يأتي بعدهم.

﴿ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَأْسَا ﴾؛ أي: خلقنا، ودُكِرَ بلفظِ الإنزالِ لعلو الشَّانِ، ومثله:

﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ﴾ [الزمر: ٦].

وقيل: أنزل الماءَ، وهو السَّبَبُ لكلِّ ملبوسٍ من قطنٍ وكتَّانٍ وصوفٍ وإبريسمٍ.

وقيل: أنزل أصلَ كلِّ شيءٍ من السَّمَاءِ عند إهباطِ آدمَ عليه السَّلَامُ إلى الأرضِ.

﴿ يُوزَى سَوْءَ تِكْمٍ ﴾ لتستروا به عوراتكم، فيدفع عنكم الحرَّ والبردَ.

واللبَّاسُ: كلُّ ما يُلبَسُ من ثوبٍ ودرعٍ وغيرهما، وأصلُه مصدرٌ: لبَّستُ الشيءَ

لبَّسًا ولبَّاسًا.

﴿ وَرِدِشًا ﴾: هو اسمٌ للمالِ، قال الشَّاعرُ:

فريشي منكممٌ وهوايَ معكممٌ وإن كانتَ زيارتكممٌ لِمَامَا<sup>(٢)</sup>

وقيل: الأثاثُ والدُّثَّارُ والشُّعارُ.

(١) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من

البصرة. انظر: «مراصد الاطلاع» (١ / ١٨).

(٢) البيت مختلف في نسبه، فهو للراعي كما في ملحق «ديوانه» (ص: ٣١١)، و«الكتاب» (٣ / ٢٨٧)،

ولجربير كما في «ديوان جرير» بشرح ابن حبيب (١ / ٢٢٥)، و«أساس البلاغة» مادة: (ري ش).

الزَّجَّاجُ: هو اللِّبَاسُ<sup>(١)</sup>.  
 ابنُ زَيْدٍ: الرِّيشُ: كُلُّ ما فيه الجمالُ<sup>(٢)</sup>.  
 والرِّيشُ: الخِصْبُ في المعاشِ، وقد قُرِيَ به<sup>(٣)</sup>، وأصلُه من ريشِ الطَّائِرِ، وهو كِسوتُه.  
 ﴿وَلِبَاسِ التَّقْوَى﴾ وهو الإِيمانُ ببعثِ الرَّسولِ وإنزالِ القرآنِ.  
 وقيل: لباسُ التَّقْوَى: ما يُلبَسُ للتَّواضعِ كالصُّوفِ والخشنِ من القُطْنِ<sup>(٤)</sup>.  
 وقيل: لباسُ التَّقْوَى: سترُ العورةِ.  
 ويحتملُ أنَّ (اللِّبَاسَ) زيادةٌ، والمرادُ: عَيْنُ التَّقْوَى، كقولِه: ﴿لِبَاسِ الْجُوعِ﴾  
 [النحل: ١١٢]<sup>(٥)</sup>.

وقيل: هو الحياةُ. وقيل: خشيةُ الله. وقيل: السَّمْتُ الحسنُ.  
 ابنُ بحرٍ: هو لبسُ ما تتقي به من الحرِّ والبردِ<sup>(٦)</sup>.  
 ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: خيرٌ لصاحِبِه.  
 وقيل: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى لباسِ التَّقْوَى. وقيل: إشارةٌ إلى جميعِ ما تقدَّم.  
 وقيل: لباسُ التَّقْوَى: الحياةُ<sup>(٧)</sup>.

- 
- (١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٢٨).  
 (٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٧).  
 (٣) نسبت إلى زر بن حبيش والحسن البصري، كما في «تفسير الطبري» (١٠/ ١٢٢)، وعزاها الداني في «المقنع» (ص: ٩٧) إلى المفضل عن عاصم.  
 (٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٩).  
 (٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠١)، وعدّه من العجائب.  
 (٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢١٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١١٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠١) دون نسبة، واستغربه.  
 (٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٥) عن معبد الجهني، وذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٨٦) عن الحسن، وكذا فعل السمعاني في «تفسيره» (٢/ ١٧٥)، لكنه قال: وفي الحديث: «إن لباس =

وقيل: الدَّرْعُ والمِعْفَرُ والسَّاعِدَانِ.

وَمَنْ قرَأ: ﴿وَلِيَّاسُ﴾ بِالرَّفْعِ<sup>(١)</sup> جاز أن يكون ذلك فصلاً وعماداً، وجاز أن يكون بدلاً، وجاز أن يكون مبتدأ.

وذكر بعض المفسرين أن جماعة من المشركين كانوا يتعبدون بالتعرِّي وخلع الثياب في الطَّوَّافِ بِالْبَيْتِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: من فرائضه التي أوجبها بآياته، يُريدُ: ستر العورة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾: يتعظون.

وذهب بعضهم إلى أنه ليس في الآية ما يدلُّ على وجوبِ سترِ العورة.

\*\*\*

(٢٧) - ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْنَكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَيْتِهِمَا إِنَّهُ يُرِيدُ بِكُمْ هُوءَ وَفِيْلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوُونَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْنَكُمْ الشَّيْطَانُ﴾: لا يُضِلُّنَكُمْ بإبداءِ العورة في الطَّوَّافِ، والمعنى: لا تُفْتِنُوا بفتنة الشَّيْطَانِ ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ﴾؛ أي: تسبَّبَ إلى خروجِهما ﴿مِنَ الْجَنَّةِ﴾ وتقديره: فتنةٌ مثل فتنةِ أبويكم.

﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ مجاهدٌ: نزَعَ عنهما لباسَ التَّقْوَى<sup>(٣)</sup>.

= التقوى هو الحياءُ لأنه يبعث على التقوى، وهو قول الحسن. قلت: ما هو بحديث، والله أعلم.

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ١٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٤٥٦) عن مجاهد.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ١٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٤٦٠).

غيره: لبأُسهما ما سبق ذكره.

﴿لَبُرِيهَٰمَا سَوَءَ تَهِيمًا﴾: فُروجهما، مجاهدٌ: معصيتهما حينَ خرجا من أمرِ الله<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّهُ﴾: إبليس ﴿بَرَبِّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾: جنوده، من قوله: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾

[الشعراء: ٩٥].

وقيل: خيله ورجله، من قوله: ﴿بِحَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

وقيل: ذريته، من قوله: ﴿أَفَنَسَخِدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقيل: جنسه الذي هو منهم.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾: لا ترون أجسادهم ولا تعلمون مكانهم؛ لأنَّ أجسامهم

رقيقة، وفي أبصارنا ضعفٌ عن إدراكِ الرقيقِ اللطيف.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فلا يقبل قولهم ولا يُجيبُ دعوتهم

مؤمنٌ.

\*\*\*

(٢٨) - ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ

بِالْفَحِشَةِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾: عبادة صنم. وقيل: عامٌ في المعاصي. وقيل: الفاحشةُ

هاهنا: كشفُ العورة في الطواف. وقيل: تحريمُ البحيرة.. الآية.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا﴾؛ أي: ونهوا عنها قالوا: وَجَدْنَا ﴿عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾:

بالفاحشة.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢١٥) وفيه: «سوأة معصيتهما حتى خرجا من تقوى الله

وطاعته، وهو معنى قول مجاهد».

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ط أَنْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: استفهام إنكارٍ يتضمَّنُ نهيًا.

\*\*\*

(٢٩) - ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بلا إله إلا الله، وقيل: بالعدل؛ أي: لا يأمرُكم بالفحشاء، بل يأمرُكم بالقسط<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾: استقبلوا القبلة ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: سجدةً و صلاةً؛ أي: اجعلوها خالصةً لله.

وقيل: ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: مكانِ صلاةٍ.

وقيل: عندِ وقتِ كلِّ صلاةٍ.

﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ بالتوحيدِ والطَّاعةِ. وقيل: ادْعُوهُ بعد الإخلاصِ. ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ شقيًّا وسعيدًا.

وقيل: مؤمنًا وكافرًا، من قوله: ﴿خَلَقَكُمْ فَنُكِرْتُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

وقيل: يُبْعَثُونَ على ما ماتوا عليه، المؤمنُ على إيمانه، والمُنافقُ على نفاقه.

وقيل: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئًا ﴿تَعُودُونَ﴾ خلقًا جديدًا؛ يُخاطَبُ مُنْكَرِي البعثِ.

وقيل: من الترابِ خلقكم، وإليه تعودون.

(١) في (و): «لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بالقسط».

وقيل: هو مُفسَّرٌ بقوله عليه السَّلامُ: «يُحَشِّرُ النَّاسُ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا» ثمَّ تلا: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٣٠) - ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُهْتَدُونَ﴾.  
 ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾: وفقهم وأرشدهم ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾: أضلهم وخذلهم.  
 ﴿إِنَّهم اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُهْتَدُونَ﴾؛ أي: على طريقٍ مُستقيم.

\*\*\*

(٣١) - ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في سببِ النُّزولِ عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما قال: كانَ ناسٌ مِنَ الأعرابِ يطوفونَ بالبيتِ عُرَاةً، حتى كانتِ المرأةُ تطوفُ بالبيتِ وهي<sup>(٢)</sup> عُرْيَانَةٌ، فتعلِّقُ على سفلِها سُيُورًا مثلَ هذه السُّيُورِ التي تكونُ على وجهِ الحُمُرِ دفعًا مِنَ الذُّبابِ، وهي تقولُ:

اليومَ يَئِدُو بَعْضُهُ أَوْ كَلَّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

(١) ذكره هكذا الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٣٣٦)، ورواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، لكن في قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وهي نظير هذه الآية.

(٢) «وهي»: ليست في (و).

فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ آيَةَ (١).

ابنُ عيسى: قالوا: إِنَّ الثِّيَابَ قَدْ دَنَسَتْهَا الْمَعَاصِي فَتَجَرَّدُوا مِنْهَا.

وقال أيضًا: فعلوا تَفَاوُؤًا بِالتَّعَرِّي (٢) مِنَ الذُّنُوبِ.

قال الكلبي: كانوا لا يأكلونَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا قَوْتًا، ولا يأكلونَ فِي حَجَّهِمْ لَحْمًا ولا دَسْمًا، يُعْظَمُونَ بِذَلِكَ حَجَّهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ آيَةَ (٣).

ومعنى ﴿زِينَتِكُمْ﴾: لبسُ الثِّيَابِ وَسِتْرُ الْعَوْرَةِ فِي الطَّوَافِ وَعِنْدَ الصَّلَاةِ.

وقيل: هو التَّزْيِينُ بِأَحْسَنِ اللَّبَاسِ فِي الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ.

وقيل: هو التَّزْيِينُ لِكُلِّ صَلَاةٍ، وَلِكُلِّ دُخُولِ مَسْجِدٍ؛ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿عِنْدُ كُلِّ

مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾؛ أَي: اللَّحْمَ وَالذَّمْسَ وَاللَّبَنَ ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ فِي الْاِمْتِنَاعِ عَنِ

الْحَلَالِ. وقيل: بِالشَّرْعِ فِي الْحَرَامِ.

أَمَرَ بِالتَّزْيِينِ بِالمَلَابِسِ، وَتَقْوِيَةِ الْأَبْدَانِ وَالْأَرْوَاحِ (٤) بِالْغِذَاءِ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ حِلِّهِ.

ابنُ عيسى: الْإِسْرَافُ: الْخُرُوجُ عَنْ حَدِّ الْاِسْتِوَاءِ (٥).

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ وَمَنْ لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ فَهُوَ فِي النَّارِ.

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٥)، وأصل الحديث رواه مسلم (٣٠٢٨).

(٢) في (و): «للتعري».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٣٣٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٥).

(٤) «والأرواح»: ليست في (و).

(٥) انظر «غرائب التفسير» (١ / ٤٠٢).

وذكر الثعلبي: أن هارون<sup>(١)</sup> الرّشيد كان له طبيب نصرانيّ حاذق، فقال لعليّ بن الحسين الواقدي: ليس في كتابكم من علم الطبّ شيء، والعلم علمان؛ علم الأبدان، وعلم الأديان؟ فقال له عليّ بن الحسين رحمه الله: جمع الله الطبّ في نصف آية من كتابه، وهو قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾، فقال النصرانيّ: فلا يروى عن نبيكم شيء من الطبّ؟ فقال عليّ: جمع رسول الله ﷺ الطبّ في كلمات، وهي قوله: «المعدة بيت الداء»<sup>(٢)</sup>، والحميّة رأس كلّ دواء، وأعط كلّ بدن ما عودته» فقال النصرانيّ: ما ترك كتابكم ولا رسولكم لجالينوس طبّاً<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(٣٢) - ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾: إضافة ملك وتمليك ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾: خلقه وأظهره ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾: اللذذات والحللات.

وقيل: هي الشاة وألبانها؛ لأنهم حرّموها في حجّهم.

(١) «هارون»: ليست في (ن).

(٢) في (ن): «كل داء».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢ / ٣٣٩). قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢ / ١١٤): «هكذا نقلت هذه الحكاية، إلا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النبي ﷺ لا يثبت. وقد جاءت عنه في الطب أحاديث قد ذكرتها في كتاب «لقط المنافع في الطب».

وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦١١): «لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أو غيره».

وجالينوس فيلسوف يوناني له كتب في صناعة الطب وغيرها، وكان - كما ذكر المسعودي - بعد المسيح بنحو مئتي عام، وبعد بقراط بنحو ست مئة سنة. انظر: «أخبار العلماء» للفطحي (ص: ٨٦).

وقيل: هي البحيرة.. الآية.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: للمؤمنين والكافرين ﴿خالصةً يومَ القيامةِ﴾؛ أي: لا يُشارِكهم فيها يومَ القيامةِ من ليس بمؤمنٍ.  
وقيل: هي للمؤمنين في الدنيا مشوبًا بالكدِّ والحزنِ ﴿خالصةً يومَ القيامةِ﴾ من التعبِ والنَّصبِ، والحزنِ والوصبِ<sup>(١)</sup>.

﴿خالصةً﴾ خبرُ المبتدأ، وقيل: خبرٌ بعد خبرٍ، ومن نصبها<sup>(٢)</sup> فعلى الحالِ، والعامِلُ فيها اللامُ<sup>(٣)</sup>، وهذه مسألةٌ طويلةٌ، كُتِبَ النُّحوُ أولى بها.  
﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: كما بيَّنا هذا الحُكْمَ بُيِّنُ سائرَ الأحكامِ.

\*\*\*

(٣٣) - ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: الفواحشُ: الكبائرُ؛ سرًّا وجهراً.  
وقيل: نكاحُ المُحرَّماتِ والزَّنى.  
وقيل: الطَّوافُ عِراءً.

﴿وَالْإِثْمَ﴾: الذُّنُوبُ كُلُّهَا.

(١) «والوصب»: ليست في (و).

(٢) قرأ نافع بالرفع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٩).

(٣) يعني: العامل هو الفعل المقدر قبل اللام في ﴿الذين﴾، أي: هي تحصل للذين آمنوا خالصة، أو قبل لام مقدره أخرى، والتقدير: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة مع غيرهم، وهي تحصل لهم خالصةً في الآخرة. انظر: «الكتاب» (٢/ ٩١)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٧)، و«الحجة» لأبي علي (٤/ ١٥).

الفراء: الإثم هو ما دون الحد<sup>(١)</sup>.

وقيل: الإثم: الخمر، واحتجوا ببيت من شعر<sup>(٢)</sup> من لا يُحتج بشعره، وهو أبو نواس:

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي      كَذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بِالْعُقُولِ<sup>(٣)</sup>

المفضل: الإثم: الخمر، وأنشد:

نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نَقْرَبَ الزُّنَى      وَأَنْ تَشْرَبَ الإِثْمَ الَّذِي يُوجِبُ الْوِزْرَا<sup>(٤)</sup>

والصحيح أن الخمر حرمت بالمدينة، وهذه السورة مكية.

﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: التسلط على الناس والاستيلاء عليهم.

﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: حجة وبرهان؛ لأنهم زعموا أن الله أمرهم

بعبادة الأوثان.

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ﴾ من تحريم هذه الأشياء، والتعري في الطواف.

\*\*\*

(٣٤) - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾؛ أي: وقت معين يأتيهم فيه عذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٣٧٨).

(٢) في (ن): «واحتجوا بيت شعر».

(٣) لم أجده في «ديوان أبي نواس»، ولم أقف على من نسبه إلى أبي نواس غير المصنف، وهو بلا نسبة في

عشرات المصادر منها: «المنجد في اللغة» لكراع النمل (ص: ١١٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢ / ٢١)،

و«تهذيب اللغة» (١٥ / ١١٧)، و«تفسير السمرقندي» (١ / ١٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (٤ / ٢٣١).

(٤) انظر: «مجمع البيان» للطبرسي (٨ / ٤٩)، و«البحر المحيط» (٥ / ٤٤)، و«الدر المصون»

ابن عيسى: الأجل الواحد يدلُّ على تقاربِ أعمارِ أهلِ ذلك العصرِ.  
قال الشيخُ رحمه الله<sup>(١)</sup>: ويحتملُ أنَّ المرادَ بالأُمَّةِ الآحادُ، كقوله: ﴿إِنَّ إِزْرَاهِمَ  
كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]؛ أي: لكلِّ أحدٍ أجلٌ لا يتقدَّمه ولا يتأخَّرُ عنه، وهو قوله:  
﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ قوله: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾؛ أي: لا  
يطلبون التأخَّرَ لشدةِ بأسهم.

قال الشيخُ رحمه الله<sup>(٢)</sup>: ويحتملُ أنَّ تأخَّرَ واستأخَرَ بمعنَى.

\*\*\*

(٣٥) - ﴿بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ  
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾: من بني آدمَ ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾: يقرؤونَ  
عليكم كتبِي.

وقيل: المرادُ بهم مشركو العربِ، والمرادُ بالرُّسلِ محمَّدٌ عليه السَّلامُ.  
وقيل: يقصُّونَ دليلٌ<sup>(٣)</sup> رُبوبيّتي.

﴿فَمَنْ آتَقَى﴾ الشُّرْكَ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ الْعَمَلَ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أَصْلًا.  
وقيل: لا يحزنونَ على ما فاتهم من نعيمِ الدُّنيا.

\*\*\*

(٣٦) - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: كذبوا رُسُلنا بردَّ آياتنا ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾:  
تعظَّموا عن الإيمانِ بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا يبرحونَ.

(١) قال الشيخ رحمه الله: ليست في (و).

(٢) قال الشيخ رحمه الله: ليست في (و).

(٣) في (ن): «دلائل».

(٣٧) - ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكُتُبِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَإِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَا مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۖ﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي: أشدُّ في كُفْرِهِ. وقيل: لا أحد أظلم منه.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾؛ فأنكر النبوة وردَّ الرِّسَالَةَ.

﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكُتُبِ﴾؛ قيل: الكتابُ: اللُّوحُ المحفوظُ؛ أي: ما كُتِبَ

لهم من العمرِ والرِّزْقِ والعملِ والشَّقَاوَةِ والسَّعَادَةِ.

وقيل: الكتابُ: القرآنُ، وما كُتِبَ لهم فيه.

ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: زُرْقَةُ العيونِ وسوادُ الوجوه<sup>(١)</sup>.

وقيل: هو العذابُ الأكبرُ الذي أعدَّه الله للكُفَّارِ.

وقيل: هو ما أوجِبَ من حفظِ عُهُودِهِمْ إذا أعطوا الجزيةَ.

وقيل: الكتابُ: كتابُ الحَفِظَةِ؛ أي: الجزاءُ على الطَّاعَاتِ والمعاصي.

قال الشَّيْخُ رحمه الله<sup>(٢)</sup>: ويحتملُ أنَّ التَّقْدِيرَ: أولئك يَنَالُهُمْ ما قُسِمَ لهم كما

يَنَالُ الْمُؤْمِنِينَ ما قُسِمَ لهم، ثمَّ تتغيَّرُ أحوالُهُمْ عندَ الموتِ، وهو قولُه:

(١) ذكره بهذا اللفظ الفراء في «معاني القرآن» (٣٧٨/١) لكن دون نسبة، ورواه الطبري في «تفسيره»

(١٠/ ١٧٤) بلفظ: «ينالهم ما كتب عليهم، يقول: قد كتب لمن يفتري على الله أن وجهه مسود»،

فما ذكره الفراء هو معنى هذا القول، وقد أشار لذلك الواحدي في «البيسط» (٩/ ١١٤)، فقال بعد

ذكر رواية الطبري: واختار الفراء هذا فقال: «ينالهم ما قضى الله عليهم في الكتاب من سواد الوجوه

وزرقة الأعين».

(٢) «قال الشيخ رحمه الله»: ليست في (و).

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا﴾؛ أي: مَلَكَ الموتِ وأعوأه ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾: يقبضون أرواحهم ويتوفون عددهم. وقيل: يتوفونهم عذابًا وإن لم يموتوا.  
﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: عبدتُمهم، ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾: ضاعوا فلا نراهم، ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

\*\*\*

(٣٨) - ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْتُمْ لِأَوْلِيَّائِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ ادْخُلُوا﴾؛ أي: قَالَ اللهُ، وقيل: قالتِ الملائكةُ وخزنةُ جهنم.  
﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾: مَضَتْ ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ لم يتكلم المُفسِّرون في تكرار (في)، ووجهه: أنَّ الثَّانِيَةَ مُتَعَلِّقَةٌ بِالذُّخُولِ، والأولى بمعنى: (مع)<sup>(١)</sup>، وهي حالٌ؛ أي: ادخلوا النَّارَ مُجْتَمِعِينَ معهم.  
﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾؛ أي: النَّارِ ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾؛ أي: في الدِّينِ، الكافرُ يلعنُ الكافرَ، واليهوديُّ اليهوديَّ، والأخوةُ تُستعملُ في النَّسَبِ والمُشَابَهَةِ والمُشَارَكَةِ فِي الشَّيْءِ، وَأَنْتَ لِثَانِيَةِ الْأُمَّةِ.

﴿حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾؛ أي: تداركوا واجتمعوا ﴿قَالَتْ أُخْرَيْتُمْ﴾ دخولا  
﴿لِأَوْلِيَّائِهِمْ﴾ دخولا.

وقيل: أخرائهم: التَّبَاعُ، والأولى: القادةُ.  
واللَّامُ لِأَمِّ السَّبَبِ<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «التصاريف» ليعحي بن سلام (ص: ٢٢٦)، و«غرائب التفسير» (١/٤٠٣).

(٢) في (ن): «النسب»، وهو تحريف، فقد قال الزجاج: «المعنى: ﴿قَالَتْ أُخْرَيْتُمْ﴾: ياربنا هؤلاء أضلونا

﴿لِأَوْلِيَّائِهِمْ﴾؛ أي: تعني أولاهم».

﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾: زَيْنُوه لَنَا وَسُنُّوا الصَّلَاةَ<sup>(١)</sup> فَاقْتَدَيْنَا بِهِمْ.

﴿فَتَاتِيهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾؛ أَي: عَذَابًا ذَا زِيَادَةٍ مِثْلِهِ عَلَيْهِ.

ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: زِيَادَةُ حَيَاتٍ وَأَفَاعٍ<sup>(٢)</sup>.

وَقِيلَ: الضَّعْفُ: المِثْلُ. وَقِيلَ: القِسْطُ<sup>(٣)</sup>.

وَحكى الماوردِيُّ أَنَّ الضَّعْفَ هَاهُنَا: العَذَابُ<sup>(٤)</sup>، وَهُوَ بَعِيدٌ<sup>(٥)</sup>.

﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾: لِلقَادَةِ بِكُفْرِهِمْ وَإِغْوَائِهِمْ، وَلِلتَّابِعِ بِكُفْرِهِمْ وَتَقْلِيدِهِمْ

وَاقْتِدَائِهِمْ<sup>(٦)</sup>؛ أَي: كُفَيْتُمْ مَا تَسْأَلُونَ.

﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: التَّاءُ تَصْلُحُ لِلاتِّصَالِ وَالانْفِصَالِ، وَالْيَاءُ لِلِكُلِّ<sup>(٧)</sup>.

\*\*\*

= قال الواحدي في «البيسط» (٩ / ١٢٤) تعقياً على كلام الزجاج: «فعلى هذا ليست اللام من صلة القول؛ لأنهم قالوا لله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾، ولم يقولوا لأولاهم شيئاً، ولكن اللام لإبانة أنهم عنوا بقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ أولاهم وهم القادة، فاللام هاهنا لام (أجل)؛ أي: لأجلهم ولإضلالهم إياهم». ولام النسب نحو: لزيد عم هو لعمرو خال. انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣ / ١٤٤).

(١) في (ن): «الضلال».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ١٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣٢٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢ / ٩١٠٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٠٣)، واستغربه.

(٤) إنما حكاها عن مجاهد، وقدم عليه قول الجمهور. انظر: «النكت والعيون» (٢ / ٢٢٢).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٠٣)، وعده من العجائب.

(٦) في (و): «والاقتداء بهم».

(٧) قرأ عاصم في رواية أبي بكر بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٣٩) - ﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَجْتَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَجْتَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فَإِنَّكُمْ كَفَرْتُمْ مِثْلَ كُفْرِنَا، وَتَسَاوَيْنَا فِي الْكُفْرِ.

وقيل: ﴿فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾؛ أي: لم تُؤْمِنُوا إِذْ كَفَرْنَا، وَإِنَّكُمْ فِي دُعَائِكُمْ عَلَيْنَا ظَالِمُونَ.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؛ أي: فذوقوا بكسبِكُمْ وكُفْرِكُمْ، وَلَا تُحِيلُوا الذَّنْبَ عَلَى غَيْرِكُمْ.

\*\*\*

(٤٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾؛ أي: عن الإيمانِ بِهَا ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لَصُعُودِ طَاعَاتِهِمْ وَأَدْعِيَّتِهِمْ وَأُرْوَاحِهِمْ كَمَا تُفَتَّحُ لِلْمُؤْمِنِينَ.

وقيل: لنزولِ الرَّحْمَةِ. وقيل: لدخولِ الْجَنَّةِ.

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ﴾: يَدْخُلُ الْبَعِيرُ ﴿فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾: فِي ثُقْبَةِ الْإِبْرَةِ؛ أي: لَا يَدْخُلُونَهَا أَبَدًا.

وقال الماورديُّ: فِي ﴿سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ قولان:

أحدهما: ثُقْبُ الْإِبْرَةِ.

والثاني: السَّمُّ الْقَاتِلُ الَّذِي يَدْخُلُ فِي مَسَامِّ الْبَدَنِ<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٣).

وهذا سوء ضبط منه؛ فإنه لم يفهم كلام ابن عيسى.  
 ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾: مثل هذا الذي ذكرناه نجزي الكافرين.

\*\*\*

(٤١) - ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.  
 ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾: فرش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ قيل: لحف ولباس. وقيل: ظلل.  
 وانصرف (غواشٍ) لأن الياء لما جاز حذفه من الأحاد تخفيفاً صار حذفه من  
 المجموع لازماً، فلما حذف الياء صار لها في الأحاد نظير، فدخله التنوين<sup>(١)</sup>.  
 وقيل: التنوين بدل من الياء الساقط. والقول هو الأوّل.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين.

ثم ذكر جزاء المؤمنين فقال:

(٤٢) - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾: طاقتها،  
 والتكليف: إلزام ما فيه كلفة؛ أي: مشقة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.  
 قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ اعتراض.

وقيل: تقديره: منهم، فيكون خبراً، واللذان بعده خبرٌ بعد خبر<sup>(٢)</sup>.

(١) وقال في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٤): «حذف ياءه حذفاً، ولما كان هذا الحذف جائزاً في الأحاد كالمهتد والداع والمُناد، وكان جائزاً في الأفعال، نحو: ﴿يَبِيعُ﴾ و﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾ صار في الجمع لازماً، ولما حذف الياء سقط عن زنة الجمع ودخل في زنة الأحاد، فدخله التنوين».

(٢) عند تقدير (منهم) يصير الضمير عائداً على (الذين آمنوا) رابطاً للجملة، فتعرب خبراً، وتصبح جملة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ خبراً ثانياً، وجملة ﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ خبراً ثالثاً.

(٤٣) - ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَن تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾: يُخْرِجُ أَسْبَابَ الْعِدَاوَةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ.  
وَالْغِلُّ: الْحِقْدُ الَّذِي يَتَغَلَّغُلُ إِلَى صَمِيمِ الْقَلْبِ.  
وَقِيلَ: هُوَ الْعَصِيَّةُ<sup>(١)</sup> وَالْحَسَدُ.  
يعني: أصحاب الجنة.

وعن الحسن البصري عن علي رضي الله عنه أنه قال: فينا أهل بدرٍ نزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.  
ابن بحر: هو معطوفٌ على ﴿الذين آمنوا﴾؛ أي: آمنوا وبرئت قلوبهم من الغلِّ.  
﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ فَإِنَّ النَّظَرَ إِلَى الْمَاءِ الْجَارِي مِنَ الْمَلَاذِّ.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾: وَقَفْنَا وَأرشدنا لِمَا هَذَا جَزَاؤُهُ ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ بَأَنْفُسِنَا ﴿لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ﴾ لَضَلَلْنَا.  
وقيل: ﴿هدانا﴾: دعانا إليه ودلنا عليه.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: أتوا بالحق، ووقع الموعدُ على ما سبق به الوعدُ.  
﴿وتُودُوا أَن تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا﴾: أُعْطِيتُمُوهَا، وقيل: أُورِثْتُمْ مَنَازِلَ أَهْلِ النَّارِ  
﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله: ﴿تُلَكُمُ﴾ إشارةٌ إليها بعد المعاينة.

وقيل: إشارةٌ إلى ما وُعدوا به في الدنيا؛ أي: هذا جزاء طاعتكم في الدنيا.

(١) في (ن): «المعصية».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم في

«تفسيره» (٥/ ١٤٧٨).

(٤٤) - ﴿وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾؛ أي: في الدنيا ﴿حَقًّا﴾: صدقًا. ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ هذا سؤال تقرير يتضمّن تحسير الكفار<sup>(١)</sup>. ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ فيه لغتان<sup>(٢)</sup>، وذلك أنهم إذا صاروا إلى النار زال عنهم الصّمم والبكم والعمى التي في قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكَاءً وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾: نادى مُنادٍ - وهو صاحبُ الصُّور - نداءً أسمع الفريقين. وقيل: أعلم معلّم بينهم من أهل الجنة والنار. ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ إذا شُدَّتْ ﴿أَنَّ﴾ فهو مفعول ﴿أَذَّنَ﴾، ومن خَفَّفَ<sup>(٣)</sup> فكذلك، واسمه مُضمَّرٌ، ويحتمل أن تكون بمعنى: أي<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(٤٥) - ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾. ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: صفةٌ لـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾، و﴿يَصُدُّونَ﴾ بمعنى: صدّوا، وقيل: تقديره: كانوا يصدّون في الدنيا.

(١) في (ن): «تحسيرًا للكفار».

(٢) قرأ الكسائي: (نعم) حيث وقع بكسر العين، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨١)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٣) قرأ البرزي وابن عامر وحمزة والكسائي: (أَنَّ) بتشديد النون و(لَعْنَةً) بنصب التاء، والباقون بتخفيف النون ورفع التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨١)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٤) (وَأَنْ) التي بمعنى (أي) تسمى التفسيرية أو المفسّرة، ولا محل لها من الإعراب. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤١)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ٢٩٢).

وقيل: تمَّ الكلامُ على ﴿الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينه.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: يطلبون لها الاعوجاج والتدافع في التناقض في اللفظ والمعنى، ويلبسون على الجهال.

و﴿عِوَجًا﴾ مفعول ثانٍ لـ (يبغون)، تقول: بغيتهك الشيء، وقيل: مصدر؛ كقولهم: رجع القهقري.

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾: بالدار الآخرة ﴿كفرون﴾.

\*\*\*

(٤٦) - ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَعَلَّكُمْ تَرِيدُخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾: هو السور الذي في قوله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، وهو الأعراف أيضًا.

وقيل: الأعراف: أعالي السور، وأعالي كل شيء أعرافه. و(الأعراف) في الآية واحد، ومثله: ثوب أسمال؛ أي: خلق، وثوب أخماس<sup>(٢)</sup>، وبرمة أعشار<sup>(٣)</sup>.

أبو عبيدة: كلُّ عالٍ مُرتفع<sup>(٤)</sup> من الأرضِ أعراف<sup>(٥)</sup>.

(١) صرح النحاس بأن الكلام هنا غير تام، وأن القطع ليس بكاف. انظر: «القطع والائتناف» (ص: ٢٥٢).

(٢) أي: طوله خمسة أشبار. انظر: «تهذيب اللغة» (٧/٨٩).

(٣) البرمة: القدر، ويقال: «برمة أعشار»: إذا انكسرت قطعًا. انظر: «الصحاح» و«اللسان» مادة:

(ع ش ر). وهذه الألفاظ (أسمال أخماس، أعشار) ألفاظ مفردة غير جموع، ولذلك وقعت صفات

للأفراد، واختار المصنف هذا القول في (الأعراف).

(٤) في (ن): «كل ما ارتفع».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (١/٢١٥).

وقيل: هو جمعٌ، واحدُها: عُرْفٌ، وكلُّ مرتفعٍ عُرْفٌ، ومنه عُرْفُ الفرسِ والديكِ.  
وقيل: هو من المعرفة<sup>(١)</sup>، وعليها قومٌ جعلهم الله على تعريفِ أهلِ الجنةِ وأهلِ النارِ<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ قيل: هم الأنبياءُ.

وقيل: هم ملائكة<sup>(٣)</sup> ﴿رِجَالٌ﴾؛ أي: ذكورٌ، كقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رِجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] <sup>(٤)</sup>.

وقيل: هم الفقهاءُ والعلماءُ.

وقيل: هم الصّالِحون وأفاضلُ المؤمنين.

وقيل: هم الشُّهداءُ، وهم عدولُ الآخرةِ، فهؤلاءِ علّوا في الدُّنيا وفي<sup>(٥)</sup> الآخرةِ بعلمِهم وعمَلِهم، فتعلّتْ وارتفعتْ منازلُهم في الآخرةِ.

وقيل: هم قومٌ استوت حسناتُهم وسيئاتُهم.

وقيل: هم قومٌ جعلهم الله تعالى على معرفةِ أهلِ الجنةِ وأهلِ النارِ - كما سبق - يُميّزون بعضهم من بعضٍ.

وعن النبيِّ عليه السّلامُ: «إنَّهم قومٌ خرّجوا إلى الجهادِ في سبيلِ الله وهم عَصاةٌ لأبائهم، فقتلوا، فأعتقهم اللهُ من النارِ؛ لأنَّهم قتلوا في سبيلِهِ، وحُجِسوا عن الجنةِ بمعصيةِ آبائهم»<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٠٥)، واستغربه.

(٢) أي: على الأعرافِ رجالٌ أوكلت لهم مهمة تمييز أهل الجنة من أهل النار.

(٣) في (ن): «الملائكة».

(٤) وقال في «غرائب التفسير» (١ / ٤٠٤): «وقيل: الملائكة، سمو رجالاً كما في قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رِجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]».

(٥) في (و): «فلهؤلاءِ علّوا في الدُّنيا وعلّوا في».

(٦) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٥٤ - تفسير)، وابن أبي عاصم في «الأحاديث والمثاني» (١١٢٣)، =

وقيل: هم قوم بطأت بهم صغائرهم إلى آخر الناس.

وقيل: هم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آباؤهم.

وقيل: هم أولادُ الزَّنى<sup>(١)</sup>.

وقيل: هم الذين كانوا في الفترة ولم يُبدلوا دينهم.

وقيل: هم أولادُ المُشركين. وقيل: هم المُرأون<sup>(٢)</sup>.

﴿يَعْرِفُونَ كَلًّا﴾؛ أي: كلهم، وهم أصحابُ الجنةِ وأصحابُ النارِ.

﴿بِسْمِنَهُمْ﴾: بما أعطوا من الثَّوابِ والنَّعيمِ<sup>(٣)</sup>، أو من عذابِ الجحيمِ.

وقيل: سِمْما المؤمنين بياضِ الوجوهِ ونضارتُها، وسِمْما<sup>(٤)</sup> الكافرين زُرقةَ العينِ وسوادُ الوجهِ.

و(سِمْما) يُمدُّ ويُقصرُ، و(سِمْمياً) فيه لغةٌ، واشتقاقه من (السُّومَةِ)، وهي العلامةُ،

وقيل: هو مقلوبٌ من<sup>(٥)</sup> (الْوَسْمِ)؛ كالجاءِ من الوجهِ.

- = الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٢١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٤٨٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (ص: ١٠٦)، من طرق عن عبد الرحمن المزني رضي الله عنه.
- ورواه البيهقي في «البعث والنشور» (ص: ١٠٦) أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- ومدارها كلها على أبي معشر نجيح المزني، وهو ضعيف، كما قال البيهقي.
- ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٠٥٣)، و«المعجم الصغير» (٦٦٦)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٢٣): «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه محمد بن مخلد الرعي، وهو ضعيف».
- (١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٠٥)، وعدّه من العجائب.
- (٢) ذكر المصنف القولين الأخيرين في «غرائب التفسير» (١ / ٤٠٥)، وعدّهما من العجائب.
- (٣) في (و): «والنعم».
- (٤) في (ن): «سِمْماء المؤمنين... وسِمْماء».
- (٥) «من»: ليست في (و).

﴿وَنَادُوا﴾: أصحابُ الأعرافِ ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: أهلها ﴿أَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ تهنئةٌ منهم لأجلِ الجنةِ.

﴿لَتَرِيدُ خَلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ على الوجوه الأولى: حالٌ للمخاطبين، فيكونُ خطاباً لهم قبل الدخولِ، وليس في الآية ما يدلُّ على دخولهم بعدُ، وعلى الوجوه الأخرى: حالٌ للمسلمين، وهذا أظهرُ.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾؛ أي: في دخولِ الجنةِ.

\*\*\*

(٤٧) - ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ لِقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ لِقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾؛ أي: من مُواجهتهم قبل الدخولِ وبعده على القولين ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: إذا نظروا إلى أصحابِ النارِ استعاذوا بالله من <sup>(١)</sup> أن يكونوا من أهلها.

\*\*\*

(٤٨) - ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ

تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ﴾ ذكر المفسِّرون أنَّ الرجالِ هاهنا: الوليدُ بنُ المغيرة، وأبو جهلِ بنُ هشام، والعاصُ بنُ وائلٍ، ونُظَرَاؤُهُمْ، وذلك أنَّهم قالوا: إنَّ بلاً وسلمانَ وعماراً وأمثالهم يُدخلهم الله الجنةَ ويُدخلنا النارَ! كلاً والله، إنَّ الله لا يُفْضِلُ خدَمنا ورُعاتنا علينا، وأقسموا أن لا يخصَّهم بفضلِ دوتهم <sup>(٢)</sup>.

(١) «من»: ليست في (ن).

(٢) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٣٦٢) عن الكلبي.

فناداهم أصحابُ الأعرافِ: ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾: لم تدفع عنكم كثرتكم وشوكتكم. وقيل: جمعكم المال.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: استكباركم عن الإيمان؛ أي: تعظمكم.

\*\*\*

(٤٩) - ﴿أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

﴿أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾: حلفتُم في الدنيا ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ يعني: الجنة، والمُشارُ إليهم: سلمانٌ وبلالٌ وصُهيبٌ وخبَّابٌ.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ هذا قبل الدخول.

ويحتمل: أقسمتم لا ينالهم الله برحمة، وقد قال الله لهم: ادخلوا الجنة.

وقيل: أقسم أهل النار لا يدخل أصحاب الأعراف الجنة، فقال الله تعالى:

﴿أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقيل: ﴿أَهْتُولَاءِ﴾ من كلام الملائكة.

ابن بحر: ﴿أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ من كلام أصحاب الأعراف لأنفسهم، ثم

يرجعون إلى مخاطبة أنفسهم، فيقول بعضهم لبعض: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾.

﴿أَهْتُولَاءِ﴾: رفعٌ بالابتداء<sup>(٢)</sup> ﴿الَّذِينَ﴾: خبره، لا يجوز غيره.

وقوله: ﴿وَأَدْنَىٰ﴾ بلفظ الماضي تحقيقاً للوعد، وكذلك أكثر ألفاظ القيامة.

\*\*\*

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٣٤)، ونسبه لعامة أهل التأويل.

(٢) في (ن): «على الابتداء».

(٥٠) - ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ .

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا﴾ : صُبُوا ﴿عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ مقدار ما يُبرِدُ أبداننا ويُرِزِلُ عطشنا.

والإفاضة: إجراء الماء من عالٍ<sup>(١)</sup>.

﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام.

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا﴾؛ أي: ماء الجنة وطعامها تحريم منع ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ .

\*\*\*

(٥١) - ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَابِعِينَ يَجْحَدُونَ﴾ .

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ فحرموا وأحلوا ما شاؤوا، وقيل: ﴿دِينَهُمْ﴾: عيدهم.

﴿وَوَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ اغترُّوا بطولِ البقاء.

ثم استأنف فقال: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ﴾: نتركهم في العذاب.

وقيل: نُعامِلُهُمْ مُعامِلَةَ المنسيِّ.

وقيل: نُجازِيهِمْ على نسيانهم.

﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾؛ أي: تركوا العمل له ﴿وَمَا كَانُوا بِتَابِعِينَ يَجْحَدُونَ﴾: يُنكروُن المعرفةَ بأنَّها من عند الله.

\*\*\*

(١) في (ن): «معالي».

(٥٢) - ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ﴾ يعني: القرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾: بينناه بالتحريم والتحليل

والوعد والوعيد وغيرها.

وقيل: ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾: جعلناه يُفهم شيئاً شيئاً.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؛ أي: بعلم منا؛ أي<sup>(١)</sup>: ونحن عالمون بتفصيله.

وقيل: على علم في الكتاب.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يجوز أن يكون حالاً، ويجوز أن يكون وصفاً

للكتاب<sup>(٢)</sup>، ويجوز أن يكون مفعولاً له.

\*\*\*

(٥٣) - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ شَوْهَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ

رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ  
وَضَلَّ عَنْهُمْ مَأْكَاؤُهُمْ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ما ينتظرون؛ أي<sup>(٣)</sup>: يلحقهم لحوق المنتظر<sup>(٤)</sup>.

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: ما يؤول إليه أمرهم من العذاب في الدنيا، والنار في العقبى.

(١) «أي»: ليست في (ن).

(٢) والصفة هنا مقطوعة؛ أي: هو هدى ورحمة، والجملة في محل جر صفة، وذلك على قراءة من رفع (رحمة). انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٤١)، و«البيان» للعكبري (١/ ٥٧٣).

(٣) في (ن): «أن».

(٤) أي: لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين، وإنما قيل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، وإن كانوا جاحدين؛ لأن الإنسان ينتظر ما يعلم أو يظن وقوعه، ولم يكونوا كذلك لأنهم لم يصدقوا بذلك، لكنه لما كان واقعاً لا محالة كانوا في الحقيقة كالمنتظرين له في المعنى ولذلك جاء تهديداً لهم. انظر: «البيسط» للواحدى (٩/ ١٦٣)، و«كشف المعاني في المتشابه من المثاني» لابن جماعة (ص: ١١٤)، و«روح البيان» لإسماعيل حقي (٣/ ١٢٢).

وقيل: ثوابه. وقيل: عاقبته. وقيل: حقيقته.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾: تركوا الاستعداد له.

﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أقرؤا حين لا ينفعهم.

﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾: تمنوا شفيعاً أو

رداً إلى دار الدنيا، وضمنوا عملاً يخالف ما عملوا، فلم يُجابوا إلى مُلْتَمَسِهِمْ.

﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾؛ أي: خسروا أعظم ما يخسره الخاسرون.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَأْكِنَاتُ أَيْقُرُوتَ﴾؛ أي: لم تنفعهم عبادة الأصنام.

\*\*\*

(٥٤) - ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ

الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ  
وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أراد: السماوات والأرض

وما بينهما، وقد فصّلها في سورة (السجدة).

وأول هذه الأيام الأحد، وآخرها الجمعة، وكلُّ يومٍ من هذه الأيام الستة كالفِ

سنة.

وقيل: خلقه في أيامٍ لتُشهد الملائكة حدوث شيءٍ بعد شيءٍ.

وزيف ابن بحر هذا القول فقال: ليس يُعقل كون الملائكة قبل كون السماوات

والأرض؛ لأنهم لا يستغنون عن مكانٍ يحويهم.

وَحَمَلَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ السُّنَّةِ: تَعْلِيمُ الْعِبَادِ، قَالَ (١): وَأَصْلُ جَمِيعِ الْحِسَابِ مِنْ سِنَّةٍ، وَمِنْهَا يَتَفَرَّغُ سَائِرُ الْعَدَدِ بِالْغَا مَا يَبْلُغُ.

وَيَحْتَمِلُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَّقَ خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، فَكَانَ خَلْقُهُ سَبْحَانَهُ لَشَيْءٍ مِنْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ السُّنَّةِ كَلِمَحِ الْبَصْرِ (٢)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ مَذْهَبُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ الْاِسْتَوَاءَ هَاهُنَا لَا يُفَسَّرُ بِمَا لَمْ يَصِفِ اللَّهُ ذَاتَهُ بِهِ.

الْحَسَنُ: اسْتَوَىٰ أَمْرُهُ (٣).

وَقِيلَ: اسْتَوَىٰ، وَأُنْشِدَ:

قَدْ اسْتَوَىٰ بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَلَا دَمٍ مُهْرَاقٍ (٤)

(١) أي: ابن بحر. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٩)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤٠٦).

(٢) في (ن): «بالبصر».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٩).

(٤) البيت منسوب للبعيث في «الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (١/ ٣٨)، و«البيسط» للواحيدي (٩/ ١٦٩).

ونسب للأخطل في «المحرر الوجيز» (١/ ١١٥) و«تاج العروس» مادة: (س و ا) (٣٨/ ٣٣١).

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ٢٩٠): «وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء، وهذا من تحريف الكليم عن مواضعه، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً، فإنه إنما يقال: استوى على الشيء إذ كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه، كاستيلاء بشر على العراق، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه، وعرش الرب لم يكن ممتنعاً عليه نفساً واحداً حتى يقال: استوى عليه، أو معنى الاستواء الاستيلاء، ولا تجد أضعف من حجج الجهمية، حتى أذاهم الإفلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة، والله أعلم».

وأضاف الاستيلاء إلى العرش وإن كان سبحانه مُستولياً على الكل؛ لأنه أعظم شيء خلقه.

وهذا ضعيف؛ لأنَّ (ثم) للتراخي، واستيلاء الله تعالى على الأشياء ليس بمحدث. ورؤي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَسْتَوَى﴾: استقر<sup>(١)</sup>. وهذا لا يقتضي مكاناً، بل هو كما قال: ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧].

وقيل: معناه: علا؛ كقوله: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤].

وقيل: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: أقبل على خلق العرش فيمن قال: خُلِقَ العرشُ بعدَ السَّماءِ، ومن قال: خلقه قبلَ السَّماءِ قال: أقبلَ على نقله.

وقيل: معناه: لم يُخلَقْ بعدَ السَّماواتِ والأرضِ وما بينهما إلا العرشُ، كما سبق في (البقرة)<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٣٦٥) عن الكلبي ومقاتل، وانظر: «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» (ص: ١٦٩). وكل ما فيه عن ابن عباس مروى من طريق السدي الصغير عن الكلبي، وهما متهمان بالكذب، وهذا الإسناد من أوهى الأسانيد في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما تقدم تنبيه عليه مراراً.

(٢) وهذه الأقوال كلها على مذهب الخلف القائلين بالتأويل في آيات الصفات، والذي لجؤوا إليه بعد ظهور الفرق الضالة من المشبهة والمعتلة وغيرهم، أما الذين ذهبوا مذهب السلف فقالوا: إذا وردت صفة من صفات الله تعالى موهمةً مشابهةً للمخلوقين؛ كورود لفظ اليد والعين ونحوهما، فإننا نُؤمِّنُ بها مع القطعِ بأنَّه تعالى ليس كمثلِ شيءٍ في صفاته ولا ذاته، ونُوكِلُ معرفةَ كيفيَّتها وكيفيَّةَ تعلُّقِها به تعالى إلى الله، ونجربها على ما أجزاها الله تعالى ورسوله عليه من غير تأويل ولا تكييف، وهو مذهبُ سلفِ الأُمَّةِ، ويقال له: الطريقُ الأُسْلَمُ، وطريقةُ المتأخِّرين في التأويل يقال لها: الطريقُ الأعلَمُ. والحقُّ أنَّ الأولى بالمؤمن هي الطريقُ الأولى، فإنَّه لا يحيطُ بالصفة وكيفيَّتها إلا =

وفي العرشِ أقوالٌ: قيل: هو السَّرِيرُ.

ويُقالُ: العرشُ: المُلكُ، ويُقالُ لمن ذهبَ ملكُه أو عزُه: ثُلَّ عرشُه.

وقيل: العرشُ: السَّقْفُ؛ يعني: السَّمَاوَاتِ، من قوله: ﴿وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾

[البقرة: ٢٥٩].

وقال هذا القائلُ في قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ

عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾؛ أي: عرشُ هذا الخَلْقِ العظيمِ، يريدُ: بناءه وسقفه.

﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾؛ أي: جعلَ اللَّيْلَ يُغْشِي نَوْرَ النَّهَارِ ويذهبُ بضوئِه، وتقديرُه:

يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ وَيُغْشِي النَّهَارَ اللَّيْلَ؛ كقوله: ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ

عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥] فاكتفى بأحدِ الضَّديْنِ.

ابنُ بحرٍ: يُغْشِي النَّهَارَ وَضِيَاءَهُ بِاللَّيْلِ<sup>(١)</sup>، فعلى هذا يكونُ اللَّيْلُ ظَرْفًا.

﴿يَطْلُبُهُ﴾: يَعْقُبُهُ ﴿حَيْثُ﴾: محمولًا على السَّرْعَةِ، فَعِيلٌ بمعنى مفعولٍ من

(حَثَّ).

= مَنْ أَحَاطَ بِذَاتِ الْمَوْصُوفِ، وقد ثبت فيه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وطريقةُ

التأويلِ غايُهَا الحَمْلُ على المَجَازِ، وكونُه المرادُ أمرٌ غيرُ مَقْطُوعٍ به، وإِثْمًا هو ظَنُّ وتَحْمِينٌ. وقد

ذكر أبو حيان رحمه الله في «البحر المحيط» (٦٦/٥) عند تفسير هذه الآية قصة الإمام مالك التي

تبين منهج الأئمة في هذا الأمر، وذلك حين جاءه رجل فسأله: كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليًا

وعلته الرخصاء عرق يغسل الجلد كثرةً] ثم قال: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان

به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالًّا. ثم أمر به فأخرج. روى القصة البيهقي في

«الأسماء والصفات» (٨٦٧).

(١) لم أقف عليه، وقد ذكر نحوه الهروي في «الغريبين» (٤/١٣٧٦).

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾؛ أي: وخلق الشمس والقمر والنجوم  
مُسَخَّرَاتٍ مُذَلَّلَاتٍ جَارِيَاتٍ مَجَارِيَهُنَّ.

وقيل: مُسَخَّرَاتٍ لِلخَلْقِ؛ كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾  
[الجاثية: ١٣].

﴿بِأَمْرِهِ﴾؛ أي: كُلُّ ذَلِكَ كَانَ بِأَمْرِهِ، وقيل: قال لها: كوني مُسَخَّرَةً، فَتَسَخَّرَتْ  
بِأَمْرِهِ. وقيل: بِإِرَادَتِهِ. وقيل: لِأَمْرِهِ.

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾؛ أي: الخلق العظيم والأمر النَّافِذُ.

وقيل: لَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ وَالْأَمْرُ الَّذِي لَا يُخَالَفُ.

وقيل: لَهُ الْخَلْقُ، وَلَهُ الْأَمْرُ فِيهِمْ.

وقيل: الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَاحِدٌ، فَعُطِفَ لِتَقْدِيمِ ذِكْرِ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ فِي الْآيَةِ.

﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ تعالى بالوحدانية وعظم بدوام البقاء<sup>(١)</sup>.

وقيل: معناه: إِنَّ ذَكَرَ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَرَكَةٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ ذَكَرَهُ مِنْكُمْ.

\*\*\*

(٥٥) - ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾: تَذَلُّلاً.

ابن عيسى: التَّضَرُّعُ: التَّذَلُّلُ، وَأَصْلُهُ الْمَيْلُ فِي الْجِهَاتِ ذُلًّا، مِنْ قَوْلِهِمْ: ضَرَعَ  
الرَّجُلُ: إِذَا مَالَ بِأَصْبَعِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا ذُلًّا وَخَوْفًا<sup>(٢)</sup>.

(١) في (و): «وعظم بالبقاء».

(٢) ذكره الواحدي في «البيسط» (٨ / ١٣٧) دون نسبة.

وقيل: ﴿تَضْرَعًا وَخَفِيَةً﴾: سِرًّا وَإِخْلَاصًا، وَنَصِبُهَا عَلَى الْحَالِ، أَوْ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾: الَّذِينَ يَسْأَلُونَ اللَّهَ دَرَجَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.  
وقيل: يَدْعُو مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ.

وقيل: هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ صَوْتَهُ عِنْدَ الدُّعَاءِ<sup>(١)</sup>، فَإِنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَزَاةٍ فَأَشْرَفُوا عَلَى وَادٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُكَبِّرُونَ وَيُهَلِّلُونَ وَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَيُّهَا النَّاسُ، ازْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.  
وقيل: الْاِعْتِدَاءُ: السَّجُّعُ فِي الدُّعَاءِ، حَكَاهُ هِشَامٌ فِي «تَفْسِيرِهِ»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(٥٦) - ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾؛ أَي: بِالْكَفْرِ وَتَعْوِيقِ النَّاسِ عَنِ الْإِيمَانِ.  
وقيل: بِالْمَعْصِيَةِ. وقيل: بِالظُّلْمِ.

﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَهَا اللَّهُ بِبَعْثِ الْأَنْبِيَاءِ، وَبَيَانِ الشَّرَائِعِ، وَمَنْعِ النَّاسِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالظُّلْمِ، وَلَوْلَا الْأَنْبِيَاءُ وَالشَّرَائِعُ لَأَكَلَتِ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.  
وقيل: مَعْنَاهُ: لَا تَعْصُوا فِي الْأَرْضِ فَيُمْسِكَ اللَّهُ الْمَطْرَ بِمَعَاصِيكُمْ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٧)، واستغربه.

(٢) رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٨)، وعده من العجائب.

﴿وَأَدَّعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه.

وقيل: ﴿خَوْفًا﴾ من الرَّدِّ ﴿وَطَمَعًا﴾ في الإجابة.

ونصبها على الحال، أو على المفعول له.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: تَلْحَقُ الْمُحْسِنَ دُونَ الْمُسِيءِ.

وقيل: معناه: ما وعد الله المُحْسِنَ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِ<sup>(١)</sup>؛ لأن ما هو آتٍ قَرِيبٌ.

وفي تذكيرٍ ﴿قَرِيبٌ﴾ قولان:

أحدهما: أنه محمولٌ على المعنى، والمرادُ به الثَّوَابُ والنَّعِيمُ.

الأخفش: المرادُ به المطرُ<sup>(٢)</sup>. وهذا مذهبُ البصريين.

وقال الكوفيون: (القريبُ) و(البعيدُ) إذا أردتَ بهما النَّسَبَ يُثْنَى وَيُجْمَعُ وَيُؤنَّثُ، وإذا أردتَ بهما قُرْبَ المَكَانِ وَبُعْدَهُ فلا يُثْنَى ولا يُجْمَعُ ولا يُؤنَّثُ، وأنشد:

عَشِيَّةَ لا عَفْرَاءَ مِنْكَ قَرِيبَةً      فَتَدْنُو وَلا عَفْرَاءَ مِنْكَ بَعِيدَةً<sup>(٣)</sup>

ويحتملُ أنَّ المرادَ به المفعولُ؛ أي: مُقَرَّبَةً، فيصيرُ من بابِ<sup>(٤)</sup>: كَفَّ خَضِيبٌ،

و: عَيْنٌ كَحَيْلٍ<sup>(٥)</sup>.

(١) في (و): «المحسين».

(٢) ذكره جواز أقوال: وإن شئت قلت: تفسير الرحمة ها هنا: المطرُ ونحوه، فلذلك ذكَّر؛ كما قال ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ

مِّنْكُمْ آمَنُوا﴾ [الأعراف: ٨٧] فذكَّر لأنه أراد الناس. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٢٧).

(٣) البيت لعروة بن حزام كما في «ديوانه» (ص: ١٠٦)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨١)، و«تفسير

الطبري» (١٠/ ٢٥١)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٤٢).

(٤) «باب»: ليست في (ن).

(٥) فهو (فعل) بمعنى (مفعول)، والأصل ألا تلحقه علامة التأنيث وإن وصفت به أنثى. انظر: «إصلاح

المنطق» لابن السكيت (٢٤٣).

(٥٧) - ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا سَفَقْنَاهُ لِيلَةً لَمِيتًا فَانزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾؛ أي: يُبْرِئُهَا سَهْلَةً<sup>(١)</sup> من عالٍ ﴿بُشْرًا﴾ بالبشارة؛ كقولهِ: ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦].

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: قَدَامَ المَطَرِ وَأَمَامَ الغَيْثِ.

و﴿نُشْرًا﴾<sup>(٢)</sup>: تَهَبُّ من كُلِّ صَوْبٍ كقولهِ: ﴿وَالنَّشْرَاتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات: ٣] من قولهم: أَنشَرَ اللهُ المَوْتَى فَنَشَرَتْ؛ أَي: أَحْيَاهَا فَحَيَّتْ. وقيل: لَهَا نَشْرٌ؛ أَي: رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ.

وقيل: من (نشرت) ضِدُّ الطَّيِّ؛ أَي: تَنَشَّرَ السَّحَابُ.

وعن أَبِي بَكْرٍ بنِ عِيَّاشٍ: لَا تَقَطُرُ مِنَ السَّمَاءِ قَطْرَةٌ حَتَّىٰ تَعْمَلَ فِيهَا أَرْبَعُ رِيَّاحٍ: فَالضَّبَّا تُهَيِّجُ السَّحَابَ، وَالسَّمَالُ تَجْمَعُهُ، وَالجَنُوبُ تَدْرُهُ، وَالدَّبُورُ تُفَرِّقُهُ<sup>(٣)</sup>.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾؛ أَي: دَفَعَتِ الرِّيحُ سَحَابًا وَحَمَلَتْهُ.

وَالإِقْلَالُ: دَفْعُ الشَّيْءِ بِتَمَامِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ.

وَالسَّحَابُ: جَمْعُ سَحَابَةٍ.

(١) في (ن): «سَهْلَةً».

(٢) قرأ عاصم: ﴿بُشْرًا﴾ بالباء المضمومة وإسكان الشين حيث وقع، وابن عامر بالنون مضمومة وإسكان الشين، وحمزة والكسائي بالنون مفتوحة وإسكان الشين، والباقون بالنون مضمومة وضم الشين. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٣)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥ / ٣٣٧).

﴿ثَقَالًا﴾؛ أي: بالماء، جمع (ثقل) نحو: جَمَلٍ.  
 ﴿سُقْنَهُ لِبَلَدٍ﴾؛ أي: إلى بلد. وقيل: لإحياء بلد. وذَكَرَ للجنس.  
 ﴿مَيْتٍ﴾: لا نبات به ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ﴾: بالبلد، وقيل: بالسحاب ﴿الْمَاءَ﴾: المطر  
 ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ على الوجهين<sup>(١)</sup> ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: أنواع حمل الأشجار.  
 ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: كما أحيينا هذا البلد بإخراج الثمرات - وحياء الأرض: خروج  
 نباتها - ﴿مُخْرِجُ الْمَوْتِ﴾ من الأجداث.

ورَوَى الثعلبيُّ في «تفسيره» عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما: إذا  
 ماتَ الناسُ كلُّهم في النَّفْخَةِ الأولى أمْطَرَ عليهم أربعين عامًا كمنيِّ الرِّجالِ من ماءٍ  
 تحتَ العرشِ يُدعى: ماءَ الحيوانِ، فينبُتون في قُبُورِهِمْ بِذلكِ المطرِ كما ينبُتون في  
 بطونِ أمهاتهم، وكما ينبُتُ الزَّرْعُ من الماء، حتَّى إذا استكملت أجسادهم نُفِخَ فيهم  
 الرُّوحُ، ثم تُلقَى عليهم نومةٌ فينامون في قُبُورِهِمْ، فإذا نُفِخَ في الصُّورِ الثانيةُ عاشوا  
 وهم يجدون طعمَ النَّومِ في رؤوسهم وأعينهم، كما يجدُ النَّائمُ إذا استيقظَ في نومه،  
 فعند ذلك يقولون: ﴿بَوَيْلَنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَقِدَانَا﴾ [يس: ٥٢]، فينادي المُنَادِي: ﴿هَذَا مَا  
 وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

\*\*\*

(٥٨) - ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ  
 نُصْرِفُ إِلَيْنِ أَلْيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ يُريدُ: الأرضَ العذبَ التُّرابِ، لا حجارةً فيه ولا مِلْحَ.

(١) أي: بالبلد أو بالسحاب.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢ / ٣٨٥)، وقد ذكره الثعلبي بلا إسناد، وذكره المصنف في «غرائب

التفسير» (١ / ٤٠٨)، واستغربه.

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: بعلمه ومشيتته. وقيل: بإطلاقه له وحفظه من الآفات.  
 ﴿وَالَّذِي خَبْتُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا﴾ يُرِيدُ السَّبْخَةَ ﴿إِلَّا نَكْدًا﴾: قليلاً عسيراً، وأصل  
 النكد: العسر والشؤم.

وقيل: هذا مثل ضربه الله للمؤمنين<sup>(١)</sup>، يسمع القرآن فينتفع به، ومثل للكافر<sup>(٢)</sup>  
 يسمعه فلا ينتفع به.

وقيل: الأرض الطيبة والخبيثة كلتاها من الأرض، وهو مثل لآدم عليه السلام  
 وذريته، كله منه؛ فمنهم طيبٌ مؤمنٌ، ومنهم خبيثٌ كافرٌ.

﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: نُبَيِّنُهَا ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾: نعمتي ويُطيعونني.

\*\*\*

(٥٩) - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ۗ إِنِّي

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۗ﴾.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ بعثه الله وكان ابن خمسين سنة ﴿فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ۗ إِنِّي

أَخَافُ عَلَيْكُمْ ۗ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ غَيْرُهُ ۗ﴾: لا إله سواه، فلا تعبدوا معه غيره

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ۗ إِنَّ لَمْ تُؤْمِنُوا ۗ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يوم القيامة.

\*\*\*

(٦٠) - ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ۗ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۗ﴾.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ الأشراف منهم ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: خطياً

وذهاباً عن الرِّشَادِ ﴿مُبِينٍ﴾: بين.

(١) كذا في النسخ الخطية، ولو قال: للمؤمن، لكان أظهر، والله أعلم. انظر: «الوسيط» للواحدى

(٣٧٩/٢).

(٢) في (ن): «الكافر».

(٦١ - ٦٢) - ﴿ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾  
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ  
رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النَّصْحُ: خِلافُ الغِشِّ، تقول: نصحتُه  
ونصحتُ له .

﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ لَأَنَّهُ أَوْحَى إِلَيَّ دُونَكُمْ . وقيل: أَعْلَمُ ثوابه وعقابه .

\*\*\*

(٦٣) - ﴿ أَوْعَيْبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ  
تُرْحَمُونَ ﴾ .

﴿ أَوْعَيْبْتُمْ ﴾: استفهام إنكارٍ، والمعنى: بَعْدَ فِي عُقُولِكُمْ وَجُودُهُ .  
﴿ أَن جَاءَكُمْ ﴾: من أن جاءكم ﴿ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾: وَحْيٌ وَرِسَالَةٌ ﴿ عَلَى رَجُلٍ ﴾؛ أي:  
أُنزِلَ عَلَيْهِ . وقيل: مع رجلٍ ﴿ مِّنكُمْ ﴾: من جملتكم ﴿ لِيُنذِرَكُمْ ﴾: لِيُخَوِّفَكُمْ الْمَكْرُوهَ  
﴿ وَلِتَتَّقُوا ﴾ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ إن أطمتموه .

\*\*\*

(٦٤) - ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخْبَتْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ  
كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ .

﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ نَسَبُوهُ إِلَى الْكُذْبِ .  
﴿ فَأَخْبَتْنَاهُ ﴾؛ أي: نوحًا ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾: بَنِيهِ - سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثٌ - وَسِتَّةٌ رِجَالٍ .  
وقيل: كانوا ثمانين؛ أربعين رجلاً وأربعين<sup>(١)</sup> امرأةً .

(١) في (ن): «أربعون رجلاً وأربعون» .

﴿فِي الْفُلْكِ﴾: فِي السَّفِينَةِ ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِتْمَمَ كَانُوا قَوْمًا عَمِيكٌ﴾: عَمَى الْقَلْبِ، تَقَوْلُ: جَاءَ (١) رَجُلٌ أَعْمَى، لِلَّذِي لَا يَرَى بِعَيْنِهِ، وَرَجُلٌ عَمٍ: لَا يَهْتَدِي بِقَلْبِهِ (٢).  
 وَقِيلَ: ﴿عَمِيكٌ﴾: جَاهِلِينَ. وَقِيلَ: ضَالِّينَ عَنِ الْحَقِّ.

\*\*\*

(٦٥) - ﴿وَالِإِلَٰهَ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.  
 ﴿وَالِإِلَٰهَ عَادٍ﴾ يُرِيدُ: وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ عَادٍ، فَهُوَ عَطْفٌ عَلَىٰ (نُوحٍ).  
 وَعَادٌ: هِيَ عَادُ الْأُولَىٰ، عَادُ بْنُ عُوصٍ بْنِ إِرْمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ.  
 ﴿أَخَاهُمْ﴾؛ أَي: فِي النَّسَبِ ﴿هُودًا﴾: هُوَ هُودُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ: هُودُ بْنُ شَالِحٍ.  
 ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أَي: أَفَلَا تَتَّقُونَ عَذَابَ اللَّهِ.

\*\*\*

(٦٦) - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.  
 ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾؛ أَي: فِي ضَلَالٍ بِتَرِكِكَ دِينَنَا.

وَالسَّفَاهَةُ: خِفَّةُ الْعَقْلِ وَالْحَلْمِ، وَالسَّفَاهَةُ بِلُغَةِ حَمِيرٍ: الْجُنُونُ (٣).  
 ﴿وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فِي ادِّعَائِكَ.

(١) «جاء»: ليست في (و).

(٢) انظر: «العيني» مادة (ع م ي) (٢/٢٦٦).

(٣) انظر: «لغات القبائل» لأبي عبيد (ص: ٥)، و«اللغات» لابن حسنون (ص: ٢٧).

(٦٧ - ٦٩) - ﴿ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أَيْلُغُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا ءَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

﴿ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أَيْلُغُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا ءَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ سبق<sup>(١)</sup> .

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾؛ أي: في مساكنهم ومنازلهم وأموالهم، وكان مساكنهم بالأحفاف من رمل عالج<sup>(٢)</sup> من حضر موت إلى بحر عُمان .

﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾: طُولًا وَقُوَّةً وَامْتِدَادًا وَسَعَةً.

قيل: كَانَ طَوَّلُ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ اثْنِي عَشَرَ ذِرَاعًا. وَقِيلَ: سَبْعِينَ ذِرَاعًا. وَقِيلَ: ثَمَانِينَ.

الكلبيُّ: أَطْوَلُهُمْ مِئَةُ ذِرَاعٍ، وَأَقْصَرُهُمْ سِتُونَ ذِرَاعًا<sup>(٣)</sup>.

وقيل: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ﴾: فِي النَّاسِ ﴿بَضْطَةً﴾: قُوَّةٌ عَلَيْهِمْ وَغَلْبَةٌ.

(١) «سبق»: ليست في (و).

(٢) رمل عالج: رمل عظيم في بلاد العرب يمر في شمال نجد قرب مدينة حائل - بالسعودية - إلى شمال تيماء، وقد سمي قسمه الغربي: رمل بحتر، نسبة إلى قبيلة من طيء ويسمى اليوم: النفود. انظر: «المعالم الأثيرة» لمحمد حسن شراب (ص: ١٨٥).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٣٩٢).

﴿فَأَذْكُرُوا لِلَّهِ الْآلَاءَ﴾: نعمه، واحدها: إلى، مثل (معى)، وهو الصحيح،  
وقيل: (ألا) بالفتح كـ (قفا)، وقيل: (إلي) كـ (حسي).  
﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾: لكي تبقوا في الجنة.

\*\*\*

(٧٠) - ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا يِمَا  
تَعُدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام،  
استفهام إنكار؛ أي: لا نفعل ذلك.  
﴿فَأَيْنَا يِمَا تَعُدُّنَا﴾ يعني: العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ودل قوله: ﴿أَفَلَا  
تُنْفِقُونَ﴾ عليه.

\*\*\*

(٧١) - ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي  
أَسْمَاءِ سَمِيَّتُمْوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ  
الْمُنظِرِينَ﴾.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: نزل ووجِبَ؛ أي: دنا ذلك.  
﴿رِجْسٌ﴾: عذاب، وكلُّ مُستفدِرٍ: رِجْسٌ، والرَّجْسُ: الصَّوتُ الشَّدِيدُ أَيضًا.  
ابن بحر: الرَّجْسُ: ضِدُّ التَّرْكِيهِ<sup>(١)</sup>.  
أبو عمرو: الرَّجْسُ: الرَّجْزُ، قُلِبَ زَايُهُ سِينًا<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكره الرازي بلا نسبة في «التفسير الكبير» (٣٠٣/١٤).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٠/٢٧٩). وفي (ن): «زأوه» بدل: «زايه».

﴿وَعَصَبٌ﴾: إرادة انتقام.

﴿أَتَجِدِلُونِي﴾: أخاصموني ﴿فِي أَسْمَاءٍ﴾؛ أي: في أسماء<sup>(١)</sup> أصنامٍ ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ أسماء لا تستحقها ﴿مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾؛ أي: سمَّيْتُمُوهَا آلِهَةً مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بَيَانٍ.

الثعلبي: سَمَّوْا صَنَمًا صُدَاءً، وَصَنَمًا صَمُودًا، وَصَنَمًا الْهَبَارَ<sup>(٢)</sup>.

﴿فَأَنْظِرُوا﴾: نَزَلَ الْعَذَابُ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

\*\*\*

(٧٢) - ﴿فَأَنْجَيْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَأَنْجَيْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: يعني: مَنْ آمَنَ بِهِ ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: بِنِعْمَةٍ مِنَّا عَلَيْهِمْ.

﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: أَهْلَكْنَاهُمْ هَلَاكَ اسْتِئْصَالٍ. وَالدَّابِرُ: الْأَصْلُ، وَقِيلَ: الدَّابِرُ: آخِرُ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ.

﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾: زِيَادَةٌ ذَمٌّ لَهُمْ.

ابنُ بَحْرٍ: أَي: لَوْ بَقُوا مَا كَانُوا لِيَوْمِنَا.

ثُمَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حَسُومًا فَأَهْلِكُوا.

\*\*\*

(١) «أسماء»: ليست في (ن).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/٣٩٦).

(٧٣) - ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾: أرسلنا إلى ثمود، اسمُ قبيلةٍ عظيمةٍ، مُشتقٌّ من (الثَّمَدِ)، وهو الماءُ القليلُ، وجدَّهم ثمودُ بنُ عابرٍ<sup>(١)</sup> بنِ إرمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ. ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾: هو صالحُ بنُ عبيدٍ<sup>(٢)</sup> ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هذا جوابٌ لقولهم: ﴿فَأْتِ بِبَيِّنَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤].

﴿هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ﴾ إضافةٌ تخصيصٍ كـ(بيتِ الله)، ولأنَّها لم تكن من اجتماعِ ذكرٍ وأنثى، بل أخرجها اللهُ من صخرةٍ مُنفردةٍ في ناحيةِ الحجرِ، وكان ديارُهم الحجرَ بينَ الحجازِ والشَّامِ، يُقالُ لتلك الصَّخرةِ: الكائبةُ، فتمخَّضتِ الصَّخرةُ تمخُّضَ التَّوَجِّجِ بولدها، ثم تحرَّكت الهضبةُ، فانصدعت عن ناقةٍ عُشراء، ثم نَجَّجت سَقْبًا<sup>(٣)</sup> مثلها في العَظْمِ.

﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ تدلُّ على صدقِ نُبوَّتِي ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾: عُشْبَهَا وخَلاها؛ أي: سهَّل اللهُ لكم أمرَها، فليس عليكم منها مُؤنةٌ.

﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ﴾: لا تقربوها بنحرٍ وعقرٍ، ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

\*\*\*

(١) في (ن): «عاد»، وفي (و): «عاش». وما أثبتناه هو الذي عليه أكثر المصادر.

(٢) هكذا ورد الاسم في «تاريخ الطبري» (١/١٣٨)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/٤١٢): صالح بن

عبيد بن آسف، وفي كثير من المصادر: صالح بن آسف، دون ذكر عبيد.

(٣) السَّقْبُ: ولد الناقة الذكر. انظر: «معجم ديوان الأدب» (١/٩٤).

(٧٤) - ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أنزل لكم وأسكنكم، من (البوَاء)، وهو المنزل، واشتقاقه من (باء): إذا رجع. ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾؛ أي: وسع عليكم، فصرتم أرباب قُصُورٍ وحصونٍ.

﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾؛ أي: تُنقَبون في الجبال للبيوت؛ لأنَّ الأبنية لم تكن نفي بعمريهم ﴿فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

\*\*\*

(٧٥) - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْتَعَلَمُونَ أَنْتَ صَاحِبُ السُّرَّةِ قَالَوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾؛ أي: الكفار منهم ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا﴾، أي: المؤمنين، ثمَّ أبدل فقال: ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْتَعَلَمُونَ أَنْتَ صَاحِبُ السُّرَّةِ مِنْ رَبِّهِ﴾ إليكم؟ ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

\*\*\*

(٧٦-٧٧) - ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ﴾ ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ أٰثِنًا يَمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ﴾ ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ أٰثِنًا يَمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ عقرها قدار بن سالفٍ ومصدع بن دهر، وتأتي القصة في موضعها.

﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: جاوزوا الحدَّ في الكفر<sup>(١)</sup>، وتعظَّموا عن أن يُؤْمِنُوا  
﴿وَقَالُوا لَنْصَلِّحَ أَخْتِنَا بِمَا تَعَدَّنَا﴾ تكذيبًا واستهزاءً.  
﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ صادقًا في ادِّعائك النُّبُوَّةَ ووَعِيدِكَ إِيَّانَا بالعذاب.

\*\*\*

(٧٨) - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزَّلْزَلَةُ، وفي الآية الأخرى: ﴿الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣]،  
وفي آية ثالثة: ﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]، ووجه ذلك أَنَّ الطَّاغِيَةَ صِفَةٌ لِكُلِّ عَذَابٍ جَاوَزَ  
الحدَّ في الفساد<sup>(٢)</sup>، والرَّجْفَةُ: الصَّيْحَةُ التي زَعَزَعَتْهم وحرَّكَتهم للهلاكٍ.  
وقيل: ماتوا بالرَّجْفَةِ والصَّيْحَةِ جميعًا.

وقيل: الصَّيْحَةُ: الأَمْرُ والدُّعَاءُ والنَّدَاءُ؛ أي: اللهُ أَمَرَهَا ونَادَاهَا بِأَنْ تَهْلِكَ بِالرَّجْفَةِ  
الشَّدِيدَةِ الْمُفْرِطَةِ.

وقيل: الطَّاغِيَةُ: سَيُولُ وَقَعَتْ بِعَقِبِ الرَّجْفَةِ.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾: بِلَدِّهم، وقيل: منازلهم، فوَحَّدَ للجنسِ.

﴿جَنِينًا﴾: مَيِّتِينَ خَامِدِينَ.

وقيل<sup>(٣)</sup>: كَرَمَادِ الجائِمِ، والجوائِمُ: الأثافيُّ، وكلُّ ما لاطَ بالأرضِ ساكنًا فهو  
جائِمٌ.

(١) في (ن): «كفرهم».

(٢) قوله: «الفساد» كذا في النسخ. ولعله وهم، والصواب: الشدة أو القوة. انظر: «الكشاف» (٤/٥٩٨)،  
و«تفسير الرازي» (٣٠/٦٢١)، و«تفسير البضاوي» (٥/٢٣٩)، وغيرها. أما الفساد فلا مكان لذكره  
هنا، وإنما يمكن أن يذكر في تعريف الطغيان بأنه ما جاوز الحد في الفساد.

(٣) «وقيل»: ليست في (ن).

(٧٩) - ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّصْحِيحَ﴾.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾؛ أي: لما عقروا الناقة فارقهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم عند فراقه إيَّاهم: ﴿يَنْقُورٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّصْحِيحَ﴾.

وقيل: أعرَضَ بعد نزولِ العذابِ بهم، وقال هذا القول، كما خاطبَ النبي ﷺ قتلى بدرٍ.

\*\*\*

(٨٠) - ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلَوْطًا﴾؛ أي: وأرسلنا لوطًا. الأخصش: واذكر لوطًا<sup>(١)</sup>.

هو لوط بن هاران، ابن أخيه إبراهيم عليهما السلام.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ وهم أهل سدوم: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ﴾: استفهامٌ تقريعٌ وتوبيخٌ

وإنكارٌ على ارتكابِ القبيحِ.

والفاحشة هاهنا: اللواطُ.

﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: لم يُعرف<sup>(٢)</sup> هذا الفعل قبل اليوم، ولا

يُرى ذكرٌ على ذكرٍ في الدنيا حتى كان قومٌ لوطٍ.

وقيل: عالمي زمانهم. وهذا هاهنا بعيدٌ.

والمُرَادُ بِالْعَالَمِينَ: النَّاسُ.

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٣١)، وقد قدم فيه القول السابق ثم قال: وقال بعضهم:

«واذكر لوطًا».

(٢) في (و): «يعلم».

(٨١) - ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١﴾ .  
 ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ ؛ أي: لشهوة الجماع التي حَقُّهَا أَنْ تُنَالَ مِنْ  
 النِّسَاءِ .

﴿مِن دُونِ النِّسَاءِ﴾ ؛ أي: لا مِنْ النِّسَاءِ .  
 ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (بل): ردٌّ لجوابِ عيسى يزعموا<sup>(١)</sup> أَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِيهِ  
 عَذْرٌ؛ أي: لا عَذْرَ لَكُمْ وَلَا حِجَّةَ .  
 ابنُ عيسى: ﴿بَلْ﴾ إِضْرَابٌ عَنِ الْأَوَّلِ إِلَى جَمِيعِ الْمَعَايِبِ؛ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ  
 وَإِتْيَانِ الذُّكْرَانِ .

وَالِإِسْرَافِ وَالْجَهْلِ تَوَآمَانِ، وَلِهَذَا قَالَ فِي النَّمْلِ: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

(٨٢) - ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ  
 أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ ﴿١﴾ .

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ يُرِيدُ: لَوْطًا  
 وَابْتِيَةَ - زَعُورًا<sup>(٣)</sup> وَرِيثًا، وَقِيلَ: رِيثَاءٌ وَعِثَاءٌ - وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ؛ أَي: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَوَابٌ،  
 فَعَدَلُوا إِلَى السَّفَاهَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ .

﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ : يَتَنَزَّهُونَ عَنْ أَعْمَالِكُمْ .

(١) كذا في النسخ، وقد نقل أبو حيان في «البحر» (١٠١/٥) هذا الكلام عن المؤلف بلفظ: «(بل) ردٌّ  
 لجواب زعموا أن يكون لهم فيه عذر» .

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٢/٦٣٢)، و«البرهان» للمصنف (ص: ١٢٤) .

(٣) اختلفت المصادر في الاسم، فمما ذكره: (زغرنا) و(رعزيا) و(زعرنا) .

وقيل: يتعززون<sup>(١)</sup> عن إتيان أدبار الرجال وأدبار النساء.

وقيل: يتحرّجون.

ابن بحر: يرتقبون أطهار النساء ليُجامِعُوهُنَّ فيها.

ابن عباس: عابوهم بما يُتمدّحُ به<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٨٣) - ﴿ فَأَجْنِبْنَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَنِيِّينَ ﴾

﴿ فَأَجْنِبْنَهُ وَأَهْلَهُ ﴾؛ أي: من آمن به ﴿ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ ﴾ واسمها واهله، فإنها كانت تُسرُّ الكفر.

﴿ كَانَتْ مِنَ الْغَنِيِّينَ ﴾ من الباقيين، وغلب المذكر.

وقيل: من الباقيين في عذاب الله.

وقيل: من الغائبين عن النجاة، تقول: غبر عنا؛ أي: غاب.

وقيل: من المعمرين.

\*\*\*

(٨٤) - ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَنُقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴾ مفسرٌ بقوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا

سَائِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٣﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رِئِكٍ وَمَا هِيَ مِنَ

الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ ﴿ [هود: ٨٢-٨٣].

﴿ فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَنُقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾؛ أي: الكافرين.

(١) في (ن): «يتعززون».

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ١٠٢). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٢٧)، والطبري

في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٧) عن قتادة.

(٨٥) - ﴿وَإِلَىٰ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوِرَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَ تَكْثِيرُ بَيْنِكُمْ مِنِّي بَيْنَةً ۖ فَآوُوا إِلَى الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدِينٍ﴾: وأرسلنا إلى مدين.

الفرّاء: إلى أهل مدين، ومدين: اسم بقعة<sup>(١)</sup>، وأنشدنا:

رُهْبَانُ مَدِينٍ لَو رَأَوْكَ تَنَزَّلُوا  
وَالْعُصْمُ مِنْ شَعْفِ الْعُقُولِ الْفَادِرِ<sup>(٢)</sup>

غيره: مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

وقيل: اسم رجل يُقال له: مدينان، وكان سبط نوح عليه السلام، وجعل اسماً لقبيلة، وهم أصحاب الأيكة.

قتادة: أرسل مرتين؛ مرة إلى مدين، ومرة إلى أصحاب الأيكة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفرّاء (٢ / ٣٠٤)، وفيه: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينٍ﴾ يريد: قصد ماء مدين. ومدين لم تصرف لأنها اسم لتلك البلدة، ثم أنشد البيت.

(٢) البيت لجريز، وهو في «ديوانه» بشرح ابن حبيب (١ / ٣٠٨)، و«الغريبين» (٣ / ٧٩٦)، و«البيسط» (٧ / ٤٩٥)، ونسب لكثير كما في «معجم البلدان» (٥ / ٧٨)، ورجح الشيخ أحمد شاكر في حاشية الطبري (١٠ / ٥٠٢) أنه لجريز، وقال في شرحه: و«العقول» عندي بفتح العين، من قولهم: «عقل الوعل يعقل عقولاً»: امتنع برأس الجبل... والشعف: جمع شعفة (بفتحتين): وهي رأس الجبل. و«الفادر»: الوعل العاقل الممتنع في رأس الجبل، وهو حينئذ مسنّ معتقل في رأس جبله. و«العصم»: جمع أعصم، وهو الوعل، سمي بالصفة الغالبة، لأن في إحدى يديه بياضاً... بمعنى أن العصم غير المسنة تنزلت أيضاً من المعقل الذي يعقل إليه مسن الوعول امتناعاً من الصيد لقلّة احتفاله بمفارقة معقله كاحتفال شوابّ الوعول.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٤ / ١٠٠).

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: هو شُعَيْبُ بْنُ تُوْبَةَ، وقيل: شُعَيْبُ بْنُ مِيكَيلٍ، وكان يُقال له: خطيبُ الأنبياء؛ لحُسْنِ مُرَاجَعَتِهِ قَوْمَهُ<sup>(١)</sup>.

وقيل: كان نبياً لم تكن له معجزة.

وأنكر الزجاج هذا القول، قال: والدليل<sup>(٢)</sup> على أن له معجزة قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥] قال: ولا تُقبل نبوةٌ بغير معجزة<sup>(٣)</sup>.

﴿قَالَ يَنْقُورُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: ما أُوتِيَ مِنَ الْمُعْجَزَةِ ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ الإيفاء: إتمام الشيء إلى حدِّ الواجب فيه.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: لا تَنْقُصُوا حَقُوقَهُمْ بِتَطْفِيفِ الْكَيْلِ وَنُقْصَانِ الْوِزَنِ.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر ﴿بَعْدَ صَلَاحِهَا﴾: بعد بعث الأنبياء والأمر بالعدل والإحسان.

والأليق بالآية: ولا تُفسدوا بالظلم والعدوان في الكيل والميزان.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: الإيمان السابق على إيفاء الكيل والوزن، وكانوا أهل كُفْرٍ وَبَخْسٍ لِلْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ.

(١) رُوي في حديث ليس له إسناده متصل. انظر: «تفسير الطبري» (٣٢٣/١٠) و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٥٢٢/٥)، و«المستدرک» (٤٠٧١).

(٢) في (ن): «وقال الدليل».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣٥٣/٢).

(١٦) - ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا اِذْ كُنْتُمْ قَلِيْلًا فَكَثَرَكُمْؕ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِيْنَ﴾.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا﴾: ولا تجلسوا ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾: طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾: تتهددون بالمكاريه ﴿وَتَصُدُّونَ﴾: تمنعون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن الإيمان به. الزَّجَّاجُ: سبيلُهُ الذي آمَنَ به ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: يريدُ الإيمانَ. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾؛ أي: تلتَمِسونَ للسَّبِيلِ زَيْغًا.

وقيل<sup>(٢)</sup>: تُريدونَ الاعوجاجَ والعدولَ عن القصدِ.

وقيل: هو إخبارهم أنَّ ما أتى به شُعَيْبٌ باطلٌ غيرُ مُستقيمٍ، وذلك أنَّهم كانوا يجلسون على الطَّرِيقِ، ويقولون لَمَنْ قصدَ شُعَيْبًا لِيُؤْمِنَ به: إِنَّ شُعَيْبًا كَذَّابٌ لا يفتننك عن دينك.

السُّدِّيُّ: كانوا عشَّارين<sup>(٣)</sup>.

ابنُ زَيْدٍ: يقطعون الطَّرِيقَ<sup>(٤)</sup>.

﴿وَاذْكُرُوا اِذْ كُنْتُمْ قَلِيْلًا فَكَثَرَكُمْ﴾: فأكثرَ عددكم، وقيل: كُتِمَ فقراءً فأغناكم.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٥٤)، وفيه: «أي: عن الطريق التي آمن الله من آمن بها».

(٢) «وقيل»: ليست في (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣١٤). والعشارون: جمع عشَّار، وهو صاحب المكس: الذي

كان يأخذ من المسلمين عشر أموالهم لا على وجه الزكاة، بل على وجه التعدي. انظر: «شرح

المشكل» لابن الجوزي (٢/ ٢٣).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٤٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١٣٨).

وقيل: كتتم عجزه فجعلكم ذوي مقدرة.

﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: آخر أمر قوم لوط.

\*\*\*

(٨٧) - ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا

فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا

حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ خطاب للمؤمنين؛ أي: اصبروا على أذى هؤلاء الكفار.

وقيل: خطاب للكفار تهديدا لهم؛ أي: اصبروا حتى تروا ماذا يستقبلكم.

\*\*\*

(٨٨) - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ

قَرِينِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَرِهِينَ﴾.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾؛ أي: الذين تعظموا عن الإيمان.

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِينِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ عاد: موضوعه

لفعلٍ عَمِلَ (١) مرة، وقد يُستعمل للابتداء بمعنى: صار، قال الشاعر:

تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ شيبا بماءٍ فعادا بعد أبو الـ (٢)

(١) «عمل»: ليست في (و).

(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت في «ديوانه» (ص: ٤٥٩)، و«تفسير الثعلبي» (١٢ / ٤٤٤).

ولأبي الصلت بن ربيعة الثقفي، والد أمية في «الشعر والشعراء» (١ / ٤٥٣)، و«العقد الفريد»

ولم يَكُنِ اللَّبْنُ بَوْلًا.

وقيل: خطابٌ للَّذِينَ مَعَهُ دُونَهُ.

وقيل: خاطبوه على زَعَمِهِمْ.

والمَلَّةُ: الشَّرِيعَةُ.

﴿قَالَ أَوْلَوْكُنَّا كَرِهِينَ﴾؛ أي: كيف نعوذُ في مِلَّتِكُمْ ونحنُ له كارِهون؟!!

والكارِهَةُ للشَّيْءِ لا يصيرُ إليه اختيارًا.

وقيل: معناه: أتَجبرِ وننا على العودِ وإن كَرِهنا؟ قالوا: نعم. ثمَّ قال شُعَيْبٌ:

(٨٩) - ﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهَ مِنهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ

نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا

بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: قد اختلقنا على الله الكذب ﴿إِنْ عُدْنَا﴾: دخلنا ﴿فِي

مِلَّتِكُمْ﴾: دينِكُمْ ﴿بَعْدَ إِذْ﴾: ﴿إِذْ﴾ بمعنى الوقتِ وأضافَ ﴿بَعْدَ﴾ إليه.

﴿جَعَلْنَا اللَّهَ مِنهَا﴾: خلصنا.

= وللنابغة الجعدي في «ديوانه» (ص: ١١٢)، و«أشعار النساء» (ص: ٣٢)، و«التمثيل والمحاضرة» (ص: ٦٢).

وللجعدي أو لأبي الصلت في «المعاني الكبير» (٢/ ١٠٢٦).

وقد شكك الأصمعي في نسبة هذا البيت للنابغة في «فحولة الشعراء» (ص: ١١) فقال: لو كانت هذه القصيدة للنابغة الأكبر بلغت كل مبلغ.

وفي «الدر الفريد» (٥/ ٤١٩): فبنو عامر بن صعصعة يرون هذا البيت للنابغة الجعدي، وباقي الرواة مجمعون على أن أبا الصلت بن أبي ربيعة قاله، وأحسب أن النابغة الجعدي جاء به متمثلاً.

والقَعْبُ: القَدْحُ الغَلِيظُ، ويجمع على قِعَابٍ.

﴿وَمَا يَكُونُ﴾: وما ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾: نصيرَ إلى ملَّتكم ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾؛ أي: يشاء الكفرَ لنا فحيثَ نَصِيرُ، والكفرُ بمشيئةِ الله.

وقيل: كان في ملَّتهم أشياء يجوزُ تعاطيها.

وقيل: هذا على وجه البُعدِ وأَنَّهُ لا يكونُ؛ كقوله سُبحانه: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ﴾ [الأعراف: ٤٠] وكقولهم: حَتَّىٰ يَبِيضَ الْقَارُ<sup>(١)</sup>، ويشيبَ الْغُرَابُ<sup>(٢)</sup>.

ويحتملُ: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ تُؤْمِنُوا.

وقيل: ﴿نَعُودَ فِيهَا﴾ كنايةٌ عن القرية<sup>(٣)</sup>.

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾؛ أي: أحاطَ علمُه بما يكونُ مِنَّا ومنكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ هو جوابٌ لقولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ﴾ [الأعراف: ٨٨]؛ أي: فوَضْنَا أمورنا إليه.

﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾: بَيْنَ مَصِيرِنَا وَمَصِيرِهِمْ، وهذا حينَ أذنَ الله له في الدُّعاء عليهم.

وقيل: ﴿أَفْتَحْ﴾: احكُمُ واقضِ، والفتَّاحُ: القاضي بلغةِ عَمان<sup>(٤)</sup>؛ لأنَّه يتولَّى فصل<sup>(٥)</sup> الأمورِ وفتحَ المُشكلاتِ.

(١) القار: الزفت.

(٢) قال السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٣٣): «وهذا طريق المعتزلة».

وقال الواحدي في «السيط» (٩/ ٢٣٤): «وهذا لا يصح مع قوله: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله: ﴿مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وآيات كثيرة تصرح بأن الله تعالى يشاء كل ما يحدث في العالم». وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٤)، واستغربه.

(٣) أي: نرجع إلى القرية. وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٤)، واستغربه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٥).

(٥) في (و): «فتح».

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: مَا كُنْتُ أَعْرِفُ مَعْنَى ﴿أَفْتَحْ﴾ حَتَّى سَمِعْتُ ابْنَةَ ذِي يَزَنٍ تَقُولُ لَزَوْجِهَا: لَعَلِّي أَفَاتِحُكَ<sup>(١)</sup>؛ أَي: أُخَاصِمُكَ إِلَى الْقَاضِي.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاجِحِينَ﴾: الْحَاكِمِينَ.

\*\*\*

(٩٠ - ٩١) - ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَيْرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمًا ﴿٩١﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا ﴿٩٠﴾ وَتَرَكْتُمْ دِينَكُمْ ﴿٩١﴾﴾

لَخَيْرُونَ ﴿٩٠﴾: مَغْبُونُونَ. وَقِيلَ: جَاهِلُونَ. وَقِيلَ: عَجْزَةٌ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزَّلْزَلَةُ، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣]،

قِيلَ: هِيَ صَيْحَةُ جَبْرِيلَ. وَقِيلَ: الصَّيْحَةُ اسْمُ الْعَذَابِ. وَقِيلَ: هُوَ الْأَمْرُ وَالنِّدَاءُ.

وَقِيلَ: لَا تَخْلُو زَلْزَلَةٌ مِنْ صِيَاحٍ وَرِيَاحٍ.

وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ سَلَطَ عَلَيْهِمْ حَرًّا شَدِيدًا أَخَذَ بِأَنْفُسِهِمْ، فَدَخَلُوا

الْبُيُوتَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الْبُيُوتَ، فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ ظِلٌّ وَلَا بِنَاءٌ، وَأَنْضَجَهُمُ الْحَرُّ، فَبَعَثَ اللَّهُ

سُبْحَانَهُ سَحَابًا فِيهَا رِيحٌ طَيِّبَةٌ، فَوَجَدُوا بَرْدَ الرِّيحِ وَطَيِّبَهَا وَظِلَّ السَّحَابَةِ؛ فَنَادَوْا: عَلَيْكُمْ

بِهَا، فَخَرَجُوا إِلَى الْبَرِّيَّةِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ؛ رَجَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ وَصِبْيَانُهُمْ،

أَلْهَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَارًا، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، فَاحْتَرَقُوا كَمَا يَحْتَرِقُ الْجِرَادُ الْمَقْلُوعُ،

وَصَارُوا رَمَادًا، وَهُوَ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٠٧٦)، والطبري في «تفسيره» (١٠ / ٣٢٠).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢ / ٤٤٧).

وقيل: أهلك مدينَ بالزلزلة، وأصحاب الأيكة بالحر، وكان شعيب عليه السلام مبعوثاً إليهما.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾: مدينتهم ﴿جَشِيمَاتٍ﴾: ميتين.

\*\*\*

(٩٢) - ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْنَوْا فِيهَا﴾: يُقِيمُوا فِيهَا وَيَنْعَمُوا، وَأَصْلُهُ مِنَ (الْمَعْنَى) (والمغاني)، وهي المنازل، تقول: غَنِيَ يَغْنَى غِنًى وَغُنْيًا وَغُنْيَانًا، قال:

وَعَنَيْتُ دَهْرًا قَبْلَ<sup>(١)</sup> مُجْرَى دَاحِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودٌ<sup>(٢)</sup>  
وقال آخر:

وَلَقَدْ يَغْنَى بِهَا حَيْرَانُكَ الـ مُمْسِكُو مَنْكَ بَعْهَدٍ وَوَصَالٍ<sup>(٣)</sup>

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾: الهالكين، لا كما زعموا وقالوا:  
﴿لَيْنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِتَّكُرُوا إِذَا الْخَسِرُونَ﴾.

\*\*\*

(١) في (ن): «بعد» وكذا وقعت في بعض المصادر، وفي أكثرها: «قبل» كالمثبت.

(٢) البيت للبيد بن ربيعة في «ديوانه» (ص: ٣٥)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٨٥)، و«العين» (١٣٩/٧)، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٥١٧). ورواية الديوان وأكثر المصادر: «وغنيت سبتًا»، والسبت: برهة من الدهر كما قال صاحب «العين». وجاء في هامش (ن): «داحس اسم فرس».

(٣) البيت لعبيد بن الأبرص في «ديوانه» (ص: ٥٨)، و«الخصائص» (٢/ ٢٥٧)، و«مختارات شعراء العرب» لابن الشجري (٢/ ٣٧). ورواية الديوان:

ولقد يغنى به أصحابك الـ ممسكو منك بأسباب الوصال

(٩٣) - ﴿فَنَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

﴿فَنَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ بعد أن نزل بهم العذاب ﴿وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي﴾ في نزول العذاب ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأَسَىٰ﴾: أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ عزى نفسه عنهم.

وقيل: وتولَّى عنهم وقال حين رأى أوائل العذاب.

\*\*\*

(٩٤) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا﴾ يريد: كذَّبوه فأخذنا ﴿أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾؛ أي: عاقبناهم.

والبأساء: الشدة في أنفسهم، والضراء: ما نالهم في أموالهم.

الحسن: الجوع والفقراً<sup>(١)</sup>.

﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: لكي يتضرعوا. وقيل: عاملناهم معاملة الشاك.

\*\*\*

(٩٥) - ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾: حولنا ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾: الشدة والفقير ﴿الْحَسَنَةَ﴾: الراحة والغنى ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ أي: كثروا. قتادة: سُروا<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٩) بلفظ: «هذه الأمراض والجوع ونحو ذلك».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٢٣)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١)، وقال: «وهذا الذي =

الحسنُ: حَتَّى سَمِنُوا وَسَمِنَتْ دَوَابُّهُمْ<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾؛ أي: هذه عادةُ الدهرِ؛ أي<sup>(٢)</sup>: بعد كلِّ خِصْبٍ جَدْبٌ، وبعد كلِّ جَدْبٍ خِصْبٌ، فكونوا على ما أنتم عليه.  
﴿فَأَخَذْنَهُمْ بَغْنَةً﴾: فجأةً، وهي الأخذُ على غِرَّةٍ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزولِ العذابِ.

\*\*\*

(٩٦) - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا﴾ الشرك والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾: لأنزلنا عليهم ﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ يعني: المطر، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ يعني: النَّبَات؛ أي: لو سَعْنَا عليهم النِّعْمَةَ، ورفعنا عنهم الجَدْبَ والقَحْطَ.

وقيل: بركاتِ السَّمَاءِ: قبولُ الدُّعَاءِ، وبركاتِ الأرضِ: تسهيلُ الحاجاتِ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَكِن كَذَّبُوا﴾؛ أي: الأنبياءُ ﴿فَأَخَذْنَهُم﴾: عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: بكفْرهم وسوءِ صنيعهم.

\*\*\*

= قاله قتادة في معنى ﴿عَفَوًا﴾ تأويل لا وجه له في كلام العرب؛ لأنه لا يعرف العفو بمعنى السرور في شيء من كلامها إلا أن يكون أراد: حتى سروا بكثرتهم وكثرة أموالهم، فيكون ذلك وجهًا وإن بعد.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٥٢٧) بلفظ: «حتى سمنا».

(٢) «أي»: ليست في (و).

(٣) في (و): «الدُّعَاءُ»، والمثبت من (ن)، وهو موافق لما في «النكت والعيون» (٢ / ٢٤٣).

(٩٧) - ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ .  
 ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ يريد: الكافرين منهم ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾: عذابنا ﴿بَيِّنَاتًا﴾:  
 ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ .

\*\*\*

(٩٨) - ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ .  
 ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾: نهاراً ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: ساهون لا هون.

\*\*\*

(٩٩) - ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْأَقْوَامُ الْخَاسِرُونَ﴾ .  
 ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾: استدراجه. وقيل: عذابه. وقيل: جزاء مكرهم.  
 ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْأَقْوَامُ الْخَاسِرُونَ﴾؛ أي: الذين لا يؤمنون به.

\*\*\*

(١٠٠) - ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوَنَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ  
 بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ .  
 ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾: يبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾: يسكنون فيها، وينالون من ثمارها  
 ﴿مِن بَعْدِ أَهْلِهَا﴾؛ أي: الأمم الخالية الذين أهلكوا بقبيح فعلهم، فعمل هؤلاء  
 أعمالهم وعتوا على ربهم.  
 ﴿أَن لَّوَنَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أهلكتناهم كما أهلكتنا من قبلهم ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ  
 قُلُوبِهِمْ﴾: نختم عليها ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: الهدى.

وقيل: لا يُجيبون، من قولنا: سمع الله لمن حمده، قال:

دَعَا اللَّهَ حَتَّىٰ خَفْتُ أَنْ لَا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ<sup>(١)</sup>

(١) البيت لشُمَيْر - أو سُمَيْر، أو شُتَيْر - بن الحارث الضبي. انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٣٤٢)،  
 و«الفاثق في غريب الحديث» (٢/ ١٩٧)، و«التكملة والذيل» (٤/ ٢٨٢).

(١٠١) - ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ﴾؛ أي: قري قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب.  
 ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾: نُخْبِرُكَ أَخْبَارَهَا، وَنُبَيِّنُ لَكَ آثَارَهَا ﴿وَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالْمُعْجِزَاتِ وَالِدَّلَالَاتِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ فِيهِ أَقْوَالٌ:

أحدها: أن قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يعودُ إلى الرُّسُلِ، تقديره: أن مجيء الرُّسُلِ لم يسلب عنهم اسم الكفر والتكذيب، بل بقوا كافرين مُكذِّبين كما كانوا قبل الرُّسُلِ.  
 والثاني: أن الفعل في قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لقوم، والفعل في قوله: ﴿كَذَّبُوا﴾ لقوم آخرين؛ أي: تواطؤوا على تكذيب الرُّسُلِ.

والثالث: لو أهلكناهم ثم أحييناهم لم يؤمنوا بما كذبوا من قبل الإهلاك؛ كقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُوَ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٨].

والرابع: أن الله علم منهم قبل خلقه إياهم أنهم يكفرون ويكذبون بتوحيد الله، فلم يخالفوا معلوم الله فيهم.

والخامس: أن المراد بقوله<sup>(١)</sup>: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يوم الميثاق؛ أي: أضمروا التكذيب يوم أقرؤوا بالإيمان.

﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: كما وصفنا ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

\*\*\*

(١) في (ن): «من قوله».

(١٠٢) - ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ .  
 ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ﴾؛ أي: وفاء عهد، وهو ما عهد إليهم في الكتب.  
 وقيل: عهد يوم الميثاق.  
 وقيل: هو ما رُكِبَ من العقول.  
 وقيل: ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾: من طاعة.  
 ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ يُريدُ: وجدنا، فأكدّه بـ(إِنَّ)، ثم خُفِّفَ وألْزِمَ  
 بعده اللام<sup>(١)</sup>، والكوفيون يجعلون (إِنَّ) للنفي، واللام بمعنى: إلا، وهذا لا يُعرف  
 له أصل<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١٠٣) - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ  
 كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ .  
 ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم﴾: بعد قوم شُعَيْبٍ وقوم لوطٍ وغيرهم ممّن تقدّم ذكرهم  
 ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ يُريدُ: ما كان معه من المعجزات الواضحات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ واسمه:  
 الوليد بن مصعب بن ريان، وقيل: اسمه قابوس.  
 ﴿وَمَلَئِهِ﴾: أكابر قومه.  
 ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾؛ أي: كفروا بالآيات وجحدوها<sup>(٣)</sup> ﴿فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ  
 الْمُفْسِدِينَ﴾ حيث صار إلى الهلاك.

\*\*\*

(١) انظر: «الكتاب» (٢: ١٤٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٦٢)، و«اللامات» للزجاجي (ص: ١١٤).

(٢) انظر: «اللامات» (ص: ١١٥)، و«تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٦)، و«مغني اللبيب» (ص: ٣٠٦).

(٣) في (ن): «وجحدوا بها».

(١٠٤ - ١٠٥) - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَيَّ

أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ إِلَيْكَ ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا

أَقُولَ ﴿١٠٥﴾: جَدِيرٌ بَأَنْ لَا أَقُولَ ﴿عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾: الصِّدْقُ. قَالَه حِينَ كَذَّبَهُ،

و﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ بِالتَّشْدِيدِ<sup>(١)</sup>: وَاجِبٌ عَلَيَّ.

ابْنُ حَبِيبٍ<sup>(٢)</sup>: أَي: حَقِيقٌ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَقُولَ<sup>(٣)</sup>. فَصَّرِفَ الْخِطَابُ<sup>(٤)</sup>.

وَقِيلَ: حَقِيقٌ بِالرِّسَالَةِ، وَتَمَّ الْكَلَامُ.

﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يُرِيدُ: الْعِصَا ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾:

أَطْلِقُهُمْ وَلَا تَسْتَعْبِدْهُمْ، وَكَانَ قَدْ اسْتَعْبَدَهُمْ.

الثَّعْلَبِيُّ: قَالَ وَهَبٌ: كَانَ سَبَبُ اسْتِعْبَادِ فِرْعَوْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَّ فِرْعَوْنَ مُوسَى

كَانَ فِرْعَوْنَ يَوْسُفَ، فَلَمَّا تُوفِّيَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَانْقَرَضَتِ الْأَسْبَابُ وَكثُرَ نَسْلُهُمْ،

غَلِبَهُمْ فِرْعَوْنُ فَاسْتَعْبَدَهُمْ، فَأَنْقَذَهُمُ اللَّهُ بِمُوسَى.

(١) هي قراءة نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧)، و«التيسير» (ص: ١١١).

(٢) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر النيسابوري، صاحب كتاب «عقلاء المجانين»، كان

أديباً نحوياً، عارفاً بالمغازي والقصص والسير، انتشر عنه بنيسابور العلم الكثير، وسارت تصانيفه

الحسان في الآفاق، توفي سنة (٤٠٦ هـ). قال الذهبي: وقد تكلم فيه الحاكم في رقعة نقلها عنه

مسعود بن علي السجزي. انظر: «تاريخ جرجان» (ص: ١٩٠)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي

(١٧/ ٢٣٧)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٤٥ - ٤٧).

(٣) في (ن): «أقول».

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٦٠)، قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت علي

بن مهدي الطبري يقول: إنّه تعريض، يقول: حقيق عليك، فصرف الخطاب.

قال<sup>(١)</sup>: وكان بينَ اليومِ الذي دخلَ يوسفُ مصرَ واليومِ الذي دخلَ موسى رسولاَ أربعَ مئةِ عامٍ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١٠٦) - ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ حِثَّتْ بِتَابِي فَأَتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ حِثَّتْ بِتَابِي فَأَتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ في دعواك<sup>(٣)</sup>.

الزَّجَّاجُ: ناقضُ فرعونُ في قوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] حينَ طالبَ موسى بالبيِّنة<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١٠٧) - ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ ﴾ - يعني: موسى - من يده ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ ﴾: حيَّةٌ عظيمةٌ كأعظمِ ما يكونُ.

ابنُ عيسى: سُمِّي ثُعْبَانًا لِأَنَّهُ يَجْرِي كَثَعِبِ الْمَاءِ<sup>(٥)</sup>.

﴿ مُبِينٌ ﴾: ظاهرٌ.

فَقَصَدَتْ فِرْعَوْنَ فَاعْرَةً فَاهَا لِتَأْخُذَهُ، فَوَثَبَ وَنَزَلَ مِنْ سَرِيرِهِ وَهَرَبَ مِنْهَا

(١) «قال»: ليست في (و).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢ / ٤٦٠).

(٣) في (و): «دعوتك».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ٣٦٢)، وفيه: «قد أوجب فرعون أنه ليس بإله كما ادعى؛ لأنه قد أوجب له الصدق إن أتى بآية يعجز عنها المخلوقون».

(٥) في «الصحيح» مادة: (ث ع ب) (١ / ٩٢): «ثعبت الماء ثعبًا: فجرته: والثعب بالتحريك: مسيل الماء في الوادي، وجمعه: ثعبان. والثعبان أيضًا: ضرب من الحيات طوال، والجمع: ثعابين».

وأحدث، وهرب الناس، فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت، فعاد فرعون إلى مكانه فقال: هل معك آية أخرى<sup>(١)</sup>؟

\*\*\*

(١٠٨) - ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾: لها شعاع يغلب الشمس، ثم ردها إلى جيبه فعادت يده كما كانت.

\*\*\*

(١٠٩) - ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: قال فرعون وصدقته القوم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ بفنونه وحيله، يسحر الناس بخداعه وأخذه عيون الناس حتى يُخيل إليهم العصا حيَّةً، واليد بيضاء.

\*\*\*

(١١٠) - ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾: مصر.

﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: تُشيرون عليَّ أن أفعل به؟

\*\*\*

(١١١) - ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾: أخر أمره، وقيل: احبسه ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارون.

(١) رواه ابن عساکر في «تاريخه» (٦١/٦٣ - ٦٤) مطولاً عن وهب، وهو خير فيه مبالغات كثيرة، ولا شك أن وهباً قد أخذه من الإسرائيليات.

وقيل: معنى ﴿أَنْجَمَ﴾ بغيرِ هَمْزٍ<sup>(١)</sup>: أَطْمَعَهُ<sup>(٢)</sup>، ولا تَقْتُلُهُمَا حَتَّى يَظْهَرَ كَذِبُهُمَا، فَإِنْ قَتَلْتَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ كَذِبُهُمَا ظَنَّ الْكَافِرُونَ أَنَّهَا صَادِقَانِ.  
﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾؛ أَي: الشُّرَطَ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١١٢) - ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾: حَازِقٍ.

قِيلَ: وَأَرْسِلْ فِي مَدَائِنِ مَمْلَكَتِكَ ﴿حَاشِرِينَ﴾ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ السَّحْرَةَ.  
وَالْحَشْرُ: الْجَمْعُ، وَمِنْهُ: يَوْمُ الْحَشْرِ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ فرعونَ لَمَّا رَأَى مِنْ سُلْطَانِ اللَّهِ فِي الْعَصَا مَا رَأَى قَالَ: إِنَّا لَا نُغَالِبُ مُوسَى إِلَّا بِمَنْ هُوَ مِنْهُ، فَاتَّخَذَ غُلْمَانًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا السَّحْرَةُ يُعَلِّمُونَ السَّحْرَ كَمَا يُعَلِّمُ الصَّبِيَّانُ فِي الْمَكْتَبِ،

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧ - ٢٨٩)، و«التيسير» (ص: ١١١). واختصر الداني ما فيها من قراءات سبعة بقوله: قرأ ابن كثير وهشام هنا وفي الشعراء بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وأبو عمرو بالهمز والضم من غير صلة، وابن ذكوان بالهمز وبكسر الهاء ولا يصلها بياء، وقالون بغير همز ويختلس الكسرة، وورش والكسائي بغير همز ويصلان الهاء بياء، وعاصم وحمزة بغير همز ويسكنان الهاء.

(٢) في (ن): «أطمعه». والمثبت من (و) وهو الموافق لما في «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٥٧) وفيه: مأخوذٌ من رَجَا يَرْجُو؛ أَي: أَطْمَعُهُ ودعه يرجو، حكاه النحاس عن محمد بن يزيد.

ونحوه قول أبي حيان في «البحر» (٥/ ٢٣٥): وقيل: ﴿أَنْجَمَ﴾ بغيرِ هَمْزٍ: أَطْمَعُهُ، جعله من (رَجَوْتُ) أدخل عليه همزة الفعل؛ أَي: أَطْمَعُهُ وأخاه ولا تَقْتُلُهُمَا حَتَّى يَظْهَرَ كَذِبُهُمَا فَإِنَّكَ إِذَا قَتَلْتَهُمَا ظَنَّ أَنَّهَا صَدَقَا.

(٣) في (و): «الشرطة».

فتعلموا سحرًا كثيرًا، وواعدَ فرعونُ موسى موعدًا<sup>(١)</sup>، وبعثَ إلى السَّحرةِ فجاء بهم وبمُعلِّمِهِم، فقال له: ماذا صنَّعتَ؟ قال: قد علَّمْتُهُم سِحْرًا لا يُطِيقُهُ سِحْرُ أَهْلِ الأَرْضِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَمْرًا مِنَ السَّمَاءِ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ، ثُمَّ بَعَثَ فِي مَمْلَكَتِهِ فَلَمْ يَتْرُكْ سَاحِرًا إِلَّا أَتَى بِهِ.

الكلبيُّ: كانوا سبعين رجلًا<sup>(٢)</sup>.

وقيل: اثنين وسبعين.

السُّدِّيُّ: كانوا بضعةً وثلاثين ألفًا<sup>(٣)</sup>.

عكرمةٌ: كانوا سبعين ألفًا<sup>(٤)</sup>.

وقيل: ثمانين ألفًا.

واسمُ رئيسِهِم: شمعون.

\*\*\*

(١١٣) - ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ يُرِيدُ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَحَضَرُوا ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾:

مَالًا وَجُعَلًا ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.

\*\*\*

(١) في (و): «وعدًا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٤٦٥)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧ / ٢٤٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت السحرة سبعين رجلًا، أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٤٦٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢ / ٤٣٨).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٤٦٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢ / ٤٣٨).

(١١٤) - ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾؛ أي: في المنزلة عندي. وقيل: أوَّل مَنْ يَدْخُلُ عَلَيَّ وَآخِرُ مَنْ يَخْرُجُ.

\*\*\*

(١١٥) - ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ .

﴿ قَالُوا ﴾؛ أي: السَّحَرَةُ ﴿يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ ﴾ عَصَاكَ ﴿وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ لِمَا<sup>(١)</sup> معنا.

\*\*\*

(١١٦) - ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ

عَظِيمٍ ﴾ .

﴿ قَالَ أَلْقُوا ﴾؛ أي: قال لهم موسى: ألقوا إن كنتم مُحَقِّقِينَ.

وقيل: ألقوا ما يصحُّ ويجوزُ.

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾؛ أي: أرهبوهم وأفرعوهم.

الرَّجَّاجُ: طلبوا منهم الرهبة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾: ألقوا حبلاً غلاظاً، وخشباً طوالاً كأنها حياتٌ تملأ الوادي.

ويحتمل أن قوله: ﴿عَظِيمٍ ﴾ تعظيمٌ لعصا موسى، كما جرت العادة في تعظيم

الخصم بعد الغلبة.

وقيل: ﴿عَظِيمٍ ﴾ في عين من رآه.

(١) في (ن): «بما».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٦٦)، وعبارته: «أي: استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس».

(١١٧) - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: أَلْقَيْنَا فِي قَلْبِهِ، وَقِيلَ: جَاءَهُ جَبْرِيْلُ.

﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾؛ أَي: فَأَلْقَاهَا ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾: تَبَلَّعُ تَنَاوَلًا بِفِيهَا بِسُرْعَةٍ مِنْهَا ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: مَا فُكَّهِمْ؛ أَي: الْحَبَالُ وَالْعَصِيُّ وَسَائِرَ مَا أَتَوَا بِهِ، مِنْ (الْإْفِكِ)، وَهُوَ الْكُذْبُ.

وتقديره: ما يأفكون فيه وبه.

وقيل: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يَقْلِبُونَ وَيُزَوِّرُونَ عَلَى النَّاسِ، مِنْ (الْأْفِكِ) وَهُوَ الصَّرْفُ وَقَلْبُ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ.

\*\*\*

(١١٨) - ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾؛ أَي: ظَهَرَ، وَهُوَ أَمْرُ اللَّهِ وَنَبُوَّةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيل: قَرَّعَهُمْ وَصَدَّعَهُمْ كَوَقَعَ الْمِيقَةَ<sup>(١)</sup>.

﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنْ السَّحْرِ.

وَكَانَ حِمْلُ أَرْبَعِينَ جَمَلًا ابْتَلَعَتْهَا عَصَا مُوسَى، وَمَا نَتَأ وَسَطُهَا.

\*\*\*

(١١٩) - ﴿فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾.

﴿فَعَلِبُوا هُنَالِكَ﴾: فَعَلِبَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ وَالسَّحَرَةُ كُلُّهُمْ.

﴿وَأَنْقَلَبُوا﴾ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿صَغِيرِينَ﴾: أَدْلَاءَ مَقْهُورِينَ.

\*\*\*

(١) الميقة: المطرقة التي يضرب بها الحديد. انظر: «غريب الحديث» للحري (١ / ٥٧).

(١٢٠) - ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ .

﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ : ألقاهم الله؛ أي: أسرعوا ولم يتمالكوا أن وقّعوا ساجدين لله.

وقيل: موافقة لموسى وهارون؛ فإنّهما سجدا شكراً على وقوع الحق.

\*\*\*

(١٢١ - ١٢٢) - ﴿قَالُوا أَمْ تَأْتِي الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ .

﴿قَالُوا أَمْ تَأْتِي الْعَالَمِينَ﴾ قال فرعون: إياي تعنون؟ قالوا:

﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ فهو بدل.

\*\*\*

(١٢٣ - ١٢٤) - ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمْنَتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ

فِي الْمَدِينَةِ لِنُخْرِجُوا مِنْهَا ءَأَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمْنَتُمْ بِهِ﴾ : بموسى، وقيل: بالله ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ من غير أمري؟

﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ﴾ : صنعة ﴿مَكْرَتُمُوهُ﴾ : صنعتموه ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ : في مصر

﴿لِنُخْرِجُوا مِنْهَا ءَأَهْلَهَا﴾ بالمكر والسحر ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم، هذا تهديد.

ثم صرّح فقال:

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى، وهو أول من

فعل هذا.

ويحتمل: من أجل خلافٍ ظهر منكم.

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ : أعلّقكم على خشبٍ منصوبية.

\*\*\*

(١٢٥) - ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ بالموت، فَيُبْتِنَا اللَّهُ، فَلَا نُبَالِي بِوَعِيدِكَ.

\*\*\*

(١٢٦) - ﴿وَمَا نُنْقِمُ مَنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفَرِحَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا

مُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَمَا نُنْقِمُ مَنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾؛ أي: مَا تُنْكِرُ مِنَّا مُنْكَرًا إِلَّا

إِيمَانُنَا بِرَبِّنَا.

﴿رَبَّنَا أَفَرِحَ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَا يَحْسِنُنَا عَنِ الْكُفْرِ، وَهُوَ عَلَيْنَا مَا يُرِيدُهُ

مِن عَذَابِنَا.

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: أَقْبَضْنَا إِلَيْكَ عَلَىٰ دِينِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ.

\*\*\*

(١٢٧) - ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ

وَأَهْلَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ قَالَ أَكْبَابُ قَوْمِهِ: ﴿أَنْتَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ﴾: أَرْضِ مِصْرَ بِالِاسْتِعْلَاءِ فِيهَا وَتَغْيِيرِ دِينِ أَهْلِهَا.

وَاللَّامُ لَامُ الْعَاقِبَةِ.

﴿وَيَذَرَكَ وَأَهْلَكَ﴾: كَانَ لَهُ أَصْنَامٌ يَعْبُدُهَا، وَيَعْبُدُهَا قَوْمُهُ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ، وَلِهَذَا

قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

قيل: كَانَ يَعْبُدُ بَقْرَةً، وَإِذَا رَأَىٰ بَقْرَةً حَسَنَاءَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهَا<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤١٧)، وعده من العجائب.

أبو عبيدة عن الحسن: إِنَّه كَانَ يَعْبُدُ تَيْسًا<sup>(١)</sup>.

وقيل: كَانَ فِي عُنُقِهِ صَنَمٌ صَغِيرٌ يَعْبُدُهُ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: كَانَ قَبْطٌ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ دَعَاها، وَإِنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يَدَّعِي أَنَّ الشَّمْسَ اسْتَجَابَتْ لَهُ وَمَلَكَتْهُ عَلَيْهِمْ، وَقَوَّاهُ<sup>(٣)</sup> مَنْ قَرَأَ: (وَالْأَهْتَكُ)<sup>(٤)</sup>؛ أَي: عِبَادَتِكَ.

وقيل: شَمَسَكَ الَّتِي تَعْبُدُهَا، وَهِيَ مَخْتَصَّةٌ بِكَ<sup>(٥)</sup>.

وقيل: ﴿وَأَلْهَيْتَكَ﴾؛ أَي: عِبَادَتِكَ.

وقيل: ﴿وَأَلْهَيْتَكَ﴾: كِبَارَ قَوْمِكَ.

﴿قَالَ﴾ يَعْنِي: فِرْعَوْنَ، مُجِيبًا لِلْمَلَأِ:

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٤٧٢)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢ / ١٤٥) وزاد: «في السر».

وروى الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٣٦٧) عن الحسن قال: «كان لفرعون إله يعبده في السر».

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٣٦٧) عن الحسن: «كان لفرعون جمانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها».

ولفظه عند الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٤٧١): «كان لفرعون حنانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد عليها كأنه صنم كان عابده يحنُّ إليه».

قال: وروى عن ابن عباس أيضاً أنه قال: كان فرعون يصنع لقومه أصناماً صغاراً ويأمرهم بعبادتها ويقول لهم: أنا رب هذه الأصنام، وذلك قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾.

(٣) في (ن): «وقراءة».

(٤) قراءة شاذة نسبت لعلي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ

القراءات» (ص: ٥٠)، و«المحتسب» (١ / ٢٥٦)،

(٥) في (و) زيادة: «وقيل: وألهتك؛ أي: عبادتك».

﴿سَنْقِلُ آبَاءَهُمْ﴾: لينقطع نسلهم ﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ للاستخدام، وقد سبق.  
﴿وَأِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾: غالبون.

\*\*\*

(١٢٨ - ١٢٩) - ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّكَ الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّكَ الْأَرْضُ لِلَّهِ﴾ فيه تسأل ووعده،  
و(الأرض): مصر، وقيل: جميع الأرض، وقيل: الجنة.

﴿يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: يهبها.

والإرث: مصير الشيء للخلف بعد السلف.

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: النصر والظفر. وقيل: السعادة والشهادة. وقيل: الجنة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما آمنت السحرة بموسى، تبعه ست مئة ألف من بني إسرائيل.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: بنو إسرائيل ﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ بالرّسالة، بقتل الأبناء  
والاستخدام البنات.

﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادة القتل والإتعا ببالأعمال الشّاقة، كنعحت  
الحجارة، وحمل الأثقال، وضرب اللّبن من غير تبين، وأداء الجزية والخراج.

قيل: قالوها استبطاءً وشكوى من فرعون<sup>(١)</sup>.

(١) «من فرعون»: من (ن).

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ عسى هاهنا: يقين، فحَقَّقَ اللهُ ظَنَّ موسى عليه السَّلَامُ وفتحَ عليهم<sup>(١)</sup> مصرَ مع يوشعَ، وملَّكهم مصرَ وغيرَها من داودَ وسليمانَ عليهما السَّلَامُ.

﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يعلمَ عملَكُم في الشُّكْرِ والطَّاعَةِ والمُخَالَفَةِ والعِصْيَانِ.

وقيل: ينظرُ إلى أعمالِكُم واقعةً موجودةً مُستَحَقًّا عليها الجزاءُ والثوابُ.

\*\*\*

(١٣٠) - ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾: بالفَحْطِ والجَدْبِ، تقول: أسنتَ القومُ: إذا

أجدبوا، قال:

عَمَرُوا العُلَاهِشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتِتُونَ عِجَافٌ<sup>(٢)</sup>

وَجُمِعَتْ لِأَنَّهُمْ ابْتَلَوْا بِهَا أَعْوَامًا، وقيل: كان سبعَ سنينَ.

وإنَّما جُمِعَ جمعَ السَّلَامَةِ جبرًا لِسُقُوطِ لَامِهِ، وكسرُ الفاءِ دليلٌ على ذلك.

مجاهدٌ: السُّنُونُ<sup>(٣)</sup>: الجوائِحُ<sup>(٤)</sup>.

(١) في (ن): «عليه».

(٢) البيت في مدح هاشم أبي عبد المطلب، واسمه عمرو، ونسب لابنته في «العين» (٣/ ٤٠٥)، و«كتاب الأفعال» (١/ ١٣٤).

ونسب لعبد الله بن الزبير في «الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٢٣)، و«معجم ديوان الأدب» (٢/ ٢٨٥)، و«أمالي المرتضى» (٢/ ٢٦٩).

ولمطرود الخزاعي في «تهذيب اللغة» مادة: (هـ ش م) (٦/ ٦٠)، و«الصحاح» مادة: (هـ ش م).

(٣) في (و): «السنين».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٢).

﴿وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بِالْأَفَاتِ.

وقيل: (السُّنُونُ) وَقَعَتْ بِالْبُوَادِي وَأَهْلِ الْمَوَاشِي، ﴿وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ فِي الْقُرَى وَالْأَمْصَارِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فَيَتَّبِعُونَ وَيَرْجِعُونَ.

\*\*\*

(١٣١) - ﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ

مَعَهُ، إِلَّا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾: الْخِصْبُ وَالنَّعْمَةُ وَالْعَافِيَةُ وَالْأَمْنُ ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾

نَحْنُ نَسْتَحِقُّهَا.

﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: قَحْطٌ وَالْمُ وَخَوْفٌ ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ تَشَاءُ مُوَا

بِهِمْ.

وَأَصْلُ ذَلِكَ: أَنَّ الْوَاحِدَ إِذَا خَرَجَ فِي طَلْبِ أَمْرٍ تَفَاءَلَ بِالسَّانِحِ مِنَ الطَّيْرِ وَغَيْرِهِ

وَالْبَارِحِ<sup>(١)</sup>، وَسُمِّيَ ذَلِكَ: الطَّيْرَةَ، وَمَنْ تَشَاءَمَ بِشَيْءٍ مِنْهُ قِيلَ: تَطَيَّرَ.

﴿إِلَّا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أَي: هُوَ الَّذِي يَأْتِي بِطَائِرِ

الْبَرَكَةِ وَطَائِرِ الشُّؤْمِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَسَمَّاهُ طَائِرًا عَلَى اعْتِقَادِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

(١) كَذَا فِي النِّسْخِ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ الْبَارِحَ لِلشُّؤْمِ. انظُر: «النِّكَتُ وَالْعِيُونُ» (٢/ ٢٥١)، وَ«الْكَشَافُ»

(٣/ ٣٧١)، وَفِيهِ: «كَانَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ مَسَافِرًا فَيَمِرُ بِطَائِرٍ فَيُزَجِرُهُ، فَإِنْ مَرَّ سَانِحًا تَيْمَنَ، وَإِنْ مَرَّ بَارِحًا

تَشَاءَمَ...». السَّانِحُ: مَا وَلَاكَ مِيَامَنَهُ مِنْ طَائِرٍ أَوْ غَيْرِهِ بِأَنْ يَمِرَ مِنْ مِيَا سَرِكٍ إِلَى مِيَامَنِكَ. وَالْبَارِحُ: مَا وَلَاكَ

مِيَا سَرَهُ بِأَنْ يَمِرَ مِنْ مِيَامَنِكَ إِلَى مِيَا سَرِكَ. وَلَكِنْ عِبَارَةُ الْمَصْنُفِ تَشِيرُ إِلَى أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يَتَفَائِلُونَ

بِالْبَارِحِ، وَيَتَشَاءَمُونَ بِالسَّانِحِ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ بَرِي. انظُر: «تَاجُ الْعُرُوسِ» مَادَّة: (س ن ح) (٦/ ٤٨٨).

(٢) فِي (ن): «طَائِرًا لِعَقْدَاهُمْ».

وقيل: طائرهم: أنصبأوهم من الرِّخاءِ والخِصْبِ وغير ذلك.  
 وقيل: ﴿طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: ما يتشاءمُون به من (١) عند الله، وهو (٢) العذابُ  
 في العُقْبَى، وهذا بالإضافة إلى ذاك غير مُعتدِّ به.

\*\*\*

(١٣٢) - ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾  
 ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ في (مههما) قولان:  
 أحدهما: أن أصله (ما) الذي للشرط، زيدَ عليه (ما)، كما يُزادُ مع (إن) وغيره،  
 فصار «ماما»، ثم قَلِبَ الألفُ همزةً، ثم هاءً.  
 والثاني: أن أصله (مه)؛ أي: دَعُ وكُفَّ، و(ما) للشرط (٣).  
 ورُوِيَ عن بعضِ أصحابِ الكسائيِّ الوقفُ على (مه) (٤).  
 والمعنى: أيُّ شيءٍ جئتنا به لتسحرَ أعيننا وتُشَبَّهَ علينا فما نحنُ لك بمؤمنين.  
 وقولُ مَنْ قَالَ (٥): تقديرُه: متى جئتنا، فسهُوٌ (٦).

(١) «من»: ليست في (ن).

(٢) في (و): «هو».

(٣) ذكر المصنف القولين في «غرائب التفسير» (١ / ٤١٩)، واستغرب الثاني.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤١٩).

(٥) في (ن): «وقيل من قال»، وفي (و): «وقول من»، ولعل الصواب المثبت.

(٦) وكذلك ضعف الزمخشري في «الكشاف» (٢ / ١٤٦) هذا القول، فقال: «وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يُحرِّفها مَنْ لا يَدُلُّه في علم العربية فيضعها غير موضعها، ويحسبُ (مههما) بمعنى (متى ما) ويقول: مهما جئني أعطيتك، وهذا من وضعه وليس من كلام واضح العربية في شيء، ثم يذهبُ فيفسرُ ﴿مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ بمعنى الوقت، فيلحدُ في آيات الله وهو لا يشعرُ، وهذا وأمثاله مما يُوجب الجُتُوَّ بين يدي الناظر في كتاب سيبويه».

(١٣٣) - ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾؛ أي: ماء يغشى كل مكان، وذلك أن السماء أرسلت عليهم من السَّبْتِ إلى السَّبْتِ لم تُقْلِعْ حَتَّى تَهْدَمَتْ ديارهم، فسألوا موسى أن يرفع ذلك عنهم لِيُؤْمِنُوا، فَأَنْجَمَ<sup>(١)</sup> السَّحَابُ، وَهَبَّتِ الرِّيحُ، فَجَنَّتِ الأَرْضُ، وَزَكَا الزَّرْعُ، فقالوا: كان ذلك رحمةً لا عذاباً.

وقيل: دخل الماء بيوت القبط، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرةً.  
وقيل: الطوفان: الموت الدريع.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه الغرق.

وعنه أيضاً: أنه أمرٌ عظيمٌ من أمر الله تعالى طاف بهم.

وقيل: هو الطوف<sup>(٢)</sup> في الأرض.

وهو مصدرٌ كالرُّجْحَانِ.

الأخفش: جمعُ (طوفانية)<sup>(٣)</sup>.

وهب: هو الطاعونُ أُرسِلَ على أبقار آلِ فرعونَ ليلةً فأقصَعَهُمْ ولم<sup>(٤)</sup> يبقَ منهم إنسانٌ. حكاها الثعلبي<sup>(٥)</sup>.

(١) في (و): «فألجم». وأنجم السحاب: أقلع. انظر: «الفصيح» (ص: ٢٧٦).

(٢) في (ن): «الطوفان».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٣٥).

(٤) في (ن): «فأقصعه فلم»، وفي (و): «فأقبضهم ولم»، والمثبت من «تفسير الثعلبي»، وفي هامش (ن): «أقصعه: قتله مكانه».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٧٩).

أبو قِلَابَةَ: هو الجُدْرِيُّ، وهم أوَّلُ مَنْ عُدُّوا به فبقيَ<sup>(١)</sup>.

﴿وَالْجَرَادُ﴾ هو المعروفُ ﴿وَالْقُمَّلُ﴾: الدُّبَا، وهو صِغَارُ الجرادِ لا أجنحةَ لها.

وقيل: نوعٌ من القَرَادِ، وهو القَمَمَامُ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هو السُّوسُ يكونُ في الحِنِطَةِ.

وقيل: البُرْعُوثُ.

وقيل: همُ القُمَّلُ، وكذلك قراءةُ الحسنِ<sup>(٣)</sup>.

وقيل: دوابُّ سودٌ صِغَارٌ.

﴿وَالضَّفَادِعُ﴾: جمعُ ضِفْدَعٍ، وهو المعروفُ، كانت تقعُ في طعامِهِم وشرابِهِم،

حتى إذا تكلمَ الرَّجُلُ وقعَ الضَّفْدَعُ في فيه.

﴿وَالدَّمَ﴾ قيل: الرُّعَافُ.

وقيل: مياهُهُم انقلبتْ دَمًا، حتى القِبْطِيُّ يشربُ من الكوزِ دَمًا، ويشربُ

الإسرائيليُّ من ذلك الكوزِ ماءً<sup>(٤)</sup>، ويمجُّ الإسرائيليُّ من فيه الماءَ في فمِ القِبْطِيِّ

فينقلبُ دَمًا، ويمجُّ القِبْطِيُّ في فمِ الإسرائيليِّ دَمًا فينقلبُ ماءً<sup>(٥)</sup>.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٤٧٩)، والزمخشري في «الكشاف» (٢ / ١٤٧).

(٢) بعدها في (و): «صغار الدبا». وفي «اللسان» مادة: (ق م ق م): و«القَمَمَامُ»: صغار الفُزْدَانِ، وَصَرَبٌ مِنَ القُمَّلِ شديدُ التشبُّثِ بأصولِ الشَّعرِ، واحدهُها: قَمَمَامَةٌ، وقيل: هي القَرَادُ أوَّلُ ما يكونُ صغيرًا لا يكاد يرى من صِغَرِهِ».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٠)، و«المحتسب» (١ / ٢٥٧).

(٤) ورد ضمن خبر رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٣٩٠) عن ابن عباس، وآخر رواه (١٠ / ٣٩٤) عن مجاهد.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٣٩٣) عن محمد بن كعب.

﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾: مُبَيَّنَاتٍ. وقيل: مُفَصَّلَاتٍ، وبين كل واحدة إلى الأخرى شهرٌ. ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ لم يؤمنوا مع تظاهر هذه الآيات وتتابعها.

\*\*\*

(١٣٤) - ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾؛ أي: العذاب الذي تقدم ذكره واحدًا بعد واحدٍ، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾: بما تقدم إليك أن تدعوه به، فيجيبك كما أجابك في آياتك. وقيل: بما جعل لك من النبوة. ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ سألوه أن يرفع ذلك عنهم ليؤمنوا.

\*\*\*

(١٣٥) - ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ﴾ العذاب، وقيل: الموت. وروى النقاش في «تفسيره»: أن الرجز في قوله: ﴿فَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ [الأعراف: ١٣٤]: الثلج<sup>(١)</sup>. ﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ يعني: ضربوا أجلاً لإيمانهم، فلما جاء الأجل نكثوا عهودهم ولم يؤمنوا.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٩)، واستغربه. وقد ذكر ابن الجوزي في «زاد الميسر» (١/ ٦٩) عن سعيد بن جبیر أن الرجز هو الثلج، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾.

وقيل: ﴿إِنَّ أَجَلَ هُمْ بَلَّغُوهُ﴾: الغرقُ. وقيل: الموتُ.  
و(إذا) في الآية للمفاجأة، وهو ظرفُ مكانٍ، تقولُ: خرجتُ فإذا زيدٌ، تريدُ:  
وبالحضرة زيدٌ.

\*\*\*

(١٣٦) - ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: عاقبناهم على سوء فعلهم.

﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾: البحر. قيل: هو القلزم<sup>(١)</sup>.

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن اليمَّ: البحر<sup>(٢)</sup> بلسان العبرانية<sup>(٣)</sup>، وليس

كذلك؛ لقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]. وقد جاء في الشعر:

داوِيَّةٌ وَدُجَى لَيْلٍ كَأَنَّهُمَا يَمٌّ تَرَاظَنُ فِي حَافَاتِهِ الرُّومُ<sup>(٤)</sup>

﴿بَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بسبب تكذيبهم آياتنا، وحملهم إياها على العاداتِ

وعلى السَّحْرِ.

﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: عن النِّقْمَةِ، وقيل: عن الآياتِ؛ أي: كانوا لا يعتبرون

بها.

(١) وهو البحر الأحمر. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (ق ل ز م).

(٢) في (و): «إلى أن البحر اليم».

(٣) وقيل: بالنبطية، وقيل بالسريانية. انظر: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي (ص: ١٦٦).

(٤) البيت لذى الرمة، وهو في «ديوانه» (١/ ٤١٠) برواية: «دوِيَّةٌ...». قال الباهلي شارح الديوان: ويروى:

«داوِيَّةٌ..» وهي مفازةٌ مستويةٌ، يقول: اجتمعت فلاةٌ وظلمةٌ ليلٍ، فصارا كأنهما بحر تراظن في حافاته

الروم، وتراظنهم: كلامهم.

(١٣٧) - ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾؛ أي: يجدونهم ضُعفاء؛ يعني: بني إسرائيل، أورثهم الله دارَ أعدائهم بعد أن أهلكهم.

قوله: ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا﴾ يُرِيدُ: أَرْضَ الشَّامِ؛ لقوله: ﴿الَّذِي بَنَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، والألفُ واللامُ للعهد.

وقيل: عامٌّ في جميع الأرضِ، وأنَّهم ملكوها زمنَ داودَ وسُلَيْمَانَ عليهما السَّلامُ.

وقيل: لكلِّ قطعةِ أرضٍ مشرِقٌ ومغرِبٌ تجري مجرى الحدودِ لها.

وقيل: ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا﴾: ظرفٌ، لقوله: ﴿يُسْتَضْعَفُونَ﴾؛ أي: يُسْتَضْعَفُونَ في مشارِقِ الأرضِ ومغارِبِها، وليستَ بمفعولٍ لـ ﴿أَوْرَثْنَا﴾.

قوله: ﴿الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: بالماءِ والشَّجرِ.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قيل: نعمةُ ربِّكَ.

وقيل: هي ما وعدَ اللهُ بني إسرائيلَ بقوله: ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] الآيات.

وقيل: هي قولُ موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٢٩].

وقيل: كلمته: وعده، كما تقولُ: جاءَ ما قلتُ، ووصفه بالحسنى لأنَّه وعدٌ

محبوبٌ<sup>(٢)</sup>.

(١) في (ن): «التي باركنا حوله فيها».

(٢) في (ن): «لأنها وعد بمحبوب».

﴿يَمَاصِرُوا﴾؛ أي: بصبرهم على الإيمان والشدائد.  
 ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾؛ أي: خربنا قصورهم وأبنيتهم.  
 والتدمير: الإهلاك وإخراب البناء.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾: بينون. الحسن: عرش الكرم<sup>(١)</sup>.  
 وقيل: ﴿مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾: يُدبِّرُ فِي إِبْطَالِ أَمْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

\*\*\*

(١٣٨ - ١٣٩) - ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ  
 لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَّجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ  
 وَنَطَّلُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾؛ أي: عبرنا بهم البحر، وهو القلزم.  
 ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ فبلغوا قرية فيها قومٌ يعبدون الصنم.  
 وقيل: يعبدون تماثيل البقر. وهذا أول شأن العجل.  
 وقيل: كانوا من العمالقة.

وقيل: هم قبيلة لخم نزلوا بالرقعة<sup>(٢)</sup>، فسألهم بنو إسرائيل عن فعلهم، فقالوا:  
 عبادتنا لها قربةٌ إلى الله تعالى.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤ / ٢٨٧) عن ابن زيد.

(٢) مدينة الرقة السورية معروفة، لكن ذكر المقرئ في «المواعظ والاعتبار» (١ / ٤٢٠) وصفًا لا ينطبق على مدينة الرقة، فقال: «هذه المدينة من جملة مدائن مدين، فيما بين بحر القلزم وجبل الطور، كان بها - عندما خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر - قومٌ من لخم آل فرعون، يعبدون البقر، وإياهم عنى الله بقوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾، وأثار هذه المدينة باقية إلى اليوم فيما بقي من مدينة فاران والقلزم ومدين وأيلة تمرُّ بها الأعراب».



الْحِجَّةِ ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾:  
كُنْ خَلِيفَتِي فِيهِمْ ﴿وَأَصْلِحْ﴾: واحملهم على طاعة الله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾:  
لا تسلك سبيل<sup>(١)</sup> العاصين.

وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يؤتیه كتابًا فيه بيان ما يأتون ويذرّون إذا  
أهلك عدوّهم، فلمّا أهلكهم سأل موسى ربّه الكتاب، فأمره بصوم ثلاثين يومًا،  
وكان ذا القعدة، فلمّا صام أنكر خلوف فمه فاستاك بعود خروب<sup>(٢)</sup>، فقالت الملائكة  
له: كئنا نشم من فيك رائحة المسك، فأفسدته بالسواك، فأمره الله بصوم عشرة أيام  
من ذي الحجة<sup>(٣)</sup>، وقال: أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح  
المسك<sup>(٤)</sup>؟!

وكانت فتنة قومه في العشر الذي زاده الله.

وقوله: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١] عبارة عن الوعد الأول والذي  
أتم به، فلا تناقض بينهما، والحمد لله.

\*\*\*

(١) في (ن): «طريق».

(٢) الخرنوب والخروب: شجر ينبت في جبال الشام، له حب كحب الينبوت، يسميه صبيان أهل  
العراق: القثاء الشامي، وهو يابس أسود. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (خ ر ن ب) (٧/ ٢٧٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٧٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٩٧) و«تفسير البغوي»  
(٣/ ٢٧٥)، ولم يذكروا له راويًا ولا سندًا.

(٤) قطعة من خبر طويل عن ابن عباس رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، ورواه مختصرًا بهذه  
القطعة ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقد ورد قوله: «خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» مرفوعًا في حديث الصوم، الذي  
رواه البخاري (٥٩٢٧)، ومسلم (١١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٤٣) - ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقِنَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقِنَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾: (لَمَّا) عَلِمَ لِلظَّرْفِ؛ أَي: حِينَ جَاءَ وَكَلَّمَهُ<sup>(١)</sup> رَبُّهُ. وَالْمِيقَاتُ: الْوَقْتُ الْمُعَيَّنُ لِلشَّيْءِ، كَمِيقَاتِ الْحَجِّ.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾؛ أَي: أَرِنِي نَفْسَكَ أَنْظُرْ إِلَيْكَ، وَقِيلَ: مَكَّنِي مِنْ رُؤْيَيْكَ.

﴿قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾؛ أَي: فِي الدُّنْيَا. وَقِيلَ: لَنْ تَقْدَرَ أَنْ تَرَانِي.

﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾: وَهُوَ جَبَلُ زُبَيْرٍ ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾: بَقِيَ عَلَى حَالِهِ ﴿فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾: ظَهَرَ وَبَانَ.

وَقِيلَ: تَجَلَّى مَقْدَارُ إِبْهَامٍ مِنَ الْعَرْشِ.

وَقِيلَ: تَجَلَّى آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ. وَقِيلَ: خَلَقَ اللَّهُ ﴿لِلْجَبَلِ﴾ قَلْبًا وَعَيْنًا<sup>(٢)</sup>.

الْمُبْرَدُ: تَجَلَّى: أَظْهَرَهُ<sup>(٣)</sup>، جَعَلَهُ مُتَعَدِّيًا كَالْتَبَدُّلِ وَالتَّوَعَّدِ.

وَقِيلَ: تَجَلَّى لِأَهْلِ الْجَبَلِ، يُرِيدُ: مُوسَى وَالسَّبْعِينَ الَّذِي مَعَهُ.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾: قِطْعًا. وَقِيلَ: تُرَابًا وَرَمَلًا. وَقِيلَ: سَاخَ فِي الْأَرْضِ.

(١) فِي (و): «كَلَّمَهُ».

(٢) كَذَا فِي النُّسخِ الْخَطِيئَةِ، وَلَعَلَّ الْمَعْنَى: ظَهَرَ الْجَبَلُ فِي غَيْرِ خَلْقِهِ الْمَعْرُوفِ، فَصَارَ لَهُ قَلْبٌ وَعَيْنٌ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٣) انظُرْ: «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (١٢ / ٥٠٧)، وَ«الْبَحْرُ الْمُحِيطُ» (٥ / ١٦٦) فِيهِ: «وَقَالَ الْمُبْرَدُ: الْمَعْنَى: ظَهَرَ لِلْجَبَلِ مِنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ مَا تَدَكِّدُكَ بِهِ».

و: ﴿دَكَّاءٌ﴾<sup>(١)</sup>: مَلْسَاءٌ مُسْتَوِيَةٌ مَعَ<sup>(٢)</sup> الْأَرْضِ.

وقيل: تَفَرَّقَ فِي الْأَرْضِ؛ فَأُحْدُ وَرَضَوَى وَوَرَقَانُ بِالْمَدِينَةِ وَتَوَزَّرَ وَثَبِيرٌ وَجِرَاءٌ بِمَكَّةَ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعْفًا﴾: مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. وَقِيلَ: مَيْتًا.

وَيُقَوِّي الْقَوْلَ الْأَوَّلَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾؛ أَي: زَالَ غَشِيهِ<sup>(٤)</sup> ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ﴾ مِنْ الْإِقْدَامِ عَلَى السُّؤَالِ بِغَيْرِ إِذْنٍ.

وقيل: عن صغائري.

وقيل: هذا تَسْبِيحٌ مِنْهُ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْعِظَائِمِ.

﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِأَنَّكَ لَا تُرَى فِي الدُّنْيَا. وَقِيلَ: مِنْ قَوْمِي.

اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

فذهب بعضهم<sup>(٥)</sup> إِلَى نَفْيِ الرُّؤْيَةِ وَنَفْيِ الْجَهَةِ، وَقَالُوا: كَلِمَةُ (لَنْ) لِنَفْيِ

التَّأْيِيدِ<sup>(٦)</sup>.

(١) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» (ص: ١١٣).

(٢) في (و): «من».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢ / ٥١١) مرفوعاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ولا يصح،

قال ابن كثير في «تفسيره» (٣ / ٤٢٣): (وهذا حديث غريب بل منكر).

(٤) في (ن): «غشيته».

(٥) يعني المعتزلة.

(٦) قال ابن هشام في «المغني» (ص: ٣٧٤): «ولا تفيد (لن) تأكيد النفي خلافاً للزمخشري في «كشافه»،

ولا تأييده خلافاً له في «أنموذجه»، وكلاهما دعوى بلا دليل، قيل: ولو كانت للتأييد لم يقيد منفيها باليوم

في: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾، وكان ذكر الأبد في: ﴿وَلَنْ يَسْمَنُوهُ أَبَدًا﴾ تكررًا، والأصل عدمه. =

وإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَالَ لِمُوسَى فِي مُنَاجَاةِهِ: لَسْتُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ فَاتَّجَلَّى لِعَيْنِ  
تَنْظُرُ إِلَيَّ، يَا ابْنَ عِمْرَانَ، تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ عَظِيمٍ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ مَرَّتْ بِهِ وَهُوَ مَغْشِيٌّ  
عَلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَرْكُلُونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُونَ لَهُ: يَا ابْنَ النِّسَاءِ الْحَيْضِ، أَطَمِعْتَ فِي رُؤْيِيهِ  
رَبِّ الْعِزَّةِ (١)؟!

وإنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِمَ أَنَّ السُّؤَالَ مُحَالٌ، وَإِنَّمَا سَأَلَ لِيَكُونَ الرَّدُّ  
بِحَضْرَةِ قَوْمِهِ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] (٢)، أَوْ سَأَلَ آيَةً كَسُّؤَالَ

= قلت: يقول الزمخشري بأن (لن) لتوكيد النفي، ولكن لم أقف على قوله بالتأييد، وعبارته في «الأنموذج»  
(ص: ١٠٢): «و(لن) نظيرة (لا) في نفي المستقبل، ولكن على التأكيد» وهذه العبارة تفيد التأكيد، وفرق  
كبير بين التأكيد والتأييد، والله أعلم.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢١)، واستغربه.

وهذا خبر لا أصل له، ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥١٤)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٨ -  
٢٧٩)، نقلاً عن بعض الكتب دون تعيين، ولا شك أنها من أكاذيب بني إسرائيل وأباطيلهم،  
وكان الأولى بجمع كبير من أهل التفسير تنزيه كتبهم عن أمثال هذه القصص؛ لما فيها من الإساءة  
لنبي الله موسى ومن نسبة فعل شنيع للملائكة. وانظر ما قال ابن المنير في «الانتصاف» (٢/ ١٥٥)  
والألوسي في «روح المعاني» (٩/ ٣٣٥) ومحمد أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات في  
كتب التفسير» (ص: ٢٠١).

(٢) جَعَلَ السُّؤَالَ لَتَبَكِيَتْ قَوْمَهُ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] ليس بشيء؛ لأنَّ حَقَّهُ  
عليه السلام في أن يجهلهم ويزيل شبهتهم كما فعل بهم حيث قالوا: ﴿أَجْعَلْ لَنَا لَهَا﴾ [الأعراف:  
١٣٨]. ومذهب أهل السنة والجماعة أن معنى ﴿رَبِّ أَرِيءِ أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾: أرني نفسك بأن تتجلى لي  
فأنظر إليك وأراك، وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة؛ لأن طلب المستحيل على  
الأنبياء عليهم السلام محال، وخصوصاً ما يتعلق بمعرفة الله تعالى ويقضي الجهل به، وردّه بقوله:  
﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ ليس لامتناع رؤيته تعالى في نفس الأمر، وإلا لقال: لن أرى، بل لقصور الطالب عن  
رؤيته لبقيّة الحجاب، فهي موقوفة على ارتفاعه. انظر: «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية.

إبراهيمَ عليه السَّلامُ حينَ قال: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وَإِنَّ التَّجَلَّى كَانَ مِنَ الْعَرْشِ.

وذهب بعضُ المُفسِّرين إلى إثباتِ الرُّؤية وإثباتِ الجهة، وأنَّ (لن) لنفيِ الرُّؤية في الدُّنيا؛ كقوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، ثم قال حكايةً عنهم: ﴿يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَيْتَارِيكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، و﴿بَلَّتْهَا كَانَتِ الْفَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧] يعني: الموت<sup>(١)</sup>.

وذكروا ما روي عن ابنِ عباسٍ - رضي الله عنهما - في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾: ما تجلَّى منه إلا قدر الخنصر<sup>(٢)</sup>.

وذكروا عن النبي<sup>(٣)</sup> عليه السَّلامُ في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾: وضع النبيُّ عليه السَّلامُ الإبهامَ على المفصلِ الأعلى من الخنصرِ، رواه حمادٌ عن ثابتٍ عن أنسٍ، قال حمادٌ لثابتٍ: أتقولُ هذا؟ فضربَ ثابتٌ صدره بيده فقال: يقولُه رسولُ الله عليه السَّلامُ ويقولُه أنسٌ وأنا أكتُمُه<sup>(٤)</sup>!

(١) يعني المصنف هنا أن (لن) ليست للتأييد؛ لأنها عندما اقترنت بـ (أبدًا) دلَّت على الانتفاء في الدنيا، لا في الآخرة بدليل أنها وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾، ثم أخبر عنهم أنهم تمنوه في النار في الآيتين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٤٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٥٦٠). قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢ / ٤٥١): «هذا التأويل يتمسك به المعتزلة تمسكاً شديداً لقولهم: إن رؤية الله عز وجل غير جائزة، وقائله من أهل السنة إنما يقوله مع اعتقاده جواز الرؤية».

(٣) في (و): «وذكروا عن أبي عن النبي»، وعبارة: «في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ ما تجلَّى منه إلا قدر الخنصر، وذكروا عن أبي»: ليست في (ن). والصواب المثبت.

(٤) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٤٢٩)، ورواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (١٢٢٦٠)، والترمذي (٣٠٧٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة».

وذهب بعض المُفسِّرين إلى إثباتِ الرُّؤيةِ ونفيِ الجهة<sup>(١)</sup> وما يُورثُ تشبيهاً، وهو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة<sup>(٢)</sup>، والدَّلَالُ على صِحَّتِهِ وإبطالِ مذهبِ المُبتدعةِ يطولُ تعدادُها، ولكلِّ مكانٍ مقالٌ.

\*\*\*

(١٤٤) - ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءَ آتَيْتُكَ

وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾: اخترتك واستخلصتك وأخذتك صفوةً

على بني آدم ﴿بِرِسَالَتِي﴾: نبوتِي ﴿وَبِكَلِمِي﴾ من غيرِ واسطةٍ ﴿فَخُذْ مَاءَ آتَيْتُكَ﴾ اعْمَلْ

بما فيه بجدٍّ واجتهادٍ ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ على ذلك.

\*\*\*

(١) في (و): «المكان»، والمعنى واحد. انظر التعليق الآتي.

(٢) نقله الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/١٠٠) عن الأشعري فقال: ومن مذهب الأشعري

أن كل موجود يصح أن يرى، فإن المصحح للرؤية إنما هو الوجود، والباري تعالى موجود

فيصح أن يرى، وقد ورد السمع بأن المؤمنين يرونه في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَبُورُهُ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ

﴿١٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات والأخبار. قال: ولا يجوز أن تتعلق به

الرؤية على جهة، ومكان، وصورة ومقابلة، واتصال شعاع، أو على سبيل انطباع، فإن كل

ذلك مستحيل.

وقال النووي في «شرح مسلم» (٣/١٦): ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة - تعالى عن

ذلك - بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة.

والذي قاله الأشعري في «الإبانة» (ص: ٢٥): وندين بأن الله يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى

القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ.

(١٤٥) - ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَهُودُ وَامْرَأَتُ قَوْمِكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَنَسِقِينَ ﴾ .

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ ﴾ : فرَضْنَا عَلَيْهِ . وقيل : كَتَبْنَا بِالْقَلَمِ . وقيل : كان كَنْقَشِ الْخَاتَمِ <sup>(١)</sup> .

وقيل : كَتَبَ اللهُ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ وَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ يَسْمَعُونَ صَرِيرَ الْقَلَمِ .

﴿ فِي الْأَلْوَابِ ﴾ : جَمْعُ لَوْحٍ ، وَهُوَ مَا يَلُوحُ الْمَكْتُوبُ فِيهِ فَوْقَ غَيْرِهِ ، وَكَانَتْ عَشْرَةَ أَذْرُعٍ <sup>(٢)</sup> عَلَى طَوْلِ مُوسَى . وقيل : سَبْعَةٌ . وقيل : ثَمَانِيَةٌ .

وَكَانَتْ أَلْوَابُهُ مِنْ زَبْرَجِدٍ . وقيل : مِنْ يَاقُوتِ أَحْمَرَ . الْحَسَنُ : مِنَ الْخَشَبِ <sup>(٣)</sup> .  
وقيل : مِنْ نُورٍ . وقيل : مِنَ الصَّخْرَةِ <sup>(٤)</sup> .

الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ : مِنَ الْبَرَدِ <sup>(٥)</sup> .

﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ : احْتِجَاجٌ إِلَيْهِ فِي بَيَانِ الدِّينِ .

﴿ مَوْعِظَةً ﴾ : وَعَظًا ﴿ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ : مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ ، وَمَا كَانَ وَسَيَكُونُ .

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٢٢)، واستغربه.

(٢) في (ن): «ألواح».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ٢٦٠)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٢٢)، واستغربه.

(٤) في (و): «من ياقوتٍ أحمر . وقيل : من نور . وقيل : من الصخرة . وقيل : من الخشب» .

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٤٥٦) عن الربيع عن أبي العالية . وذكره المصنف في «غرائب

التفسير» (١ / ٤٢٢)، وعدّه من العجائب .

﴿فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ﴾: جِدٌّ وَمُواظِبَةٌ.

﴿وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ قيل: (أَحْسَنُ) صَلَةٌ؛ أَي: يَأْخُذُوا بِهَا<sup>(١)</sup>.

وقيل: بِحَسَنِهَا؛ كَقَوْلِهِ: ﴿أَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] <sup>(٢)</sup>.

وقيل: فِيهَا الْفَرْضُ وَالْمَنْدُوبُ وَالْمُبَاحُ، وَالْفَرْضُ أَحْسَنُهَا.

وقيل: الْمَأْمُورُ بِهِ أَحْسَنُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ.

﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾؛ أَي: مَنَازِلَهُمْ وَمَصَارِعَهُمْ.

وقيل: دَارُ الْفَاسِقِينَ: جَهَنَّمُ<sup>(٣)</sup>. وقيل: مِصْرُ<sup>(٤)</sup>.

وقيل: هُوَ مِنَ (الدَّوْرَانِ)؛ أَي: مَا دَارَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١٤٦) - ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا

آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ

سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يُرِيدُ بِالْآيَاتِ: مَا فِي

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، واستغربه، وعبارته: «الغريب: (أفعل) هنا للمبالغة

لا للتفضيل كما في قوله ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، وعده من العجائب.

(٤) يعني: دار فرعون وقومه. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٣)، وعده من العجائب.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٢)، واستغربه، وفيه: «ما دار عليه أمرهم من الهلاك

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ، صَرَفَهُمْ عَنْهَا جِزَاءً عَلَى تَكْبِيرِهِمْ  
عَنِ الْإِيمَانِ.

وقيل: صَرَفَهُمْ عَنِ التَّفَكُّرِ فِيهَا.

وقيل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾؛ أي: عن خير آياتي عقوبةً على فعلِهِمْ.

أبو عبيدة: عن الخوضِ فِي الْقُرْآنِ<sup>(١)</sup>.

سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ: عن فهمِ الْقُرْآنِ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآئَةً﴾: مُعْجَزَةٌ ﴿لَا يُؤْمِنُؤْأِيهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾: طَرِيقَ

الهدى والبيان ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: طَرِيقَةً وَدِينًا ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَى﴾: الباطلِ

وَالشَّيْطَانِ ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾: بِسَبَبِ أَنَّهُمْ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: غَيْرَ نَاطِرِينَ

فِيهَا، فَيَكُونُ ﴿ذَلِكَ﴾ رَفْعًا بِالْإِبْتِدَاءِ، وَيَجُوزُ: فَعَلْنَا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ، فَيَكُونُ

نَصْبًا<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٢٣)، واستغربه. وفيه: «عن الخوض في علم القرآن»،

وهو على هذا في معنى ما بعده، وعلى حذف كلمة (علم) يكون بمعنى: سأشغل المتكبرين عن

الخوض في آيات الله والاستهزاء بها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٤٤٣)، ثم قال بعده: «وتأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا

الكلام كان عنده من الله وعيداً لأهل الكفر بالله ممن بعث إليهم نبينا ﷺ دون قوم موسى؛ لأن القرآن

إنما أنزل على نبينا محمد ﷺ دون موسى عليه السلام». وذكره المصنف في «غرائب التفسير»

(١ / ٤٢٣)، واستغربه.

(٣) على أنه مفعول به لفعل مضمَر.

(١٤٧) - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلَفَاءُ الْآخِرَةِ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: جحدوا بالإيمان بها ﴿وَلَفَاءُ الْآخِرَةِ﴾: الثواب والعقاب والبعث والنشر<sup>(١)</sup> والحساب ﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بطلت. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: جزاء أعمالهم.

\*\*\*

(١٤٨) - ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَاتَّخَذَ﴾؛ أي: صنع وصاغ ﴿قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ يريد: السامريّ ومن أعاناه على ذلك، ومن رضي به وصدقاه.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد انطلاقه للميقات، وهو العشر التي أتم الله بها الميقات.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الحلي: ما اتَّخَذَ لِلزَّيْنَةِ مِنَ الذَّهَبِ أَوْ الفِضَّةِ.

وذلك أنهم كانوا قد استعاروا من القبطِ بعض حُلِيِّهم لعرسٍ كان لبني إسرائيل - وقيل: ليوم زينة - فلمَّا أهلك الله فرعونَ وقومه بقي الحليُّ معهم، وكان حرامًا عليهم، فقال السامريُّ لهارون: إِنَّا كُنَّا اسْتَعْرَضْنَا حُلِيِّهِمْ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَذُوا فِي بَيْعِ الحَلِيِّ وَتَمَحِيقِهَا، وَإِنَّهَا عَارِيَّةٌ وَلَيْسَتْ لَنَا، فَأَمَرَ هَارُونَ مُنَادِيًا يُنَادِي: مَنْ كَانَتْ عَارِيَّةٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ فَلْيَأْتِنَا بِهَا، فَأَتَوْهُ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ هَارُونَ: أَنْتَ أَحَقُّ بِحِفْظِ هَذِهِ، فَقَبَضَهَا السَّامِرِيُّ، وَكَانَ صَائِعًا، فَصَاغَ مِنْهَا تَمَثَالًا عِجْلٍ مُجَوَّفًا كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ<sup>(٢)</sup>.

(١) «والنشر» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٤١٨) عن أبي بكر بن عبد الله الهذلي.

وهو قوله: ﴿عِجْلًا﴾، والعِجْلُ: ولدُ البقرة القريبُ العهدِ بالولادة.  
﴿جَسَدًا﴾: لحمًا ودمًا.

وقيل: جسدًا من غير روح، والجسدُ بدنُ الحيوانِ، والجسمُ عامٌّ.  
وقيل: ﴿جَسَدًا﴾؛ أي: أصغرَ من الجِسادِ<sup>(١)</sup>.

﴿الْمُخَوَّرُ﴾؛ أي: صوتٌ، والخَوَّارُ: صوتُ البقرة، وقيل: إنَّما<sup>(٢)</sup> خَارَ مرَّةً  
واحدةً.

وخَوَّارُهُ فِيمَنْ جَعَلَهُ لَحْمًا وَدَمًا ظَاهِرًا، وَفِيمَنْ جَعَلَهُ تَمَثُّلًا مِنْ ذَهَبٍ: خَارَ  
بِحِيلَةٍ احْتَالَ بِهَا حَتَّى خَارَ، فَقِيلَ: جَعَلَ فِي بَطْنِهِ بَيْتًا<sup>(٣)</sup> يُفْتَحُ وَيُغْلَقُ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ  
السَّامِرِيُّ أَنْ يَخُورَ الْعِجْلَ، أَدْخَلَ جَوْفَهُ غَلَامًا يَخُورُ إِذَا أَرَادَ السَّامِرِيُّ بَعْلَامَةً بَيْنَهُمَا.  
وقيل: كَانَ يَضَعُهُ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ. وقيل: عملٌ بالماءِ والفوَّاراتِ.  
وقِصَّتْهُ مَذْكُورَةٌ فِي سُورَةِ (طه).

﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾: لَا يَأْمُرُهُمْ وَلَا يَنْهَاهُمْ ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ إِلَى خَيْرٍ.  
﴿اتَّخَذُوهُ﴾؛ أَي: اتَّخَذُوهُ إِلَهًا مَعْبُودًا ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾: وَاضِعِينَ  
الْعِبَادَةَ غَيْرَ مَوْضِعِهَا.

\*\*\*

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٢٣)، واستغربه. وفيه: «أصغر من الجساد، وهو

الزعفران».

(٢) في (و): «إنه».

(٣) في (و): «بيتًا»، والبيت تصغيره، وهو الأنسب في وصفه.

(١٤٩) - ﴿وَلَمَّا سَقَطَتْ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا سَقَطَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ الجمهور: على أنه عبارة عن الندم، والندم في القلب، وإسناده إلى اليد كإسنادهم المُلْك والمحبوب والمكروه إليها، تقول: في يده ملك، وفي يده محبوبه، وحصل في يده المكروه.

ابن عيسى: وقع البلاء في أيديهم؛ أي: وجدوه وجدان ما يحصل في الكف<sup>(١)</sup>.  
وقيل: أصله من الأسر والكتف.

وقيل: من ندم وضع يده على رأسه<sup>(٢)</sup>.

ويحتمل أن الإنسان إذا حزبه أمرٌ عظيمٌ مسح كفه بكفه وحوقل<sup>(٣)</sup>.

﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ﴾: وعلموا أنهم ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾ بعبادة العجل.

الحسن: لأنهم كانوا عبدوا العجل إلا هارون<sup>(٤)</sup>. وقيل: عبده بعضهم.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ومن قرأ بالتاء نصب ﴿رَبَّنَا﴾ على النداء<sup>(٥)</sup>.

(١) قال ابن عيسى في «النكت» (ص: ٩٤): «هذا مستعار، وحقيقته: ندموا المارأوا من أسباب الندم، إلا أن الاستعارة أبلغ للإحالة فيه على الإحساس، وأما قوله هنا فذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٤٢٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٤٢٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٤٢٣)، وعدّه من العجائب.

(٤) روى معناه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/١٠٩).

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٤)، و«التيسير» (ص: ١١٣).

(١٥٠) - ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۗ أَعْجَلْتُمُ أَمْرِي كُمْ وَاللَّعْنَةُ عَلَىٰ الْأَلْوَابِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝﴾

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ﴾ من الطُّور ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾: حزيناً، وقيل: مُتَغَيِّظًا، من قوله: ﴿فَلَمَّا اسْفُوتْنَا﴾ والأسْفُ: الحزن، والأسْفُ: الغضبُ.

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾؛ أي: بئس ما نُبتُم عني وفُتُمتم مقامي بعد انطلاقي.  
﴿أَعْجَلْتُمُ أَمْرِي كُمْ﴾؛ أي: أتركتُموه؟ الرَّجَاجُ: عجلتُه: سبقته<sup>(١)</sup>.

وقيل: تجاوزتُم أمر ربِّكم.

الحسن: أَعْجَلْتُم وَعَدَّ رَبُّكُمْ الذي وعدنيه من الأربعين ليلةً؛ لأنَّهم قدَّروا أنَّه مات<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّعْنَةُ عَلَىٰ الْأَلْوَابِ﴾ أي: التي ذُكِرَتْ في قوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ [الأعراف: ١٤٥] غَضْبًا على قومه، فتكسَّر بعضها، ورُفِعَ كثيرٌ منها إلى السَّمَاءِ، حتَّى رَوَى الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ سِتَّةَ أَسْبَاعِهَا رُفِعَتْ، وبقِيَ سُبْعٌ<sup>(٣)</sup>.  
وحقيقة هذا: أَنَّ الْأَلْوَابَ لَمَّا كُسِرَتْ ذَهَبَ أُنْثَرُ الْمَكْتُوبِ<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٧٨)، وفيه: «يقال: عجلت الأمر والشئ: سبقته، وأعجلته: استحثته».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٦٣)، والواحدي في «البيسط» (٩/ ٣٦٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٣ و ١٥٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وتعبه ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية بقوله: «ويأباه قوله: ﴿أَخَذَ الْأَلْوَابِ﴾؛ لأن الظاهر منه أن المأخوذ هو المُلقَى بعينه».

(٤) ولعل في هذا جواباً لما قاله العلامة ابن كمال باشا رحمه الله.

﴿وَأَخَذَ رِأْسَ أَخِيهِ﴾؛ أي: بشعرِ رأسه. وقيل: بناصيته. وقيل: بذؤابته. وقيل:  
العربُ تقول: فلانٌ حسنُ الرأسِ؛ أي: الشعرِ.

﴿يُجْرُهُ إِلَيْهِ﴾ غَضَبًا عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَمْنَعَهُمْ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْنِهِمْ، فِيلْحَقُ بِهِ.  
وقيل: أَخَذَ رَأْسَهُ وَجَرَّهُ لِيُنَاجِيَهُ.

وقيل: جَرَّهُ عِتَابًا عَلَيْهِ لَا هَوَانًا بِهِ.

وقيل: أَخَذَهُ كَمَا يَأْخُذُ الْإِنْسَانُ شَعْرَهُ وَلِحْيَتَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا كَشَخِصٍ  
وَاحِدٍ.

وقوله: ﴿فَلَا تُشْمِتُ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ يَدْفَعُ هَذِهِ الْأَقْوِيلَ.

وقيل: غَضِبَ عَلَيْهِ لِتَرْكِهِ اتِّبَاعَهُ.

﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ ذَكَرَ الْأُمَّ لِيُرِقِّقَهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ لِأَبِيهِ وَأُمَّهُ.

﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي﴾؛ أي: وَجَدُونِي ضَعِيفًا لِيُوحِدَتِي، ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾؛  
وَقَارَبُوا قَتْلِي؛ لِإِنْكَارِي عَلَيْهِمْ.

وقيل: ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾؛ أي: أَرَادُوا وَهَمُّوا.

﴿فَلَا تُشْمِتُ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾: لَا تَسْرُّهُمْ بِإِهَانَتِكَ إِيَّايَ<sup>(١)</sup>. وَالشَّمَاتَةُ: سُرُورُ  
الْعَدُوِّ بِسُوءِ الْعَاقِبَةِ. وَأَرَادَ بِالْأَعْدَاءِ: الَّذِينَ عَبَدُوا الْعَجَلَ.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: فِي عِدَائِهِمْ.

\*\*\*

(١) فِي (و): «بِي».

(١٥١) ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .  
 ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ ؛ أي: ما صَنَعْتُ إِلَى أَخِي، وَقِيلَ: إِفْقَاءَ الْأَلْوَابِ .  
 وَقِيلَ: اسْتَغْفَرَ سَالِفَ ذُنُوبِهِمَا .  
 ﴿ وَلِأَخِي ﴾ حِينَ لَمْ يَمْنَعَهُمْ وَلَمْ يَلْحَقْ بِي .  
 ﴿ وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾ : أَنْعِمْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ ﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ : أَرْحَمُ  
 بِنَا مَنَا بِأَنْفُسِنَا .  
 الْحَسَنُ: أَرْحَمُ بِنَا مِنَ الْأَبَوَيْنِ (١) .

\*\*\*

(١٥٢) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَهْلَ سَيْنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ .  
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَهْلَ ﴾ إِلَهَا ﴿ سَيْنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ : هُوَ أَنْ أَمَرُوا بِقَوْلِهِ: ﴿ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤]، فَفَتَلَ  
 الْأَبُ ابْنَهُ وَالابْنُ أَبَاهُ .  
 وَقِيلَ: هُوَ الْجَزِيَّةُ زَمَنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أَي: أَوْلَادَهُمْ (٢) .  
 وَقِيلَ: تَقْدِيرُهُ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَهْلَ ﴾ وَلَمْ يَتُوبُوا ﴿ سَيْنَاهُمْ غَضَبٌ ﴾ الْآيَةُ،  
 وَالَّذِينَ تَابُوا عُفِّرَ لَهُمْ، وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ:  
 (١٥٣) - ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ  
 رَّحِيمٌ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا ﴾ ؛ أَي: بَعْدَ السَّيِّئَاتِ . وَقِيلَ: بَعْدَ التَّوْبَةِ  
 ﴿ وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٥٣) .

(٢) أي: سينال أولادهم .

ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْآيَتَيْنِ مِنْ كَلَامِ مُوسَى، وَصَدَّقَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾.

وقال بعضهم: هذا من كلام الله قاله لموسى؛ أي: فأجاب الله بهذا.

\*\*\*

(١٥٤) - ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابُ فِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾؛ أي: سکنَ باعتذارِ هارونِ إليه<sup>(١)</sup>.

وقيل: بتوبيتهم عن كفرهم.

وسکنَ وسكَّتْ: قطعَ الكلامَ.

وقيل: كلُّ كافٍ عن شيءٍ ساكتٌ، ومنه: سكَتَ عن الكلامِ.

ابنُ عيسى: ﴿سَكَتَ﴾ مُسْتَعَارٌ هَاهُنَا؛ لِأَنَّ الْغَضَبَ لَمَّا كَانَ دَالًّا عَلَى مَا فِي النَّفْسِ لِلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ النَّطْقِ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هذا من المقلوب؛ أي: سكَتَ موسى عن الغضبِ<sup>(٣)</sup>.

﴿أَخَذَ الْأَلْوَابُ فِي نُسْخَتِهَا﴾؛ أي: فيما نُسِخَ فيها وَكُتِبَ ﴿هُدًى﴾: بيانُ الطَّاعَةِ

مِنَ الْمَعْصِيَةِ ﴿وَرَحْمَةً﴾: تَخْلِيصٌ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾: اللَّامُ دَخَلَ

المفعولَ لَمَّا تَقَدَّمَ<sup>(٤)</sup>.

(١) «إليه»: ليست في (و).

(٢) قال ابن عيسى في «النكت في إعجاز القرآن» (ص: ٨٧): ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾، وحقيقته انتفاء الغضب، والاستعارة أبلغ؛ لأنه انتهى انتفاءً مُرَاصِدٍ بِالْعُودَةِ، فهو كالسكوت على مُرَاصِدَةِ الْكَلَامِ بما توجهه الحكمة في الحال، فانتفى الغضب بالسكوت عما يكره، والمعنى الجامع بينهما الإمساك عما يكره).

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣٧٩/٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٤٢٤)، واستغربه.

(٤) أي: دخلت اللام لتقدم المفعول؛ لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفاً، ونحوه: ﴿الزُّبَّاءُ =

وقيل: الفعلُ محمولٌ على المصدرِ؛ أي: رَهَبْتُهُمْ لِرَبِّهِمْ.  
ويحتملُ أنَّ المفعولَ محذوفٌ، وتقديرُه: يرهَبُونَ معاصِيَ اللَّهِ لِرَبِّهِمْ؛ أي: لأمرِ  
رَبِّهِمْ، وقد سبق.

\*\*\*

(١٥٥) - ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾؛ أي: من قومه، فحذف، قال:

منا الذي اختير الرجال سماحةً وجوداً إذا هبَّ الرياحُ الزاعغُ<sup>(١)</sup>

﴿لِمِيقَاتِنَا﴾: لميعادنا، وهو الميقاتُ الأوَّلُ؛ لأنَّ فيه ذكرَ الرؤيةِ<sup>(٢)</sup>.

= مَعْبُودٌ ﴿[يوسف: ٤٣]، وتقول: لك ضربت، فإذا قدمت الفعل قلت: ضربتك. انظر: «الكامل»  
للمبرد (٧٣/٣)، و«الكشاف» (١٦٣/٢).

(١) البيت للفرزدق في «ديوانه» (ص: ٣٦٠)، و«الجمل» (ص: ١٢٢)، و«الكتاب» (١/٣٩)، و«شرح  
نقاص جرير والفرزدق» (٣/٨٢٢)، و«الكامل» (١/٣٢)، و«تفسير الطبري» (١٠/٤٧٢).  
وموضع الشاهد حذف (من) والأصل: اختير من الرجال.

(٢) قوله: «لأن فيه ذكر الرؤية» يعني: لورود ذكر الرؤية في الميقات الثاني، ولعل هذا أمر استنباطي  
من خلال الربط بين ما جاء في سورة البقرة وما جاء هنا، ويوضحه ما رواه الطبري في «تفسيره»  
(١/٦٩٥) عن السدي أنه: لما تاب بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم  
بعضاً كما أمرهم به، أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من  
عبادة العجل، فاختار موسى قومه سبعين رجلاً، فلما أتوا ذلك المكان قالوا: ﴿أَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى  
رَبَّى اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ [البقرة: ٥٥] فإنك قد كلمته فأرنا، فأخذتهم الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي =

وقيل: هو ميقاتٌ آخرٌ للتَّوبَةِ عن عِبَادَةِ الْعَجَلِ<sup>(١)</sup>.

= ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم؟ ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَاتِي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ يَتَاء﴾ [الأعراف: ١٥٥]؟ فأوحى الله إلى موسى: إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل، فذلك حين يقول موسى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتَاكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْنَا﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وذلك قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾.

قلت: فلعل السدي إنما استنبط ذلك استنباطاً، فإنه لم يرد التصريح بذكر الرؤية في هذا الميقات في الكتاب ولا في السنة، بل قد روي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهم غير هذا السبب كما سيأتي، ومن هنا اختار أكثر المفسرين أن هذا الميقات غير الأول. انظر التعليق الآتي.

(١) واختار هذا القول بالتغاير أبو حيان في «البحر» (١٨٨/٥) فقال: والذي يظهر أن هذا الميقات غير ميقات موسى الذي قيل فيه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ لظاهر تغاير القصتين وما جرى فيهما، إذ في تلك أن موسى كلمه الله، وسأله الرؤية، وأحاله في الرؤية على تجليه للجبل وثبوته، فلم يثبت وصار دكاً وصعق موسى، وفي هذه اختير السبعون لميقات الله وأخذتهم الرَّجْفَةُ ولم تأخذ موسى، وللفصل الكثير الذي بين أجزاء الكلام لو كانت قصة واحدة.

وقد ذكر الطيبي في «فتوح الغيب» (٥٩٩/٦) نحوه، واستدل أبو حيان على تغاير القصتين بما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو ميقات وقته الله لموسى وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعوا ربهم، فدعوا فقالوا: يا الله أعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا ولا أحداً بعدنا، فكره الله ذلك فأخذتهم الرَّجْفَةُ.

قلت: رواه الطبري (١٠/٤٦٩)، وهذا الإسناد وإن كان من علي بن أبي طلحة صحيفة ولم يسمعه من ابن عباس، إلا أن العلماء قد استحسَنوه، ومنهم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، حيث نقل عنه النحاس في «إعراب القرآن» (٣/٧٣) قوله: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل فيها رجل إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً.

وفي سببِ اختيارِهِ السَّبْعِينَ أقوالٌ:

أحدُها: أَنَّهُ اختارَهُم لِتمامِ الوعدِ<sup>(١)</sup>، والأكثرُ على أَنَّهُ اختارَهُم ليعتَدِرُوا عن عبادةِ العجلِ.

وقيل: قالت طائفةٌ من بني إِسرائيلَ: إِنَّ اللَّهَ لا يُكَلِّمُكَ، فأوحى اللهُ إلى موسى: أَن اختَر من قومِكَ من خيارِهِم سبعينَ رجلاً، ثم ارتقى بهم إلى الجبلِ أَنتَ وهارونُ، واستخلفَ على بني إِسرائيلَ يُوشَعَ بنَ نُونٍ، ففعلَ ثمَّ ذهبَ بهم ليسمعوا كلامَ اللهِ، فلمَّا أتوا ذلكَ المكانَ وسمعوا كلامَ اللهِ قالوا: لن نُؤمِنَ لك بأنَّكَ قد كَلَّمْتَهُ حتَّى نرى اللهُ جهرةً، فأخذتَهُم الصَّاعقةُ فماتوا.

وعن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما: أَنَّ السَّبْعِينَ الذينَ قالوا: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَكُفِّرُ سَوِيًّا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥] غيرَ السَّبْعِينَ الذينَ أخذتَهُم الرَّجفةُ<sup>(٢)</sup>.

وعن عليٍّ رضي اللهُ عنه: إِنَّمَا أخذتَهُم من أَجلِ دَعواهُم على موسى قتلَ هارونَ، وذلكَ أَنَّ موسى وهارونَ وشَبيراً وشَبيراً ابني هارونَ انطلقوا إلى صَفْحِ الجبلِ، فنام هارونُ على سريره وتوفاه اللهُ، فلمَّا ماتَ دفنَه موسى، فلمَّا رجعَ موسى إلى بني إِسرائيلَ قالوا: أين هارونُ؟ قال: توفاه اللهُ، قالوا: بل أنتَ قتلته حَسداً على خُلُقِهِ ولِينِهِ، فاخترَ منهم سبعينَ وذهبَ بهم، فلمَّا انتهوا إلى القبرِ قالوا: يا هارونُ، أُقْتِلتَ أمِ مِتَّ؟ فقال هارونُ: ما قتلني أحدٌ ولكن توفاني اللهُ،

(١) في (ن): «الموعد».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٥٤٥).

فقالوا: يا موسى، لن تُعصى بعد اليوم، فأخذتهم الصّاعقة فماتوا<sup>(١)</sup>.

﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ قال موسى: يا ربّ، ما أقولُ لبني إسرائيل إذا رجعتُ إليهم؟ يقولون: أنت قتلتهم، فأحياهم الله وجعلهم أنبياء<sup>(٢)</sup>.

والصّحيحُ أنّهم لمّا سمعوا كلامَ الله هم و<sup>(٣)</sup>موسى وقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أخذتهم الرّجفة<sup>(٤)</sup>.

والرّجفة: الموت، وقيل: الزّلزلة. وقيل: النّار. وقيل<sup>(٥)</sup>: الصّاعقة.

وقال الفراء: لمّا ماتوا فقام موسى يبكي ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي﴾؛ أي: إن شئت أمتهم وأمتني بغير الرّجفة<sup>(٦)</sup>.

الرّجاج: إن شئت أمتهم من قبل أن تبليهم بما أوجب عليهم الرّجفة<sup>(٧)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٤٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٥٧٣).

(٢) هذا من تمة الخبر السابق عن علي رضي الله عنه.

(٣) «هم و» أثبتناها من نسخة ذكرت في هامش (ن)، وكونهم سمعوا مع موسى كلام الله؛ رواه الطبري

في «تفسيره» (١ / ٦٩٣) عن ابن إسحاق.

(٤) وفي هذا التصحيح نظر، وقد تقدم الكلام عليه.

(٥) في (و): «وهي».

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (١ / ٣٩٥): «وذلك أن الله تبارك وتعالى أرسل على الذين معه - وهم

سبعون - الرّجفة، فاحترقوا، فظن موسى أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل، فقال: ﴿أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾، وإنما أهلكوا بمسألتهم موسى: ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً﴾.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ٣٨٠). وكلمة «الرّجفة» ليست في (ن)، والمثبت من (و)

وقيل: إن شئت أهلكتهم عند اتّخاذِ العجلِ ولم تُمهّلهم إلى المصيرِ إلى الميقاتِ وإيائي، وأهلكتني حين قتلْتُ القِبْطِيَّ بمصرَ.

﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾: استفهامٌ معناه النَّفْيُ<sup>(١)</sup>.

وقيل: استفهامٌ إنكارٍ. وهذا لا يجوزُ.

وقيل: استفهامٌ يتضمَّنُ معنى قوله: ﴿وَأَتَقُوا فَتَنَةَ آلِ نُصَيْبِ بْنِ الْإِذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

والسُّفَهَاءُ: هم الذين عبدوا العجلَ.

﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُنَا﴾: ما هي إِلَّا عذابُك. وقيل: ابتلاؤُك، و﴿هِيَ﴾ كنايةٌ عن الفَعْلَةِ، وقيل: البليَّة. وقيل: العقوبة.

﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ نَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ نَشَاءُ﴾؛ أي: من سلِمَ منها فهو سعيدٌ، ومن بقيَ فيها فهو شقيٌّ.

﴿أَنْتَ وَلِيْنَا﴾: مُدبِّرُ أمرِنَا ﴿فَاعْفِرْ لَنَا﴾ ذُنُوبَنَا ﴿وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

\*\*\*

(١٥٦) - ﴿وَأَكْتَبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَدَايَ أَصِيبُ بِهِ مِنْ أَسَاءٍ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(١) نقل الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٥٤٨) عن المبرد أنه سماه: «استفهام استعطاف»، ومعناه: لا تهلكنا.

﴿وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: توفيق الطاعة وإسباغ النعمة ﴿وَفِي  
الْآخِرَةِ﴾ الجنة والرؤية والثواب؛ سأل خير الدارين.

﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾؛ أي: بُنينا، من (هاد يهود): إذا رجع.

وقيل: من (التَّهْوُد) في السير، وهو تمكُّث.

وقيل: من (الهُودَة)، وفعله: هاد يهود<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ عَدَايَ أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءَ﴾ يعني: الكفَّار ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛  
أي: عمَّت في الدنيا على الكفار والمؤمنين، وخصت على المؤمنين في  
العقبى<sup>(٢)</sup>.

﴿فَسَاكَتُهَا﴾؛ أي: أثبتها<sup>(٣)</sup> في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشُّرك والمعصية  
﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ المفروضة. وقيل: يطهرون أنفسهم عن دنس المعاصي.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا﴾: بكتبتنا، وقيل: بدلائلنا ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

\*\*\*

(١) وهذه المعاني يجمعها أصل واحد، فهي تدلُّ على السكون والسلامة، والأشهر أن ﴿هُدْنَا﴾ من التوبة، وفي التوبة هوداة حال وسلامة، كما قال ابن فارس. انظر: «مقاييس اللغة» (١٨/٦).

(٢) في العبارة شيء من التجوز، فقد ضمن الفعل (خُصَّت) معنى الفعل (قُصِرَت)، ولو قال: وخصت المؤمنين، لكان أظهر، والله أعلم.

(٣) في (ن): «أثبها».

(١٥٧) - ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ يعني: محمداً عليه السَّلامُ، وفي ﴿الْأُمِّيَّ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يكتب، ولا يقرأ من الكتاب.

وقيل: منسوبٌ إلى أمِّ القرى، وهي مكَّة.

وقيل: منسوبٌ إلى الأمة، وهي الجماعة؛ لأنَّ أكثرهم لا يكتبون.

وبعضُ المُفسِّرين على أنَّه عليه السَّلامُ ما ماتَ حتَّى كتَبَ<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤٢/٧) من طريق مجالد بن سعيد عن عون بن عبد الله عن أبيه قال: ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ. قال مجالد: فذكرت ذلك للشعبي فقال: قد صدق، قد سمعت من أصحابنا يذكرون ذلك. قال البيهقي: «هذا حديث منقطع، وفي رواه جماعة من الضعفاء والمجهولين».

قلت: وقد نقل عن بعض العلماء القول بذلك، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٨٢/٥) عن إبراهيم أنه كان يقرأ ولا يكتب، وقال الألويسي في «روح المعاني» (٣٧٧/٢٠): ومعرفة الكتابة بعد أميته ﷺ لا ينافي المعجزة، بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم، وردَّ بعض الأجلة كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»، وقال: كل ما ورد في الحديث من قوله: كتب، فمعناه أمر بالكتابة كما يقال: كتب السلطان بكذا لفلان... وقد استوفى رحمه الله الكلام في هذه المسألة، وحديث: «إنا أمة أمية...» رواه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا﴾؛ أي: يجدون وصفه واسمه مكتوبًا؛ لأنَّ الشَّخْصَ لَا يُكْتَبُ.

﴿عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ رُويَ أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ أَبَا مَالِكٍ عَنِ صِفَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّوْرَةِ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ، فَقَالَ: صِفْتُهُ فِي كِتَابِ بَنِي هَارُونَ الَّذِي لَمْ يُبَدَّلْ وَلَمْ يُغَيَّرْ: أَحْمَدُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ الَّذِي يَأْتِي بَدِينِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِ، يَأْتِرُ عَلَى وَسْطِهِ، وَيَغْسِلُ أَطْرَافَهُ، فِي عَيْنِهِ حَمْرَةٌ، وَبَيْنَ كَتْفَيْهِ خَاتَمُ النَّبُوَّةِ مِثْلُ زُرِّ الْحَجَلَةِ، لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ، يَلْبَسُ الشَّمْلَةَ، وَيَجْتَرِي بِالْبُلْعَةِ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ، مَعَهُ حَرْبٌ وَقَتْلٌ وَسَبْيٌ، سَيْفُهُ عَلَى عَاتِقِهِ لَا يُبَالِي مَنْ لَقِيَ مَنْ النَّاسِ، مَعَهُ صَلَاةٌ لَوْ كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ مَا أَهْلَكُوا بِالطُّوفَانِ، وَلَوْ كَانَتْ فِي عَادٍ مَا أَهْلَكُوا بِالرَّيْحِ، وَلَوْ كَانَتْ فِي ثَمُودَ مَا أَهْلَكُوا بِالصَّيْحَةِ، مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ وَمَنْشُؤُهُ بِهَا، وَبُدُوُّ نَبَوَّتِهِ بِهَا، وَدَارُ هَجْرَتِهِ بِيَثْرَبَ بَيْنَ حَرَّةٍ وَنَخْلٍ وَسَبِخَةٍ، هُوَ أُمِّيٌّ لَا يَكْتُبُ بِيَدِهِ، هُوَ الْحَمَّادُ يُحَمِّدُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شِدَّةٍ وَرِخَاءٍ، سُلْطَانُهُ بِالشَّامِ، صَاحِبُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(١)</sup>.

وَحكى الماورديُّ وابنُ عيسى في «تفسيرهما»: أَنَّ فِي الْإِنْجِيلِ بَشَارَةً بِالْفَارَقْلِيْطِ فِي مَوَاضِعَ، مِنْهَا: يُعْطِيكُمْ الْفَارَقْلِيْطُ أَجْرًا<sup>(٢)</sup> يَكُونُ مَعَكُمْ الدَّهْرَ كُلَّهُ.

وَفِيهَا قَوْلُ الْمَسِيحِ لِلْحَوَارِيِّينَ: أَنَا أَذْهَبُ وَسَيَأْتِيكُمْ الْفَارَقْلِيْطُ رُوحَ الْحَقِّ

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٥٥٣) عن الواقدي، وساق إسناده.

(٢) في «النكت والعيون»، و«غرائب التفسير»: «آخر».

الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنه نذير لجميع الخلق، ويخبركم بالأمر المزمعة، ويمدحني ويشهد لي<sup>(١)</sup>.

وأبلغ من هذين الخبرين قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى قوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالإسلام والشرع ومحاسن الأخلاق، ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: الكفر والفساد ومساوي الأخلاق، ﴿وَيَجْعَلُ لَهُمُ الْحَبِيبَ﴾؛ أي: ما يستطاب من الرزق ويستلذ.

وقيل: ما كان محرماً عليهم في قوله: ﴿فِي ظُلُمٍ مِّنَ اللَّيْلِ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ﴾ [النساء: ١٦٠].

وقيل: الطيب: الحلال.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾: المحرمات، والمعنى: أن شريعته بهذه الصفة. ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: خفف عنهم ما شدد عليهم في التوراة من العهود والأثقال، كالمقاتل لا ينجيه إلا القصاص، ولا دية ولا عفو، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض الثوب إذا أصابه نجاسة. وشبهها بالأغلال للزومها لزوم الغل في العنق.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾: بمحمد عليه السلام ﴿وَعَزَّزُوهُ﴾ قيل: عظموه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ قيل: منعوه.

(١) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٦٨). وجاء في «رحلة بنيامين التطيلي» (ص: ١١٤): وقد وعد سيدنا عيسى بمجيء محمد وأشار إليه بإشارات كثيرة، إنه قد سماه «الفارقليط» وهي كلمة يونانية، وترجمتها للعربية: الداعي، وبسبب هذه الإشارات أسلم عبد الله بن سلام وكعب الأبحار وغيرهما كثير.

ابن عيسى: أصل التعزير: المنع، ومنه تعزيرُ المُفْسِدِ<sup>(١)</sup>، ومعنى الآية: نصره بمنعهم كل من أراد كيدَه.

﴿وَاتَّبَعُوا التَّوْرَ الَّتِي أَنْزَلْنَا مَعَهُ﴾؛ أي: القرآن، وسمَّاه نورًا لأنه يبين للناس أمور دينهم ودنياهم، وآخرتهم وعقباهم.

و(مع) يدلُّ على البقاء؛ أي: أنزل عليه وبقي معه.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الظَّافِرُونَ بِالْأَمَانِي، الْبَاقُونَ فِي النَّعِيمِ.

\*\*\*

(١٥٨) - ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ﴾: عامٌّ، وقيل: المرادُ به أهل الكتابِ ﴿إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: صفةُ الله، ومحله جبرٌ، ويجوزُ أن يقفَ<sup>(٢)</sup> على ﴿جَمِيعًا﴾، فيكون ﴿الَّذِي﴾ مبتدأً وما بعده خبرٌ<sup>(٣)</sup>.

﴿فَتَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ﴾: الذي يُنَبِّئُ عن الله ما كان وما يكون ﴿الَّذِي

الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ﴾: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَسَائِرِ كِتَابِ اللَّهِ ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

\*\*\*

(١) ذكر نحوه النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٢٨٠).

(٢) أي: القارئ.

(٣) والخبر في هذه الحالة هو جملة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

(١٥٩) - ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ .

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: يهدون الناس مُحِقِّين.

وقيل: بسبب الحق الذي هم عليه.

﴿وَبِهِ﴾؛ أي: وبالحق ﴿يَعْدِلُونَ﴾ بين الناس. وفي هذا (القوم) ثلاثة أقوال:

أحدها: هم قوم كانوا في زمان موسى عليه السلام.

وقيل: هم قوم وراء الصَّين، رآهم رسولُ الله ﷺ ليلة المعراج، فآمنوا به وصدَّقوه، وقرأ عليهم عشر سور مما نزل عليه بمكة<sup>(١)</sup>.

وقيل: هم الذين آمنوا برسولِ الله ﷺ كعبدِ الله بن سلام وأصحابه.

\*\*\*

(١٦٠) - ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ

قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ

أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا

رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ أعرب (اثنا عشر) من بين أخواتها لأن (عشرة)

بدلٌ من النون، فأعرب كما يعربُ التثنية، وبني (عشرة) على الفتح لأنها بدلٌ من النون<sup>(٢)</sup>.

وَأَنَّ حَمَلًا عَلَى الْأُمَّة. وقيل: على القطعة.

وجمع (أسباطًا) لأنها بدلٌ من ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾، وليس بتمييز.

وقيل: جعل كل واحدٍ من اثنتي عشرة أسباطًا، كما تقول: لزيدِ دراهمٌ ولعمرو

دراهمٌ، فهذه عشرون دراهم<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، واستغربه.

(٢) انظر: «التعليقة على كتاب سيبويه» لأبي علي الفارسي (٣/ ١١٩).

(٣) انظر: «بحر العلوم» لأبي الليث السمرقندي (١/ ٥٥٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٥) =

وَالسَّبْطُ مُشْتَقٌّ مِنَ السَّبَطِ، وَهُوَ شَجَرٌ يَعْتَلِفُهُ الْإِبِلُ، وَكَذَلِكَ الْقَبِيلَةُ اسْمُ شَجَرَةٍ، جَعَلَ الْأَبَ كَالشَّجَرَةِ وَالْأَوْلَادَ كَالْأَغْصَانِ؛ فِإِسْمَاعِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ شَجَرَةٌ، وَإِسْحَاقُ شَجَرَةٌ.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ اصْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ٥٠ فَأَنْجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ٥١ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ ٥٢ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ٥٣ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الآية مفسرة في سورة (البقرة).

ومعنى الآية: جعل الله بني إسرائيل اثنتي عشرة فرقة، وإنهم إذ كانوا في التيه لم يكن لهم طعام ولا شراب ولا ظلٌّ يأوون إليه، فأنزل الله عليهم غمامًا ظلَّ لهم، وأنزل عليهم المنَّ والسَّلْوَى طعامًا لهم وإدامًا، وأمرهم بالأكلِ منهما، وما ظلمونا بما أوجب لهم الحبس في التيه، ولكن ظلموا أنفسهم بذلك.

\*\*\*

(١٦١ - ١٦٢) - ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ سبق تفسير الآيتين.

= واستغربه. وذكر أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية بإسناده من رواية الضحاك عن ابن عباس خبراً طويلاً في لقاء النبي ﷺ بهم وإيمانهم به، ولا يصح في ذلك شيء، والله أعلم.

والمعنى: أمرنا بني إسرائيل بدخول القرية مُستغفرين مُتواضعين لنغفر لمُذنبهم ونزيد إحساناً لمُحسِنهم، فبدّلوا ما أمرُوا فاستحقّوا العذاب الأليم.

\*\*\*

(١٦٣) - ﴿وَسَأَلْتَهُمَ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَسَأَلْتَهُمَ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾؛ أي: عمّا وقع بأهلها ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾؛ أي: عنده، وهي أيلة، وقيل: أريحا ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾: جاوَزُوا الْحَقَّ يَوْمَ السَّبْتِ. ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ﴾: جمعُ حوتٍ، وهي السَّمَكُ، وأضاف إليهم لأنّهم أرادوا صيدها.

﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ هو من الأيام، وأضاف إليهم المخصوصون بأحكام فيه.

والوجه أنّه مصدرٌ، والمعنى: يومَ يسبتون، بدليل قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾، وبدليل الإضافة<sup>(١)</sup>.

والسَّبْتُ: تعظيمُ السَّبْتِ، تقول: سَبَتَ؛ أي: عظَّمَ السَّبْتَ.

وقيل: يومَ راحتهم بتركهم<sup>(٢)</sup> أعمالهم.

﴿شُرْعًا﴾: واردةٌ. وقيل: ظاهرةٌ. وقيل: رافعةٌ رُؤوسها، وقيل: خافضةٌ رُؤوسها كأنّها الكباشُ البيضُ. وقيل: كالمخاضِ السَّمَانِ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٥)، واستغربه.

(٢) في (و): «لقول».

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتَبِشُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ وُقُرِي: (يُسْتَبُونَ)<sup>(١)</sup>.

و(سَبَّتَ) و(أَسْبَتَ) بمعنى. وقيل: سَبَّتَ: عَظَّمَ السَّبْتَ، وَأَسْبَتَ: دَخَلَ فِي السَّبْتِ.

﴿كَذَلِكَ﴾ قيل: مَتَّصِلٌ بِالْأَوَّلِ عَلَى تَقْدِيرِ: لَا تَأْتِيهِمْ شَرًّا مِثْلَ إِتْيَانِ

يَوْمِ السَّبْتِ، وَقِيلَ: مَتَّصِلٌ بِمَا بَعْدَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿نَبَلُوهُمْ﴾؛ أَي: نَخَبَرُهُمْ مِثْلَ هَذَا الْاِخْتِبَارِ؛ أَي: نُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ الْمُخْتَبِرِ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بِخُرُوجِهِمْ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ.

وذلك أَنَّهُ حُرِّمَ عَلَيْهِمُ الصَّيْدُ يَوْمَ السَّبْتِ وَأُمِرُوا بِتَعْظِيمِهِ، فَسَوَّسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ وَقَالَ: إِنَّمَا نُهَيْتُمْ عَنْ صَيْدِهَا يَوْمَ السَّبْتِ، فَحَفَرُوا الْحِيَاضَ وَنَصَبُوا الشُّبَاكَ، وَكَانُوا يَسُوقُونَ إِلَيْهَا الْحَيْتَانَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَتَبَقِيَ فِيهَا وَلَا يُمَكِّنُهَا الْخُرُوجُ مِنْهَا، فَيَأْخُذُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ، وَصَارَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ ثَلَاثَ فِرْقٍ: فِرْقَةٌ صَادُوا، وَهُمْ أَصْحَابُ الْخَطِيئَةِ، وَفِرْقَةٌ نَهَوْهُمْ، وَفِرْقَةٌ قَالُوا: ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا﴾، وَهُوَ قَوْلُهُ:

(١٦٤) - ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا

مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾: مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ لِلْأُمَّةِ الْوَاعِظَةِ: ﴿لِمَ تَعْظُونَ﴾: لِأَيِّ شَيْءٍ

تَعْظُونَ ﴿قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾ فِي الْعُقْبَى؛ أَي: يُعَذِّبُهُمْ فِي الْعَاجِلِ وَالْأَجْلِ ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

(١) نسبت هذه القراءة لعلي بن أبي طالب والجعفي عن عاصم في: «المختصر في شواذ القراءات»

لابن خالويه (ص: ٥٢)، وللحسن والأعمش والمفضل في «شواذ القراءات» لشمس القراء

الكرماني (ص: ١٩٧).

ذهبَ بعضُ المُفسِّرينَ إلى أنَّ هذا إنكارُ الموعظةِ على الأُمَّةِ الواعظةِ.  
 وذهبَ بعضُهم إلى أنَّهم قالوا هذا بعد أن وعظُهم الواعظةُ فلم ينفَعهم وعظُهم  
 وأيسوا<sup>(١)</sup>، فيكونُ هذا أبلغَ في الموعظةِ.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: الواعظةُ ﴿مَعْدِرَةٌ إِلَيَّ رَيْبُكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾؛ أي: موعظتنا معذرةٌ  
 إلى ربِّكم لإقامةِ العُدْرِ عندَ الله، ولرجاءِ تقواهم.  
 وَمَنْ نَصَبَ<sup>(٢)</sup> فمفعولٌ له.

و(المعذرةُ) بمعنى: الاعتذار؛ لأنَّ معنى عَدَرَ: قَبَلَ العُدْرَ، واعتَدَرَ: أقامَ العُدْرَ.  
 وقيل: (عَدَرَ) إذا تعدَّى بنفسه معناه: قَبَلَ العُدْرَ، وإذا تعدَّى بـ(إلى) معناه: اعتَدَرَ.  
 وقيل: (المعذرةُ) بمعنى: العذير، وعذيرُ الرَّجُلِ: ما يُحاوِلُه ممَّا يُعذِرُ  
 عليه إذا فعله.

\*\*\*

(١٦٥) - ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ

ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تَرَكُوا ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: ما وُعِظُوا به من العذابِ على صيدِ  
 الحيتانِ ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾: عن العذابِ الشَّدِيدِ، فيكون (عن) متصلاً  
 بـ ﴿أَنْجَيْنَا﴾، ويحتملُ أن يكونَ متصلاً بـ ﴿يَنْهَوْنَ﴾؛ أي: عن المعصيةِ.

﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ أي: صادوا في السَّبَبِ وخالفوا أمرَ الله ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾:  
 شديدٍ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بخروجهم عن طاعةِ الله، وهو أنَّهم صاروا قردةً.

(١) فيأبون هذا القول من الفرقة الثالثة تويخاً لمن لا يتهنون عن المعاصي.

(٢) قرأ حفص: ﴿مَعْدِرَةٌ﴾ بالنصب، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٦)، و«التيسير»

والفرقة الأخرى مختلفٌ فيها:

قال الحسن: نَجَتْ فرقتانِ وهلكت فرقة<sup>(١)</sup>.

وقال بعضهم: هلكت فرقتانِ.

وقال بعضهم بالتوقف في أمرهم.

والرواياتُ الثلاثُ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١٦٦) - ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾: استكبروا واجترأوا على الذنب، ومردوا على

المعصية، وبالغوا في الإثم، ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾: جمعُ (قِرْدٍ).

﴿خَاسِئِينَ﴾: مُبْعَدِينَ مطرودين.

وقال بعضهم: حُوِطُوا بهذا القولِ، فيكونُ أبلغُ في النَّازِلَةِ.

وقال بعضهم: صُيِّرُوا قِرَدَةً، وكانت القِرْدَةُ تعلمُ ما حلَّ بها وتعرفُ أقرباءَها.

وجمهورُ المُفسِّرينَ على أنها ماتت بعد ثلاثِ. وروى ابنُ مسعودٍ رضي الله

عنه عن النبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «لم يمسحِ اللهُ شيئاً فجعلَ له نسلًا وعاقبةً»<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره الواحدي في «البيسط» (٩ / ٤١٨)، والبغوي في «تفسيره» (٢ / ٢٤٣).

(٢) رواها جميعاً الطبري: فروى في «تفسيره» (١٠ / ٥١٤ - ٥١٩) عدة روايات عن عكرمة عن ابن

عباس رضي الله عنهما أنه توقف في أمرهم وأن عكرمة راجعه أنهم من الناجين، فكساه حلة.

وروى عنه (١٠ / ٥٢٠) أنهم هلكوا، ولم ينج إلا الذين نهوا.

وروى عنه (١٠ / ٥٢١) التوقف في أمرهم.

(٣) رواه مسلم (٢٦٦٣) بلفظ: «إن الله عز وجل لم يهلك قومًا، أو يعذب قومًا، فيجعل لهم نسلًا، وإن

القردة والخنازير كانوا قبل ذلك».

وقال بعضهم: بقيت وتناسلت.

مجاهد: مُسِخَتْ قُلُوبُهُمْ، لا أبدانهم<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١٦٧) - ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ

رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أعلم<sup>(٢)</sup>، ويأتي تفعل وأفعل بمعنى، نحو: توعدّه وأوعده، وترضاه وأرضاه، وتيقنّه وأيقنّه.

وقيل: ﴿تَأَذَّنَ﴾: أمر، من (الإذن).

وقيل: حلف ليبعثنّ.

وقيل: تكفل، من (الأذنين)، وهو الكفيل.

﴿لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: لیسلطنّ عليهم ﴿مَنْ يَسُومُهُمْ﴾: يكلفهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: شديده.

هم اليهود، بعث الله عليهم محمداً عليه السلام وأمنّه يُقاتلونهم حتى يُسلموا أو يُعطوا الجزية.

سعيد بن جبیر: هم أهل الكتاب، بعث الله عليهم العرب يجبونهم الخراج إلى يوم القيامة<sup>(٣)</sup>.

وكلا القولين واحداً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لهؤلاء في الدنيا ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١٣٣).

(٢) وأصله على هذا: آذن.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٥٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٦٠٤).

(١٦٨) - ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ ﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا ﴾: جعلناهم مُتَفَرِّقِينَ فِي الْأَرْضِ.

وقيل: معناه: جعلناهم على أديانٍ مختلفةٍ.

﴿ مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ ﴾ وهم الذين أسلموا، وقيل: هم الذين رآهم رسولُ الله عليه السَّلامُ ليلةَ المعراجِ.

﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴾: أي: في مكانٍ مُنْحَطٍّ عن الصَّلاحِ، هذا أصلُ الكلمة؛ أي: ومنهم عاصون مُفسِدون<sup>(١)</sup>.

﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ ﴾: بِالْخِصْبِ وَالنَّعْمَةِ ﴿ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾: الْجَدْبِ وَالْمِحْنَةِ؛ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾: كي يتذكروا ويعودوا إلى الطَّاعةِ.

\*\*\*

(١٦٩) - ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقُونَ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴾ .

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾: قومٌ سوءٌ.

ابنُ عيسى: اشتقاقه من (خَلَفَ اللَّبَنُ): إذا طَالَ مُكْتَهُ فِي السَّقَاءِ فَتَغَيَّرَ، ومنه الخُلُوفُ<sup>(٢)</sup>.

(١) في (ن): «ومفسدون».

(٢) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٥٣٥) دون نسبة. ونقل صاحب «التاج» مادة: (خ ل ف) عن شيخه أن: الخُلُوفَ - بالضم - هو المشهور، ومعناه: تَغَيَّرَ الفم، وهو الذي صرَّحَ به أئمةُ اللُّغة، =

و(الْخَلْفُ) بِالْفَتْحِ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ، وَبِالسُّكُونِ فِي الشَّرِّ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ مَعَ الْإِضَافَةِ.

وهو مصدرٌ وُصِفَ بِهِ. وقيل: جمعُ خالفٍ، وهو الذي يأتي خَلْفَ مَنْ سَبَقَهُ.  
﴿رَبُّنَا الْكَتَبَ﴾: أَخَذُوا عَنْ آبَائِهِمُ التَّوْرَةَ وَعَلَّمَهَا ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾؛  
أي: الأَمْرَ الْأَقْرَبَ، وَهُوَ الدُّنْيَا.

وقيل: تَقْدِيرُهُ: هَذَا الْعَرَضُ الْأَدْنَى، يَأْخُذُونَ الرِّشَاءَ فِي الْحَكْمِ وَيَتَجَوَّزُونَ فِيهِ،  
وَيَتَرَخَّصُونَ فِي أَكْلِ الْحَرَامِ.

﴿وَيَقُولُونَ سَيَعْفُرُ لَنَا﴾: يَتَمَنَّوْنَ عَلَى اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ، وَقِيلَ: قَالُوا: سَيَعْفُرُ لَنَا وَإِنْ لَمْ  
نَسْتَغْفِرْهُ.

﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ﴾: مِنَ الْحَرَامِ ﴿يَأْخُذُوهُ﴾؛ أَي: هُمْ مُصِرُّونَ عَلَى الذَّنْبِ.  
وقيل: لَا يُشْبِعُهُمْ شَيْءٌ.

وقيل: ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ﴾ يَعْنِي بِهِ: قَوْمًا آخَرَ ﴿عَرَضٌ مِثْلُهُ﴾ مِثْلَ الْعَرَضِ الْأَوَّلِ.  
﴿أَلَمْ يَتَّخِذُوا عَلِيمٌ مِثْلَ الْكِتَابِ﴾: كِتَابِ اللَّهِ ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾: الصِّدْقُ  
﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾: وَقَرَأُوا مَا فِي الْكِتَابِ؛ أَي: لَمْ يَفْعَلُوا عَلَى جَهْلٍ<sup>(١)</sup>.

﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ﴾؛ أَي: الْجَنَّةُ ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ﴾: الشُّرْكَ وَالْمَعْصِيَةَ ﴿أَفَلَا  
تَعْقِلُونَ﴾: أَنَّهَا خَيْرٌ مِنَ الْعَرَضِ الْأَدْنَى.

\*\*\*

= وحكى بعضُ الفقهاء والمُحدِّثين فتحها، واقتصر عليه الدِّمِيرِيُّ فِي «شرح المنهاج»، وأظنه غلطاً  
كما صرَّحَ بِهِ جَمَاعَةٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: الْفَتْحُ لُغَةٌ رَدِيئَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) فِي (و): «مِنَ الْجَهْلِ».

(١٧٠) - ﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ﴾: يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيُقِيمُونَ بِأَحْكَامِهِ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ يُرِيدُ: مِنْهُمْ.

وقيل: الْمُصْلِحُونَ هُمُ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ، فَقَامَ مَقَامَ الْعَائِدِ (١).

وقيل: الْخَبْرُ مَحذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ؛ أَي: نُعْطِيهِمْ أَجْرَهُمْ؛ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ.

\*\*\*

(١٧١) - ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجِبْلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آتِنَاكُمْ بِقُوَّةٍ

وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجِبْلَ فَوْقَهُمْ﴾: أَذْكَرُ إِذَا قَلَعْنَا وَرَفَعْنَا، وَالتَّقَى: الْجَذْبُ بِمَرَّةٍ؛ أَي: جَذَبَ وَقَلَعَ، وَامْرَأَةٌ نَاتِقٌ: تَجَذَّبُ مَاءَ الرَّجْلِ فَتَحْفَظُهُ. وَقِيلَ: سُمِّيَتْ نَاتِقًا كَأَنَّ أَوْلَادَهَا تُجَذَّبُ مِنْهَا (٢).

ومنه قوله عليه السَّلَامُ: «عليكم بالأبكار؛ فَإِنَّهُنَّ أَعَذْبُ أَفْوَاحًا، وَأَتْقَى أَرْحَامًا، وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ» (٣).

(١) لأن تكرر الاسم بلفظ يعني عن العائد، بل هو أبلغ في التعظيم والتفخيم، وهنا تكرر اللفظ بمعناه، فجعل كالمكرر بلفظه. انظر: «المرتجل» لابن الخشاب (ص: ٢٧٩).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٧٦)، وفيه: «والتقى: الجذب، ومنه قيل للمرأة الولود ناتي، واختلف في سبب تسميتها ناتيًا؛ فقيل: لأن خروج أولادها بمنزلة الجذب. وقيل: لأنها تجذب ماء الفحل تؤديه ولدًا».

(٣) رواه ابن ماجه (١٨٦١) من طريق محمد بن طلحة التيمي عن عبد الرحمن بن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالأبكار...». وعتبة بن عويم مختلف في صحبته، وقال البخاري وأبو حاتم: «لم يصح حديثه»، وانظر تفصيل =

﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾: يخافُ من تحته وُقوعه عليه؛ لأنَّ الجبلَ لا يثبتُ في الهواءِ.

﴿وَطَنُوا﴾: وعلموا ﴿أَنَّهُ وَقَعَ بِهِمْ﴾: ساقطٌ عليهم.

﴿خُذُوا﴾؛ أي: وقلنا لهم: خُذُوا ﴿مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: اقبلوه باجتهادٍ.

وقيل: بالقدرة التي لكم على أخذها.

﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾: اعملوا بما فيه ولا تنسوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لكي تتقوا النَّارَ،

وقد سبق في (البقرة).

\*\*\*

(١٧٢) - ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾؛ أي: ذكّرهم يا محمد إذ أخذ ربك ﴿مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾

بدلٌ من ﴿بَنِي آدَمَ﴾ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أولادهم وأولاد أولادهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾:

= الكلام عليه في «الإصابة» (٣٦٣/٤).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٩٨ / ٢): «هذا إسناد فيه محمد بن طلحة، قال فيه أبو حاتم: لا يحتج به، وعبد الرحمن بن سالم بن عتبة، قال البخاري: لم يصح حديثه، وله شاهد في الصحيحين وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه».

والشاهد من حديث جابر رواه البخاري (٥٢٤٥)، ومسلم (٧١٥)، وفيه أن النبي ﷺ قال لجابر: «أَبِكْرًا تَزَوَّجْتَهَا، أَمْ نَيْبًا؟» قال: قُلْتُ: بَلْ نَيْبًا، قال: «هَلَّا جَارِيَةٌ تَلَاعِبُهَا وَتَلَاعِبُكَ».

ورواه بنحو حديث عتبة بن عويم الطبراني في «الكبير» (١٠٢٤٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٥٩ / ٤): «رواه الطبراني، وفيه أبو بلال الأشعري، ضعفه الدارقطني».

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥٥) عن جابر رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٥٩ / ٤): «وفيه محمد بن كنيذ السقاء، وهو متروك».

أشهد بعضهم على بعض ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾: استفهامٌ تقريرٌ ﴿قَالُوا بَلَى﴾: إثباتٌ وجوابٌ لكلامٍ يتضمَّنُ نفيًا ﴿شَهِدْنَا﴾ هذا من كلامِ الذُّرِّيَّةِ، وقيل: من كلامِ الملائكةِ. ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾؛ أي: كراهةٌ أن تقولوا، ولأن لا تقولوا.

وقيل: هو مُتَّصِلٌ بقوله: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ كراهةٌ أن تقولوا.

وقيل: مُتَّصِلٌ بقوله: ﴿شَهِدْنَا﴾ إذا جُعِلَ من كلامِ الملائكةِ، وكذلك الآيةُ الأخرى، وهي قوله:

(١٧٣) - ﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَئِهِمْ كَمَا عَمَلِ

الْمُتَّبِلُونَ﴾.

﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَئِهِمْ كَمَا عَمَلِ الْمُتَّبِلُونَ﴾

وهذا دليلٌ على أن التَّقْلِيدَ في التَّوْحِيدِ كَفْرٌ<sup>(١)</sup>.

جُلُّ الْمُفَسِّرِينَ على أن الله تعالى أخرج ذُرِّيَّةَ آدَمَ من ظهرِ آدَمَ، فأولاده أخرجهم

(١) كذا قال، وليس هذا بمجمع عليه، قال ابن حزم في «الفصل» (٤ / ٢٨ - ٢٩): «ذهب محمد بن جرير الطبري والأشعرية كلها - حاشا السمناني - إلى أنه لا يكون مسلمًا إلا مَنْ استدل وإلا فليس مسلمًا، وقال الطبري: مَنْ بلغ الاحتلام أو الإشعار من الرجال والنساء، أو بلغ المحيض من النساء، ولم يعرف الله عز وجل بجميع أسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر، وقال: إذا بلغ الغلام أو الجارية سبع سنين وجب تعليمهما وتدريبهما على الاستدلال على ذلك. وقالت الأشعرية: لا يلزمهما الاستدلال على ذلك إلا بعد البلوغ.

وقال سائر أهل الإسلام: كل من اعتقد بقلبه اعتقادًا لا يشك فيه وقال بلسانه: لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن كل ما جاء به حق، وبرئ من كل دين سوى دين محمد ﷺ، فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك». وقد تقدم الكلام عليه.

من ظهره، ثم أخرج من ظهور أولاده أولادهم واحداً بعد واحدٍ على ما يكونون عليه إلى يوم القيامة.

قيل: كان ذلك قبل الدخول في الجنة بين مكة والطائف.

وقيل: ببطن نَعْمَانَ؛ وإد إلى جنبِ عرفة<sup>(١)</sup>.

وقيل: أخرجهم من ظهره في الجنة.

وقيل: بعد النزول<sup>(٢)</sup> من الجنة بدهيا<sup>(٣)</sup> أرض بهند.

وروي عن النبي عليه السلام أنه قال: «مسح الله ظهر آدم بيده اليمنى - وكلتا يديه يمين - بعد ما أهبطه إلى الأرض بنعمان، فأخرج من صلبه جميع من يُخلق إلى يوم القيامة كأمثال الدرر، نثرهم بين يديه وجعلهم على هيئة الرجال والنساء - يعني: في عقولهم - ثم كلمهم وقال لهم: ألسنُ برِّكم؟ قالوا: بلى»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (٥٥٦/١٠) من طريق كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، ورواه (٥٥٦/١٠) من طريق ابن جريج عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس بلفظ: «أخذ عليهم الميثاق بنعمان ونعمان من وراء عرفة».

(٢) في (و): «الدرك».

(٣) كذا في النسخ: (دهيا) بالياء، وفي «تفسير الثعلبي» (٥٨٥ / ١٢): (دهنا بالنون)، وقد حقق الشيخ أحمد شاكر هذا اللفظ باستفاضة في تعليقه على «تفسير الطبري» (٢٢٥ / ١٣)، وخلص إلى أنه: (دحنا) أو (دجنا) بالقصر والمد، وقال: «وظني أنه تعريب دهنج، وهي الأرض التي بالهند، وأما التي ببلاد العرب فهي (دحناء) بالحاء لا غير».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٥٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٢٧)، والحاكم في «المستدرک» (٤٠٠٠) وصححه، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراً، فنثرهم بين يديه كالذرر، ثم كلمهم قبلاً، قال: «ألسنُ برِّكم؟ قالوا: بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غفلين ﴿٧٧﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُتَعَبِلُونَ ﴿٧٨﴾».

وزاد بعضهم: «وكان أنورهم ذرّة داود عليه السّلام، فقال: من هذا؟ فقيل: هذا داود نبيّ من ذرّيتك، قال: كم عمره؟ قال: ستون سنة، قال: ربّ زده، قال: قد جرى القلم وجفّ عن زيادة بني آدم، قال: ربّ زده من عمري أربعين سنة، فأثبت لداود الأربعون، وكان عمر آدم عليه السّلام ألف سنة، فلما استكمل آدم تسع مئة وستين سنة جاءه ملك الموت، فلما رآه آدم قال: ما لك؟ قال: قد استوفيت أجلك، قال له آدم: بقي من عمري أربعون سنة، قال: أليس وهبتها لداود؟ قال: لا، فجدّد آدم فجدّدت ذرّيته، ونسي آدم فنسيّت ذرّيته، وخطى آدم فخطّيت ذرّيته»<sup>(١)</sup>.

وذهب بعض المفسّرين إلى أنّ ظاهر الآية لا يدلّ على هذا؛ لأنّه قال: ﴿مِنْ بَيْتِ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: من ظهر آدم.

قالوا: والذرّية إذا كانت كالذرّ<sup>(٢)</sup> لا يخاطبون.

وقالوا: إنّنا<sup>(٣)</sup> لا نتذكّر ذلك، فكيف يحتجّ علينا!

وقالوا: إنّما المراد بأخذ الذرّية: وجودهم في الدنيا قرناً بعد قرنٍ إلى يوم القيامة.

وأولوا الإشهاد على وجهين: أحدهما: بما رُكّب فيهم من العقل، والثاني: ببعث الرّسل.

والأوّل<sup>(٤)</sup> هو مذهب السّنة والجماعة؛ لأنّ جُلّ المفسّرين على ذلك؛ لأنّ الأخبار في ذلك شاعت وذاعت، وأمّا قولهم: لم يقل: من ظهر آدم، فلاّتهم لم يخرجوا كلّهم من ظهر آدم، بل بعضهم من بعضٍ على ما سبق.

(١) رواه الترمذي (٣٠٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢) في (ن): «إذا كانوا من الذر».

(٣) في (و): «لأننا».

(٤) وهو إخراج ذرية آدم من ظهره؛ والإشهاد عليهم.

وَأَمَّا كَوْنُهُمْ كَالذَّرِّ، فَلَا تُنَكِّرُ قَدْرُهُ اللهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الذَّرَّةَ<sup>(١)</sup> وَأَصْغَرَ مِنَ الذَّرَّةِ عَاقِلًا يَفْهَمُ الْخَطَابَ وَيَسْمَعُ وَيُجِيبُ.

وقيل: كانوا كالذرة كثرة لا صغراً، وكانوا على أشخاصهم التي يكونون عليها. وأما قولهم: لا نتذكر ذلك، فإن تذكير الله أبلغ.

وقيل: أخذهم من ظهور الآباء، وجعلهم في بطون الأمهات، وحوّلهم من خلقة إلى خلقة، ومن حالة إلى حالة، وأشهدهم على أنفسهم عند البلوغ وكمال العقل. وقيل: على لسان الأنبياء وفي كتبهم، وقد سبق الجواب، والله أعلم.

\*\*\*

(١٧٤) - ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾؛ أي: كيان هذه القصة نئين سائر الآيات ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ بيّناها<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١٧٥) - ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ

مِنَ الْفَآوِينَ﴾.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ اختلف المفسرون فيه: فقال ابن عباس

رضي الله عنهما: هو بلعم بن باعوراء من العمالق<sup>(٣)</sup>، دعا على قوم موسى

(١) في (و): «الذرية».

(٢) في (و): «بيانها»؛ أي: بياننا إياها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦١٦) بلفظ: «هو رجل

من مدينة الجبارين يقال له: بلعم»، وللخبر تمة ستأتي.

فَبَقُوا فِي التِّيهِ، وَدَعَا عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَلَبَ اللَّهُ إِيمَانَهُ (١).

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: نَزَلَتْ فِي أُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ التَّفَفِي (٢)، وَكَانَ قَدْ قَرَأَ الْكِتَابَ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ مَرَّسِلٌ رَسُولًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَرَجَا أَنْ يَكُونَ هُوَ ذَلِكَ الرَّسُولَ، فَلَمَّا أُرْسِلَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَسَدَهُ وَكَفَّرَ بِهِ (٣).

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ قَدْ أُعْطِيَ ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ اسْمُهَا الْبَسُوسُ، لَهَا مِنْهُ وَلَدٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اجْعَلْ لِي مِنْهَا وَاحِدَةً، فَقَالَ: مَا تُرِيدِينَ؟ قَالَتْ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي امْرَأَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَدَعَا لَهَا، فَجُعِلَتْ كَذَلِكَ، ثُمَّ رَغِبَتْ عَنْهُ، فَدَعَا عَلَيْهَا فَصَارَتْ كَلْبَةً نَبَّاحَةً، فَجَاءَ بَنُوهَا فَقَالُوا: قَدْ صَارَتْ أُمْنَا كَلْبَةً وَالنَّاسُ يُعَيِّرُونَنا بِهَا، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُرَدِّدَهَا كَمَا كَانَتْ، فَدَعَا اللَّهَ فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ، فَذَهَبَتْ فِيهَا الدَّعَوَاتُ (٤).

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣٠٦/٤) عن مقاتل. وتعبه أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية بقوله: وهذا كلامٌ مختلٌ، واحتباسهم في التيه كان بقولهم: ﴿اذهب أنت وربك ففعلًا إنا ههنا فنعدون﴾ [المائدة: ٢٤] لا بدعاء بلعم، وكيف يُستجاب دعاءٌ بلعم وقد انسلخ من الآيات، ولأنه قد دعا على موسى وقومه بالباطل، وكيف دعا موسى على بلعم بزوال الإيمان وكان مبعوثاً إلى الناس ليدعوهم إلى الإيمان.

قلت: وسياق خبر ابن عباس السابق لإشكال فيه، ولفظه بتمامه: هو رجلٌ من مدينة الجبارين يقال له: بلعم، وكان يعلم اسم الله الأكبر، فلما نزل بهم موسى أتاه بنو عمه وقومه، فقالوا: إن موسى رجلٌ حديد، ومعه جنودٌ كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا، فدعا الله أن يرده عنا موسى ومن معه. قال: إني إن دعوت الله أن يرده موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي! فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسלخه الله مما كان عليه، فذلك قوله: ﴿فَأَسْلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١١٣٠)، والطبري في «تفسيره» (٥٧١ / ١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦١٦ / ٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٤٢٧ / ١)، واستغربه.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦١٧ / ٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. =

سعيد بن المسيب: نزلت في أبي عامر الراهب الذي بُني له مسجد الشقاق، حين ذهب إلى الشام ليأتي بجند فيخرج محمدًا وأصحابه من المدينة، فمات بها طريدًا وحيداً<sup>(١)</sup>.

عبادة بن الصامت رضي الله عنه: نزلت في قريش<sup>(٢)</sup>.

الحسن: نزلت في منافقي أهل الكتاب<sup>(٣)</sup>.

وقيل: هو مثل ضربَه الله<sup>(٤)</sup>.

مجاهد: كان نبياً في بني إسرائيل اسمه بلعم أوتي النبوة، فرشاه قومه على أن يسكتَ ففعل<sup>(٥)</sup>.

= والراوي عن عكرمة أبو سعد الأعرور - واسمه سعيد بن المرزبان - وهو ضعيف.

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٢٧)، وعده من العجائب.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٥٩٧)، وروى ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١ / ٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٦١٧) عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «هو بلعم بن باعورة رجل من بني إسرائيل، قال: وتقول ثقيف: هو أمية بن أبي الصلت، وتقول الأنصار: هو الراهب الذي بني له مسجد الشقاق».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٥٩٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٥٩٨)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٥٨٧) عن قتادة قال: «هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى، فأبى أن يقبله وتركه. قال: وكان الحسن يقول. هو المنافق».

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢ / ٥٩٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٢٧)، واستغربه.

وروى الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٥٦٨) عن مجاهد قال: «﴿فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: بلعام بن باعراء من بني إسرائيل».

وجوّز بعضهم أن يكونَ فرعونَ، والآياتُ آياتُ موسى<sup>(١)</sup>.  
 قوله: ﴿ءَاتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ قيل: اسمُ الله الأعظمُ. وقيل: كتابٌ من كتبِ الله. وقيل:  
 النبوةُ. وقيل: العلمُ بمجيءِ النبيِّ.

﴿فَأَسْلَخَ مِنْهَا﴾: فخرَجَ من علمِها كانسلاخِ الشاةِ من جلدِها.  
 والانسلاخُ: التَّعَرِّيُّ مِنَ الشَّيْءِ حتى لا يعلَقَ به منه شيءٌ.  
 ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: استتبعه، وقيل: اتَّبعه.  
 ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾: الفاسدين. وقيل: من الهالكين.

\*\*\*

(١٧٦) - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ  
 الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
 فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾: شرفناه وقدمناه وجعلنا له الدرّجةَ الرّفيعةَ ﴿بِهَا﴾: بسببِ  
 تلك الآياتِ. وقيل: الباءُ للحالِ.

الرَّجَاجُ: ولو شئنا أن نحولَ بينه وبين المعصية<sup>(٢)</sup>.  
 وقيل: لرفعنا عنه الحالَ التي صارَ إليها من الكفرِ بالله وآياته.  
 ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾: اختارَ السّفالَ على الرّفعةِ، ومالَ إلى لذاتِ  
 الدنيا.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في إيثارِ الدنيا ولذاتها على الآخرةِ ونعيمِها.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٨)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩١).

﴿فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ﴾: زَجْرَتَهُ وَطَرَدَتْهُ ﴿يَلْهَثُ﴾: يُدْلِعُ لِسَانَهُ ﴿أَوْ تَرَكَّهُ﴾ غَيْرَ مَطْرُودٍ ﴿يَلْهَثُ﴾ وَكُلُّ حَيَوَانٍ يَلْهَثُ عِنْدَ عَطَشٍ أَوْ إِعْيَاءٍ إِلَّا الْكَلْبَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَلْهَثُ<sup>(١)</sup> فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا. شَبَّهَهُ اللَّهُ بِأَخْسَسِ حَيَوَانٍ فِي أَحْوَالِهِ. الْحَسَنُ: شَبَّهَهُ بِدَابَّةٍ لَا فَوَادَ لَهُ، فَهُوَ يَلْهَثُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَكَذَلِكَ هُوَ سِوَاءٌ عِنْدَهُ الْوَعْظُ وَتَرْكُهُ<sup>(٢)</sup>.

ابنُ بَحْرٍ: شَبَّهَهُ بِالْكَلْبِ فَحَسَبُ، ثُمَّ وَصَفَ الْكَلْبَ فَقَالَ: ﴿إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَّهُ يَلْهَثُ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ أَي: الشَّبَّهُ الْمَذْكُورُ فِي الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ مَثَلُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ.

﴿فَأَقْصِرْ الْقَصَصَ﴾: اتْلُ عَلَيْهِمْ خَبْرَهُمْ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: كَي يَتَأَمَّلُوا فَيَتَّعِظُوا.

\*\*\*

(١) فِي (ن): «يَلْهَث».

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٠ / ٥٨٦) عَنِ ابْنِ جَرِيرٍ بِلَفْظٍ: «الْكَلْبُ مَنْقُوعُ الْفَوَادِ، لَا فَوَادَ لَهُ، إِنْ حَمَلَتْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ، أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ. قَالَ: مِثْلُ الَّذِي يَتْرِكُ الْهَدْيَ لَا فَوَادَ لَهُ، إِنَّمَا فَوَادُهُ مَنْقُوعٌ».

(٣) قَالَ ابْنُ عَيْسَى فِي «النِّكَتِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ» (ص: ٨٢): «وَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَخَفَّ مِنْهَا﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَّهُ يَلْهَثُ﴾ فَهَذَا بَيَانٌ قَدْ أُخْرِجَ مَا لَا تَقَعُ عَلَيْهِ الْحَاسَةُ إِلَى مَا تَقَعُ عَلَيْهِ، وَقَدْ اجْتَمَعَا فِي تَرْكِ الطَّاعَةِ عَلَى وَجْهِ مَنْ وَجَّهَ التَّدْبِيرَ وَفِي التَّخْسِيسِ؛ فَالْكَلْبُ لَا يَطْبِيعُكَ فِي تَرْكِ اللَّهْثِ حَمَلَتْ عَلَيْهِ أَوْ تَرَكْتَهُ، وَكَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَطْبِيعُ بِالْإِيمَانِ عَلَى رَفَقٍ وَلَا عَلَى عِنْفٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَنَّهُ لَا يَمْنَعُ اللَّطْفَ».

(١٧٧) - ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ .

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ تقديره: ساء مثلاً

مثل القوم، فحذف المضاف.

وقيل: ساء مثلاً ما تقدم ذكره من الكلب واللّهث.

\*\*\*

(١٧٨) - ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ﴾؛ أي: من هداه إلى الإيمان ووقفه فهو المهتدي

الثابت على الإيمان.

﴿وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: ومن أضله عن الإيمان وخذله فقد خسر

نفسه ومنزله من الجنة.

\*\*\*

(١٧٩) - ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ

أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَأَلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾ .

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ يعني: الكفار من

الفريقين، وذروها لها: خلقه إياه كافراً.

ولا منافاة بينه وبين قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛

لأن ذلك لكثير منهم، وهذا لكثير.

وقيل: لأم ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ لأم العاقبة؛ أي: خلقنا للعبادة، فال أمرهم إلى جهنم.

وقيل: هذا من المقلوب، وتقديره: ذرأنا جهنم لكثير من الجن والإنس<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٩)، واستغربه.

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَرَأَ لَجَنَّهُمْ مَا ذَرَأَ كَانَ وَوَلَدَ الزَّانِي مَمَّنَ ذَرَأَ لَجَنَّهُمْ»<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ ذَمَّهُمْ فَقَالَ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ لِتَرْكِهِنَّ التَّدَبُّرَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾؛ أَي: لَا يَنْتَفِعُونَ بِأَعْيُنِهِمْ وَأَذَانِهِمْ، فَهَمَّ كَالْفَائِدِينَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ.

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ فِي قَلَّةِ انْتِفَاعِهَا بِالْمَعْقُولَاتِ وَالْمَرْئِيَّاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لِأَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنْهَا وَفَوَّتُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ. وَقِيلَ: إِنَّ الْأَنْعَامَ تَعْرِفُ اللَّهَ تَعَالَى، وَالْكَافِرُ لَا يَعْرِفُهُ.

وَقِيلَ: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لِأَنَّ الْأَنْعَامَ تُبْصِرُ مَنَافِعَهَا وَمَضَارَّهَا فَتَلْتَزِمُ بَعْضَ مَا تُبْصِرُهُ، وَالْكَافِرُ لَا يَعْلَمُ مَضَارَّهَا حَيْثُ اخْتَارَ النَّارَ.

وَقِيلَ: لِأَنَّ الْكَفَّارَ بِقَبِيحِ فِعْلِهِمْ يَصِيرُونَ إِلَى النَّارِ، وَالْأَنْعَامَ لَا تَصِيرُ إِلَيْهَا. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾؛ أَي: عَمَّا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ.

\*\*\*

(١٨٠) - ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ جَمِيعُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى صِفَاتٌ إِلَّا كَلِمَةَ (اللَّهُ)، فَإِنَّهُمْ

اِخْتَلَفُوا فِيهِ، وَقَدْ سَبَقَ.

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنن» (٤١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠ / ٥٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٦٢٢)، وضعف إسناده الشيخ أحمد شاکر في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٣ / ٢٧٧) لجهالة رجل في إسناده، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٢٩)؛ واستغربه.

والفرق بينهما: أن الاسم يدلُّ دلالةً إشارةً، والصفة تدلُّ دلالةً إفادةً<sup>(١)</sup>، وصفة الله صفة ذات وصفة فعل، ويجب على المكلف معرفة معاني أسمائه وصفاته. وسمّاها الحسنی لأنها تدلُّ على توحيد الله وحسن أفعاله، تعالى عما يقول الظالمون.

﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثَّةً إِلَّا وَاحِدَةً»<sup>(٢)</sup>، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>.  
 ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾: بعينها، ولا تختَرِ عُوا لله تعالى اسمًا غير ما وصفَ نفسه به.  
 ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ﴾: يميلون عن الصواب ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ هو أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسمّوا بها أو ثابتهم، وزادوا ونقصوا، واشتقوا من الله: اللات، ومن العزيز: العزى، ومن المنان: مناة.

وقيل: هو تسميتهم أصنامهم آلهة، والإلهية صفة الله وحده.  
 وقيل: هو أن يُسمّى الله بما ليس من أسمائه؛ كتسمية النصارى إياه: أبا المسيح.  
 وقيل: الإلحاد في أسمائه أن يُقال: له ولد، وله شريك.  
 ﴿سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

\*\*\*

- (١) في (ن): «فائدة».  
 (٢) في أكثر الروايات: «إلا واحدًا»، وجاء في بعضها: «إلا واحدة»، وبعضهم عدها خطأ، ولها توجيه، قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١ / ٢١٩): «وخرج التائيث على إرادة التسمية، وقال السهيلي: بل أنت الاسم لأنه كلمة، واحتج بقول سيويه: الكلمة اسم أو فعل أو حرف، فسمى الاسم كلمة، وقال ابن مالك: أنت باعتبار معنى التسمية أو الصفة أو الكلمة».  
 (٣) رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٨١) - ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ قال رسول الله عليه السلام: «إنها أمتي، وقد أعطيتي القوم بين أيديكم مثلها»، يعني: قوله: ﴿وَمَنْ قَوْمَ مُوسَىٰ أُمَّةً﴾ الآية [الأعراف: ١٥٩] (١).

\*\*\*

(١٨٢) - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بالقرآن والرسول ومُعجزاته ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: نأخذهم قليلاً قليلاً حتى يبلغوا الغاية، نأخذهم بالعقوبة (٢).

ابن عباس رضي الله عنهما: كلما أحدثوا خطيئةً، جدّد الله لهم نعمةً، وأنسأهم الاستغفار (٣).

والدَّرَجُ والدَّرَجَانُ: مشيةُ الشَّيخِ والصَّبِيِّ، والدَّرَجُ: الطَّيُّ من هذا؛ لأنّه يُؤخَذُ شيءٌ فشيءٌ، والدَّرَجَةُ منها؛ لأنّه يُصعدُ فيها شيءٌ فشيءٌ.  
﴿وَمَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم يُؤخَدُونَ.

\*\*\*

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٦٠٠) عن قتادة يبلغ به النبي ﷺ، ونحوه عن ابن جريج، والخبران منقطعان.

(٢) في (و): «تأخذهم العقوبة».

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة» (٣٤٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أبو طاهر المخلص في «المخلصيات» (٢٣٥٢) عن سفيان الثوري، ورواه أبو الشيخ عن يحيى بن المثنى كما في «الدر المشور» (٣ / ٦١٨).

(١٨٣) - ﴿وَأَمَلِي لَهُمْ إِيَّتْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

﴿وَأَمَلِي لَهُمْ إِيَّتْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: أُطِيلُ لَهُمُ الْمَدَّةَ فَلَا أُعَاجِلُهُمْ، مَشْتَقٌّ مِنَ (الملاوة)، وَهُوَ الزَّمَانُ الطَّوِيلُ.

وَالكَيْدُ: التَّدْبِيرُ. وَقِيلَ: الْعَذَابُ. وَقِيلَ: الْكَيْدُ: عَمَلٌ فِي خُفْيَةٍ.

وَالْمَتِينُ: الْقَوِيُّ لَهُ مَتْنٌ.

\*\*\*

(١٨٤) - ﴿أَوْلَمْ يَنْفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿أَوْلَمْ يَنْفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ لَمَّا نَسَبُوا النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْجُنُونِ أَنْزَلَ اللَّهُ:

﴿أَوْلَمْ يَنْفَكَّرُوا﴾: اسْتَفْهَمَ بِمَعْنَى التَّفْرِيعِ. وَقِيلَ: بِمَعْنَى التَّحْرِيسِ؛ أَي: أَلَمْ يَتَفَكَّرُوا بِقُلُوبِهِمْ فَيَعْلَمُوا ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾؛ يَعْنِي: النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾: جُنُونٍ. وَقِيلَ: جَمْعُ جِنَّ، كَ﴿الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

وَقِيلَ: تَمَّ الْكَلَامُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿يَنْفَكَّرُوا﴾ تَمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾، لِأَنَّ التَّفَكُّرَ لَا يُعْلَقُ<sup>(١)</sup>.

وَقِيلَ: الْعِلْمُ مُضْمَرٌ<sup>(٢)</sup>، وَهُوَ مُعْلَقٌ كَمَا سَبَقَ.

﴿إِنْ هُوَ﴾: مَا هُوَ ﴿إِلَّا نَذِيرٌ﴾: مُنذِرٌ مِنَ اللَّهِ ﴿مُبِينٌ﴾: مُوَضَّحٌ إِنْذَارَهُ.

\*\*\*

(١) ذَكَرَهُ الْمَصْنِفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١/ ٤٢٩)، وَاسْتَعْرَبَهُ.

(٢) لَعَلَّ الْمُرَادَ: أَنَّ الْفِعْلَ ﴿يَنْفَكَّرُوا﴾ تَضَمَّنَ مَعْنَى الْفِعْلِ ﴿يَعْلَمُوا﴾، فَاحْتَاجَ إِلَى مَفْعُولٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١٨٥) - ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: يفكروا<sup>(١)</sup> فيها.  
والملكوت: الملك، ولا يُستعمل إلا في حق الله<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أي: وفيما خلق الله من شيءٍ من الأشياء.

﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾؛ أي: وفي أن عسى أن يكون أجلهم قد اقترب، ف(أن عسى) في محل جرٍّ، و﴿أَنْ يَكُونَ﴾ اسمٌ ﴿عَسَى﴾، واسمٌ (كان) مُضَمَّرٌ فيه يُفسَّره ﴿أَجْلُهُمْ﴾، كما تقول: قام وقعد زيدٌ.

ويحتمل أن يكون اسمه مُضَمَّرًا؛ أي: أن يكون الأمر والشأن؛ أي: لا تأمنا  
انقضاء العمر، وبادرُوا إلى التَّوْبَةِ.

وما قيل في إعراب: ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ سوى ما أوردته فباطلٌ.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾؛ أي: بعد القرآن، والمعنى: سِوَاهُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذ<sup>(٣)</sup> لم يُؤْمِنُوا به، وهو النَّهْيَةُ في الإيضاح والبيان.

\*\*\*

(١٨٦) - ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ لَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ .

﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾: مَنْ خَذَلَهُ فَسَلَّكَ غَيْرَ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، ﴿فَكَأَنَّهُ لَا هَادِيَ لَهُ﴾: لا يَهْدِيهِ أَحَدٌ سِوَى اللَّهِ، ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾: يَتْرُكُهُمْ وَيُمْهَلُهُمْ ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: كَفَرَهُمْ وَعَتَوْهُمْ ﴿يَعْمَهُونَ﴾: مُتَحِيرِينَ.

(١) في (ن): «تفكروا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣٦٨/١)، وقد تقدم في تفسير سورة (الأنعام) أن العرب

تقول: «ملكوت العراق واليمن».

(٣) في (و): «إذا».

(١٨٧) - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْ قُنِيَ إِلَّا هُوَ نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْضَةً يُسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ في سبب النزول: قال قتادة: قالت قريش لمحمد عليه السلام: إن بيننا وبينك قرابة فأسر<sup>(١)</sup> إلينا متى الساعة، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال جبل بن أبي قشير وسموعل<sup>(٣)</sup> بن زيد وكانا من اليهود: أخبرنا يا محمد متى الساعة إن كنت نبياً، فإننا نعلم متى هي؟ فأنزل الله هذه الآية<sup>(٤)</sup>.

والمعنى: يطلبون منك علم يوم القيامة.

قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾: متى وقوعها ومستقرها وظهورها وقيامها ومنتهاها، وأصله من الإرساء، وهو إقرار الشيء الثقيل وإمساكه، واستعير لها هذا اللفظ لثقلها على الخلائق.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾: لا يعلمها غيره ﴿لَا يُجِيبُهَا﴾: لا يظهرها ولا يقيمها ولا يرسيها ﴿لَوْ قُنِيَ﴾: لمعرفة وقتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: إلا الله. و﴿جَلَى﴾: أظهر المعنى الغامض.

(١) في النسخ: «فأشر»، والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٦٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠ / ٦٠٤).

(٣) كذا في (ن)، وفي (و): «سمول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»، وفي «سيرة ابن هشام»: «شمويل».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٦٠٤)، وهو في «سيرة ابن هشام» (١ / ٥٦٩).

﴿ثُقُلْتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: خَفِيتَ عَلَى أَهْلِهَا.

أبو عبيدة: إِذَا خَفِيَ عَلَيْكَ شَيْءٌ فَقَدْ ثُقِلَ عَلَيْكَ<sup>(١)</sup>.

وقيل: ثُقُلْتَ عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا لِمَا بَعْدَهَا مِنَ الْحَسَابِ وَالْعِقَابِ.

وقيل: صَعِبَتْ.

وقيل: ﴿ثُقُلْتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لِأَنَّهَا سَبَبُ خَرَابِهَا وَفَسَادِهَا<sup>(٢)</sup>، مِنْ قَوْلِهِ:

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] وَأَمْثَالِهَا.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فَجَاءَةً، وَهِيَ أَشَدُّ.

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ الْحَفِيُّ<sup>(٣)</sup>: الْعَالِمُ بِالشَّيْءِ الْمَعْنِيِّ بِهِ، تَقُولُ: حَفِيٌّ عَنِ

الشَّيْءِ: سَأَلَ، وَحَفِيٌّ بِالشَّيْءِ: عُنِيَ بِهِ، وَحَفِيٌّ بِالشَّيْءِ حَفَاوَةً: فَرَحَ بِهِ.

وقيل: ﴿حَفِيٌّ﴾ مِنْ حَفَا يَحْفُو: إِذَا أَحْكَمَ<sup>(٤)</sup>.

وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ؛ أَي: أَحْفَيْتَ فِي السُّؤَالِ عَنْهَا وَبَالَغْتَ فِيهِ<sup>(٥)</sup>.

وقوله: ﴿عَنْهَا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: فِيهِ تَأْخِيرٌ، وَتَقْدِيرُهُ: يَسْأَلُونَكَ عَنْهَا كَأَنَّكَ حَفِيٌّ؛ أَي: عَالِمٌ.

والثاني: وَاقِعٌ مَوْقَعَهُ بِمَعْنَى الْبَاءِ؛ أَي: كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهَا.

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١ / ٢٣٥).

(٢) في (و): «خرابهما وفسادهما».

(٣) «الحفي»: ليست في (و).

(٤) في (ن): «حكم»، والمثبت من (و)، ويؤيده ما قاله الزمخشري في «الكشاف» (٣ / ٤٤): «كَأَنَّكَ

حَفِيٌّ عَنْهَا»: كَأَنَّكَ عَالِمٌ بِهَا، وَحَقِيقَتُهُ: كَأَنَّكَ بَلِيغٌ فِي السُّؤَالِ عَنْهَا؛ لِأَنَّ مَنْ بَالِغٌ فِي الْمَسْأَلَةِ عَنِ

الشَّيْءِ وَالتَّنْقِيرِ عَنْهُ اسْتَحْكَمَ عِلْمُهُ فِيهِ وَرَضَنَ. وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى الْإِحْكَامِ مِنْهُ إِلَى الْحُكْمِ.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٣٠)، واستغربه.

وقيل: أكثرت البحث عنها.

الرَّجَّاجُ: يسألونك عنها كأنك حفي؛ أي: فرح بسؤالهم<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كَرَّرَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ عِلْمٌ وَقْتَهَا، وَبِالثَّانِي عِلْمٌ كَوْنَهَا.

\*\*\*

(١٨٨) - ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ

لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ في سبب النزول: قال الكلبي: إن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا أخبرتنا بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فنشتري ونربح به، وبالأرض التي تريد أن تجذب فنرتحل عنها إلى ما قد أخصبت، فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

والمعنى: لا أملك نفع نفسي ولا ضررها إلا ما شاء الله أن أملكه.

وقيل: لا أملك هدى ولا ضللاً<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾؛ أي: الذي سألتُموني عنه ﴿لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ

الْخَيْرِ﴾؛ أي: لادخرت في زمان الخصب من الطعام ما يكفيني وما أربح ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾: الجذب والقحط.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٣).

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٥٧٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٢٨)، وهو في «تفسير

الثعلبي» (٤/ ٣١٣)، و«البيسط» للواحدي (٩/ ٥٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٦)، و«زاد المسير»

(٢/ ١٧٦) عن ابن عباس، ولعل الوارد عن ابن عباس هو من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه.

(٣) في (ن): «ولا ضلالة».

وقيل: (الغيبُ) هاهنا: علمُ السَّاعةِ.

وقيل: (الغيبُ): الموتُ، و(الخَيْرُ): العملُ الصَّالحُ.

وقيل: لو كنتُ أعلمُ بالغيبِ الذي تسألونني عنه ﴿لَأَسْتَكْثِرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾؛  
أي: لأخبرتكم عمَّا سئلتُ ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾؛ أي: لم يلحقني تكذيبٌ.  
﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: للمؤمنين.

\*\*\*

(١٨٩) - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَاحِبًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ ﴿وَجَعَلَ﴾: وخلقَ  
﴿مِنْهَا﴾: من النَّفسِ. وقيل: من جنسٍ ما خلقَ منها<sup>(١)</sup> النَّفسَ ﴿زَوْجَهَا﴾: حواءَ.  
﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليأنسَ بها أنسَ الشَّيءِ بشكليه. وقيل: أنسَ الذَّكرَ بالأنثى.

الحسنُ: ليس المرادُ بالنَّفْسِ الواحدةِ وزوجها آدمَ وحواءَ، بل هو عامٌّ لجميعِ  
النَّاسِ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ خُلِقَ من نفسٍ واحدةٍ أنثاها من جنسها<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: لابسها مُلابسةً مباشرةً ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾ يعني: النَّطفَةَ،  
﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾؛ أي: مرَّتْ وجاءتْ وقعدتْ وقامتْ، والباءُ للحالِ.

(١) قوله: «منها» كذا في النسخ، ولعل الضمير يعود على «ما» والتي هي بمعنى: التي؛ أي: من جنس  
المادة التي خلق منها النفس.

(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ١١٦)، والبعوي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٨) عن عكرمة.

وقيل: مرّت: استمرّت، وكذلك قرأ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما<sup>(١)</sup>، والاستمراؤ: المُصاحبةُ.

وقيل: هو من المقلوب؛ أي: استمرّ بها الحملُ.

قتادة: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾: استبان حملها<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾: صارت ذات ثقلٍ؛ كأثمر: صار ذا ثمرٍ؛ أي: كبر الولدُ في بطنها.

﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾: ولدًا سويًّا يُشبهُ أبويه ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

لك على نعيمك.

\*\*\*

(١٩٠) - ﴿فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَالِحًا﴾: أجاب دعاءهما ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ جلُّ

المُفسِّرين على أن هذا في آدمَ وحواءَ عليهما السَّلامُ، وذلك أن حواءَ لَمَّا أَثْقَلَتْ

أُتاهَا إبليسُ فقال لها: ما يُدريك ما في بطنك؟ لعله كلبٌ أو خنزيرٌ أو بقرةٌ أو حمارٌ،

وما يُدريك من أين يخرجُ، أمِنَ أُذُنِكَ أم من عينك أم من كذا أو من كذا، أم يُشُقُّ

بطنك فيقتلُك؟ فخافت حواءُ من ذلك، ثمَّ قال لها: أطيعيني وسَمِّي ولدك عبدَ

الحارثِ تِلْدي شَبَهَكُما<sup>(٣)</sup>، وكان اسمُه في الملائكة: الحارثُ، فذَكَرَتْ ذلك لآدمَ

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ١١٤)، و«المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه

(ص: ٥٣)، و«المحتسب» (١/ ٢٧٠)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٦٢١)، و«شواذ القراءات» لشمس

القراء الكرمانى (ص: ٢٠٠)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٨٦)، و«البحر» (١٠/ ٤٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣١).

(٣) في (ن): «شبيهكما مثلكما».

فقال: لعله صاحبنا الذي قد علمت، فعاودهما إبليس، فلم يزل بهما حتى غرهما، فسمياه عبد الحارث<sup>(١)</sup>.

ابن عباس رضي الله عنهما: كانت حواء تلد لآدم فيسميه<sup>(٢)</sup> عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس وقال: إن يسركما<sup>(٣)</sup> أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث، فولدت ابناً فسمياه عبد الحارث، وقال آدم: لعله لا يضُرُّ التسمية، ويبقى لنا ولد نأنس به في حياتنا، ويخلفنا بعد مماتنا<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٦٢١) عن سعيد بن جبير والسدي.

(٢) في (و): «فتسمية».

(٣) في (ن): «وقال أيسركما».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٦٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠١١٧)، والترمذي (٣٠٧٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعاً، ولفظ الترمذي: عن النبي ﷺ، قال: «لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه».

وهذا التفسير فيه مشكل؛ لأنه ينسب الإشراف لآدم وحواء، وإن قال بعضهم: إنه إشراف اسم لا إشراف عبادة، لكن الحديث معلول، قد أعله ابن كثير في «تفسيره» (٣ / ٤٧٥) من ثلاثة وجوه: أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً، فالحق أعلم.

الثاني: أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً، رواه الطبري.

الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه: فقد روى الطبري عن الحسن: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم =

= يكن بآدم.

ثم قال ابن كثير: «وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع».

ورجَّح ما فسر به الحسن الآية من أن المراد: ذرية آدم، وقال: «وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله فتعالى الله عما يشركون».

وقبل ابن كثير ضعَّفَ هذا الروايات وهذا التفسير للآية ابن العربي في «أحكام القرآن» (٢/ ٣٥٥) فقال: «وفي الإسرائيليات كثير ليس لها ثبات، ولا يعول عليها من له قلب؛ فإن آدم وحواء وإن كانا غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وما كانا بعد ذلك ليقبلا له نصحاً ولا يسمعا منه قولاً».

وممن أسهب في ردها وبيان خطأ من تناولها من المفسرين العلامة أبو شهبه في «الإسرائيليات والموضوعات» (ص: ٢٠٩ - ٢١٥) ثم خلص إلى أن التفسير الصحيح لها على وجهين - أحدهما قول كثير - فقال: والمحققون من المفسرين منهم من نحا منحى العلامة ابن كثير فجعل الآية الأولى في آدم وحواء، وجعل قوله: ﴿فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَلِيحًا﴾ الآية في المشركين من ذريتهما؛ أي: جعل أولادهما شركاء لله فيما أتاهما، والمراد بهم الجنس؛ أي: جنس الذكور والأنثى، فبين ثم حسن قوله: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالجمع، ويكون هذا الكلام من الموصول لفظاً المفصول معنى، ومنهم من جعل الآيتين في ذرية آدم وحواء؛ أي: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وهي نفس الذكر ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾؛ أي: من جنسها ﴿زَوْجَهَا﴾ وهي: الأنثى، ﴿فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَلِيحًا﴾؛ أي: بشراً سوياً كاملاً، ﴿جَعَلًا﴾؛ أي: الزوجان الكافران ﴿لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَتْهُمَا﴾، وبذلك أبداً شكر الله كفراناً به وجحوداً، وعلى هذا: لا يكون لآدم وحواء ذكر ما في الآيتين.

وإنما أطلنا في هذا التعليق لأن كثيراً من كتب التفسير ذهبت إلى القول الأول، ومنهم شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله.

وقيل: سمّياه عبد الحارث، كما قال حاتم:

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ <sup>(١)</sup> مِنْ شِيْمَةِ الْعَبْدِ <sup>(٢)</sup>

وهذا معنى قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ وهو شرك تسمية لا شرك عبودية.

ثم استأنف فقال: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني: الكفار.

«الحجة»: تقديره: جعل أولادهما، فحذف المضاف <sup>(٣)</sup>. والدليل عليه سياق

الآية: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بلفظ الجمع.

وقيل: الضمير في ﴿جَعَلَا﴾ يعود إلى الولد الذي دلّ عليه قوله: ﴿آتَاهُمَا

صَلِحًا﴾، وثني الضمير لأن حواء كانت متأمًا <sup>(٤)</sup>، حملت خمس مئة بطن.

(١) في (ن): «تيك».

(٢) انظر: «ديوان حاتم» ت: أحمد رشاد، (ص: ١٩) و«تفسير الثعلبي» (١٢ / ٦٢٥)، و«شرح

حماسة أبي تمام» للفارسي (٣ / ٢٩٥).

ونسب أيضاً لقيس بن عاصم المنقري في «الكامل» (٢ / ١٣٣)، و«قواعد الشعر» لثعلب

(ص: ٤٤)، و«الجلس الصالح» (ص: ٦٠).

ولدعبل في «عيون الأخبار» (٣ / ٢٦٣).

وللمقنع الكندي في «محاضرات الأدباء» (١ / ٧٥١)، و«أمال القالي» (١ / ٢٨١)، و«شرح ديوان

الحماسة» للمرزوقي (ص: ٨٢٩)، والرواية في «الأمالي» و«شرح الحماسة»:

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِيْمَةَ لِي غَيْرَهَا تَشْبِهَ الْعَبْدَا

(٣) انظر: «الحجة» (٤ / ١١١). ولم أجد مثل هذا التقدير في كلامه، بل لم يرد في مطبوعه شيء عن

هذه القراءة، وانحصر كلامه في القراءة الأخرى كما سيأتي، وهذا التقدير الذي ذكره المؤلف قال

عنه الواحدي في «البيسط» (٩ / ٥١٧): «وهذا معنى قول الحسن وقتادة وعكرمة».

(٤) المرأة المتأم: تلد التوأم كثيراً. انظر: «العين» (٨ / ٤٢٤). وجعل المصنف في «غرائب التفسير»

(١ / ٤٣٠) هذا القول من الغريب.

وقيل: جعلاً لغيره شركاء؛ أي: لغير الله، وهو إبليس لعنه الله.  
 وقوله: ﴿شِرْكَاً فِيمَا آتَاهُمَا﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: (ذا شركٍ)؛ لأنه مصدرٌ؛ أو<sup>(٢)</sup>: (ذوي  
 شركٍ) بالجمع؛ لتوافق قراءة ﴿شُرَكَاءَ﴾ بالجمع.  
 والمُرَادُ بالجمع واحدٌ فيمن قال: هو إبليس، ومن لم يجعل القِصَّةَ لآدمَ  
 وحواءَ - بل للمشركين من بني آدم - فـ ﴿شُرَكَاءَ﴾ جمعٌ لفظاً وحكماً.  
 وقيل: تقديرُ ﴿جَعَلَا﴾: جعلَ أحدهما؛ يعني: حواءَ.  
 وقوله: ﴿لَهُ﴾ قيل: الهاءُ يعودُ إلى الله سبحانه، وقيل: إلى إبليس؛ أي: جعلاً  
 لإبليس شركاء فيما آتاهما الله، يُقَوِّيه قولٌ من قال: تقديرُه: لغيره.  
 ويحتملُ أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الولدِ على تقديرِ: ﴿جَعَلَا﴾ للولدِ الصَّالحِ الذي  
 آتاهما اللهُ ﴿شُرَكَاءَ﴾: نصيباً ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾ من الرِّزْقِ في الدنيا، وكانا قبله يأكلانِ  
 ويشربانِ وحدهما، ثم استأنف فقال: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني: الكفار.  
 ومن قرأ: ﴿شِرْكَاً﴾<sup>(٣)</sup> فالمعنى: صارَ له - أي: معه - شركاً فيما آتاهما.  
 وهذا القولُ لم أُسبِقْ إليه، وهو حسنٌ؛ لأنه تنزيهٌ لآدمَ وحواءَ عن الشُّركِ، وثناءٌ  
 عليهما<sup>(٤)</sup>، والله أعلمُ.

\*\*\*

(١) هذه قراءة نافع وعاصم في رواية أبي بكر، وقرأ الباقون بضم الشين وفتح الراء والمد والهمز من غير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٩)، و«التيسير» (ص: ١١٥).

(٢) في (و): «أي».

(٣) في (و): «ومن قال شركاً».

(٤) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٠): «العجيب - وهو أحسن الوجوه -: أن الهاء في قوله: (له) تعود إلى الولد، أي: جعل آدم وحواء للولد نصيباً فيما آتاهما».

(١٩١) - ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ يعني: الأصنام ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ذهب المفسرون إلى أن قوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ للمعبودين، وإنما جمع جمع السلامة بعد قوله: ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ لَمَّا وصفها بأنها تُعْبَدُ.

وقيل: لأن فيما يُعْبَدُ الشياطينَ والملائكةَ والمسيحَ.

ويحتمل أن الصَّمِيرَ يعودُ إلى العابدين، وهم المشركون، وتقديره: أَيْشْرِكُونَ ما لا يقدرُ على خَلْقٍ، وهم مخلوقو الله؛ أي: فليعبُدوا خالقهم.

\*\*\*

(١٩٢) - ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهَا نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِوْنَ﴾.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهَا نَصْرًا﴾: لا تنصرُ من أطاعها ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِوْنَ﴾: ولا يدفعون عن أنفسهم مضرَّةً من قصدهم بكسرٍ أو غيره، هذا صفةٌ للأصنام.

\*\*\*

(١٩٣) - ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ﴾.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أيها المشركون؛ أي: أصنامكم ﴿إِلَى الْهُدَى﴾: إلى الرُّشْدِ والصَّوَابِ ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ لأنها لا تعقل ولا تفهم.

وقيل: هذا خطابٌ للمسلمين، وضميرُ المفعولِ يعودُ إلى قومٍ من الكُفَّارِ عِلِمَ اللهُ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

﴿سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ﴾؛ أي: دُعَاءُ الصَّنَمِ وَالسُّكُوتِ عَنِ الدُّعَاءِ سِيَّانَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُجِيبُ.

وقيل: دعاءُ هذا الكافرِ.

والتَّقْدِيرُ: أَدْعَوْتُهُمْ أَمْ صَمْتُمْ، واسمُ الفاعِلِ نَابٍ عَنِ الْفَعْلِ.

(١٩٤) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلَيْسَ تَعْبُدُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: تعبدون، وقيل: ﴿نَدَعُونَ﴾ من الدعاء. وقيل: تُسْمَوْنَهُمْ آلِهَةً، فَحُذِفَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي.

﴿عِبَادٌ﴾: جمعُ عبدٍ، وهو المملوكُ من ولدِ آدَمَ ﴿أَمْثَالَكُمْ﴾ في كونها مخلوقةً لله تعالى.

وَأَجْرَى ﴿الَّذِينَ﴾ ولفظُ ﴿عِبَادٌ﴾ للأصنامِ على زعمِ الكفارِ أَنَّهَا تَعْقِلُ وَتَضُرُّ وَتَنْفَعُ، وله نظائرُ في القرآن، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِاشْتِمَالِ الْمَعْبُودِينَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَدْفُوعٌ هَاهُنَا، كقوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ الآية [الأعراف: ١٩٥].

وقيل: المرادُ بهم الكفارُ، ثُمَّ عَدَلَ إِلَى ذِكْرِ الْأَصْنَامِ.

وقيل: هذا على طريقِ الاستفهام؛ أي: إِنَّ<sup>(١)</sup> الَّذِينَ تَدْعُونَ<sup>(٢)</sup>...؟! والمعنى: أنتم أعلى وأفضل منها فلم تعبدونها؟!

(١) «إن»: ليست في (و).

(٢) ذكر هذا الوجه الواحد في «السيط» (٥٣٠/٩) عن صاحب «النظم» فقال: وسلك صاحب «النظم» في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ﴾ طريقةً أخرى؛ فقال: تأويل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ ﴿إِنَّ﴾ على استفهام، وفي الاستفهام طرف من الإنكار كقوله: ﴿أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦] إلا أنه استقل همزتان فاقصرت على إحداهما، وقد تستفهم العرب بغير الألف، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نَمَّةٌ تَبْهَأَعَلَى﴾ [الشعراء: ٢٢] بمعنى: أو تلك على الإنكار، ولا يجوز أن يكون هذا خبرًا؛ لأن تعيينه بني إسرائيل لم يكن مئة عليه، ومثله قول الشاعر:

أفرح أن أزرأ الكرامَ وأن أُورثَ ذودًا شصائصًا نبلا

أراد: أفرح؛ لأنه يتنفي من ذلك، ولا يرضى أن يقال له ذلك.

﴿فَادْعُوهُمْ﴾ أمرٌ إنكارٍ ﴿فَلَيْسَتْ جِيبُوا لَكُمْ﴾؛ أي: فليُجيبوا، أمرٌ تعجيزٍ.  
﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنها تعقل وتسمع وتُجيبُ.

\*\*\*

(١٩٥) - ﴿اللَّهُمَّ ارْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطُّشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ﴾.  
﴿اللَّهُمَّ ارْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا﴾ مشيكم ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطُّشُونَ بِهَا﴾: يتناولون بها ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ قَيْدُ الأَعْضَاءِ وَالحَوَاسِّ بِمَنَافِعِهَا؛ لِأَنَّ المُشْرِكِينَ يَجْعَلُونَ لِلْأَصْنَامِ صُورَةَ الأَعْضَاءِ وَالحَوَاسِّ.  
﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ: أَيُّهَا المُشْرِكُونَ ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ وَأَضَافَ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَهَا شُرَكَاءَ اللَّهِ.

﴿ثُمَّ كِيدُوا﴾: بِالْغُفَا فِي مَكْرٍ وَهِيَ سِرًّا وَجَهْرًا، ﴿فَلَا تُنظِرُونَ﴾: لَا تُؤَخِّرُوا عَنِّي مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ المَكْرِهِ.

\*\*\*

(١٩٦) - ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.  
﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ﴾: نَصِيرِي ﴿الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ﴾: الْقُرْآنَ، ﴿وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ يَحْفَظُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا يُشْرِكُونَ.

\*\*\*

(١٩٧ - ١٩٨) - ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَبْصِرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَبِّهُمُ يُنظِرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.  
﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: دُونَ اللَّهِ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ

يَبْصُرُونَ ﴿١٧٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ ﴿١﴾ يَعْنِي: الْأَصْنَامَ ﴿٢﴾ إِلَى الْهَدْيِ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَدُّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ﴿٣﴾:  
يُقَابِلُونَكَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: دَارِي تَنْظُرُ إِلَى دَارِكِ.

وَقِيلَ: تَرَاهَا كَأَنَّهَا تَنْظُرُ إِلَيْكَ.

وَقِيلَ: فَاتِحَةً أَعْيَنَهَا فَعَلَ النَّاطِرِ.

﴿وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾؛ لِأَنَّهَا لَا حَيَاةَ بِهَا<sup>(١)</sup>.

وَقِيلَ: ﴿وَتَرَدُّهُمْ﴾؛ يَعْنِي: الْكُفَّارَ ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ بِأَعْيُنِهِمْ ﴿وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾؛  
لِأَنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ بُبُوتَكَ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى أَنْبَصَرِهِمْ عَسْنُوهُ﴾ [البقرة: ٧].

\*\*\*

(١٩٩) - ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ  
قَالُوا: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَجْمَعَ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ<sup>(٢)</sup>.

وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَجَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا هَذَا؟» قَالَ:  
لَا أُدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَا مُرَّكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ،  
وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ<sup>(٣)</sup>.

(١) فِي (ن): «لَهَا».

(٢) قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ فِي «الْعَقْدِ الْفَرِيدِ» (٢/ ٢٥٥): «وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ جَوَامِعَ  
الْكَلِمِ فِي كِتَابِهِ الْمَحْكَمِ، وَنَظَّمَ لَهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ كُلِّهَا فِي ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ  
بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾؛ فَفِي أَخْذِهِ الْعَفْوَ: صَلَوةٌ مَنْ قَطَعَهُ وَالصَّفْحُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَفِي الْأَمْرِ  
بِالْمَعْرُوفِ: تَقْوَى اللَّهِ، وَغَضُّ الطَّرْفِ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَصَوْنُ اللِّسَانِ عَنِ الْكُذْبِ، وَفِي الْإِعْرَاضِ عَنِ  
الْجَاهِلِينَ: تَنْزِيهِ النَّفْسِ عَنِ مِمَارَاةِ السَّفِيهِ وَمِنَازَعَةِ اللُّجُوجِ».

(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَرْدُويَه مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَمَا فِي «الدر المثور» (٣/ ٦٢٨). =

قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ هو العفو عن المذنب؛ أي: اترك عقوبته، وهو منسوخٌ بآية القتال.

وقيل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ من أموالهم؛ أي: ما فضل وطاب وسهل، من قوله: ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وهو منسوخٌ بآية الزكاة.

وقيل: ما عفا من أخلاق الرجال وما لا يجهدهم.

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: بالمعروف، وهو ما حسن فعله، وعرفته القلوب ولم تُنكره.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ بترك مؤاخذتهم، قيل: منسوخة بالقتال.

وقيل: أعرض عنهم بترك مقابلتهم<sup>(١)</sup>.

وقيل: بترك موافقتهم.

\*\*\*

(٢٠٠) - ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾: نالك منه وسوسةٌ وفسادٌ وغضبٌ.

والنزغُ: الإزعاجُ بالإغراء.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: فاستجر بالله من الشيطان الرجيم من مكائده، واستغث به.

= ورواه الطبري في «تفسيره» (٦٤٣/١٠) من طريق سفيان بن عيينة عن رجل قد سماه، ومن طريق سفيان عن أمي الصيرفي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٣٨/٥) من طريق سفيان عن أمي عن الشعبي، وكل هذه مرسلات كما قال ابن كثير عند تفسير الآية، وزاد: «وقد روي له شواهد من وجوه أخر». قلت: له شاهد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه عند أحمد في «المسند» (١٧٤٥٢).

(١) في (و): «مقاتلتهم».

وقيل: معنى الآية: وإن دعاكَ الشَّيْطَانُ إِلَى خِلاَفِ مَا أَمْرُنَاكَ بِقَوْلِنَا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ الآية، فَاسْتَعِذْ بِهِ مِنْهُ.

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: يَسْمَعُ الدُّعَاءَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الضَّمَائِرِ.

\*\*\*

(٢٠١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إِذَا زَلُّوا تَابُوا<sup>(١)</sup>.

وَالطَّيْفُ: مَا يَتَخَيَّلُ فِي الْعَقْلِ مِمَّا لَا تَلْحَقُهُ الْعَيْنُ أَوْ يُرَى فِي الْمَنَامِ.

وقيل: اللَّمَمُ وَالْوَسْوَسَةُ وَالخَبْلُ.

تقول: طَافَ الْخِيَالُ يَطِيفُ طَيْفًا، وَطَافَ الرَّجُلُ يَطُوفُ طَوْفًا: إِذَا أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ.

و﴿طَيْفٌ﴾<sup>(٢)</sup> مِنْ طَافَ الْخِيَالُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ طَافَ الرَّجُلُ، فَيَكُونُ

أَصْلُهُ (طَيْفٌ) بِالتَّشْدِيدِ، فَخُفِّفَ كـ(مَيْتٍ)، و﴿طَلِيفٌ﴾ اسْمٌ فَاعِلٍ مِنْ أَحَدِهِمَا.

«الْحِجَّةُ»: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿طَلِيفٌ﴾ مُصَدَّرًا كَالطَّيْفِ<sup>(٣)</sup>.

﴿تَذَكَّرُوا﴾ عَقُوبَةَ اللَّهِ. وَقِيلَ: تَذَكَّرُوا الْمَخْرَجَ مِنْهُ بِالتَّوْبَةِ.

ابنُ بَحْرٍ: أَعَاذُوا بِذِكْرِ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠ / ٦٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٦٤١) عن السدي.

(٢) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، بياء ساكنة بين الطاء والفاء من غير همزة ولا ألف. انظر:

«السبعة» (ص: ٣٠١)، و«التيسير» (ص: ١١٥).

(٣) انظر: «الحجة» (٤ / ١٢١).

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥ / ٢٥٨)، وفيه: «عاذوا بذكر الله»، و(أعاذ) لغة في (عاذ).

﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾: على بصيرة. والمُبْصِرُ: صاحبُ البصيرة.  
وقيل: مُهْتَدُونَ. وقيل: مُتَّهِنُونَ.

\*\*\*

(٢٠٢) - ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوْنَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾.  
﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ يعني: الشياطين، يجوزُ أن يكونَ الإخوانُ للشياطين والضَّميرُ  
للكفارِ، ويجوزُ أن يكونَ الإخوانُ<sup>(١)</sup> للكفارِ والضَّميرُ للشياطينِ.  
﴿يَمُدُّوْنَهُمْ﴾: منَ (المدِّ)، وهو الزيادةُ، ومنَ (المدِّ)، وهو الجذبُ؛ أي:  
يُزَيِّنُونَ لَهُمُ الْكَفَرَ وَالْمَعَاصِيَ وَيُغْوَوْنَهُمْ.  
و: ﴿يَمُدُّوْنَهُمْ﴾ بِالضَّمِّ<sup>(٢)</sup>: يُعِينُونَهُمْ.  
﴿فِي الْغَيِّ﴾: الضلالُ والهلاكُ، وهو نقيضُ الرُّشْدِ.  
﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: لَا يُقْلِعُونَ وَلَا يَنْتَهِنُونَ.  
و﴿فِي﴾ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمَدِّ، وَقِيلَ: حَالٌ لِلْإِخْوَانِ.

\*\*\*

(٢٠٣) - ﴿وَإِذْ أَلَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا  
بَصَائِرَ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.  
﴿وَإِذْ أَلَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ﴾؛ أي: ممَّا اقترحوا عليك. وقيل: بآيةٍ من القرآن. وقيل: بفريضة.  
﴿قَالُوا لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾: تقولُهَا من نَفْسِكَ، تقولُ: اجْتَبَيْتَ الشَّيْءَ  
وَاخْتَرَعْتَهُ وَارْتَجَلْتَهُ وَاخْتَلَقْتَهُ؛ بِمَعْنَى.

(١) «يجوزُ أن يكونَ الإخوانُ للشياطين والضَّميرُ للكفارِ ويجوزُ أن يكونَ الإخوانُ»: من (ن).

(٢) هي قراءة نافع بضم الياء وكسر الميم. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠١).

وقيل: اخترتها لنفسك. وقيل: طلبتها من الله.

الحسن: هي الآية من القرآن إذا جاءت كذبوا بها، وإذا تأخرت طلبوها استهزاء<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾: لست آتيكم بها من قبل نفسي، فأجعل لكم ما تريدون.

﴿هَذَا بَصَائِرُ﴾؛ أي: القرآن بصائر ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: فيه بيان كل شيء؛ أي: فأية آية أعظم منه ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

\*\*\*

(٢٠٤) - ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ في سبب النزول: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نزلت في رفع الأصوات في الصلاة خلف رسول الله عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

قتادة: كانوا يتكلمون في صلاتهم أول ما فرضت، كان الرجل يقول لصاحبه: كم صليت؟ فيقول: كذا وكذا، فأنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

(١) لم أجده.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٣٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٠ / ٦٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٦٤٥).

وقد روى أبو داود (٨٢٦)، والترمذي (٣١٢)، والنسائي (٩١٩)، وابن ماجه (٨٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال: «هل قرأ معي أحد منكم أنفأ؟» قال رجل: نعم يا رسول الله. قال: «إني أقول ما لي أنزع القرآن» قال: فانتهى الناس عن القراءة فيما جهر فيه رسول الله ﷺ بالقراءة من الصلاة حين سمعوا ذلك.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠ / ٦٦٢).

الزُّهْرِيُّ: نَزَلَتْ فِي فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلَّمَا قَرَأَ شَيْئًا قَرَأَهُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(١)</sup>.

سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فِي جَمَاعَةٍ: نَزَلَتْ فِي الْإِنْصَاتِ لِلْإِمَامِ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ<sup>(٢)</sup>.  
وَقِيلَ: هُوَ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَمَعْنَى ﴿وَأَنْصِتُوا﴾؛ أَي: لِلْإِسْتِمَاعِ.

\*\*\*

(٢٠٥) - ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾؛ أَي: خَلْفَ الْإِمَامِ.

وَقِيلَ: وَاذْكُرْهُ بِقَلْبِكَ وَلَا تَنْسَهُ.

وَقِيلَ: وَاذْكُرْهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ.

﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾: خَاشِعًا مُتَذَلِّلًا خَائِفًا فَرِقًا.

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾؛ أَي: اذْكُرْهُ بِقَلْبِكَ وَبِلِسَانِكَ غَيْرَ مَجْهُورٍ بِهِ وَلَا مَرْفُوعٍ

بِهِ صَوْتًا.

﴿بِالْغُدُوِّ﴾: بِالبُكْرَةِ ﴿وَالْآصَالِ﴾: العَشِيِّ، وَهِيَ جَمْعُ (أَصِيلٍ)، وَقِيلَ: جَمْعُ (أُصْلٍ)،

و(أُصْلٍ) جَمْعُ (أَصِيلٍ)، وَهُوَ اسْمٌ لِمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَصَلَ: دَخَلَ فِيهِ.

وَقِيلَ: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾: صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ﴾ بِالْفَجْرِ

وَالْعِشَاءَيْنِ؛ أَي: ارْفَعْ الصَّوْتَ وَسَطًّا.

(١) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٠ / ٦٥٩).

(٢) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» (ص: ٢٢٩)، وَرَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٠ / ٦٦٦) بِلَفْظِ:

«الْإِنْصَاتِ: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفَطْرِ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَفِيمَا يَجْهَرُ بِهِ الْإِمَامُ مِنَ الصَّلَاةِ».

﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ بقلبك ولسانك، والخطابُ للنبيِّ عليه السَّلامُ، والمرادُ به هو والمؤمنون.

وقيل: ﴿وَأَذْكُرَتِكَ﴾ أيها المُستمعُ المُنصِتُ.

\*\*\*

(٢٠٦) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكة، و﴿عِنْدَ﴾ للقربة والمنزلة.

وقيل: عند رحمته وفضله.

وقيل: (عنده): على معنى: رُسُلُه.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا يتعظَّمون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾: عن عبادة الله ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾: ويُنزِّهُونَه عما لا يليقُ به.

المُفضَّل: يرفعون أصواتهم بذكره.

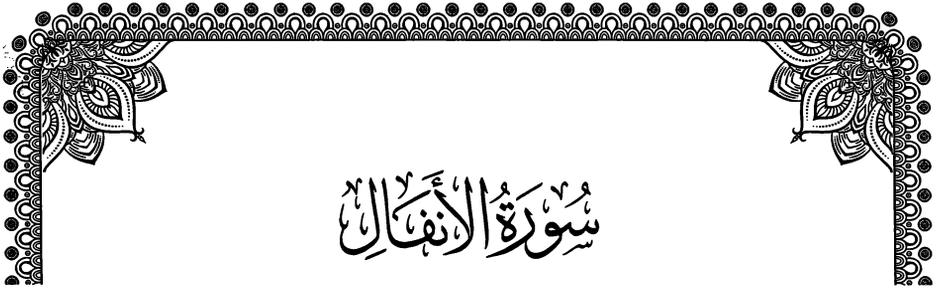
وقيل: ﴿يُسَبِّحُونَهُ﴾: يُصلُّونَ له، من (السُّبْحَةِ)، وهي الصَّلَاةُ.

﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾.

\*\*\*

سُورَةُ الْاِنْفَالِ





## سُورَةُ الْأَنْفَالِ

خمسٌ وسبعون آيةً<sup>(١)</sup>، مدنيّة.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: إِلَّا سَبَعَ آيَاتٍ، من قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [٣٠] الآيات<sup>(٢)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿سَتَلُونَا عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿سَتَلُونَا عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ في سببِ النُّزُولِ: عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قُتِلَ أَخِي عُمَيْرٌ، وَقَتَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، فَأَخَذْتُ سَيْفَهُ وَكَانَ يُسَمَّى: ذَا الْكَيْفِيَّةِ، فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «أَذْهَبَ فَاطِرُ حُهُ فِي الْقَبْضِ»، فَرَجَعْتُ وَبِي مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَتْلِ أَخِي وَأَخَذِ سَلْبِي، فَمَا جَاوَزْتُ إِلَّا قَرِيبًا حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْفَالِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَذْهَبَ وَخُذْ سَيْفَكَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «خمس وسبعون آية»: ليست في (و). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٥٨) وفيه:

وهي سبعون وخمس آيات في الكوفي، وست في المدنيين والمكي والبصري، وسبع في الشامي.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١٨٦) نقلاً عن الماوردي. قال البغوي في «تفسيره»

(٢/ ٢٦٦): «والأصح أنها نزلت بالمدينة، وإن كانت الواقعة بمكة».

(٣) رواه أبو عبيد في «الأموال» (٧٥٦)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٦٨٩)، وابن أبي شينة في =

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا»، فَذَهَبَ الشُّبَّانُ وَجَلَسَ الشُّيُوخُ تَحْتَ الرَّيَاطِ، فَلَمَّا كَانَتِ الْغَنِيمَةُ جَاءَ الشُّبَّانُ يَطْلُبُونَ نَفْلَهُمْ، وَقَالَتِ الشُّيُوخُ: لَا تَسْتَأْذِنُوا عَلَيْنَا، فَإِنَّا كُنَّا تَحْتَ الرَّيَاطِ، وَلَوْ أَنهَزْتُمْ كُنَّا رِذَاءًا لَكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿سَتَلُونَكُمْ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾، فَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ عَلَى السَّوَاءِ<sup>(١)</sup>.

وعن عبادة بن الصَّامِتِ رضي الله عنه قال: لَمَّا هُزِمَ الْعَدُوُّ يَوْمَ بَدْرٍ ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ خَلْفَ الْعَدُوِّ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَوْلَتْ طَائِفَةٌ بِالْعَسْكَرِ وَالنَّهْبِ، ثُمَّ

= «المصنف» (٣٣٠٨٥)، والإمام أحمد في «المسند» (١٥٥٦)، والبخاري في «المسند» (١٢٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٦/١١)، من طريق محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه به، ورجاله ثقات غير أن فيه انقطاعاً، محمد بن عبيد الله الثقفي لم يدرك سعداً، لكن رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٥٣٨)، وأبو داود (٣٧٤٠)، والترمذي (٣٠٧٩) متصلاً من طريق مصعب بن سعد، عن أبيه قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف، فقلت: يا رسول الله، إن الله قد شفى صدري من المشركين - أو نحو هذا - هب لي هذا السيف، فقال: «هذا ليس لي ولا لك» فقلت: عسى أن يعطى هذا من لا يبلي بلائي، فجاءني الرسول فقال: «إنك سألتني وليس لي، وإنه قد صار لي وهو لك»، قال: فنزلت: ﴿سَتَلُونَكُمْ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الآية، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وقوله: «سعيد بن العاص» كذا في الخبر، وقال الأستاذ محمود شاعر في تعليقه على «تفسير الطبري» (٣٧٤/١٣): فالذي جاء في الخبر هنا «سعيد بن العاص» وهم، فإن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي متأخر، قبض رسول الله ﷺ وله تسع سنين، وهو لم يشرك قط، وقتل أبوه العاص بن سعيد يوم بدر كافراً، أما جده سعيد بن العاص بن أمية فمات قبل بدر مشركاً، ويكون الصواب كما قال ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة عمير بن أبي وقاص: العاص بن سعيد بن العاص، ويكون الاختلاف إذن في الذي قتله: أهو علي بن أبي طالب، أم سعد بن أبي وقاص؟

(١) رواه أبو داود (٢٧٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/١٣).

اختلفوا في الغنيمَةِ، وادَّعى كُلُّ واحدٍ أَنَّها له، فَأَنْزَلَ اللهُ سُورَةَ الْأَنْفَالِ<sup>(١)</sup>.  
 قوله: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ﴾ الواوُ ضميرُ المؤمنين وإن لم يتقدَّم في السُّورَةِ ذِكْرُهُمْ؛ لأنَّ  
 الحالَ وسببَ النزولِ يدلُّانِ على ذلك، ولأنَّ القرآنَ كلَّهُ كسورةٍ واحدةٍ.  
 والسُّؤالُ على وجهين؛ سؤالِ استعلامٍ، وسؤالِ طلبٍ، وهذا سؤالُ استعلامٍ؛  
 لأنَّه عُدِّيَ به (عن).

وقيلَ: معناه: يسألكَ عن حلِّها وحُرْمَتِها؛ ليعلموا ما حكمها مع تحريمها  
 على مَنْ كانَ قبلهم.  
 وقيلَ: (عن) هاهنا زيادةٌ، والسُّؤالُ للطلبِ، وكذلك قراءةُ ابنِ مسعودٍ  
 رضي اللهُ عنه<sup>(٢)</sup>.

وقيلَ: (عن) بمعنى (من).  
 والأنفالُ: جمعُ نَفْلٍ ونَفْلٍ<sup>(٣)</sup>، وهو العطيَّةُ، والنَّفْلُ: الرَّجْلُ الكثيرُ العطاءِ.  
 وقيلَ: النَّفْلُ: الزيادةُ، ومنه: (النَّافِلَةُ) لوليدِ الولدِ، وكذلك: النَّافِلَةُ مِنَ الصَّلَاةِ.  
 ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ﴾ بدأ بذكرِ اللهُ تعظيماً ﴿وَالرَّسُولِ﴾: ابنُ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما:  
 أي: الأمرُ في الغنائمِ إلى الرَّسُولِ عليه السَّلَامُ<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٨٥٥)، والحاكم في «المستدرک» (٢٦٠٧)، وصححه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٩)، وهي قراءة شاذة، انظر: «المختصر في شواذ القراءات»  
 (ص: ٢٠١)، و«المحتسب» (١ / ٢٧٢).

(٣) «ونفل» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٩) بلفظ: «الأنفال»: المغنم كانت لرسول الله ﷺ خالصة ليس  
 لأحد منها شيء، ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به، فمن حبس منه إبرة أو سلكا فهو  
 غلول...».

ابن جرير: الأنفال غير الغنائم، وإنما هي زيادات يزيدها الإمام من رأى (١).  
الحسن: هي ما شدد من العدو من عبد أو دابةٍ بغير قتالٍ، فلا إمام أن يُنقل من يشاء (٢).  
وقيل: الأنفال: أنفال السرايا خاصة.  
مجاهد: هي الخمس (٣).

فمن جعلها الغنائم (٤) قال: هي منسوخة بقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: ٤١]، ومن لم يجعلها الغنائم قال: هي مُحْكَمَةٌ.  
والفرق بين الفياء والنفل والغنيمه:  
أن الفياء: ما عاد إلى المسلمين من أموال المشركين من غير حرب ولا إيجاب خيل، وذلك لبيت المال.  
والغنيمه: ما أصيب بحرب عن ظفر، وذلك يقسم على حكم قوله تعالى:  
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٤١].  
والنفل: زيادة على ما يُصيب من القسمة.  
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾؛ أي: الحالة التي بينكم؛ ليكون سبباً  
لألفتكم واجتماع كلمتكم. وقيل: أموركم.  
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ في فرائضه ﴿وَرَسُولَهُ﴾ في سنته ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ فإن الإيمان  
يوجب ذلك.

\*\*\*

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١١ / ١٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٠).

(٤) في (ن): «للغنائم».

(٢) - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: خَافَتْ فَاثْقَادَتْ لِأَمْرِهِ، وَارْتَدَعَتْ عَنِ نَوَاهِيهِ، وَاطْمَأَنَّتْ إِلَىٰ وَعْدِهِ، وَفَرَّقَتْ مِنْ وَعِيدِهِ.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾؛ أَي: الْقُرْآنُ ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ إِذَا تَأَمَّلُوا وَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَهُ يَزِيدُ فِي إِيمَانِهِمْ وَيَقِينِهِمْ وَقُوَّةِ بَصَائِرِهِمْ. وَقِيلَ: تَصَدِيقًا. وَقِيلَ: يَقِينًا. وَقِيلَ: خَشْيَةً. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: يُفَوِّضُونَ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ.

\*\*\*

(٣) - ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: يُخْرِجُونَ حَقَّ اللَّهِ بِالزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ. وَقِيلَ: يُقِرُّونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

\*\*\*

(٤) - ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: سِرًّا وَجَهْرًا، بِخِلَافِ الْمُنَافِقِ.

وقيل: هم الذين استحقوا هذه التسمية.

وقيل: هو تأكيد للكلام؛ أي: أحمق هذا الخبر حقا.

و(الحق) في الكلام على وجهين:

أحدهما: المستحق.

والثاني: ما له حقيقة الوجود، بخلاف الباطل؛ فإنه لا وجود له.

وقيل: تم الكلام على (المؤمنين)، و﴿حقا﴾ متعلق بقوله: ﴿لهم درجات﴾.

عِنْدَرِيَّتِهِمْ ﴿١﴾؛ أَي: مَنَازِلُ فِي الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: مَرَاتِبُ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لِلذُّنُوبِ، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: خَالِصٌ مِنَ الشَّوَابِ<sup>(١)</sup>. وَقِيلَ: مُرْتَفِعُ الْقَدْرِ عِنْدَ النَّاسِ.

\*\*\*

(٥) - ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾: كَمَا أَمَرَكَ بِالخُرُوجِ وَدَعَاكَ إِلَيْهِ ﴿مِنْ بَيْتِكَ﴾ قِيلَ: مِنْ مَكَّةَ، حَكَاهُ الْمَاوَرِدِيُّ<sup>(٢)</sup>.

وَالجَمْهُورُ: عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، حِينَ سَمِعَ أَبِي سَفِيَانَ مُقْبِلًا مِنَ الشَّامِ فِي عِيرِ قُرَيْشٍ وَمَعَهُ أَمْوَالٌ وَتِجَارَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ اللَّطِيمَةُ<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ: «أَخْرُجُوا مَعِيَ إِلَيْهَا لَعَلَّنَا نَأْتِي بِخَيْرٍ»، فَخَرَجَ مَعَهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَكَانَ الْجَمَلُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ يَتَعَاقِبُونَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ إِلَّا فَرَسَانِ، فَخَرَجُوا مِنْ غَيْرِ قُوَّةٍ وَلَا سِلَاحٍ لَا يُرِيدُونَ إِلَّا أَبَا سَفِيَانَ، وَلَا يَرُونَ<sup>(٤)</sup> أَنْ يَكُونَ ثَمَّ قِتَالًا، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو سَفِيَانَ مَسِيرَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَ ضَمَضَمَ بْنَ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ إِلَى مَكَّةَ لِيُخْبِرَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ عَرَضَ لِعَيْرِهِمْ، فَغَضِبَ أَهْلُ مَكَّةَ فَانْتَدَبُوا وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ إِلَّا الضَّعِيفُ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ: دَفْرَانُ، أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ:

(١) فِي (ن): «شَوَابُ الْكُدْرِ».

(٢) انظُر: «النَّكَتُ وَالْعَيُونُ» (٢/ ٢٩٥)، وَفِيهِ: «فِيهِ قَوْلَانُ: أَحَدُهُمَا: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِالْحَقِّ مَعَ كِرَاهَةِ فَرِيقٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَذَلِكَ يَنْجِزُ وَعَدَكَ فِي نَصْرِكَ عَلَى أَعْدَائِكَ بِالْحَقِّ. وَالثَّانِي: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَدْرِ بِالْحَقِّ، كَذَلِكَ جَعَلَ لَكَ غَنِيمَةً بَدْرَ بِالْحَقِّ».

(٣) اللَّطِيمَةُ: الْعَيْرُ الَّتِي تَحْمِلُ الطَّيْبَ وَبِزِ التِّجَارِ، وَلَا يُقَالُ: لَطِيمَةٌ، إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهَا طَيْبٌ، وَإِلَّا فَهِيَ عَيْرٌ.

انظُر: «فَقْهُ اللَّغَةِ» (ص: ٣٤).

(٤) فِي (ن): «وَلَا يَرِيدُونَ».

إِنَّ اللَّهَ وَعِدُّكُمْ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ؛ إِمَّا الْعَيْرَ، وَإِمَّا قُرَيْشًا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِهِمْ وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَّا أَخْبَرْتَنَا أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ حَتَّى نُخْرِجَ سِلَاحَنَا وَنَتَأَهَّبَ لَهُ، إِنَّا خَرَجْنَا نُرِيدُ الْعَيْرَ، فَاسْتَشَارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْحَابَهُ فَقَالُوا: امضِ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ وَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللَّهُ مَا نَقُولُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَاهَا قَاعِدُونَ﴾، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سَيَرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَأَبْشَرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَلَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مِصَارِعِ الْقَوْمِ»، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا بِجَانِبِ الْوَادِي الْأَدْنَى<sup>(١)</sup>، وَنَزَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ عَلَى جَانِبِهِ الْأَقْصَى عَلَى الْمَاءِ وَبَيْنَهُمَا الْوَادِي<sup>(٢)</sup>.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ خِلَافٌ بَيْنَ الْمُفْسِّرِينَ:

فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ التَّشْبِيهَ وَقَعَ بَيْنَ الْحَقِّينِ؛ أَي: ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾. وَقِيلَ: قَسَمْتُكَ الْغَنَائِمَ حَقًّا كَمَا كَانَ خُرُوجُكَ حَقًّا.

وَقِيلَ: بَيْنَ الْكِرَاهَتَيْنِ؛ أَي: الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ كَرِهَ بَعْضُهُمْ، كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ وَفَرِيقٌ مِنْهُمْ<sup>(٣)</sup> كَارِهُونَ.

وَقِيلَ: بَيْنَ الْمُجَادَلَتَيْنِ؛ لِأَنََّّهُمْ جَادَلُوا فِي الْأَمْوَالِ، وَادَّعَى كُلُّ فَرِيقٍ أَنَّهَا لَهُمْ، كَمَا جَادَلُوا فِي لِقَاءِ الْعَدُوِّ عِنْدَ دُنُوهِمْ مِنْهُمْ. وَقِيلَ: يُجَادِلُونَكَ فِي الْقِتَالِ كَمَا جَادَلُوا فِي الْخُرُوجِ.

(١) فِي (و): «الْأَيْمَن».

(٢) انظر سياق غزوة بدر في: «سيرة ابن هشام» (١ / ٦١٥)، و«تفسير الثعلبي» (١٣ / ٢٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) فِي (ن): «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

وقيل: بين الصّالِحِينَ؛ أي: صلاحهم في إصلاح ذات بينهم كصلاحهم في إخراج الله إياهم<sup>(١)</sup>.

وقيل: ﴿لِرَأْدِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، وهو مَكَّةُ<sup>(٢)</sup> ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ﴾، وهو مَكَّةُ<sup>(٣)</sup>.

وقيل: هو يمين؛ أي: والذي أخرجك، وهذا سهو، وإن كان قائله أبا عبيدة<sup>(٤)</sup>.  
وقيل: امضِ على ما أخرجك ربك، والكاف بمعنى (على)، حكاه قُطْرُبُ<sup>(٥)</sup>، ونسبه إلى ابن عباس<sup>(٦)</sup>.

قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بالواجب. وقيل: الخروجُ لذلك<sup>(٧)</sup> حَقٌّ لا باطل. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾؛ أي: الخروج، قيل: لأنَّ النَّبِيَّ عليه السَّلَامُ أمرهم بالخروج بغتة كي لا ينتشر الخبر فيبلغ أبا سفيان، ولم يكونوا متأهين للخروج.

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٣٤): «وأحسن هذه الوجوه الأربعة، التشبيه بين الحقين؛ لوجود لفظ الحق قبل ذكر الكاف وبعده، وأما الكراهة والجدال فمذكوران بعد الكاف في الآية، والصلاح مذكور قبل الكاف فحسب».

(٢) «معاد وهو» من (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٣٤)، واستغربه.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١ / ٢٤٠). وكذا استبعده أبو بكر الأنباري، ونص كلامه كما نقله الواحدي

في «البيسط» (١٠ / ٣٠): «وهذا بعيد؛ لأن الكاف ليست من حروف الإقسام».

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» (١١ / ٣٤)، ونسبه إلى بعض نحويي البصرة. قال أبو حيان في «البحر

المحيط» (٥ / ٢٧٣): «وهذا ضعيف؛ لأنه لم يثبت أن الكاف تكون بمعنى (على)، ولأنه يحتاج

الموصول إلى عائد، وهو لا يجوز أن يحذف في مثل هذا التركيب».

(٦) ذكره الفيروزآبادي في «تنوير المقباس» (ص: ١٤٥).

(٧) في (و): «كذلك».

وقيل: كارهون كراهة نفاير الطبع عن المشاق، لا كراهة ضد الإرادة.  
وقيل: كرهوا أولاً ثم أرادوه.

\*\*\*

(٦) - ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

﴿يُجَادِلُونَكَ﴾: يُخَاصِمُونَكَ. والمُجَادَلَةُ: المُخَاصِمَةُ والمُنَازَعَةُ التي يُعْتَلَى بها عن مذهبٍ إلى مذهبٍ؛ أي: يُجَادِلُونَكَ حينَ فَاتَهُم العِيرُ ونزلَ بِإزَائِهِم النَّفِيرُ، ويقولون: لو عَلِمْنَا أَنَّا نُقَاتِلُ لَتَأَهَّبْنَا لِلْقِتَالِ وَأَعَدَدْنَا لَهُ عُدَّتَهُ.

وقيل: كرهوا القتال لقلبتهم وكونهم رجالةً.

﴿فِي الْحَقِّ﴾: فِي الجِهَادِ. وقيل: فِي الخُرُوجِ.

﴿بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ أَنَّ الجِهَادَ وَاجِبٌ والخُرُوجَ صَوَابٌ.

وقيل: بَعْدَ مَا تَبَيَّنُوا وَعَلِمُوا أَنَّ أَمْرَكَ أَمْرُ اللَّهِ.

والتَّبَيُّنُ: ظُهُورُ المَعْنَى لِلنَّفْسِ.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾؛ أي: يكرهون القتال كراهية من يساق

إلى الموت وهم ينظرون إلى أسبابه.

وَالسَّوْقُ: الحِثُّ عَلَى السَّيْرِ.

وقيل: ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ يعني: الكَفَّارَ ﴿فِي الْحَقِّ﴾: فِي الإسلامِ ﴿بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾: بَانَ

وظهر الإسلامُ ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ حينَ دُعُوا إِلَى الإسلامِ ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾

تلك الحالة.

\*\*\*

(٧) - ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ﴾ إمَّا العيرَ وإمَّا النِّفيرَ ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾: بدلٌ من ﴿إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ﴾؛ أي: يصيرُ ما معهم لكم.

والوعدُ: الخبرُ بما يَسُرُّ، بخلافِ الوعيدِ؛ فَإِنَّه خبرٌ بما يَغُمُّ، ولا يكونانِ إلا بما يُستأنَفُ، والبشارةُ تقعُ للماضي والمستقبلِ.

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: وتمنون أن الطائفةَ غيرِ ذاتِ ﴿الشَّوْكَةِ﴾<sup>(١)</sup> السِّلاحِ، السِّيفِ والسَّنَانِ والنِّصَالِ.

وقيل: الشَّوْكَةُ: شِدَّةُ الحربِ.

والشَّوْكَةُ: الحِدَّةُ، واشتقاقها من الشوكِ؛ وهو النَّبْتُ الذي له حِدَّةٌ.

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾: ينصُرُ أهلَ الإسلامِ. وقيل: يُظهِرُ الإسلامَ. وقيل: يأمرُ بالجهادِ.

﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾: بأوامره ونواهيهِ. وقيل: بمواعيدهِ.

﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾: يستأصلهم.

والدَّابِرُ: الآخِرُ، والدَّابِرُ: الأَصْلُ<sup>(٢)</sup>. وقيل: الدَّابِرُ: آخِرُ مَنْ بَقِيَ.

\*\*\*

(٨) - ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾: ليعبَدَ اللهُ وحده، وذلك تحقيقُ الحقِّ ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾: الكفرَ.

وقيل: ﴿الْحَقَّ﴾: القرآنَ، و﴿الْبَاطِلَ﴾: إبليسَ.

(١) «الشوكة» ليست في (ن).

(٢) «والدابر الأصل» من (ن).

وقيل: لِيُنْصَرَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُبْطَلَ فَعَلَ الْمُشْرِكِينَ.

وقيل: يَحْقُقُ وَعَدَهُ.

ومعنى ﴿يُحَقِّقُ﴾: يُثَبِّتَ وَيُظْهِرُ، وَكُرِّرَ لِأَنَّ الْأَوَّلَ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾؛ أي: أنتم تُريدونَ الْعَيْرَ وَاللَّهُ يُريدُ إِهْلَاكَ النَّفِيرِ، وَالثَّانِي مُتَّصِلٌ بِالْكَلِّ.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ذَلِكَ.

الحسنُ في جماعَةٍ: هَاتَانِ الْآيَاتَانِ مُتَقَدِّمَتَانِ فِي النُّزُولِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾، وَفِي الْقِرَاءَةِ بَعْدَهُمَا<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(٩) - ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾  
﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الاستغاثة: طَلَبُ الْمَعُوْثَةِ<sup>(٢)</sup>، وَهِيَ سُدُّ الْخَلَّةِ فِي وَقْتِ شِدَّةِ الْحَاجَةِ.

وقيل: الاستغاثة: طَلَبُ الْغَوْثِ، وَهُوَ التَّخْلِيصُ مِنَ الْمَكْرُوهِ.

وقيل: ﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾: تَسْتَجِيرُونَ، مِنْ لَغَوْثٍ؛ وَاعْوَاثًا.

وَالْمُسْتَعِيثُ: الْمَسْلُوبُ الْقُدْرَةَ، وَالْمُسْتَعِينُ: الضَّعِيفُ الْقُدْرَةَ، وَالْمُسْتَجِيرُ: طَالِبُ الْخِلَاصِ، وَالْمُسْتَنْصِرُ: طَالِبُ الظَّفْرِ.

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾: أَجَابَ.

وقيل: الاستجابة: مَا تَقَدَّمَهَا امْتِنَاعٌ، وَالْإِجَابَةُ: لَمْ يَتَقَدَّمْهَا امْتِنَاعٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٩٧) عن الحسن.

(٢) في (و): «المعونة».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٥)، واستغربه.

﴿أَيُّ مُمِدِّكُمْ﴾: مُعِينِكُمْ ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: مُتَابِعِينَ.

وقيل: مع كلِّ مَلِكٍ مَلِكٌ، فيكونُ أَلْفَيْنِ.

وقيل: ﴿مُرْدِفِينَ﴾: جاؤوا على آثارِهِمْ، قال:

إذا الجوزاءُ أَرَدَفَتِ الثُّرَيَّا ظنَّتُ بِأَلِ فاطمةَ الظُّنونا<sup>(١)</sup>  
والجوزاءُ: تَطَلَّعُ على إِثْرِ الثُّرَيَّا.

ومَن قرأ بالفتح<sup>(٢)</sup>؛ أي: أَرَدَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، أو أَرَدَفَهُمُ المسلمون. تقول: رَدِفْتُهُ: إذا رَكِبْتَ خَلْفَهُ، وَأَرَدَفْتُهُ<sup>(٣)</sup>: أَرَكِبْتَهُ خَلْفَكَ.

الحسنُ: أُمِدُّوا بِخَمْسَةِ أَلْفٍ؛ هذا أَلْفٌ، وثلاثةٌ في آلِ عمرانَ، ثمَّ

(١) البيت لخزيمة بن نهد كما في «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٣٤٥)، و«تهذيب اللغة» (٧١ / ٩) مادة (ق ظ ر)، و«الصحاح» (مادة: ر د ف)، وورد فيه اسم الشاعر: خزيمة بن مالك بن نهد، وفي بعض المصادر: خزيمة بالحاء.

يقول: إذا أَرَدَفَتِ الجوزاءُ الثُّرَيَّا؛ أي: إذا طَلَعَتِ الجوزاءُ إِثْرَ الثُّرَيَّا عند الفجر ثم لم يَرُدُّفُها نجم آخرُ لغلبة نورِ الشمسِ على النجوم، فلذلك خصَّ الجوزاءُ بالإردافِ دون غيرها، فإذا كان في ذلك الوقت رجع أهل البوادي إلى مياههم لانقطاع الحر وحاجتهم إلى المياه، قال: فعند ذلك أظنُّ بألِ فاطمة الظنون؛ لأني لا أدري أين ينزلون: معنا أم مع غيرنا؟ وقال قوم أراد بقوله: «إذا الجوزاءُ أَرَدَفَتِ الثُّرَيَّا»: جعلتها خلفها، وهذا لا يكون لأن الجوزاء لا تتقدم الثُّرَيَّا، فهذا كقولهم: حتى يشيب الغراب، و: حتى يبيضَ القارُّ، يقول: أنا لا أظنُّ الشرَّ بألِ فاطمة أبداً. ذكر هذا المعنى الآخر محمد بن يزيد. انظر: «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» (ص: ٤٧٤).

(٢) هي قراءة نافع، وقرأ باقي السبعة بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» (ص: ١١٦).

(٣) في (و): «ورادفته».

أَرَدَفَهُمُ الْفَأَ، فَصَارُوا خَمْسَةَ آلَافٍ<sup>(١)</sup>. وقيل: صاروا<sup>(٢)</sup> ثمانية آلاف.

\*\*\*

(١٠) - ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾؛ أي: الإمداد. وقيل: الإرداف ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾: ما يؤذن بالمسرة ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ﴾: ولتسكن به ﴿قُلُوبُكُمْ﴾.

وحذف (لكم) في هذه السورة لتقدم قوله: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، وقدم ﴿بِهِ﴾ هاهنا لأنه القياس، وأخر في (آل عمران) كما أخر ﴿لَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.  
﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يُغلب ﴿حَكِيمٌ﴾: يضع الشيء موضعه.

\*\*\*

(١١) - ﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُدْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾.  
﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ﴾ اذكر إذ، وقيل: لتطمئن إذ.

﴿يغشيكم﴾: علاكم<sup>(٤)</sup>، و﴿يغشيكم﴾ الله ﴿النُّعَاسُ﴾ والنَّعَاسُ: النوم، تقول: نَعَسَ يَنْعَسُ - بِالضَّمِّ - فهو نَاعِسٌ ونَعَسَانٌ.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٢٢).

(٢) «صاروا»: ليست في (و).

(٣) في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. انظر: «درة التنزيل»

(١/ ٣٩٠) و«البرهان» للمصنف (ص: ٩٢ - ٩٣).

(٤) قوله: «يغشيكم علاكم» كذا في النسخ، ولعل المراد قراءة: ﴿يغشاكم﴾ بفتح الياء والتخفيف وضم سين ﴿النعاس﴾ مرفوعاً، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي =

﴿أَمَنَةً﴾: أَمْنَا ﴿مِنَهُ﴾: من عند الله.

لَمَّا وَعَدَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِالنَّصْرِ سَكَنُوا إِلَى وَعْدِ اللهِ فَنَامُوا؛ لِأَنَّ الْأَمْنَ يُنِيْمُ  
وَالْخَوْفَ يُسْهِرُ.

ابن مسعود رضي الله عنه: النَّوْمُ عِنْدَ الْقِتَالِ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ، وَالنَّوْمُ فِي الصَّلَاةِ مِنَ  
الشَّيْطَانِ<sup>(١)</sup>.

وجاء في الخبر: ناموا حتى احتلم أكثرهم فأصبحوا مجنين<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿مُطْرًا وَمَطَرًا جَوْدًا﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿لِيُظْهِرَكُمْ بِهِ﴾: بِالْمَاءِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْجَنَابَةِ، ﴿وَيُدْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾:  
كَيْدَهُ وَوَسْوَستَهُ، وَقِيلَ: عَذَابُهُ بِالْوَسْوَسةِ<sup>(٤)</sup>.

= بضم الياء وتشديد الشين من التغشبية، وقرأ نافع بضم الياء وتخفيف الشين من الإغشاء، انظر هذه  
القراءات في «السبعة» (ص: ٢٨٢)، و«التيسير» (ص: ١١٦)، و«جامع البيان في القراءات السبع»  
للداني (٣/ ١١٣٥)، و«النشر» (٢/ ٢٧٦)، وسقطت قراءة نافع من مطبوع «التيسير».

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٠٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٣٩٤)، ولفظ عبد الرزاق:  
«النعاس في الصلاة من الشيطان، والنعاس في القتال أمانة من الله تعالى».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤، ٦٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك، ورواه ابن أبي  
حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٦٥ - ١٦٦٦) عن قتادة. ولفظ الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما:  
«وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها، نزلوا على الماء يوم بدر،  
فغلبوا المؤمنين عليه، فأصاب المؤمنين الظمًا، فجعلوا يصلون مجنين محدثين، حتى تعاضم ذلك في  
صدور أصحاب رسول الله ﷺ. فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي، فشرب المسلمون وملؤوا  
الأسقية، وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة، فجعل الله في ذلك طهوراً، وثبت الأقدام. وذلك أنه  
كانت بينهم وبين القوم رملة، فبعث الله عليها المطر فضربها حتى اشتدت وثبتت عليها الأقدام».

(٣) في (و): «جواداً». والمثبت من (ن)، والجود: المطر البالغ.

(٤) «وقيل: عذابه بالوسوسة»: ليست في (و).

وقيل: ﴿رَجَزَ الشَّيْطَانِ﴾: الجنابة من الاحتلام؛ لأنه من الشيطان، وذلك أن المشركين غلبوا على الماء، فوسوس إليهم الشيطان وقال: كيف ترجون الظفر وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون مجننين محدثين، وترعون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله؟!

﴿وَليرِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين، والربط: الشد.

﴿ويُثِيتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ وكانوا على كثيب أعفر<sup>(١)</sup> تغيب فيه الأقدام، فلبده المطر.

وقيل: ﴿رَجَزَ الشَّيْطَانِ﴾: الكفر، ﴿وَليرِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ بالإيمان، ﴿ويُثِيتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾: ويقوي القلب، فيكون سبباً لثبات القدم.

\*\*\*

(١٢) - ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ

الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ بالنصرة ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالبشارة.

وكان الملك يمشي أمام الصف ويقول: أبشروا أبشروا، إنكم كثير، وعدوكم قليل، والله ناصركم<sup>(٢)</sup>.

وقيل: كانوا يخبرون النبي عليه السلام بالنصرة، وكان النبي عليه السلام يخبر المؤمنين بذلك.

﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: الخوف. والرعب: امتلاء القلب

(١) قوله: «كثيب أعفر»؛ أي: رمل أبيض تعلوه حمرة. انظر: «فتوح الغيب» للطبري (٤٢/٧).

(٢) ذكره الواحدي في «تفسيره» (١٠/٥٣)، والبغوي في «تفسيره» (٢/٢٧٤) عن مقاتل. وانظر:

«تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/١٠٤).

من الخوف، من قول العربِ رَعَبَ السَّيْلُ الوَادِيَّ: إذا ملأه ماء<sup>(١)</sup>.

﴿فَاضِرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ قيل: (فوق) صلة. وقيل: بمعنى: على<sup>(٢)</sup>.

وقيل: ما بدا من أعناقهم.

وقيل: جلدة الأعناق. وقيل: فاضرِبُوا الرُّؤُوسَ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ<sup>(٣)</sup>.

ويحتمل أن (فوق) مفعولٌ به لا ظرفٌ، تقول: «فوقك رأسك» بالرفع، و«فوقك قلنسوتك» بالنصب<sup>(٤)</sup>.

﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾؛ أي: اضربوا الرؤوس؛ فإنها المقتل، واقطعوا

الأنامل؛ لأنها مواضع استعمال السلاح.

والبنان: الأصابع، واحدها: بنانة، من ابن بالمكان: إذا أقام.

وقيل: ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾: كل طرفٍ ومفصل.

وقيل: حيث استقبلتم من أعضائهم، وحيث استقبلكم منها.

\*\*\*

(١٣) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: الضربُ والقتلُ ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: بسبب أنهم

خالفوا الله ورسوله.

(١) «ماء» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٦)، واستغربه.

(٣) ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٦)، واستغريهما. وزاد: «فحذف المفعول وبقي صفتها، وهي الظرف».

(٤) انظر: «تعليق الفرائد» للدماميني (٣/ ١٢٥).

وَالشَّقَاقُ: الخِلاَفُ، وَأَصْلُهُ مِنْ مُفَارَقَةِ الشَّيْءِ الشَّيْءَ، وَحَقِيقَتُهُ: أَنْ تَكُونَ فِي شَقٍّ وَغَيْرِكَ فِي شَقٍّ، وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ هَذَا الْبَابِ.  
 ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَكَابَتْ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ وَالنَّكَالِ.

\*\*\*

(١٤) - ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾.  
 ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾؛ أَي: الْأَمْرُ ذَلِكُمْ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا عُجِّلَ لَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصَبًا نَحْو: زَيْدًا فَاضْرِبْهُ.  
 ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ عَطْفٌ عَلَى (ذَلِكَ) (١).

\*\*\*

(١٥) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ﴾.  
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:  
 عَطَاءٌ فِي جَمَاعَةٍ: مَنْسُوخَةٌ، نَسَخْتَهَا آيَةٌ تَحْرِيطُ (٢) الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ (٣).  
 الْحَسَنُ فِي جَمَاعَةٍ: مَخْصُوصَةٌ بِأَهْلِ بَدْرٍ (٤).

(١) يعني على (ذلك) التي في ﴿ذَلِكُمْ﴾ في وجهيه النصب والرفع. انظر: «الكشاف» (٢/ ٢٠٥).

(٢) في (و): «حرص».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ٨٠)، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٥٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٣ / ٤٥). وعندهم أن النسخ بقوله: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ قال: فليس لقوم أن يفروا من مثلهم. فنسخت تلك الآية هذه العدة.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١ / ٧٩)، والنحاس في

«الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦٠).

ابن عباسٍ في جماعةٍ مُحَكَّمَةٌ، والفرارُ من الزَّحْفِ من الكبائرِ<sup>(١)</sup>.  
 الزَّحْفُ: الجيشُ يزحفُ لقتالِ جيشٍ آخرَ، والزَّحْفُ: السيرُ الثقيلُ، وهكذا سيرُ  
 العساكرِ.

وقيل: الزَّحْفُ: الدُّنُوُّ قليلاً قليلاً.

وقيل: هو من زَحَفَ الصَّبِيُّ: إذا جرَّ أسفله على الأرضِ.

﴿فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَذْبَارَ﴾: لا تنهزموا، ولا تجعلوا أذباركم ممَّا يلي أعداءكم،  
 وخصَّ الدُّبُرَ بالذكرِ دونَ الظَّهْرِ تقييحاً للفرارِ.

\*\*\*

(١٦) - ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مَتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ  
 بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ﴾ مُسْتَطَرِدًا<sup>(٢)</sup>، أو تولَّى مكيدةً ومكرًا،  
 أو رأى غيرَ موضِعِهِ أصلحَ له. والتَّحَرَّفُ: المصيرُ إلى الحَرْفِ، وهو الحدُّ.

﴿أَوْ مَتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾: أو مُنْضَمًّا إلى جماعةٍ غيرِهِم بالقربِ منهم، مُشْتَقٌّ من  
 حُرِّتُ الشَّيْءُ: جمعتُهُ، وأصلُّه: مُتَحَيِّوْرٌ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ٨١) ورجحه، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦١).

(٢) في (ن): «متطردًا». والمثبت من (و) وهو الموافق لما في المصادر، ففي «تفسير مقاتل» (٢ / ١٠٥):

مُسْتَطَرِدًا يريد الكرة للقتال. وقال الطبري في «تفسيره» (١١ / ٧٥): إلا مستطردًا لقتال عدوه، يطلب  
 عورةً له يمكنه إصابتها فيكره عليه. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٦٧٠) عن سعيد بن  
 جبير: مُسْتَطَرِدًا يريد الكرة على المشركين. وقال الواحدي في «البيسط» (١٠ / ٦٣): أي: منعطفًا

مستطردًا، كأنه يطلب عورة تمكنه إصابتها، فينحرف عن وجهه، ويُرى أنه منهزم ثم يكر.

﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: استحقَّ ورجع واحتمل، وقد سبق.  
﴿وَمَا أُوْنَهُ جَهَنَّمُ﴾: مرَّجعه إلى النَّارِ ﴿وَبَلَسَ الْمَصِيرُ﴾.

\*\*\*

(١٧) - ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ  
وَلِيَسْبِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.  
﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ في  
سبب نزوله ثلاثة أقوال:

أحدها: أن النبي عليه السلام أخذ قبضةً من حصباء الوادي يوم بدرٍ، فرماهم  
بها وقال: «شاهت الوجوه»، فلم تبق عينٌ مُشركٍ إلا دخلها منها شيء<sup>(١)</sup>.

وقال حكيم بن حزام: لما كان يوم بدرٍ سمعنا صوتًا وقع من السماء إلى  
الأرض كأنه صوتُ حصاةٍ وقعت في طستٍ، ورمى رسولُ الله عليه السلام بتلك  
الحصياتِ فانهمزنا<sup>(٢)</sup>.

وعن سعيد بن المسيب: أن النبي عليه السلام طعنَ أبي بن خلفٍ يوم أحدٍ  
بحرْبته، فسقطَ أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دمٌ، فجعلَ يخورُ خوارَ الثورِ، فقبل  
له: ما أعجزك، إنما هو خدشٌ؟! [فذكر لهم قولَ رسولِ الله ﷺ: «بل أنا أقتلُ أبيًا»]  
فقال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهلِ ذي المجازِ لماثوا أجمعون<sup>(٣)</sup>،

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١١ / ٨٤-٨٦) عن ابن عباسٍ وقتادة وابن زيد والسدي.

ومن قوله: «شاهت الوجوه» إلى آخره رواه مسلم (١٧٧٧) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، لكن  
في قصة غزوة حنين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٦٧٢).

(٣) في (ن): «جميعًا».

فمات أبي، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾<sup>(١)</sup>.

وقيل: نزل يوم حنين، رمى رسول الله عليه السلام نحو الحصن بسهم، فأقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن أبي الحقيق وهو على فراشه، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

وجمهورُ المُفسِّرينَ على القولِ الأوَّلِ؛ أي: فلم تقتلوهم فتستحقوا الأنفال، ولكنَّ الله قتلهم؛ أي: تولى نصركم وإمدادكم بالملائكة.  
وقيل: ساقهم إليكم ومكنكم منهم.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٢٦٣)، وصححه، وما بين معكوفتين منه.

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٧٣ / ٥) بلفظ: «لما كان يوم أحد أخذ أبي بن خلف يركض فرسه حتى دنا من رسول الله ﷺ واعترض رجال من المسلمين لأبي بن خلف ليقتلوه فقال لهم فقال رسول الله ﷺ: «استأخروا»، فاستأخروا، فأخذ رسول الله ﷺ حربته في يده فرمى أبي بن خلف وكسر ضلعاً من أضلاعه، فرجع أبي بن خلف إلى أصحابه ثقيلاً فاحتملوه حتى ولوا قافلين، فطفقوا يقولون: لا بأس، فقال أبي حين قالوا ذلك له: والله لو كانت بالناس لتقتلهم، ألم يقل: إني أقتلك إن شاء الله تعالى؟ فانطلق به أصحابه يتغشونه حتى مات ببعض الطريق، فدفنوه. قال ابن المسيب: وفي ذلك أنزل عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ الآية.

وروى الطبري في «تفسيره» (٨٧ / ١١) نحوه عن الزهري.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٤ / ٢٨): «وهذا القول عن هذين الإمامين غريب جداً، ولعلهما أرادا أن الآية تتناول به عموماً، لا أنها نزلت فيه خاصة».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٧٣ / ٥) عن عبد الرحمن بن جبير، وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٤ / ٢٧) إلى الطبري، وقال ابن كثير: «وهذا غريب، وإسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفيير، ولعله اشتبه عليه أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله، وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم، والله أعلم».

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾؛ أي: ﴿مَا رَمَيْتَ﴾ في أعينهم كلهم؛ لأن ذلك ليس في طَوْقِ البَشْرِ ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ من يدك<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ فلا اعتداد لرميك.

وقيل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ قلوبَ المُشْرِكِينَ ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ وجوههم بالحصباء، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ رَمَى الإِصَابَةَ.

وقيل: ﴿مَا رَمَيْتَ﴾: ما ظفرت، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾: أظفرك، من قولِ العربِ: رَمَى اللهُ لك؛ أي: نصرَكَ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾: لِيُسَدِّيَ إِلَيْهِمْ وَيَنْصُرَهُمْ وَيُنْعِمَ عَلَيْهِمْ، تقولُ: أبلأه اللهُ: إذا أنعمَ عليه، وبلاه: امتحنه.

والبلاءُ يُستعملُ للخيرِ والشرِّ، فقيده بقوله: ﴿حَسَنًا﴾. وتقديره: وليبلي المؤمنين فعل ما فعل، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

\*\*\*

(١٨) - ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ذَلِكُمْ﴾؛ أي: فعلُ اللهُ ذلك الذي شاهدتموه.

ويجوزُ أن يكونَ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: الأمرُ ذلكم.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾: مُضْعِفُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ بِإِبْطَالِ حِيلِهِمْ، وإلقاءِ

الرُّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَتَفْرِيقِ كَلِمَتِهِمْ، وَنَقْضِ مَا أْبْرَمُوا.

\*\*\*

(١) في (و): (ريك).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٦)، واستغربه.

(١٩) - ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوْا نَعُدُّوْا نَعْفَى عَنْكُمْ فَمَتَّكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾: إن تستنصروا فقد جاءكم نصر الله.  
وقيل: إن تستقضوا فقد جاءكم قضاء الله.

الخطابُ للكفارِ حيثُ قالوا: اللَّهُمَّ افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ<sup>(١)</sup>.

وقال أبو جهلٍ يومِ بدرٍ: انصُرْ أعلَى الجندِينِ، وأهدَى الفتيّينِ، وأكرمَ الحزبيّينِ،  
وأفضّلَ الديّنينِ<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩٠ / ١١) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩٢ / ١١) عن السدي: أن المشركين أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله وقالوا: «اللهم انصر أعز الجندين، وأكرم الفتيين، وخير القبيلتين» فقال الله: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، يقول: نصرت ما قلتم، وهو محمد ﷺ..

وروى الواقدي في «المغازي» (٧٠ / ١)، وابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٦٢٨ / ١)، ومن طريقه ابن أبي شيبه في «المصنف» (٣٦٦٧٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٦٣١)، والطبري في «تفسيره» (٩٤ / ١١)، ومن غير طريقه رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١١٣٧)، والطبري (٩٢ / ١١) نفسه، والحاكم في «المستدرک» (٣٢٦٤)، وصححه، جميعهم عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير حليف بني زهرة قال: «كان المستفتح يوم بدر أبا جهل، قال: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأجحه الغداة»، فأنزل الله: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾.

ورواه الإمام أحمد في «المستد» (٢٣٦٦١)، ولم يذكر الآية.

وروى الطبري أيضًا عن يزيد بن رومان وغيره: «قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أحب الدينين إليك، ديننا العتيق، أم دينهم الحديث» فأنزل الله: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وروى الطبري في «تفسيره» (٩٣ / ١١) عن الزهري نحو هذا.

﴿وَأِنْ تَنْهَوُا﴾ عن الكفرِ والقتالِ ﴿فَهُوَ﴾؛ أي: الانتهاءُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ للقتالِ ﴿نَعُدُّ﴾ للقتلِ والهزيمةِ ﴿وَلَنْ نُغْنِيَ﴾: تدفعَ ﴿عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ﴾: جمعُكم ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ الفتنَةُ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقيل: الخطابُ للمؤمنين، ومعنى الآية: ﴿إِنْ تَسْتَفْرِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ يومَ بدرٍ، ﴿وَأِنْ تَنْهَوُا﴾ عن أمرِ الأنفالِ وفداءِ الأسرى ببدري، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ إلى معصيةِ الله ﴿نَعُدُّ﴾ إلى الإنكارِ، ﴿وَلَنْ نُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ لكثرةِ أعدادِكُمْ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. والأوَّلُ أظهرُ.

وقيل: ﴿وَأِنْ تَعُودُوا﴾ للاستفتاحِ ﴿نَعُدُّ﴾ لنصرِ محمَّدٍ والمؤمنين.

\*\*\*

(٢٠) - ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما يدعوكم إلى الجهادِ.

وقيل: هو قبولُ الأمرِ والنهي، وخصَّ المؤمنين بالذكرِ رفعاَ لأقدارِهِم، وإن كان غيرُ المؤمنين داخلًا معهم.

﴿وَلَا تَوَلَّوْا﴾: لا تُعْرِضُوا ﴿عَنَّهُ﴾ ولا تُخالفوه، ووحدَ الكنايةَ لأنه يعودُ إلى الله.

وقيل: إلى رسوله؛ لأنه المُنْبِئُ عن الله.

وقيل: إلى الله ورسوله، ووحدَ لأنَّ أمرَ كلِّ واحدٍ أمرُ الآخرِ.

وقيل: يعودُ إلى الجهادِ والأمرِ الذي أُمرُوا به.

ويحتملُ أنه لمَّا لم يجزِ إطلاقُ لفظِ التَّشْبِيهِ على الله سبحانه وتعالى وحده لم يجزِ إجراءُ لفظِ التَّشْبِيهِ عليه مع غيره، بخلافِ لفظِ الجمعِ؛ فإنه لمَّا جازَ إطلاقُ لفظِ الجمعِ عليه وحده تعظيمًا، جازَ إجراءُ لفظِ الجمعِ عليه مع غيره.

ولهذا<sup>(١)</sup> نظائرُ في القرآن، منها قوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأَنْفَال: ٢٤]، ومنها: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

وجاءَ النَّكِيرُ عن النَّبِيِّ عليه السَّلَامُ على مَنْ ذَكَرَهُ مع غَيْرِهِ بلفظِ الشَّيْثِيَّةِ، وهو أَنَّ رَجُلًا قامَ بينَ يَدَيْهِ فقال: مَنْ أطاعَ اللهَ ورسولَهُ فقد رَشِدَ، وَمَنْ عصاهُما فقد غَوَى، فقال: «بَسَّ خَطِيبُ القومِ أنتَ، هَلَّا قُلْتَ: وَمَنْ عَصَى اللهَ ورسولَهُ»<sup>(٢)</sup>، واللهُ أعلمُ. ﴿وَأَنْتَ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن. وقيل: الأمر والنهي.

\*\*\*

(٢١) - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ قيل: هم المنافقون.

وقيل: هم أهل الكتاب.

وقيل: هم المشركون يسمعون بأذانهم فلا يتتبعون، فصاروا كمن لا يسمع.

وقيل: هم الذين قالوا: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأَنْفَال: ٣١].

وقيل: نزلت في النضر بن الحارث.

وقيل: في بني عبد الدار بن قصي، لم يُسلمِ منه إلا رجلان: مصعب بن عمير،

وابن حرملة<sup>(٣)</sup>.

(١) أي: لذكر ضمير الواحد بعد ذكر الله سبحانه ورسوله ﷺ.

(٢) رواه مسلم (٥٩٤ / ٢) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) روى البخاري (٤٦٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ أَبْكُمُ

الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قال: هم نفر من بني عبد الدار.

وقال الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢٠٩ - ٢١٠): وقيل: هم بنو عبد الدار بن قصي، لم يُسلمِ

منهم إلا رجلان: مصعب بن عمير وسويد بن حرملة، كانوا يقولون: نحن صمُّ بكم عمي عما جاء

به محمد لا نسمعه ولا نُجيبه، فقتلوا جميعاً بأحدٍ وكانوا أصحاب اللواء.

(٢٢) - ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ كُلُّ مَا دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ فَهُوَ دَابَّةٌ، وَلَا يُطَلَّقُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِلَّا ذَمًّا، وَعَلَى الذَّمِّ حُمَلَتِ الْآيَةُ؛ لِأَنَّهُمْ كَالْأَنْعَامِ حَيْثُ <sup>(١)</sup> لَمْ يَسْمَعُوا الْمَوْعِظَةَ وَلَمْ يَنْطِقُوا بِالْحَقِّ، وَلَمْ يَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ فَيَعْرِفُوا الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ.

\*\*\*

(٢٣) - ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: إِيمَانًا وَقَبُولَ مَوْعِظَةٍ. وَقِيلَ: سَعَادَةٌ سَبَقَتْ لَهُمْ. ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾: جَعَلَهُمْ يَتَنَفَّعُونَ بِالسَّمْعِ.

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾؛ أَي: كَلَامَ الْمَوْتَى بِصَحَّةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وقيل: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ جواب كل ما سألوا عنه، ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمانِ ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

وقيل: تولَّوا عن الجهادِ.

ويحتمل: ولو أسمعهم من غير أن يعلم فيهم خيرًا تولَّوا، والله أعلم.

\*\*\*

(٢٤) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا

أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَٰهٌ مُنْحَرِقٌ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ولم يقل:

دَعَاكُمْ؛ لِمَا سَبَقَ.

(١) في (و): «بحيث».

وقوله: ﴿لَمَّا يُحْيِكُمْ﴾؛ أي: للإيمان؛ فإنه الحياة، والكفر الموت.

وقيل: ﴿لَمَّا يُحْيِكُمْ﴾: الجهاد.

وقيل: الشهادة؛ فإن الشهداء أحياء.

وقيل: العلم؛ فإنه سبب الحياة الدائمة.

وقيل: لَمَّا يُبْقِيكُمْ، وهو قتل الأعداء وكسرهم حتى لا يجترئوا على الإقدام على مقاتلتكم.

وقيل: على ما ينالون من الغنيمه في الجهاد ويعيشون بها.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن أبا كان يصلي، فدعاه رسول الله عليه السلام فلم يجبه حتى فرغ من صلاته، ثم جاءه وسلم عليه فقال عليه السلام: «لِمَ لَمْ تُجِبْنِي إِذْ دَعَوْتُكَ؟ أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾؟» فقال: لم أعلم، ولا أعود بعده إلى مثله<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾؛ أي: إنه في القرب بهذه الصفة،

كقوله: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢٨٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٤١). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وروى نحوه البخاري (٤٤٧٤) عن أبي سعيد بن المعلى ولفظه: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِكُمْ﴾»، ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٣٨)، وعده من العجائب، ولفظه هناك: «العجيب: يحول بين المرء وقلبه، فيكون أقرب إليه من حبل الوريد».

وقيل: بين المؤمن والكافر، وبين الكافر والإيمان.  
 وقيل: يسلبه عقله، فلا يقدر على كفرٍ ولا إيمانٍ<sup>(١)</sup>.  
 وقيل: يحولُ بينه وبين ما يتمناه من طول الحياة.  
 وقيل: يحولُ بين المرء وقلبه بالموت، فتفوته التوبةُ.  
 وقيل: يُقلِّبُ قلبه من حالٍ إلى حالٍ.  
 ﴿وَأَنَّهُ إِلَىٰ إِلَهِ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿فِيُجَازِيكُمْ وَفَقَ أَعْمَالِكُمْ﴾

\*\*\*

(٢٥) - ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ﴾.

﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ الفتنَةُ: البليَّةُ والامتحانُ  
 والاختبارُ الذي يظهرُ به باطنُ أمرِ النَّاسِ، فيستحقُّ عليه الجزاءُ.  
 والمرادُ بها هاهنا عند المفسِّرين: إقرارُ المُنكِرِ؛ أي: لا تُقرُّوا المُنكِرَ بين  
 أظهركم فيعمِّكم بالعذابِ.

وقيل: اتَّقُوا أَنْ يُتَيْلَى<sup>(٢)</sup> الظَّالِمُونَ بِنِقْمَةٍ<sup>(٣)</sup> مِنَ اللَّهِ.

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: الفتنَةُ: الأموالُ والأولادُ، يُقوِّيه قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ  
 وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٣٨)، واستغربه.

(٢) في (و) زيادة: «من القرآن».

(٣) كذا في النسخ الخطية، ولعل الأنسب للسياق أن تكون: «بفتنة»، والله أعلم.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٦٨٥)، ولفظه: «ما  
 منكم من أحدٍ إلا وهو مشتمل على فتنة، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]،  
 فليستعد بالله من مضلات الفتن».

الحسنُ: هي التي بُلِيَ بها النَّاسُ يومَ الجملِ<sup>(١)</sup>.

وقيل: ظُهورُ البِدَعِ.

﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ أي: الفتنة، وقيل: عقوبةُ الفتنة؛ أي: يتعدى ضررها إلى غير الظَّالِمين، فيكونُ للظَّالِمين جزاءٌ على ذنوبهم، ويكونُ للصَّالحين امتحانًا يُثابون عليه.

وقيل<sup>(٢)</sup>: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ نهْيٌ، والصَّمِيرُ فيه للفتنة، من بابِ قولهم: لا أَرَيْتَكَ هاهنا؛ أي: لا تفعلوا ما تفتنوا به.

وقيل: قَسَمٌ. حكاه عليُّ بنُ عيسى<sup>(٣)</sup>.

ولا يصحُّ أن يكونَ جوابًا للأمر، ولا جزاءً لشرطٍ مُقدَّرٍ، كما ذهبَ إليه بعضهم، وقاسوه على قوله: ﴿ادْخُلُوا مَسَاجِدَكُمْ لَا يُحِطَمَنَّكُمْ﴾ [النمل: ١٨]<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١٣ / ١١) عن الحسن بلفظ: «نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم»، ورواه الطبري في تفسيره «(١١ / ١١٥) عن السدي بلفظ: «هذه نزلت في أهل بدر خاصة، وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا».

(٢) في (و): «وقوله».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٣٨)، واستغربه، وفيه: «قسم؛ أي: والله لا تصيبن الذين ظلموا».

(٤) وسياقه في «غرائب التفسير» (١ / ٤٣٨) أوضح من هنا وأتم، ولفظه: «ذهب الفراء إلى أنه نهى فيه جواب الأمر، وذهب جماعة إلى أنه نهى فيه جزاء الشرط، وكلا القولين فاسد من حيث المعنى، والاحتجاج بقوله: ﴿ادْخُلُوا مَسَاجِدَكُمْ لَا يُحِطَمَنَّكُمْ سَلِيمَنَّكُمْ﴾ لا يصح؛ لأن تقدير هذه الآية: إن تدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان، وهذا مستقيم، ولو قلت في الأول: إن تتقوها لا تُصِيبَنَّ الذين ظلموا منكم خاصة، لا يستقيم في المعنى». وانظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٤٠٧).

وهذا الذي أجازَه الفراء من كون الجملة جواباً للأمر منعه أبو حيان كالمؤلف، وأجازَه الزمخشري =

المعنى<sup>(١)</sup>، ولا يصحُّ أن يكونَ وصفاً؛ للنُّونِ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ إذا عاقب.

\*\*\*

(٢٦) - ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ

فَتَأْوِيَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُنصِرُهُمْ وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بقلّةِ العددِ والعدّةِ، قيل:

الخطابُ لمن كانوا بمكّة من المسلمين والضعفاء، وهم المهاجرون. وقيل: لأهل بدر. وقيل: للعربِ عامّةً.

﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ﴾: كفارُ قريشٍ. وقيل: فارسُ والرُّومُ.

والخطفُ والتَّخَطُّفُ: الأخذُ بسرعةٍ.

﴿فَتَأْوِيَكُمْ﴾ إلى المدينة. وقيل: حفظكم ونصركم وجعل لكم مأوى

= أيضاً، لكنه قدر الجملة هكذا: إن أصابتكم لا تُصِبِ الظالمين منكم خاصةً ولكنها تعمكم. فتعقبه أبو حيان أيضاً. انظر: «الكشاف» (٢/ ٢١١)، و«البحر» (٥/ ٣٠٤ - ٣٠٥)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٨٩ - ٥٩٤). وانظر التعليق الآتي.

(١) أي: لا يصح أن تكون جملة ﴿نُصِيبَنَّ﴾ جواباً للأمر، أو الشرط مقدر؛ لفساد المعنى، فالمعنى في آية النحل: إن تدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان، وهو مستقيم، أما المعنى في الآية فيصبح: إن تتقوا الفتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة، وهذا المعنى غير مستقيم: لأنه يرد عليه معنى مشكل، وهو إن تتقوا الفتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة، بل تعم الجميع، وهذا ظاهر الفساد والله أعلم.

(٢) أي: لا يجوز أن تكون جملة ﴿نُصِيبَنَّ﴾ صفة لـ ﴿فِتْنَةً﴾؛ لأن نون التوكيد لا تدخل على المنفي

في غير القسم، انظر: ((التيبان)) للعكبري (٢/ ١٢٦).

تتخصّصون به وتسكنون فيه، ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾: وقوَّأكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾ على الكفَّار.  
﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الحلال الذي ساق إليكم. وقيل: الغنائم؛ أحلها لكم  
دون غيركم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكروا نعمتي.

\*\*\*

(٢٧)- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا ءَامَنَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.  
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ في سبب النزول: أنّها نزلت في  
أبي لُبَابَةَ بن عبد المُنْذِرِ الأنصاري، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه حاصر يهودَ  
قُرَيْظَةَ إحدى وعشرين ليلةً، فسألوا رسول الله عليه السَّلامُ الصُّلْحَ على ما صالح  
عليه إخوانهم من بني النُّضِيرِ على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعَاتٍ وأريحا من  
أرضِ الشَّامِ، فأبى أن يُعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكمِ سعدِ بنِ مُعَاذٍ، فأبوا،  
وقالوا: أرسل إلينا أبا لُبَابَةَ، وكان مُناصِحًا لهم؛ لأنَّ عياله وولده وماله كانت عندهم،  
فبعثه رسولُ الله عليه السَّلامُ، فأتاهم فقالوا: يا أبا لُبَابَةَ، ما ترى؟ أنزل على حكمِ  
سعدٍ؟ فأشار أبو لُبَابَةَ إلى حلِقِهِ؛ أي: إنَّه الذَّبْحُ فلا تفعلوا، قال أبو لُبَابَةَ: والله ما  
زالت قدماي حتى علمتُ أنّي قد خُنْتُ اللهَ ورسولَه، فنزلت فيه هذه الآية، فلمَّا نزلت  
شدَّ نفسه على سارية من سواري المسجدِ وقال: والله ما أذوقُ طعامًا ولا شرابًا حتى  
أموتَ أو يتوبَ الله عليّ، فمكثَ سبعةَ أيَّامٍ لا يذوقُ فيها طعامًا حتى خرَّ مغشيًا عليه،  
ثمَّ تابَ اللهُ عليه، فقيل: يا أبا لُبَابَةَ، قد تيبَّ عليك، فقال: لا والله، لا أحلُّ نفسي حتى  
يكونَ رسولُ الله هو الذي يحلُّني، فجاءه فحلَّه بيده، ثمَّ قال أبو لُبَابَةَ: إنَّ من تمامِ  
توبتي أن أهجرَ دارَ قومي التي أصبْتُ فيها الذَّنْبَ، وأن أنخلعَ من مالي، فقال عليه  
السَّلامُ: «يجزيك الثُّلثُ أن تتصدَّقَ به»<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره بهذا السياق الثعلبي في «تفسيره» (١٣ / ٧٢) عن الزهري والكلبي، وخبر الزهري رواه الطبري =

وعن عطاء بن أبي رباح قال: نزلت حين هم رسول الله عليه السلام بالذهاب إلى أبي سفيان، فكتب إليه رجل من المنافقين: إن محمداً يريدكم فخذوا حذرکم<sup>(١)</sup>.  
السُّدِّيُّ: كانوا يسمعون الشيء من النبي عليه السلام فيفشونه حتى يبلغ المشركين<sup>(٢)</sup>.

المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، حكاها الثعلبي<sup>(٣)</sup>.

= في «تفسيره» (١١ / ١٢١)، وخبر الكلبي رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٤٨ / ٤).  
وذكره مطولاً ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢ / ٢٣٦ - ٢٣٨)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤ / ١٥) من طريق ابن إسحاق عن أبيه عن معبد بن كعب بن مالك، ثم قال: هكذا قال ابن إسحاق بإسناده، وزعم سعيد بن المسيب أن ارتباطه بسارية التوبة كان بعد تحلّفه عن غزوة تبوك، حين أعرض عنه رسول الله ﷺ، وهو عليه عاتب بما فعل يوم قريظة، ثم تحلّف عن غزوة تبوك فيمن تحلّف، والله أعلم. وفي رواية علي بن أبي طلحة، وعطية بن سعد، عن ابن عباس في ارتباطه حين تحلّف عن غزوة تبوك ما يؤكّد قول ابن المسيب. اهـ. وروايتا علي بن أبي طلحة وعطية عن ابن عباس رواهما الطبري في «تفسيره» (١١ / ٦٥١ - ٦٥٢). وأبو لبابة مختلف في اسمه، فقيل: مروان، كما ذكر المؤلف، وقيل: بشير، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في «الإصابة» في الكنى و«الاستيعاب» (٤ / ١٧٤٠). وانظر ما سيأتي في قصة تبوك والمخلفين في سورة التوبة.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٢١) عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. قال ابن كثير في «تفسيره» (٤ / ٣٦): «هذا حديث غريب جداً، وفي سنده وسياقه نظر. وفي «الصحيحين» قصة حاطب بن أبي بلتعة أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله ﷺ إياهم عام الفتح، فأطلع الله رسوله على ذلك، فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه واستحضر حاطباً فأقر بما صنع...». والحديث رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٢٣).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣ / ٧٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٢٢). وهذا الخبر - إن =

والمعنى: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فتضميروا له خلاف ما تُظهِرون.

وقيل: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ بترك فرائضه، ﴿وَالرَّسُولَ﴾ بترك سنته.

﴿وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ﴾ قيل: هي الغنائم، وهو الغلول.

وقيل: لا تخونوا أماناتكم فيما بينكم ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقيل: لا تخونوا الله والرَّسُولَ، فتكونوا قد خُتِمَ أماناتكم.

وقيل: أماناتكم: فرائض الله ودينه.

ابن عيسى: الخيانة: منع الحق الذي ضُمنَ فيه التَّأْدِيَةُ.

وقيل: الخيانة: انتقاص الحق في خُفْيَةٍ، وأصلها: النُّقْصَانُ، يُقَالُ: خَانَهُ وَخَتَانَهُ

وَتَخَوَّنَهُ: إِذَا انْتَقَصَهُ.

وقيل: أصله: القَطْعُ.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حال؛ أي: عن تعمُّدٍ وقصدٍ.

وقيل: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الخيانة من الإثم.

ويجوزُ في ﴿وَتَخُونُوا﴾ النَّصْبُ وَالْجَزْمُ<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

= صح - فليس مراد المغيرة نزولها بهذا السبب، وإنما المراد كما قال ابن عطية في «المحرر الوجيز»

(٢/٥١٧): أنه يُعْتَمَلُ بِالْأَيَةِ فِي قَتْلِ عَثْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَدْ كَانَتْ خِيَانَةَ اللَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَالْأَمَانَاتِ.

(١) النَّصْبُ عَلَى اعْتِبَارِ الْوَاوِ وَوَالْمَعْيَةِ، وَالْجَزْمُ عَلَى اعْتِبَارِهَا عَاطِفَةً. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس

(٢٨) - ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَلُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.  
 ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَلُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: ابتلاءٌ وامتحانٌ، فلا يحملنكم حُبُّها  
 على الخيانةِ مثلَ أبي لُبابةِ.  
 وقيل: بأن تأخذوا المالَ من غيرِ حِلِّه، أو تقعدوا عن جهادِ وطاعةِ لمكانيهما،  
 بل قوموا بالحقِّ فيهما يصيرا نعمةً خالصةً.  
 ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لِمَن آتَرَ رِضا الله فيهما.

\*\*\*

(٢٩) - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنفُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ  
 وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.  
 ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنفُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾: حُجَّةٌ وَسُلْطَانًا؛ بإعزازِ  
 دينِ الله وأهله، وخُذْلانِ الشُّركِ وحزبهِ.  
 وقيل: مخرجًا ممَّا تحذرون. وقيل: نِجاةً. وقيل: فصلًا تُفَرِّقون به بينَ الحقِّ والباطلِ.  
 ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: يسترُّها بالعفوِ عنها ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ ذُنُوبِكُمْ بِفَضْلِهِ،  
 ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ على عبادِهِ، والتكرارُ للتأكيدِ؛ لاختلافِ اللَّفْظَيْنِ.  
 وقيل: السَّيِّئَاتُ: الصَّغَائِرُ، وَالذُّنُوبُ: الكِبَائِرُ.  
 ويحتملُ أَنَّ السَّيِّئَاتِ: التي مَضَتْ، وَالذُّنُوبُ: التي تقعُ؛ لِأَنَّهَا فِي أَهْلِ بَدْرِ،  
 وَاللَّهُ قَدْ غَفَرَهَا لَهُمْ<sup>(١)</sup>.

(١) ولا تكرر على هذا الاحتمال الذي أورده المصنف، ولا على القول الذي قبله. ويرى علماء البلاغة أن التكرار يجوز لتأكيد المعنى، ويحسن إن كان باختلاف اللفظين؛ لأن هذا الاختلاف يجيز إضافة الشيء إلى نفسه. انظر: «تفسير الماتريدي» (٣/٤٣٠)، و«الصحاح» مادة: (ج م ع) (٣/١١٩٩).

(٣٠) - ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنُوكَ أَوْ يُقَتِّلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ

اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾ .

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في سبب النزول: أن رؤساء قريش اجتمعوا في دار الندوة ليتشاوروا في أمر محمد عليه السلام، وأغلقتوا الباب كي لا يدخل عليهم أحد من بني هاشم، فدخل إبليس في صورة شيخ عليه ثياب أطمار<sup>(١)</sup>، وجلس معهم فقالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد، سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا مني رأيا ونصحًا، فقالوا: هذا رجل من نجد، لا بأس عليكم منه.

فتكلموا فيما بينهم، فقال بعضهم: الرأي أن تأخذوه وتجعلوه في بيت، وتسدوا بابه، وتدعوا له كوة لطعامه وشرابه حتى يموت، فقال الشيخ النجدي: بئس الرأي رأيتموه، تعدون إلى رجل له فيكم أصره وأهل بيت، وقد سمع به من حولكم فتحبسونه، يوشك أهل بيته أن يقتالوكم ويفسدوا جماعتكم، قالوا: صدق والله الشيخ. وقال بعضهم: الرأي أن تحملوه على بعير، ثم تخرجه من أرضكم حتى يموت أو يذهب حيث يشاء، فقال إبليس: بئس الرأي رأيتموه، تعدون إلى رجل قد أفسد جماعتكم ومعه منكم طائفة، تخرجه إلى غيركم، فيأتيهم فيفسد منهم أيضًا جماعة، فيقبل عليكم فيكون فيه هلاككم، قالوا: صدق والله الشيخ.

فقال أبو جهل: الرأي أن يجتمع عليه فتیان من قريش، فيضربوه ضربة رجل واحد، فلا يقدر بنو هاشم أن يطلبوا ثأره<sup>(٢)</sup> من جميع قريش، فيرضوا بالعقل، فقال الشيخ: صدق والله الشاب. ففرقوا على ذلك.

(١) أي: ثياب بالية خلقة. انظر: «المخصص» لابن سيده (١/٣٩٨).

(٢) في (ن): «ثأرهم».

فَأَتَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ وَأَمَرَهُ بِالْهَجْرَةِ، فَبَيَّتَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَلَى مَضْجِعِهِ، فَنُخِرَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى الْغَارِ، وَنَزَلَ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية (١).

المكر: إيصال المكره في خفية.

﴿لَيْسَتْوَك﴾ في الوثاق، وقيل: في الحبس. المبرد: هو الإثخان بالجراحات، تقول: ضربته حتى أثبتته؛ أي: جرحه جراحةً متلفةً (٢).

﴿أَوْ يَقْتُلُوك﴾ بسيوْفهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوك﴾ من مكة.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾: ويردُّ مكرهم عليهم، فسَمَّى ردَّ المكر: مكرًا.

وقيل: معنى مكر الله: جازأهم على مكرهم، وقد سبق.

وقيل: مكره: أن أخرجهم إلى بدرٍ فقتلوا.

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾: المُجَازِينَ عَلَى الْمَكْرِ.

\*\*\*

(١) ذكره بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (٧٧/١٣) عن ابن عباس وغيره من المفسرين، ورواه ابن إسحاق - كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٤٨٠/١) وما بعدها - فقال: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي نجیح، عن مجاهد بن جبر وغيره ممن لا أتهم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٣٤/١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٨٨/٥)، من طريق ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجیح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، دون قوله: «فَبَيَّتَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَلَى مَضْجِعِهِ».

(٢) ذكر أبو حيان نحو هذا عطاء والسدي. انظر: «البحر المحيط» (٣٠٩/٥).

(٣١) - ﴿وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ في سبب النزول: أن قائل هذا الكلام النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ<sup>(١)</sup>.

وقيل: إنما قالها الذين اتَّخَمُوا في أمرِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: ما سَطَّرَهُ الْأَوَّلُونَ وكتبوه، باهتوا بهذا الكلام؛ فإنهم قد دُعُوا مرَّةً بعد أخرى إلى الإتيانِ بسورةٍ مثله فَعَجَزُوا.

\*\*\*

(٣٢) - ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوِ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ هذه الآية مُتَّصِلَةٌ بِالْأُولَى<sup>(٢)</sup>، وهي من كلام النَّضْرِ.

وَرُوِيَ أَنَّ النَّضْرَ لَمَّا قَالَ: إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَيْلَكَ، إِنَّ هَذَا كَلَامُ اللَّهِ وَتَنْزِيلُهُ»، فَرَفَعَ النَّضْرُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ...<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٤٢) عن ابن جريج والسدي وسعيد بن جبير، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٦٨٩) عن السدي وسعيد بن جبير.

(٢) في (و): «بالأخرى».

(٣) وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٣٩)، وعدّه من العجائب.

وعن عطاءٍ قال: نزلت في النضرِ بضع عشرة آية<sup>(١)</sup>.

وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن قائله أبو جهل<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ كَانَتْ هَذَا﴾؛ أي: القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾: ﴿هُوَ﴾ فُضِّلَ وَعَمَادٌ، و﴿الْحَقُّ﴾  
خَبْرٌ ﴿كَانَتْ﴾.

﴿مِنْ عِنْدِكَ﴾: وَحْيِكَ.

﴿فَأَمْطَرَ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: من السماء لا من الهواء؛ استهزاءً  
منه، ﴿وَأَاتَيْنَا بِعَذَابٍ آئِيمٍ﴾ سوى الحجارة.

\*\*\*

(٣٣) - ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ  
يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾؛ أي: استعجلوا العذاب ﴿وَمَا كَانَتْ  
اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾؛ أي: لا يفعل، وليس من شأنه وأنت يا محمد فيهم وبين أظهرهم  
ومعهم؛ لأنك بعثت رحمة للعالمين، ولم يُعَذِّبْ قَوْمٌ وَنَبِيِّهِمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ.  
﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال بعض المُفسِّرين: وفيهم من  
يستغفر؛ يريد: من بمكة من المؤمنين.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٤٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣ / ٨٥)، والماوردي في  
«النكت والعيون» (٢ / ٣١٣).

(٢) رواه البخاري (٤٦٤٨)، ومسلم (٢٧٩٦)، ولفظ البخاري: «عن أنس بن مالك رضي الله عنه:  
قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب  
أليم، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٣) وَمَا لَهُمْ  
أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿الآية﴾.

وقيل: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ يعني: المؤمنين، فلمَّا هاجر أولئك منها قال الله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ يعني: الكفار.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو استغفار الكفار؛ لأنهم كانوا يطوفون بالبيت ويقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك، قال: وكانوا يقولون: غفرانك اللهم غفرانك<sup>(١)</sup>.

وعن بعضهم<sup>(٢)</sup>: كان لهم أمانان: النبي عليه السلام، والاستغفار، فهاجر رسول الله عليه السلام وبقي لهم الاستغفار<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٥٠) من طريق عكرمة عن أبي زميل عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) بعدها في (و): «يعني ابن مسعود».

(٣) قطعة من خبر ابن عباس السابق، لكنه في «تفسير الطبري» بلفظ: «فذهب النبي».

وروى الإمام أحمد في «المسند» (١٩٥٠٦)، والطبري في «تفسيره» (١١ / ١٥٠)، والحاكم في «المستدرک» (١٩٨٩) عن أبي موسى رضي الله عنه: «أمانان كانا على عهد رسول الله ﷺ، رفع أحدهما، وبقي الآخر: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ و﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾».

وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٦٩٢) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وروى نحوه الحاكم في «المستدرک» (١٩٨٨) من قول أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه الترمذي (٣٠٨٢) عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ أَمَانِينَ لِأُمَّتِي ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ و﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إِذَا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيهِمُ الْاسْتِغْفَارَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». قال: «هذا حديث غريب، وإسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر يضعف في الحديث».

وظاهر هذه الأخبار يخالف ما ذكره المؤلف: «فهاجر رسول الله عليه السلام...»؛ لأن هذه الأخبار تدل على أن زوال الأمان المتعلق بالنبي ﷺ حاصل بموته لا بهجرته، وأن الأمة هي أمة الإسلام إلى قيام الساعة لا كفار قريش، كما يشير إلى ذلك ما ذكرناه من المرفوع، وكذا ما جاء في لفظ الموقوف عند الطبري: «إِنَّهُ كَانَ فِيكُمْ أَمَانَانِ؛ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ و﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾» قال: أما النبي فقد مضى، وأما الاستغفار فهو دائر فيكم إلى يوم القيامة».

وقيل: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: سيولد منهم أولادٌ مؤمنون<sup>(١)</sup>.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: هذه حكاية عن المشركين، كانوا يقولون: والله إن الله لا يُعذِّبنا ونحن نستغفر، ولا يُعذِّب أُمَّةً ونبئها معها، حكاة الثعلبي<sup>(٢)</sup>، وفيه بُعد<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(٣٤) - ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعِدُّهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يُصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ لَهُٗ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعِدُّهُمْ اللَّهُ﴾ وقد خرج محمدٌ عليه السلام من بين أظهرهم.

وقيل: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعِدُّهُمْ اللَّهُ﴾ في الآخرة. وقيل: يوم بدر.

ويحتمل ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعِدُّهُمْ اللَّهُ﴾ وقد استحقوه، ولولا كونك وكون من يستغفر فيهم لعجل لهم<sup>(٤)</sup> العذاب. والعذاب: تجديد الآلام حالاً بعد حال، وأصله الاستمرار.

﴿وَهُمْ يُصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: يمنعون المسلمين عنه ﴿وَمَا كَانُوا﴾

يعني: المشركين ﴿أَوْلِيَاءَهُٗ﴾: أولياء المسجد، وقيل: أولياء الله ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُٗ﴾ الله<sup>(٥)</sup> ﴿إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ولايته للمتقين.

\*\*\*

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٣٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣ / ٨٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٥١).

(٣) وكذا استغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٣٩).

(٤) في (و): «عليهم».

(٥) اسم الجلالة: «الله» ليس في (و).

(٣٥) - ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ في سبب النزول: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانوا يطوفون بالبيت فيُصَفِّقون - وَوَصَفَ الصَّفَقَ بِيَدِهِ - وَيُصَفِّرُونَ - وَوَصَفَ صَفِيرَهُمْ - وَيَضَعُونَ خُدُودَهُمْ بِالْأَرْضِ، فَتَزَلَّتْ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: الذي يُسَمُّونَهُ صَلَاةً ﴿إِلَّا مُكَاءً﴾: هو تصويتٌ يُشْبِهُ صَوْتَ الْمُكَاءِ، وَهُوَ طَائِرٌ مَعْرُوفٌ، تَقُولُ: مَكَا يَمَكُو، قَالَ:

تَمَكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ<sup>(٢)</sup>

وقيل: هو أن يجعل بعض أصابع اليمين وبعض أصابع الشمال في الفم، ثم يُصَفِّرُ فِيهِ.

وقيل: المُكَاءُ: الصَّفِيرُ.

والتَّصْدِيَةُ: التَّصْفِيقُ، وَهُوَ ضَرْبٌ إِحْدَى الْيَدَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى، وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٣٦)، وبنحوه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٦٣)، وفي إسناده عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٢) عجز بيت لعنترة في معلقته، وصدرة:

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكَتْ مُجَدَّلًا

انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٦٣)، و«تفسير الطبري» (١١ / ١٦١)، و«شرح القصائد

السبع الجاهليات» لأبي بكر الأنباري (ص: ٣٤٠)، و«شرح المعلقات» للوزني (ص: ٢٥٦).

ومعنى تمكو: تصوت، والفريضة: لحمة في مرجع الكتف ترتعد عند الفزع، والأعلم المشقوق الشفة العليا.

(الصدى)، وهو أن تسمع مثل صياحك في أماكن تمنع الصوت من النفوذ، وكانوا يعارضون به القرآن.

يقويه قول سعيد بن جبير في التصدية: إنها صلاتهم عند المسجد الحرام<sup>(١)</sup>.  
وقيل: مكأؤهم: أذانهم، وتصديتهم: إقامتهم، حكاه الثعلبي<sup>(٢)</sup>.  
الحسن: إذا أراد النبي عليه السلام الصلاة خلطوا عليه، وأرؤا أنهم يصلون لله عبادة<sup>(٣)</sup>.  
ابن بحر: أي: إن صلاتهم ودعاءهم غير رادين عليهم ثوابًا إلا كما يجيب  
الصدى الصائح<sup>(٤)</sup>.

وقيل: أصل المكاء من (مك)، وأصل التصدية من (صد): إذا صاح، أو منع، فلب اللام ياء، وهذا شائع<sup>(٥)</sup> عند اجتماع ثلاث ممتثلات<sup>(٦)</sup>.

(١) كذا في النسخ الخطية، وقوله: «صلاتهم عن» تصحيف، وصوابه «صدّهم عن»، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٦٧) عن سعيد بن جبير: «﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾: صدّهم عن بيت الله الحرام»، وقد استشهد النحاس في «إعراب القرآن» (٣ / ١٥٣) بقول سعيد هذا في أن القصدية مشتقة من (صدّ).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣ / ٩٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٤٠) دون نسبة، واستغربه.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٦٤) عن سعيد قال: «كانت قريش يعارضون النبي ﷺ في الطواف يستهزئون به، يصفرون به ويصفقون، فنزلت: ﴿﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾﴾».

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥ / ٣٥١)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٤٠) دون نسبة، وعدّه من العجائب.

(٥) في (ن): «سائع».

(٦) نسب القول بأن التصدية مشتقة من (صدّ) لأبي عبيدة، ولم أرف عليه في «مجاز القرآن»، وأما قلب المضعف ياء فقد ذكر سيبويه أنه ليس بمطرّد، وذكر الجوهري أنهم يستقلون ثلاثة أمثال. انظر: =

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾؛ أي: يومَ بدرٍ، وقيل: في الآخرة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

\*\*\*

(٣٦) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في سببِ النزولِ: قال مقاتلٌ والكلبيُّ: نزلت في المُطعمين يومَ بدرٍ، وكانوا اثني عشرَ رجلاً، وكلُّهم من قريشٍ، وكان يُطعمُ كلُّ واحدٍ منهم كلَّ يومٍ عشرَ جُزُرٍ<sup>(١)</sup>.

سعيدُ بنُ جبيرٍ: نزلت في أبي سُفيانٍ، استأجرَ يومَ أحدٍ ألفينَ من الأحابيشِ يُقاتلُ بهم النَّبيُّ عليه السَّلامُ سوى مَنْ استجاشَ من العربِ، وفيهم يقولُ كعبُ بنُ مالكٍ:

فَجِئْنَا إِلَىٰ مَوْجِ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ      أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعٌ  
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ<sup>(٢)</sup>      ثَلَاثُ مِئِينَ إِنْ كَثُرْنَا فَأَرْبَعٌ<sup>(٣)</sup>

= «الكتاب» (٢/ ٤٢٤)، و«مجاز القرآن» (١/ ٢٤٦) و«الكتز اللغوي» (ص: ٥٩) و«الخصائص»

لابن جنبي (٢/ ٢٣٣ - ٢٣٥) و«الصحاح» مادة (ق ض ض) (٣/ ١١٠٢).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٩٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٣٦)، وانظر:

«تفسير مقاتل» (٢/ ١١٤).

(٢) النصية: خيار القوم. انظر: «الإملاء المختصر في شرح غريب السير» لأبي ذر الهروي (ص: ٤٤٧).

ووقع في النسخ: «بقية»، وقد وضع مثله في «البحر المحيط» لأبي حيان (٥/ ٣١٦)، والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٨)، وانظر الأبيات

في «طبقات فحول الشعر» لابن سلام (١/ ٢٢٠)، وقد نسب ابن فارس البيت الأول لابن رواحة

في «مقاييس اللغة» (٢/ ١٢٩).

وَأَنْفَقَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمَ أَحَدٍ أَرْبَعِينَ أَوْ قِيَّةً، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(١)</sup>.  
 وقال محمد بن إسحاق: لَمَّا أُصِيبَ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ فَرَجَعَ كُلُّهُمْ إِلَى مَكَّةَ، وَرَجَعَ  
 أَبُو سُفْيَانَ بِعِيْرِهِ إِلَيْهَا، وَجَمَعَ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْأَكْبَارِ وَقَالَ<sup>(٢)</sup>: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكُمُ وَقَتَلَ  
 أَشْرَافَكُمْ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ لَعَلَّنَا نُدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرًا بِمَنْ أُصِيبَ بِنَا، ففعلوا، فأنزل الله  
 تعالى فيهم هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

قوله: ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دين الله والإسلام.  
 ﴿فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾: الأموال، وقيل: إنفاقها؛ أي: وما يُنفقونه الآن  
 ويُنفقون بعد.  
 وقيل: سَيَنْفِقُونَهَا بِتَمَامِهَا<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٦٩٧)، عن الحكم بن عتيبة.

(٢) كذا في النسخ، وفي مصادر التخريج أن القاتل هم من أصيب أبأؤهم وأبناؤهم وإخوانهم بيدر.  
 (٣) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٢٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ١٧٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٣٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٦٩٨)، وسياق الطبري: «عن ابن إسحاق قال: ثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، قالوا: لما أصابت المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القلب ورجع فلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعيره، مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب أبأؤهم وأبناؤهم وإخوانهم بيدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا، ففعلوا. قال: ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾».

(٤) في (و): ﴿فَسَيَنْفِقُونَهَا﴾؛ أي: ما ينفقونه الآن وينفقون بعد. وقيل: سَيَنْفِقُونَهَا بِتَمَامِهَا. ﴿ثُمَّ تَكُونُ﴾ الأموال، وقيل: نفقاتها، والسياق في (ن) أشبه بطريقة المصنف، فقد فسّر بناء على المعنى الأصح للآية، وهو أن المراد بالضمير العائد على الأموال بعضها، ثم ذكر القول الآخر، وهو أن =

﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ﴾: غمًا على ما فاتهم، ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾: يُتَهَرُونَ.  
 وفيه تقديم وتأخير؛ لأن الحسرة عليها بعد الغلبة، وهذا دليل من دلائل النبوة؛  
 إذ أخبر عن الله تعالى قبل وقوعه، فكان كما أخبر<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾؛ أي: يُساقون إليها ويُجمعون فيها.

\*\*\*

(٣٧) - ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْأَخْيِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْأَخْيِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ  
 جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾.  
 ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ﴾؛ أي: يُغْلَبُونَ ليميز الله ﴿الْأَخْيِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: الكافر من المؤمن.  
 وقيل: الكفر من الإيمان.  
 وقيل: الصلاح من الفساد.  
 وقيل: الطَّيِّبُ: إنفاق المؤمن، والخبيث: إنفاق الكافر.  
 والخبيث: الرديء من كل شيء؛ كخبث الحديد والفضة والذهب. والطَّيِّبُ:  
 المُستلذُّ من كل شيء.  
 ﴿وَيَجْعَلُ﴾ الله ﴿الْأَخْيِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾: يجمعه ﴿فَيَجْعَلُهُ  
 فِي جَهَنَّمَ﴾ كله؛ يعني: الكافر وما أنفق.  
 وفي الآثار: يُؤْتَىٰ بالدُّنيا يومَ القيامةِ قَضُّهَا بقضيتها، فيُمِيزُ ما كان منها لله،  
 ويُطْرَحُ الباقي في النَّارِ<sup>(٢)</sup>.

= المراد بالأموال تمامها، كما يدلُّ عليه ظاهر اللفظ عند من لا يعرف طرائق العرب في التعبير. انظر  
 «الرسالة» للإمام الشافعي (ص ٥٨٠).

(١) يُلاحظ اهتمام المصنف - رحمه الله - بهذا الجانب من دلائل النبوة، وقد تقدمت أمثلة على هذا  
 أولها في سورة (البقرة)، وستأتي أمثلة أخرى آخرها في سورة (الكافرون).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٤٤)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٤٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» =

﴿أُولَئِكَ﴾؛ أي: المُنْفِقُونَ أموالهم ﴿هُمْ الْخَسِرُونَ﴾: خَسِرُوا أموالهم وأنفسهم.

\*\*\*

(٣٨) - ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ

مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ  
﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ عَظُمَتْ، ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ إِلَى الْكُفْرِ ﴿فَقَدْ  
مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ بِالْإِهْلَاكِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابِ فِي الْعُقَبِيِّ.

وقيل: ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ إِلَى الْحَرْبِ ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ بِالْإِهْلَاكِ

يَوْمَ بَدْرٍ.

وَسُنَّةُ اللَّهِ: مَا يَفْعَلُهَا دَائِمًا.

\*\*\*

(٣٩) - ﴿وَقَنِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلدِّينِ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ آتَتْهُمُ

فَاتٌ آتَى اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

﴿وَقَنِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: لَا يَبْقَى شِرْكٌ وَلَا مُشْرِكٌ.

﴿وَيَكُونَ لِلدِّينِ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾: وَلَا يُعْبَدُ غَيْرُ اللَّهِ، وَتَكُونُ أَنْتَ الْحَاكِمَ عَلَى

الْأَدْيَانِ، ﴿فَاتٌ آتَتْهُمُ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

= (٢٠ / ٥٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٣٦)، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ولفظ

ابن المبارك: «يؤتى بالدينا يوم القيامة فيميز ما كان لله عز وجل، ثم يرمى بسائر ذلك في النار».

ورواه ابن المبارك في «الزهدة» (٥٤٥) من طريق آخر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً،

ورواه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٦) عن عبادة رضي الله عنه شاكاً في رفعه.

ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٢ / ٣٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وضعفه بعبد الرحمن

ابن ثابت بن ثوبان الشامي.

(٤٠) - ﴿وَأَنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَأَنْ تَوَلَّوْا﴾: أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ، وَقِيلَ: أَعْرَضُوا عَنِ الْإِنْتِهَاءِ.  
 ﴿فَاعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ﴾: يَلِي نَصْرَكُمْ وَمَعُونَتَكُمْ.  
 ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ﴾: لَا يَضِيعُ مَنْ تَوَلَّاهُ، ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾: لَا يُغْلَبُ مَنْ نَصَرَهُ.

\*\*\*

(٤١) - ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
 وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى  
 الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾؛ أَي: مَا أَصَبْتُمْ وَأَخَذْتُمْ مِنَ الْكُفَّارِ قَهْرًا ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: قَلِيلٍ  
 وَكَبِيرٍ ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَىٰ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ هَاهُنَا لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّيْمُنِ،  
 وَأَنَّ الْغَنِيمَةَ تُقَسَّمُ خَمْسَةَ أَقْسَامٍ؛ أَرْبَعَةٌ لِلْمُقَاتِلَةِ وَخُمُسٌ لَخَمْسَةِ، هُمَ الْمَذْكُورُونَ  
 فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾<sup>(١)</sup> إِلَّا الرَّبِيعَ وَأَبَا  
 الْعَالِيَةَ الرَّيَاحِيَّ فَإِنَّهُمَا ذَهَبَا إِلَىٰ أَنَّ الْخُمُسَ الْبَاقِيَّ يُقَسَّمُ سِتَّةَ أَقْسَامٍ: قَسَمَ اللَّهُ، يُصْرَفُ  
 إِلَىٰ عِمَارَةِ الْكَعْبَةِ وَتَزِينِهَا<sup>(٢)</sup>.

وقد قيل: اسمُ الرَّسُولِ أَيْضًا لِلتَّيْمُنِ وَالتَّبَرُّكِ، وَأَنَّهَا تُقَسَّمُ<sup>(٣)</sup> عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ<sup>(٤)</sup>.

(١) إِلَىٰ هَذَا ذَهَبَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ. انظر: «الأم» (٤/١٤٦ و ١٦٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/٤١٤).  
 (٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/١٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٧٠٣) عن الربيع عن  
 أبي العالية، ولفظ الطبري: «كان رسول الله ﷺ يوتى بالغنيمة، فيقسمها على خمسة تكون أربعة  
 أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس، فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة،  
 وهو سهم الله، ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم، فيكون سهم للرسول، وسهم لذي القربى، وسهم  
 لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل».

(٣) «على»: من (ن).

(٤) هذا مستفاد من قول ابن عباس رضي الله عنه «فما كان الله والرسول فهو لقرابة النبي ﷺ» رواه الطبري  
 في «تفسيره» (١١/١٩٠).

وأكثرهم على أنها اليوم تُقسَمُ ثلاثة أقسام: اليتامى والمساكين وابنُ السَّبِيلِ، وسَقَطَ سَهْمُ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمَوْتِهِ، وكذلك سَهْمُ ذِي الْقُرْبَى رِفْعَةً لَهُمْ عنها، وفُقْرَاؤُهُمْ وأيتامُهُمْ وابنُ السَّبِيلِ منهم فيها كغيرِهِمْ<sup>(١)</sup>.

وذهب بعضهم إلى أن سَهْمَ ذِي الْقُرْبَى باقٍ، وأنَّ سَهْمَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصْرَفُ إِلَى الْعِدَّةِ مِنَ الْكُرَاعِ وَالسَّلَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وقال بعضهم: يصرفُ الإمامُ إلى مَنْ شاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّ ذَكَرَ هَؤُلَاءِ للاختصاصِ؛ كذَكَرِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ بَعْدَ الْمَلَائِكَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ الآية [البقرة: ٩٨]<sup>(٢)</sup>.

وذهب المبرِّدُ إلى أن قولَ مَنْ قال: «اسمُ اللَّهِ هَاهُنَا لِلتَّعْظِيمِ»<sup>(٣)</sup> سهوٌ، ولم يأتِ في بيانِ كَلِمَتِهِ بِمَا فِيهِ مَقْنَعٌ.

﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾: قُرْبَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ مُصْدَرُ (قَرَبَ)، وَوَحَدَ (ذُو) لِأَنَّ الْجَمْعَ فِي هَذَا كَالوَاحِدِ.

قال ابنُ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: هم بنو هاشم<sup>(٤)</sup>.

(١) وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحاب الرأي. انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٨٠/٤).

(٢) وهذا مذهب مالك. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤١٥/٢).

(٣) وعبارتهم في ذلك أنهم قالوا: ﴿الله﴾ مفتاح كلام كل شيء، انظر: «الأم» (١٦٠/٤)، و«تفسير الطبري» (١٨٨/١١).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (١٩٤/١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٠٤/٥) عن سعيد المقبري، قال: كتب نجدة إلى ابن عباس يسأله عن ذي القربى، قال: فكتب إليه ابن عباس: «قد كنا نقول: إننا هم، فأبى ذلك علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها ذوو قربي».

وجاء بأصرح من هذا في عدة روايات؛ فقد روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٤٥٢) عن عطاء بن السائب: «أن عمر بن عبد العزيز لما قام بعث بهذين السهمين: سهم رسول الله ﷺ، وسهم ذوي القربى»، يعني: لبني هاشم.

وروى الطبري في «تفسيره» (١٩٣/١١) عن مجاهد قال: «قد علم الله أن في بني هاشم الفقراء، =

جُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ: بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلَبِ<sup>(١)</sup>.

وَلَمْ يَخْتَلَفُوا فِي بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي نَوْفَلٍ.

وَاخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ... فَانَّ﴾:

فَذَهَبَ الْفَرَاءُ إِلَى أَنَّ (مَا) لِلشَّرْطِ وَالْفَاءُ لِلجَزَاءِ<sup>(٢)</sup>. وَهَذَا بَاطِلٌ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ؛

لَأَنَّ (أَنَّ) لَا يَدْخُلُ (مَا) الشَّرْطَ.

وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّ ﴿أَنَّمَا﴾ مَفْعُولٌ ﴿وَأَعْلَمُوا﴾، وَالخَبْرُ مَحذُوفٌ، وَالْفَاءُ

لِلعَطْفِ، وَهَذَا فِيهِ كَلَامٌ<sup>(٣)</sup>.

وَالوَجْهُ أَنْ تَكُونَ (مَا) هِيَ الْمَوْصُولَةُ، وَ﴿غَنِمْتُمْ﴾ صَلْتُهُ، وَالْعَائِدُ مَحذُوفٌ،

وَالْفَاءُ دَاخِلٌ فِي خَبْرِهِ، وَ(أَنَّ لِّلَّهِ حُصْمَهُ) مَعَ مَا بَعْدَهُ خَبْرُهُ، وَالتَّقْدِيرُ: فَالْأَمْرُ أَنَّ لِّلَّهِ

حُصْمَهُ، وَمِثْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَبْكَ لَهُ﴾ [التوبة: ٦٣]،

وَكَذَلِكَ: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ [الحج: ٤].

وَقَالَ ابْنُ عَيْسَى: تَقْدِيرُهُ: فَعَلَى أَنَّ لِّلَّهِ حُصْمَهُ، فَحُذِفَ الْجَارُ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ قِيلَ: هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَنَعِمَ الْمَوْلَى وَنِعِمَ النَّصِيرُ﴾.

وَقِيلَ: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَاقْبَلُوا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ فِي الْغَنَائِمِ.

= فجعل لهم الخمس مكان الصدقة.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٤٤٨)، والطبري في «تفسيره» (١١ / ١٩٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٤١١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٤١)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٤١) دون نسبة، وعده من العجائب، وقال: «لأن الخبر

لا يحذف إلا بدليل»، وهذا الذي نسبه للجمهور لم أجد من قال به غيره.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٤٠) دون نسبة، واستغربه.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا﴾ النَّصْرَ وَالْإِمْدَادَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وقيل: الأمرُ بقسمةِ الغنائمِ على خمسةِ أسهمٍ.

﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾: مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يَوْمَ بَدْرٍ، فَرَّقَ فِيهِ بَيْنَ

الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

﴿يَوْمَ اتَّخَذَ الْجَمْعَانِ﴾: الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

\*\*\*

(٤٢) - ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ

وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ

هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ وَيُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾: بِشْفِيرِ الْوَادِي الْأَقْرَبِ إِلَى الْمَدِينَةِ، ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ

الْقُصْوَى﴾: بِشْفِيرِ الْوَادِي الْأَبْعَدِ مِنَ الْمَدِينَةِ.

و(الْقُصْوَى): شَاذٌ خَرَجَ عَلَى أَصْلِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَالرَّكْبُ﴾؛ أَي: الْعَيْرُ ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾؛ أَي: مَكَانًا أَسْفَلَ مِنْ مَكَانِكُمْ؛

(١) أَي: الْقِيَاسُ هُوَ قَلْبُ الْوَادِيَاءِ كَالْعُلْيَا، لَكِن (الْقُصْوَى) جَاءَ عَلَى الْأَصْلِ، كَالْقَوْدِ فِي مَجِيئِهِ عَلَى

الْأَصْلِ، وَقِيَاسُهُ أَنْ تُقْلَبَ وَادِيَةُ الْفَاءِ كَأَشْبَاهِهِ، فَتَرْكُوهُ عَلَى مَا كَانَ، وَقَدْ جَاءَ: (الْقُصْبِيَا) إِلَّا أَنْ اسْتَعْمَلَ

(الْقُصْوَى) أَكْثَرَ؛ كَمَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُ (اسْتَصَوَّبَ) مَعَ مَجِيئِهِ (اسْتَصَابَ)، وَ(أَغْيَلْتُ) - أَي: أَرْضَعْتُ

وَلِدَهَا وَهِيَ حَامِلٌ - مَعَ (أَغَالْتُ).

وَنَصُّوا عَلَى أَنْ (الْقُصْوَى) شَاذَةٌ وَإِنْ كَانَتْ لُغَةُ الْحِجَازِ، وَأَنْ (الْقُصْبِيَا) قِيَاسٌ، وَهِيَ لُغَةٌ تَمِيمٌ. انظُر:

«الْكِتَابُ» (٤ / ٣٨٩)، وَ«شَرْحُهُ» لِلْسِيرَانِي (٥ / ١٢٣ وَ ٣٠٥)، وَ«الْكَشَافُ» مَعَ شَرْحِهِ «فَتْوحِ

الْغَيْبِ» (٧ / ١١٠)، وَ«الْبَحْرُ الْمُحِيطُ» (٥ / ٣٢٢)، وَ«الدَّرُ الْمَصُونُ» (٥ / ٦١١).

لَأَتَّكِمَ عَلَى نَشْزٍ<sup>(١)</sup> مِنَ الْأَرْضِ. وقيل: أقرب إلى ساحل البحر.  
﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾: أنتم والمُشركون في<sup>(٢)</sup> القتال، ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾؛  
أي: كانوا لا يصدّقون في مواعِدَتِكُمْ؛ طلباً لِعِرَّتِكُمْ والحيلة عليكم.  
وقيل: لو تواعدْتُمْ ثمّ بلغتكم كثرةُ عدوِّكم، لنقضتُم الميعادَ.  
وقيل: لو تواعدْتُمْ من غيرِ قضاءِ الله أمرَ الحربِ، لاختلفتُم في الميعادِ.  
﴿وَلَكِن﴾ جمع بينكم ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا﴾: نصّر المؤمنين وكسر الكافرين  
﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾: كائناً.

وَسَمَاءَ ﴿مَفْعُولًا﴾ من حيثُ تحقُّق كونه. وقيل: هو إشارة إلى قوله: ﴿وَجَعَلَ  
كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

والمعنى: جمع الله بينكم من غير إرادة ولا قصدٍ منكم.  
﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ﴾ قيل: هذا اللَّامُ بدلٌ من  
قوله: ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ﴾، وقيل: هو للعطف، والواوُ مُختزِلٌ<sup>(٣)</sup>، ويحتمِلُ أن يكونَ  
مُتَّصِلاً بقوله: ﴿مَفْعُولًا﴾، والتَّقديرُ: فَعَلَ لِيَهْلِكَ.  
والمعنى: أن وقعت بدرٍ بينةٌ واضحةٌ ومُعجزةٌ ظاهرةٌ، فمن ضلَّ بعدها فإنما  
يضلُّ بعد أن تبينَ له الأمرُ، ومن اهتدى بعدها فإنما يهتدي عن بينةٍ.  
وقيل: ليُموتَ من يموتُ كافراً عن حُجَّةٍ قائمةٍ عليه، ويعيشَ من يعيشُ عن بينةٍ  
ثبَّتَ عنده.

وقيل: ليهلك بدرٍ من هلك بعد أن رأى الآياتِ، ويحيى من حيَّ كذلك.

(١) أي: مرتفع. انظر: «لسان العرب» مادة (ن ش ز) (٥/٤١٧).

(٢) «في»: ليست في (ن).

(٣) أي: مضمّر، فالتقدير: ليقضي الله وليهلك من هلك. ذكره المصنف في «غرائب التفسير»

(١/٤٤١)، واستغربه.

﴿وَاتِ اللَّهُ لَسَجِيعٌ﴾ لكلامهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم.  
قلت: لم أرَ فيما سمعتُ وطالعتُ من التَّفاسيرِ مع جموعِها مَنْ تكَلَّمَ على لفظي: ﴿يهلك﴾ و﴿هَلَاكٌ﴾، وكذلك في مُغايرة لفظي ﴿وَيَحْيَى﴾ و﴿حَيٌّ﴾، وذلك يحتمِلُ ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: أن تقديره: ليهلك مَنْ حَكَمَ اللهُ بهلاكه، ويحيا مَنْ حَكَمَ اللهُ بحياته.  
والثاني: ليحكمَ بهلاكِ مَنْ هلك، ويحكمَ بحياةِ مَنْ حيَّ.  
والثالث: وقع الماضي موقعَ<sup>(١)</sup> المستقبل، وفيه بعد؛ لأنَّ الشَّيءَ لا يقومُ مقامَ غيره إلاَّ بدليل<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(٤٣) - ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا قَلْبًا لَمَّا فَسَّخْتَهُمْ وَوَدَعْتَهُمْ مُصَبِّحًا﴾  
في الأمرِ ولكنَّ اللهُ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿﴾.  
﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ الحسنُ في جماعةٍ: عينك<sup>(٢)</sup>؛ لأنه مَفْعَلٌ، وهو للمصدرِ والزَّمانِ والمكانِ.

(١) في (و): «موضع».

(٢) ذكر المصنف الأوجه الثلاثة في «غرائب التفسير» (٤٤٢/١)، ونسب الأخير لابن السراج.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٠٩ / ٥) بلفظ: «بعينك»، وفي سنده سهل السراج، وهو سهل بن أبي الصلت العيشي البصري، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «صدوق له أفراد، كان القطان لا يرضاه».

وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٤٤٢/١)، واستغربه، وقال ابن كثير في «تفسيره»

(٤/٦٩): «هذا القول غريب».

وقال الزمخشري في «الكشاف» (٢/٢٢٥): «وهذا تفسيرٌ فيه تعسفٌ، وما أحسبُ الروايةَ صحيحةً فيه عن الحسن، وما يُلائمُ علمه بكلام العرب وفصاحته».

وقال الطبري في «تفسيره» (١١/٢٠٩): وقد زعم بعضهم أن معنى قوله: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي =

غيره: في رؤياك؛ لأن النبي عليه السلام رآهم في نومه في قلةٍ وذلةٍ، فأولها أنهم يُغلبون، وبشر المؤمنين فسكنوا إليه، وعلموا أن رؤيا الأنبياء حقٌ.

﴿وَلَوْ أَرْنَكُهُمْ كَثِيرًا﴾ أي: على صورة عرفت أن الغلبة لهم، ثم أخبرتهم به، ﴿لَفَشَلْتُمْ﴾: جبتهم ﴿وَلَنَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أمر القتال والفرار.

وهذا أظهر؛ لأن (المنام) موضع النائم لا موضع النوم<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا كُنَّ اللَّهُ سَلَمًا﴾ أي: سلمكم من الفشل والتنازع، وقيل: سلم لكم أمرهم حتى غلبتم أعداءكم، وقيل: ولكن الله سلمكم عن العدو.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بخفيات القلوب.

\*\*\*

(٤٤) - ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّنِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّنِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ قلل الله الأعداء في أعين المؤمنين ساعة اللقاء، حتى روي أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة، فأسرنا رجلاً، فقلنا له: كم كنتم؟ قال: ألفاً<sup>(٣)</sup>.

= مَنَامِكُمْ قَلِيلًا؛ أي: في عينك التي تنام بها، فصير المنام هو العين، كأنه أراد: إذ يريكم الله في عينك قليلاً. ويريد الطبري بكلامه أبا عبيدة؛ فإنه قال ذلك في «مجاز القرآن» (١/٢٤٧).

(١) «النائم لا موضع» ليست في (ن).

(٢) أي: الأظهر أن المراد بالمنام الرؤيا؛ لأن النوم ليس مكانه العين، فكلمة (منام) في الآية تحتل المصدر واسم الزمان فقط.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٨٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١ / ٢١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٧١٠).

﴿وَيَقُلُّ لَكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ وَقَلَّلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَعْيُنِ الْكَافِرِينَ، حَتَّى قَالَ أَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُهُ<sup>(١)</sup>: إِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكَلَةُ رَأْسٍ<sup>(٢)</sup>.

وَلَمْ يُكْثِرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَعْيُنِ الْكَافِرِ لِيَثْبُتَ الْكُفَّارُ فَيَقْتُلَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَأْسِرُوهُمْ وَيَغْنَمُوهُمْ.

وَقِيلَ: قَلَّلَهُمْ لَثَلَا يَسْتَعِدُّوا كُلَّ الْاِسْتِعْدَادِ.

وَقِيلَ: قَلَّلُوا مَعَ إِقَاءِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَيَكُونُ أَعْظَمَ لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

﴿لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ سَبَقَ.

\*\*\*

(٤٥) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

فُفْلِحُوا﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُفَّارِ فِي الْحَرْبِ ﴿فَاثْبُتُوا﴾

لِلْقَائِمِهِمْ وَقَاتَلُوا وَلَا تَنْهَزِمُوا، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَهُوَ التَّكْبِيرُ عِنْدَ الْمُسَايِفَةِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَعَنْ عَطَاءٍ قَالَ: يُكْرَهُ الْكَلَامُ فِي الْحَرْبِ إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ<sup>(٣)</sup>.

﴿لَعَلَّكُمْ فُفْلِحُوا﴾ تَظْفَرُونَ فِي الدُّنْيَا وَتَبْقَوْنَ فِي الْجَنَّةِ.

(١) «وأصحابه»: ليست في (ن).

(٢) قوله: «أكلة رأس» يُضْرَبُ مِثْلًا فِي الْقَلَّةِ وَالْأَمْرِ الَّذِي لَا يُعْبَأُ بِهِ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: «قَوْلُهُمْ: هُمْ

أَكَلَةُ رَأْسٍ؛ أَي: قَلِيلٌ يَشْبَعُهُمْ رَأْسٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ جَمْعُ: أَكَلَ». انظر: «الصحاح» مادة: (أ ك ل)

(٤/١٦٢٤)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/٤٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٧١١) من طريق ابن جريج عن عطاء قال: وَجِبَ الْإِنْصَاتُ

وَالذِّكْرُ عِنْدَ الزَّحْفِ ثُمَّ تَلَا: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ قُلْتُ: يَجْهَرُونَ بِالذِّكْرِ؟

قال: نعم.

(٤٦) - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَوْا فَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في إقامة الجهاد، ﴿وَلَا تَتَزَعَوْا﴾ فتكونوا فيه على آراءٍ مختلفة، ﴿فَنَفْسُلُوا﴾ فتجبنوا، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ استعارة عن الدولة، وقيل: عن القوة والحدة والجد والمهابة، وقيل: عن النصر، فكل قريب.

وقيل: هي الريح حقيقة، وتلك الريح<sup>(١)</sup> إذا كانت في قوم ظفروا<sup>(٢)</sup>، ومنه قوله عليه السلام: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأَهْلِكْتُ عَادٌ بِالذَّبُورِ»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ينصُرهم ولا يخذلهم.

\*\*\*

(٤٧) - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنِ

سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا﴾ يعني: أبا جهل وأصحابه يوم بدر، ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ من مكة، ﴿بَطْرًا﴾ فخراً وأشراً، والبَطْرُ: الغلو في النعمة واحتقار الغير. ﴿وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾ ليثنوا عليهم. ﴿وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دين الله، والمصدران والفعل حال. ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ عالم به من كل الوجوه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره أرسل إلى قريش: إنكم خرجتم لتمنعوا عيركم فقد نجأها الله فارجعوا، فوافى الركب الذي

(١) في (و): «ريح».

(٢) ذكر هذا عن قتادة وابن زيد والحكم ومقاتل. انظر: «تفسير البغوي» (٢/٢٩٨)، و«المحرر الوجيز» (٢/٥٣٧)، و«زاد المسير» (٢/٢١٥)، وقد ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/٤٤٢)، واستغربه.

(٣) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

بعثهم أبو سفيان قريشًا بالجحفة، فقالوا لهم: انصرفوا، فقال أبو جهل: والله لا نصرف حتى نرد بدرًا لنقيم به ثلاثًا، وننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بذلك العرب، فلا يزالون يهابوننا أبدًا<sup>(١)</sup>.

وكان بدرٌ موسمًا من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام، فنهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم.

\*\*\*

(٤٨) - ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ﴾ ثم إن بعض قريش قالوا: بيننا وبين كنانة إحنة<sup>(٢)</sup>، فلا نأمن أن يتعرضوا لنا، وقد أغنانا الله عن هذا الخطر، فأتى إبليس قريشًا في صورة سراقه بن مالك بن جعشم في جماعة ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي: لا أحد يغلبكم.

قوله: ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ أي: من كثرتكم<sup>(٤)</sup>، وقيل: من جنس الناس.

﴿وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾: مُجِيرٌ لَكُمْ من بني كنانة، وضامنٌ أن لا يتعرضوا لكم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١٧ / ١١)، وانظر: «سيرة ابن هشام» (٦١٨ / ١).

(٢) الإحنة: الحقد، وجمعها: إحن. انظر: «الصحاح» مادة (أحن).

(٣) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٠٥)، و«سيرة ابن هشام» (٦٦٣ / ١)، ورواه الطبري في «تفسيره»

(١١ / ٢٢١، ٢٢٢) عن السدي وابن إسحاق وغيرهما.

(٤) ظاهر صنيع المصنف هنا أنه يرجح هذا القول، وقد ذكره في «غرائب التفسير» (٤٤٢ / ١)،

واستغربه، والظاهر من ذلك أنه قد مال هناك إلى ما مال عنه هنا، والله أعلم.

﴿فَلَمَّا تَرَأَتْ أَلْفَتَانِ﴾؛ أي: اجتمعوا واصطفوا.

﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾: رجع القهقري، وهي الرجوع إلى وراء، وقيل: رجع بخزي<sup>(١)</sup>، وقيل: رجع من حيث جاء.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾: أفرقكم ولا أدنو منكم.

وذكر في بعض<sup>(٢)</sup> القصص والمغازي أن أبا جهل أو غيره قال: يا سراق، أفراراً من غير قتال؟! قال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يعني: الملائكة ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
قيل: كذب عدو الله.

وقيل: خاف أن يناله مكروه من الملائكة؛ لأنهم كانوا يعرّفونه.

وقيل: خاف أن يكون الوقت الذي أنظر إليه قد حان.

وقيل: معناه: إنني أخاف الله عليكم.

﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ يجوز أن يكون متصلاً بكلامه، ويجوز أن يكون مستأنفاً.

وهذا إجماع من المفسرين إلا الحسن وابن بحر؛ فإنهما قالوا: زين

(١) في (و): «يجري».

(٢) «بعض» ليست في (و).

(٣) وفي أكثر المصادر: أن القائل هو الحارث بن هشام لا أبو جهل. انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١١٩)،

و«معاني القرآن» للبراء (١/ ٤١٣)، و«مغازي الواقدي» (١/ ٧١).

وفي بعضها: أنه الحارث بن هشام وعمير بن وهب الجمحي. انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣٠٥).

والحارث بن هشام هو أخو أبي جهل وابن عم خالد بن الوليد، أسلم يوم الفتح، وخرج إلى الشام في خلافة أبي بكر الصديق فشهد أجنادين وغيرها، حديثه في الصحيحين، ومات في طاعون عمواس سنة ثمانين عشرة في خلافة عمر بن الخطاب، وقيل: استشهد يوم اليرموك. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ٤)، و«الإصابة» لابن حجر (١/ ٦٩٧).

لهم بوسوسته<sup>(١)</sup>، قالوا: ونكوصه على عقبه إخلافه ما وعد لهم.

\*\*\*

(٤٩) - ﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَالَهُمْ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ قيل: هم المنافقون أيضاً، وقد عطف الوصف على الوصف بالواو.

وقيل: هم قوم لم يكونوا مطمئنين إلى الإيمان بعد، وهؤلاء كانوا بمكة فخرجوا مع القوم ليكونوا مع أكثر الفتين، فلما رأوا محمداً عليه السلام والصحابة في قلة قالوا: ﴿غَرَّ هَوَالَهُمْ﴾ يعني: المؤمنين ﴿دِينَهُمْ﴾ حتى<sup>(٢)</sup> تعرّضوا لما لا طاقة لهم به، فحكى الله عنهم ذلك، فقتل هؤلاء فيمن قتل.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: يفوض أمره إليه لا يغلب؛ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

\*\*\*

(١) ذكره عن الحسن الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢٢٧)، والرازي في «التفسير الكبير» (١٥/ ٤٩١). وضعفه ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية فقال: ولا يخفى ضعفه؛ فإن قوله: ﴿وَإِن جَاءَ لَكُمْ﴾ ليس مما يُلقَى بالوسوسة، وكذا التكوّص على عقبه وما بعده من الأقوال، وليس مما يُلقَى بها.

قلت: وقد روي عن الحسن خلافه، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٢٤) عنه قوله: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٤٨]، قال: سار إبليس مع المشركين بيد برابته وجنوده، وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم، ولن تغلبوا كثرة. فلما التقوا ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾، يقول: رجع مدبراً وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَنَا لَمَّا لَا تَرَوْنَ﴾. يعني الملائكة.

(٢) في (ن): «حين».

(٥٠) - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرِيحُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بقبضِ أرواحهم ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ ببدرٍ ﴿يَصْرِيحُونَ وَجُوهَهُمْ﴾ إذا أقبلوا ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾: ظهورهم وأستاههم إذا أدبروا؛ يريد: حالة قبضِ الروح<sup>(١)</sup>.

وقيل: هو قتلهم إياهم ببدرٍ، فإذا أقبلوا ضربوا وجوههم، وإن أدبروا ضربوا ظهورهم.

وقيل: هذا عامٌ في كلِّ كافرٍ عند موته تضرُّبه الملائكةُ.

وقيل: الفعلُ لله تعالى، و﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ ابتداءً، و﴿يَصْرِيحُونَ﴾ خبره.

والأوَّلُ أظهرُ بدلالةٍ من قرأ بالتاء<sup>(٢)</sup>.

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: ويقولون لهم: ذوقوا عذابَ الحريقِ، وقيل: هذا يكونُ في القيامةِ، والأوَّلُ أظهرُ.

\*\*\*

(٥١) - ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: الضَّربُ ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: كسبته، أضافه إلى اليدِ مجازًا.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾؛ أي: وبأنَّ الله، وقيل: ذلك أنَّ الله ﴿لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾، فإخذهم

بغيرِ ذنبٍ.

(١) في (ن): «أرواحهم».

(٢) قرأ بها ابن عامر، والباقون: ﴿يَتَوَقَّى﴾ بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» (ص: ١١٦).

وقد استدل المصنف بقراءة ابن عامر على ضعف القول الأخير الذي جعل فاعل الفعل ﴿يَتَوَقَّى﴾

هو الله سبحانه وتعالى، واستظهر أن الفاعل هو الملائكة، كما في جميع الأقوال السابقة.

(٥٢) - ﴿كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾ .

﴿كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: كعادتهم وإدَابِ عملهم، وقيل: كصنيع آل فرعون. ومحل الكاف رفع؛ أي: صنيع هؤلاء في كفرهم كصنيع آل فرعون. وقيل: محله نصب؛ أي: يفعل بهم كما فعل آل فرعون، أو يفعل هؤلاء كما فعل آل فرعون.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ جرُّ بالعطفِ على ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾، والضَّميرُ يعودُ إلى ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾، ويحتملُ أن يعودَ إلى كَفَّارِ قُرَيْشٍ، ويجوزُ أن يرتفعَ بالابتداءِ ﴿كَفَرُوا﴾ خبره.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿كَفَرُوا﴾ لكفَّارِ قُرَيْشٍ، ويجوزُ أن يكونَ لـ ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ و﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، ويجوزُ أن يكونَ لـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فحسبُ. ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بما نَصَبَ مِنَ الأدلَّةِ<sup>(١)</sup> وبعثَ مع الأنبياءِ مُعجزةً لهم. ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: عاقبهم عليها، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لا يغلبه شيءٌ.

\*\*\*

(٥٣) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغْتِرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغْتَرُوا بِمَا بَأْنَفُسِهِمْ ۖ وَآتَى اللَّهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ۗ﴾ .

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: الأخذُ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾: بسببِ أَنَّ اللَّهَ ﴿لَمْ يَكُ مُغْتِرًا﴾: مُبدلاً ﴿نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغْتَرُوا﴾: يُبدلوا ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾؛ أي: التي هي ثابتةٌ عندهم؛ يُريدُ: أهلَ

(١) في (و): «الدلالة».

مَكَّةَ، بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ وَأَطَعَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْنِهِمْ مِنْ خَوْفٍ، فَكَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَحَدُوا نِعْمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَسَلَبَهُمُ النِّعْمَةَ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَعَلَهُ فِي الْأَنْصَارِ، وَكَذَلِكَ سَلَبَهُمُ الْأَمْنَ حَتَّى قُتِلَ بَعْضُهُمْ وَهُمْ سَبْعُونَ، وَأُسِرَ بَعْضُهُمْ وَهُمْ سَبْعُونَ، وَهَزِمَ بَعْضُهُمْ وَهُمْ مِنْ بَقِيٍّ يُرِيدُ: يَوْمَ بَدْرٍ.

وَأَصْلُ ﴿يَكُ﴾: يَكُونُ، فَحُذِفَ الْحَرَكَةُ لِلجُزْمِ، وَحُذِفَ الْوَاوُ لِالتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ، وَحُذِفَ النُّونُ لِشِبْهِهِ بِحُرُوفِ الْمَدِّ وَاللِّينِ، وَلِأَنَّ كَلِمَةَ الْكُورِ يَكْثُرُ دَوْرُهَا؛ لِأَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

\*\*\*

(٥٤) - ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ<sup>١</sup> وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ<sup>٢</sup> وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ<sup>١</sup> وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ سبق.

﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ كُلُّ أُمَّةٍ أَهْلَكَتْ بِنُوعٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾؛ أَي: أَهْلَكْنَاهُمْ بِمَاءِ الْبَحْرِ، ﴿وَكُلُّ﴾؛ أَي: كُلُّ قَوْمٍ مِنْهُمْ ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾: كَافِرِينَ. وَالتَّكَرُّارُ لِالتَّأَكِيدِ، وَقِيلَ: شُبِّهَ الْكُفْرُ وَالْأَخْذُ بِالْكَفْرِ وَالْأَخْذُ فِي الْأُولَى، وَشُبِّهَ التَّغْيِيرُ بِالتَّغْيِيرِ فِي الثَّانِيَةِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْفِعْلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ لِكْفَارِ قَرِيشٍ كَمَا سَبَقَ، وَ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ لِأَنَّ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَأَعَادَ ذِكْرَهُمْ لِمَا حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَفْعَالِهِمْ بِأَفْعَالٍ غَيْرِهِمْ.

\*\*\*

(٥٥) - ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لا يؤمنون؛ لكونهم شرَّ الدوابِّ. وقيل: الفاء لعطف جملة على جملة من غير إضمار، فيكون في قومٍ أخبر الله عنهم أنَّهم لا يؤمنون، كقوله: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

\*\*\*

(٥٦) - ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: بني قريظة، عاهدَهُم النبي عليه السَّلامُ على أن لا يُعاوَنُوا عليه عدوًّا، ثمَّ نَقَضُوا العَهْدَ وأَعَانُوا مُشْرِكِي مَكَّةَ بِالسَّلَاحِ على قتالِ النَّبِيِّ عليه السَّلامُ، ودَعَاهُمْ أبو سفيان إلى مقاتلةِ النَّبِيِّ عليه السَّلامُ يومَ الأَحْزَابِ فأجَابُوهُ، ومالُوا<sup>(١)</sup> الكَفَّارَ على رسولِ الله عليه السَّلامُ يومَ الخَنْدِقِ.

وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ قيل: (من) هاهنا صلة؛ أي: عاهدتَهُم، وقيل: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: معهم، وقيل: محمولٌ على المعنى؛ أي: أخذتَ منهم العَهْدَ<sup>(٢)</sup>، ويَحْتَمِلُ أَنَّهُ لِلتَّبَعِيضِ على أصلِهِ<sup>(٣)</sup>.

﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ يجوزُ أن يكونَ معنى ﴿فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾: في كلِّ مُعَاهَدَةٍ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾: عند كلِّ فِتْنَةٍ وَخُصُومَةٍ. ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في نقضِ العَهْدِ، وقيل: لا يَتَّقُونَ أن ينصَرَ اللهُ المؤمنين فيقتُلُوهُم<sup>(٤)</sup>.

(١) في هامش (ن): «أي: عاونوا».

(٢) وهو ما يُعرف بالتضمين. انظر: «مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٨٩٧).

(٣) هذا هو الوجه الذي اختاره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/٣٣٩)، وضعَّف.

(٤) في (و): «﴿لَا يَتَّقُونَ﴾» أي: ينصر الله المؤمنين فيقتلونهم».

(٥٧) - ﴿فَأِمَّا تَشَفَّهْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن حَلَفْتُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ﴾ .

﴿فَأِمَّا تَشَفَّهْتُمْ فِي الْحَرْبِ﴾: تظفر بهم وتجدهم، وأصله: أخذ الشيء بسرعة، قاله المفضل. ورجل ثقف: سريع العمل.

﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن حَلَفْتُمْ﴾: فنكل به من وراءهم؛ أي: من سواهم. وقيل: أثنى<sup>(١)</sup> فيهم القتل حتى يهابك غيرهم من الكفار، وقيل: غيرهم من ناقضي العهد. وأصله: التفريق، من شرّد البعير، وكذلك معجمًا<sup>(٢)</sup>، وقُرئ به في الشواذ<sup>(٣)</sup>. وقيل: التّشريد: التّخويف الذي لا يبقى معه القرأ؛ أي: لا ترص منهم إلا الإيمان أو السيف ﴿لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ﴾: يعتبرون.

\*\*\*

(٥٨) - ﴿وَأِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأُنَيْدُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَأَكْبِتُ الْعَاقِبِينَ﴾ .

﴿وَأِمَّا تَخَافَتَ﴾: تعلمن ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾: معاھدين لك ﴿خِيَانَةً﴾: نقض عهد بما يظهر لك منهم من الأمارات، ﴿فَأُنَيْدُ إِلَيْهِمْ﴾: ألق<sup>(٤)</sup> واطرح إليهم عهدهم بإعلامك إياهم<sup>(٥)</sup> أنك فاسخ للعهد؛ يريد: قبل المناجزة.

﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾: لتكون أنت وهم في الخوف على سواءٍ مُستوين فيه، والسواء: الاستواء.

(١) في (ن): «أنجز».

(٢) شرد وشرذ بمعنى واحد، وهي لغة نادرة، وقد ذكر ابن جني أن الذال بدل من الدال. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ٢٨٠)، و«تاج العروس» مادة (ش رد) (٩/ ٤٢٥).

(٣) نسبت هذه القراءة لابن مسعود رضي الله عنه، ونسبت للأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٥٥)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٨٠)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرمانى (ص: ٢٠٧).

(٤) في (ن): «ألق إليهم».

(٥) في (و): «إليهم».

وقيل: ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾<sup>(١)</sup>: عَدْلٍ فِي الْعِدَاوَةِ.

وقيل: معنى ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾: جَهْرًا لَا سِرًّا.

وقيل: افْعَلْ بِهِمْ مِثْلَ مَا يَفْعَلُونَ.

وقيل: ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾: عَلَى مَهْلٍ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾

[التوبة: ٢].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُخَافِينَ﴾: النَّاقِضِينَ لِلْعُهُودِ.

\*\*\*

(٥٩) - ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُعْزِرُونَ﴾.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾؛ أَي: لَا تَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا

فَاتُوا، فَإِنَّهُمْ فِي الْقَبْضَةِ وَإِنْ طَالَتِ الْمُدَّةُ، وَقِيلَ: سَبَقُوا إِلَى الْأَفْضَلِ.

وقيل: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ هَذِهِ الْحَرْبِ سَبَقُوا إِلَى الْحَيَاةِ.

وَمَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ<sup>(٢)</sup> فَ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الْفَاعِلُ، وَ﴿سَبَقُوا﴾ سَدَّ مَسَدَّ الْمَفْعُولَيْنِ

بِإِضْمَارِ (أَنْ)<sup>(٣)</sup>، وَعَلَيْهِ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) فِي (و): «عَلَى الْمَقَاتِلَةِ سَوَاءً».

(٢) قَرَأَ بِالْيَاءِ حَفْصٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةٌ، وَبَاقِي السَّبْعَةِ بِالتَّاءِ. انظُر: «السَّبْعَةُ» (ص: ٣٠٧)، وَ«التَّيْسِيرُ» (ص: ١١٧).

(٣) أَي: مَعَ اسْمِهَا، وَظَاهِرُ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ أَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ (أَنْ) هُنَا هِيَ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَلَيْسَتْ النَّاصِبَةُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٤) قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ سَبَقُوا)، ذَكَرَهَا الزَّجَاجُ فِي «مَعَانِي الْقُرْآنِ»

(٢ / ٤٢١)، وَالْوَاحِدِيُّ فِي «الْبَسِيطِ» (١٠ / ٢١٣)، وَشَمْسُ الْقِرَاءَةِ الْكِرْمَانِي فِي «شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ»

(ص: ٢٠٧). وَالتَّقْدِيرُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَمَا ذَكَرَ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي «الْكَشَافِ» (٢ / ٢٣١) مُسْتَدَلًّا بِقِرَاءَةِ

ابْنِ مَسْعُودٍ الْمَذْكُورَةِ: أَنَّ سَبَقُوا، فَحُذِفَتْ (أَنْ) كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ أَلْبَرَقَ﴾ [الرُّوم: ٢٤]. =

ويجوزُ أن يكونَ المفعولُ الأوَّلُ محذوفًا؛ أي: إياهم سبقوا.  
ويجوزُ أن يكونَ الفاعلُ النَّبِيُّ عليه السَّلَامُ كالوجهِ الأوَّلِ، لَكِنَّ دُكِرَ بلفظِ الغيبةِ.  
﴿إِنَّهُمْ لَا يَعْرِضُونَ﴾؛ أي: لا يفوتونك، وقيل: لا يفوتون الله، والإعجازُ: سلبُ  
القدرةِ.

\*\*\*

(٦٠) - ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ  
اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
يُوفَىٰ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَعِدُّوا﴾ أيها المؤمنون ﴿لَهُمْ﴾: للتأقضي العهد، وقيل: لجميع الكفارِ.  
﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: ما سهلَ عليكم تحصيله ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ هي ما يُتقوى به في  
الحربِ مِنَ السَّلَاحِ والخيلِ والنَّفقةِ، وَرَوَى عقبَةُ بنُ عامرٍ عن النَّبِيِّ عليه السَّلَامُ أَنَّهُ  
قَالَ عَلَى المنبرِ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ»، قالها ثلاثًا<sup>(١)</sup>.  
وعن عكرمة: أَنَّهَا الحصونُ<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾: الأفراسِ.

= وهذا الوجه من الإعراب ذكره الفراء، وتعقبوه بأن حذف (أن) المصدرية ضعيف في القياس شاذ  
في الاستعمال، فلا ينبغي أن يخرج عليه كلام الله تعالى. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٤١٤)،  
و«روح المعاني» (١٠ / ١٦٤).

وقد ذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٤٤٣)، واستغربه.

(١) رواه مسلم (١٩٠٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦ / ٥٢١)، والطبري في «تفسيره» (١١ / ٢٤٦)، وابن أبي حاتم  
في «تفسيره» (٥ / ١٧٢٢)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٣ / ١٣٨٠).

و(رِبَاطٌ) مصدرٌ (رَبَطَ) و(رَابَطَ) جميعاً<sup>(١)</sup>، وهو شدُّ الحبلِ<sup>(٢)</sup> وإمساكُه.  
الفراءُ في جماعته: ﴿رَبَاطِ الْخَيْلِ﴾: الإناثُ منها<sup>(٣)</sup>. والخيلُ عامٌّ في الذكورِ  
والإناثِ.

﴿تَرْهَبُونَ بِهِ﴾: تُخَوِّفُونَ غَايَةَ التَّخْوِيفِ، و﴿بِهِ﴾ يعودُ إلى (الإعدادِ)، أو  
إلى ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، أو إلى ﴿رَبَاطِ الْخَيْلِ﴾، أو إلى (القُوَّةِ) حملاً على المعنى، أو  
إلى (القُوَّةِ والرِّبَاطِ) فوَحَّدَ، وله نظائرُ.

﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾؛ أي: الذين تعرَّفونهم بالعداوة ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ﴾:  
غيرهم، ومحله نصبٌ عطفاً على ﴿عَدُوَّ اللَّهِ﴾، وقيل: جرٌّ عطفاً على ﴿لَهُمْ﴾  
عند الكوفيِّين<sup>(٤)</sup>.

(١) كذا قال، وهو غير ممتنع؛ لأن مصادر الثلاثي غير مقيسة، لكن نصَّ أكثر مصنفي المعاجم على أن  
مصدر (رَبَطَ): رَبَطًا، ومصدر (رَابَطَ): رباطاً، وهو الظاهر، لكن كلام المصنف يبقى محتماً، والله  
أعلم. انظر: مادة (رب ط) في «العين» (٧/٤٢٢)، و«تهذيب اللغة» (١٣/٢٣٠)، و«مجمل اللغة»  
(ص: ٢١٤) و«المحكم» (٩/١٦١) وانظر: «المحرر الوجيز» (٢/٥٤٦).

(٢) في النسخ الخطية: «الخييل»، وهو تصحيف، وصوابه: «الحبل» كما أثبت؛ ففي «تصحیح الفصح»  
لابن درستويه (ص: ٥٥): «وأما ربط يربط فهو بمعنى شد الحبل والخيط».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/٤١٦)، ورواه ابن أبي شيبة والطبري وابن أبي حاتم عن عكرمة  
تمتة للخبر السابق، وهذا القول يقابل قول مجاهد وغيره: القوة في الآية هي ذكور الخيل. انظر:  
«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/١٧٢٢).

(٤) نصَّ الفراء على أنه في موضع نصب في هذه الحالة، وكلام المصنف مبني على قولهم المشهور  
عنهم بجواز العطف على الضمير المنخفض بلا تكرار الخافض، والبصريون يوجبون تكرار حرف  
الجر. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/٤١٦)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/٣٧٩).

﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾: لا تعرفونهم بأعيانهم ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: يعرفهم.

واختلفوا فيهم؛ ابن زيد: هم المنافقون. مجاهد: قريظة. السدي: أهل فارس<sup>(١)</sup>. ابن جرير: هم الجن؛ لأن قوله: ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ اشتمل جميع الأعداء من الآدميين<sup>(٢)</sup>.

ولو سكت المفسر عن بيانه بعد قول الله: ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ جاز<sup>(٣)</sup>.  
﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: يوفّر عليكم جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

\*\*\*

(٦١) - ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾: مالوا، ومنه: الجناح، وقيل: انقادوا، وقيل: عدلوا إلى ما تُحِبُّ.

﴿لِلسَّلَامِ﴾: الصلح والاستسلام والانقياد؛ بالدخول في الإسلام، أو بالتزام الجزية.

﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾: فمِلْ إليها وأعطهم ما سألوك في الوقت، والسلم مؤنث، وقيل: يعود إلى الفعلة.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: فوِّضْ أمرك إليه واتخذْه وكيلاً ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

(١) روى الأفعال الثلاثة الطبري في «تفسيره» (١١ / ٢٤٨ - ٢٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٧٢٣ - ١٧٢٤).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١١ / ٢٤٩ - ٢٥٠).

(٣) هذا رأي ذهب إليه المصنف بعد استعراض أقوال المفسرين، وهو جدير بالتأمل.

قتادة: نسختها ﴿اقتلوا المشركين﴾ [التوبة: ٥] <sup>(١)</sup>.

ابن عباس رضي الله عنهما: الناسخ لها: ﴿فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى الْاسْتِسْلَامِ﴾ [محمد: ٣٥] <sup>(٢)</sup>.  
وقيل: هي ثابتة؛ لأنها في موادعة أهل الكتاب.

\*\*\*

(٦٢) - ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِصِرْوَةٍ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾  
﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾: يمكروا بك ويغدروا، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾:  
كافيك الله ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ﴾: قواك ﴿بِصِرْوَةٍ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ جميعاً، وقيل: هم الأنصار.

\*\*\*

(٦٣) - ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾: قلوب الأوس والخزرج، ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا  
مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: بلغت عداوتهم نهاية لو أنفق من مَنفق في إصلاح ذات  
بينهم ما في الأرض من الأموال لم يقدر على الألفة والإصلاح ورفع الإحنة،  
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ بفضلِهِ ورحمته وعزته وحكمته ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

\*\*\*

(٦٤) - ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في سبب النزول: عن

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٢٦)، والطبري في «تفسيره» (١١ / ٢٥٢)، والنحاس في

«الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦٨).

(٢) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦٨).

سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسلم مع النبي ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً، ثم أسلم عمر رضي الله عنه، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>؛ أي: الذي يكفيك كلُّ منهم ومحذور الله والمؤمنون.

ومحل ﴿مَنْ﴾ نصب؛ أي: يكفيك ومن أتبعك، ويجوز الرفع عطفاً على ﴿الله﴾، ويجوز الجر عند الكوفيين<sup>(٢)</sup>، ويجوز الرفع بالابتداء؛ أي: ومن أتبعك من المؤمنين كذلك، والمعنى: حسبهم الله. وكرّر ﴿حَسْبُكَ﴾؛ لأنَّ الأوَّل في كفاية الخداع والثاني عامٌ.

\*\*\*

(٦٥) - ﴿يَتَأْتِيهَا النَّيُّ حَرِضُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّيُّ حَرِضُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ التحريض: الحثُّ على المبادرة إلى الفعل والصبر عليه، وفي اشتقاقه قولان: أحدهما: أنه من (الحارِضِ)، وهو الذي قارب الهلاك، وقريب منه: الحرِضُ. والثاني: من (الحُرْضِ)، وهو الأُشنان<sup>(٣)</sup>، والحراض: مُحْرِقُه.

(١) رواه الآجري في «الشریعة» (١٣٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٧٠) عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٢٨ / ٥) عن سعيد بن جبیر.

(٢) ولا يجوز هذا عند البصريين إلا بإعادة الجار، كما تقدم، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٤٤٤ / ١)، واستغربه.

(٣) انظر: «الصحاح» مادة: (ح ر ض) (١٠٧٠ / ٣) وفيه: «الحُرْضُ والحُرْضُ: الأُشنانُ. والمِحْرَضَةُ =

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شرطٌ في معنى الأمر<sup>(١)</sup>؛ أي: ليصبر عَشْرُونَ وليثبتوا في مُقَابِلَةِ مِئَتِينَ.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما قال: كان فرضًا على المسلمين أن يُقاتِلَ الرَّجُلُ منهم العشرةَ مِنَ المُشْرِكِينَ، فشَقَّ ذلك عليهم، فَأَنْزَلَ اللهُ التَّخْفِيفَ، فجعل على الرَّجُلِ أن يُقاتِلَ الرَّجُلَيْنِ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾  
وهذه الآية<sup>(٣)</sup> تدلُّ على أن الأولى ليست بمنسوخة، بل خُفِّفَ حُكْمُهَا فَصَارَ كِافِطَارِ الصَّائِمِ فِي السَّفَرِ.

ومنهم مَنْ قال: الأولى منسوخةٌ بالثانية، وهي ناسخةٌ للفرارِ مِنَ الرَّحْفِ.

= بالكسر: إنأؤه. والحَرَاضُ: الذي يوقد على الحُرْضِ لِيَتَّخِذَ منه القلي، وكذلك الذي يوقد على الصخر لِيَتَّخِذَ منه نورَةً أَوْ جِصًّا.

وفي «تهذيب اللغاة» (٤/١٢١): والحُرْضُ: الأَشْنَانُ تُغْسَلُ بِهِ الأَيْدِي عَلَى أَثَرِ الطَّعَامِ. والأشنان: شجر من الفصيلة الرمامية يُنْبَتُ فِي الأَرْضِ الرملية يَسْتَعْمَلُ هُوَ أَوْ رِمَادُهُ فِي غَسْلِ الثِّيَابِ والأَيْدِي. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (أش ن) (١/١٩).

ويقال: الأَشْنَانُ والإشنان بضم الهمزة وكسرها، وهو فارسي معرب. انظر: «حاشية ابن بري» (ص: ٣٣).

(١) ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» (١١/٢٦٨).

(٢) رواه البخاري (٤٦٥٣) بلفظ: «لما نزلت: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين، حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ سَعَةً﴾ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ قال: فلما خفف اللهُ عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم».

(٣) في (و): «اللفظة».

قَالَ ابْنُ شُبْرَمَةَ: وَكَذَا النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَا يَحِلُّ لِلوَاحِدِ أَنْ يَفِرَّ مِنْ اثْنَيْنِ إِذَا كَانَ عَلَى مُنْكَرٍ، وَلَهُ أَنْ يَفِرَّ مِنَ الْأَكْثَرِ<sup>(١)</sup>.

الحسن: هذا التَّغْلِيظُ كَانَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ خَاصَّةً، ثُمَّ جَاءَتْ الرُّخْصَةُ<sup>(٢)</sup>.

ابن جرير: لَمْ يَكُنْ أَمْرًا عَزْمًا<sup>(٣)</sup>، بَلْ كَانَ تَحْرِيفًا عَلَى الثَّبَاتِ فِي الْحَرْبِ<sup>(٤)</sup>.

قال الخليل: ﴿عَشْرُونَ﴾ جمع «عِشْرٍ» من أَظْمَاءِ الْإِبِلِ، وَهُوَ تَسَعٌ فِي الْحِسَابِ، لَكِنَّهُ جُمِعَ كَمَا جُمِعَ ﴿أَلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري بعد حديث (٤٦٥٢) ورواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٢٩٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٧٨ / ١١)، كلاهما بلفظ: «هذا يوم بدر خاصة، ليس الفرار من الزحف من الكبائر»، ورواه الطبري (٧٩ / ١١) بلفظ: «ذلك يوم بدر، فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر - أحسبه قال - فلا بأس به».

(٣) في (و): «جزماً».

(٤) روى هذا الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما انظر: «تفسير الطبري» (١١ / ٢٦٤)، أما مذهبه فهو مخالف لما نسب المصنف إليه، فقد قال (١١ / ٢٦٨): «وهذه الآية - أعني قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ - وَإِنْ كَانَ مَخْرَجًا مَخْرَجَ الْخَبَرِ، فَإِنْ مَعْنَاهَا الْأَمْرُ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَتَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦]، فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندباً لم يكن للتخفيف وجه؛ لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو، وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدماً لم يكن للترخيص وجه؛ إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد. وإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن حكم قوله: ﴿أَلَتَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ ناسخ لحكم قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

(٥) قوله: «كما جمع ﴿أَلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾» يعني: أن أشهر الحج عند الأكثر شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وأقل الجمع ثلاثة أفراد عند الجمهور، فجعل بعض من فرداً ثم جمع، وكذا قال الليث: =

وقيل: هو اسمٌ مفردٌ وُضِعَ علماً لعددٍ معلومٍ كثلاثينَ وأربعينَ وبابه.  
 ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوْنَ﴾ أن لهم الجنة والثواب والحياة بعد الممات، فلا  
 يثبتون إن صدقتموهم القتال.

\*\*\*

(٦٦) - ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ  
 يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.  
 ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾: عدم قوّة.  
 وقرئ: ﴿ضَعْفَاءُ﴾ بالجمع<sup>(١)</sup>، ويحتمل: ضَعْفًا عن مقاومة الواحد العشرة.

= «قلت للخليل: زعمت أن عشرين جمع عشر، والعشرُ تسعة أيام، فكان ينبغي أن يكون العشرون  
 سبعةً وعشرين يوماً، حتى تستكمل ثلاثة أسابيع؟ فقال الخليل: ثماني عشر يوماً عشران، ولما كان  
 اليومان من العشر الثالث مع الثمانية عشر يوماً سمّيته بالجمع. قلت: من أين جاز لك ذلك، ولم  
 تُستكمل الأجزاء الثلاثة؟ هل يجوز أن تقول للدّرهيمين ودانقين: ثلاثة دراهم؟ قال: لا أقيس على  
 هذا ولكن أقيسه على قول أبي حنيفة، ألا ترى أنه قال: إذا طلقها تطليقتين وعشر تطليقة فهي ثلاث  
 تطليقات، وليس من التطليقة الثالثة في الطلاق إلا عشرُ تطليقة، فكما جاز لأبي حنيفة أن يعتدّ  
 بالعشرِ جاز لي أن أعتدّ باليومين». انظر: «العين» مادة: (ع ش ر) (١/٢٤٦).

وقوله: «جمع عشرٍ من أظماء الإبل» العشر بكسر العين: وهو الظّم بين الوردتين إذا كان ثمانية أيام،  
 وهذه الأظماء معروفة، وكلها مكسورة الأول، وهي: وِزْدٌ وِغْبٌ وِربْعٌ إلى العِشر. انظر: «حاشية  
 الشهاب على البيضاوي» (٨/٣٥٣).

(١) هي قراءة أبي جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (٢/٢٧٧)، وقد اختلف باقي العشرة في ضم الضاد  
 وفتحها، فقرأ حمزة وعاصم وخلف بفتح الضاد والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٩)،  
 و«التيسير» (ص: ١١٧)، و«النشر» (٢/٢٧٧).

﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قَيْدٌ مِنْ كُلِّ آيَةٍ وَاحِدًا بِالصَّبْرِ لِيُقَاسَ الثَّانِي عَلَيْهِ.

وَذَكَرُ الْمِئَةُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى وَفِي الْعَشْرِينَ مَقْنَعٌ، وَالْأَلْفَ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ وَفِي الْمِئَةِ مَقْنَعٌ أَيْضًا؛ لِيُعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْحَكْمَ مُطَرِّدٌ فِي جَمِيعِ الْأَعْدَادِ، وَلَيْسَ بِمَقْصُورٍ عَلَى الْمَذْكُورِ.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾؛ أَي: فَمَنْ يَغْلِبُهُمْ!؟

\*\*\*

(٦٧) - ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَبَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَبَ فِي الْأَرْضِ﴾ فِي سَبَبِ النَّزُولِ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ وَالتَّقْوَا فَهَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا وَأُسِرَ سَبْعُونَ رَجُلًا، اسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَؤُلَاءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ وَالْإِخْوَانُ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ الْفِدْيَةَ، فَيَكُونُ مَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ، وَعَسَى أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ فَيَكُونُوا عَضُدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَرَى مَا أَرَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ فُلَانٍ - قَرِيبٍ لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمْكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمْكِّنَ حَمْزَةَ مِنْ فُلَانٍ - أُخِيهِ - فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، حَتَّى يُعْلَمَ اللَّهُ أَنْ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ، هَؤُلَاءِ صِنَادِيهِمْ وَأُمَّتُهُمْ وَقَادَتُهُمْ، فَهِيَ رِسْوَ اللَّهِ

عليه السَّلامُ ما قال أبو بكرٍ، ولم يَهُوَ ما قُلْتُ<sup>(١)</sup>، فأخذَ منهم الفِداءَ، فلمَّا كانَ من الغدِ قال عمرُ: غدوتُ إلى النبيِّ عليه السَّلامُ فإذا هو قاعدٌ وأبو بكرٍ الصِّديقُ، وإذا هما بيكيانٍ، فقلتُ: يا رسولَ الله، أخبرني<sup>(٢)</sup> ماذا يُبيكيك أنتَ وصاحبك؟ فإنَّ وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإنَّ لم أجدُ بكاءً تباكيتُ، فقالَ النبيُّ عليه السَّلامُ: «أبكي للذي عرَضَ عليَّ أصحابُك من الفِداءِ، لقد عرَضَ عليَّ عذابُهم أدنى من هذه الشَّجرة» - لشجرة قريية - وأنزلَ اللهُ: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخَبَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>.

والمعنى: لم يكنُ لنبيٍّ أن يشتغلَ بالأسْرِ والفِداءِ - لأنَّ ذلك يذهبُ بالمهابةِ - حتَّى يكثرَ القتلُ.

ابنُ عباسٍ: حتَّى يغلبَ عليها<sup>(٤)</sup>؛ ليقعَ له في القلوبِ مهابةٌ ورُعْبٌ. والإِنْخَانُ: الإِكْثَارُ مِنَ الْقَتْلِ، مُشْتَقٌّ مِنَ (الثَّخَانَةِ)، وهي الصَّلَابَةُ والكثافةُ، وقيل: الشَّدَّةُ والقوَّةُ.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾: المالُ، فسَمَّاهُ عَرَضًا؛ لأنَّه سريعُ الانقِضَاءِ قَلِيلُ اللَّبَّاتِ<sup>(٥)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾؛ أي: يُريدُ لكم ثوابَ الآخرةِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ.  
﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أمرٌ بِإِنْخَانِ الْكُفَّارِ.

\*\*\*

(١) في (و): «ما قال عمر».

(٢) في (و): «فقلت: أخبرني يا رسول الله».

(٣) رواه مسلم (١٧٦٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٣٢) بلفظ: «حتى يظهر على الأرض».

(٥) في (و): «اللبات»، واللبات واللبات: المكث. انظر: «تاج العروس» مادة: (ل ب ث) (٥/ ٣٣٨).

(٦٨) - ﴿لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ في هذا الكتاب ستة أقوال:

ابن عباس: أَنَّهُ سَيُجِلُّ لَهُمُ الْغَنَائِمُ<sup>(١)</sup>.

وقيل: هو أن لا يُؤاخَذَ على جَهَالَةٍ.

وقيل: سبق لأهل بدر أن لا يُعذَّبهم.

وقيل: هو ما كُتِبَ في اللوح المحفوظ أن لا يُعذَّبهم على ذلك.

وقيل: سبق أَنَّهُ لا يُعذَّبُ مَنْ أذنبَ ثُمَّ تابَ.

وقيل: الكتابُ قولُهُ: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الآية [الأنعام: ٥٤].

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: لنالكم وأصابكم، وقيل: المسُّ: الطَّلْبُ.

﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾؛ أي: من فداء الأَسْرَى ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وروي أَنَّهُ عليه السَّلَامُ قال: «لو عُدُّنَا في هذا الأمرِ يا عمرُ ما نجا غيرُك»<sup>(٢)</sup>.

وروي: «إلا سعدُ بنُ مُعَاذٍ»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ٢٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٧٣٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ٢٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٧٣٥) مرسلًا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ٢٨٣) مرسلًا عن ابن إسحاق، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ؛ لقوله: يا نبي الله كان الإثنان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال.

(٦٩) - ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

ثمَّ أحلَّ لهم الغنائم، فقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾: أصبتم وأخذتم من الكفار قهراً، و(من) للتبيين.

﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾: لم تحلَّ لغيركم، وإنما كانت نازة تنزل من السماء فتأكلها. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: مخالفته.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: غفر لكم ذنبكم ﴿رَحِيمٌ﴾: رخص لكم أخذ الغنائم.

\*\*\*

(٧٠) - ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُومًا مِّنْ أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا

يُؤْتِيكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُومًا مِّنْ أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَىٰ﴾ في سبب النزول: قال الكلبي: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، فكان العباس أسير يوم بدرٍ ومعه عشرون أوقيةً من ذهب، كان خرج بها معه إلى بدرٍ ليطعم بها الناس، وكان أحد العشرة الذين ضموا إطعام أهل بدر، ولم يكن بلغته النبوة حتى أسير فأخذت معه، فأخذها رسول الله عليه السلام منه، قال: فكلمت رسول الله عليه السلام أن يجعل لي العشرين أوقيةً من الذهب التي أخذها مني في فدائي، فأبى علي وقال: «أما شيء خرجت به تستعين به علينا فلا»، وكلفني فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث عشرين أوقيةً من فضة، فقلت له: تركتني والله أسأل قريشاً بكفي والناس ما بقيت، قال: «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت<sup>(١)</sup> مخرجك إلى بدرٍ؟ وقلت لها: إن حدث بي حدثٌ في وجهي هذا فهو لك

(١) «وقت»: ليست في (ن).

ولعبد الله والفضل وقمّ» قلت: وما يدريك؟ قال: «أخبرني الله سبحانه بذلك»، قال: أشهد إنك صادق، وإنني قد دفعتُ إليها الذهبَ ولم يطلعْ عليه أحدٌ<sup>(١)</sup> إلا الله، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله، قال العباسُ: فأعطاني الله خيراً ممّا أخذَ منّي كما قال، عشرينَ عبداً كلُّهم يُضاربُ بمالٍ كثيرٍ مكانَ العشرينِ أوقيةً، وأنا أرجو المغفرةَ من ربّي<sup>(٢)</sup>.

﴿إِن يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: إيماناً وإسلاماً، ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخَذَ مِنْكُمْ﴾ من المالِ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾؛ أي: خيرَ الدنيا بما يفتحُ لكم<sup>(٣)</sup>، وخيرَ الآخرةِ بما يغفرُ لكم ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

رُوي أن العباسَ كان يقولُ: أنجزَ أحدَ الوعدينِ، وأنا على ثقةٍ من الآخرِ<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) «أحد»: ليست في (و).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤١). وروى نحوه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٣١٠) عن ابن إسحاق عمن سمع عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحاكم في «المستدرک» (٥٤٠٩) - وصححه - من حديث عائشة رضي الله عنها، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٤٢ / ٣) من طريق ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، عن عروة، عن الزهري وجماعة سماهم، وابن سعد في «الطبقات» (٩ / ٤) عن ابن إسحاق مرسلًا، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٠٩) عن ابن إسحاق عن بعض أصحابه عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وروى قول العباس في آخره: «فأبدلني الله...» أيضًا الطبري في «تفسيره» (١١ / ٢٨٤ - ٢٨٧) من طرق عن ابن عباس.

(٣) في (ن): «عليكم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١ / ٢٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٧٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧١) - ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ يعني: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾: نقض ما عهدوا معك ﴿فَقَدْ خَانُوا

اللَّهُ﴾ بالكفر والشرك ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل العهد، وقيل: من قبل بدر.

وقيل: معناه: إن منعوك ما تدعوهم إليه من الإيمان فقد فعلوا مثله قبل.

﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: فأمكنك منهم ونصرَكَ عليهم فهزمتهم وأسرتهم،

والمعنى: إن عادوا عدنا لهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

\*\*\*

(٧٢) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكَيْتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى

يَهِجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ ديارهم وأوطانهم؛ يريد: المهاجرين.

﴿وَجَاهَدُوا﴾: قاتلوا الكفار ﴿بِأَمْوَالِهِمْ﴾ صرفوها إلى أثمان الخيل والسلاح

وأنفقوها على الفقراء فبذلوها كبذلهم أنفسهم ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾ بمباشرة القتال ﴿فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا﴾ هم الأنصار آووا المهاجرين وأسكنوهم منازلهم،

وجعلوا لكل واحد مأوى يأوي إليه ويسكنه، ﴿وَنَصَرُوا﴾؛ أي: ونصروهم على

أعدائهم وحاربوا معهم.

﴿أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾؛ أي: في الميراث، وكانوا يتوارثون بالإيمان

وبالهجرة وبالمؤاخاة التي كان رسول الله عليه السلام يؤاخي بينهم دون القرابة

المُفْرَدَةِ حَتَّى نُسَخَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]؛<sup>(١)</sup> أي: في الميراث، وقيل: يُريدُ بالولاية: المُؤازرة والنصرة والمُعَاونة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾ من مَكَّة ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ من ميراثٍ وغنيمَةٍ وفيه ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾، فكان لا يرث المؤمنُ الذي لا يُهاجرُ مِمَّنْ آمَنَ وهاجرَ، وقيل: هي المُؤازرة كما سبق.

﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾: طلبوا معونتكم؛ أي: إن وقعَ بينهم وبين الكُفَّارِ قتالٌ ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾؛ أي: فعلى المؤمنين أن ينصروهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ﴾: عهدٌ إلى مدَّةٍ أو مُواعدةً، فلا تغدروا ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

\*\*\*

(٧٣) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ﴾ في الميراث، وقيل: في المُؤازرة ﴿أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: ما أمرتُم به من التَّوارثِ بالإيمانِ والهجرة، وقيل: بالتَّعاونِ والتَّأزُّرِ ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾: زوالُ نظامِ المؤمنين وتفرُّقُ كلمَتِهِمْ ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ في الدِّينِ من جهةِ الكُفَّارِ وسفكِ الدِّماءِ.

قسَمَ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ:

- قَسَمُ آمَنُوا وَهَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ، وَهَمُ الْمُهَاجِرُونَ.

- وَقَسَمُ آمَنُوا وَنَصَرُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَهَمُ الْأَنْصَارُ.

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ٢٢٤).

- وقسم آمنوا ولم يهاجروا، وهم الذين أمر بنصرهم إن استنصرهم.

- وقسم هم الكفار.

فاختار من بينهم المهاجرين والأنصار، ثم ألحق بهم من يأتي بعدهم فقال:

\*\*\*

(٧٤) - ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ

هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾: صدقًا؛ أي: المبالغون في إيمانهم، وقيل: ﴿ حَقًّا ﴾: تأكيد للكلام.

﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾: الجنة.

ومعنى ﴿ كَرِيمٌ ﴾: لا منة فيه ولا تنغيص. وقيل: رزق كريم لا يصير حدًا،

بل رَشْحًا كالمسك.

\*\*\*

(٧٥) - ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ ﴾: بعد نزول هذه الآية. وقيل: هي الهجرة الثانية.

﴿ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ ﴾ ذكر في الآية الأولى سبيل الله والأموال والأنفس،

وترك في الثانية الأموال والأنفس اكتفاءً بالذكر في الأولى، وترك في الثالثة

سبيل الله أيضًا اكتفاءً بالذكر فيهما.

﴿ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾: في حكمكم وجملتكم ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾

يعني: الأقرباء الذين تجمَعُهم بالقُربِ رَحْمٌ واحدةٌ، أو يُنسَبُونَ إلى أبٍ واحدٍ، بعضُهم أولى ببعضٍ في الميراثِ من الأجنبيِّ.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: حُكْمُهُ، وقيل: في القرآنِ، وهو ما في سورةِ (النِّسَاءِ) من الفرائضِ، وقيل: في اللُّوحِ المحفوظِ.

وهذه الآيةُ ناسخةٌ للتَّوَارُثِ بالهجرةِ والإخاءِ<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من الفرائضِ والمواريثِ وغيرِ ذلك.

\*\*\*

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ٢٢٤)، وللنحاس (ص: ٤٧٤)، ولابن حزم





